الانتصار للأولياء الأخيار

تأليف

الشيخ الإمام يوسف ابن الملا عبد الجليل بن مصطفى
الخضري الكردي الموصلي الحنفي

المتوفى سنة ١٢٤١هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: Al-ʾintiṣār lil-ʾawliyāʾ al-ʾaḫyār

Author: Yūsuf ben ʿAbdul-Jalīl al-Kurdi

Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 552

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الانتصار للأولياء الأخيار

المؤلف: الشيخ يوسف ابن الملا عبدالجليل الكردي الحنفي

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 552

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 978-2-7451-5231-2 (13 dig)

90000

9 782745 152312

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية

Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ +٩٦١ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

فاكس: ٨٠٤٨١٣ +٩٦١ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي رفع الأعلام، لمن شاء من الأعيان الأعلام، وعلى بيان الطريق، لأهل التحقيق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نافعة على الدوام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مصباح الظلام.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

وبعد..

فهذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان، الأنبياء عليهم السلام، وآل البيت الكرام، وأغواث، وأقطاب، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، وأنجاب، وأولياء من عدة أقطار وبلاد، لا سيما العراق، ومصر والشام.

فضلاً عن ذكر مآثرهم، ومناقبهم، والانتصار والدفاع عنهم.

وكذلك الحديث عن التصوف وحقائقه، والإشارة إلى مراتب العبودية، وحقيقة العبودة، وصفة المتحقق العابد، الراجي تحققه بالحقيقة المحمدية.

فهذا الكتاب العظيم الذي ربما لم تر العين مثله في تصنيفه وطريقته في الدفاع بهيئته وصورته، الغرض منه الانتصار للأولياء وحسن الاعتقاد فيهم، وعدم معاداتهم، والحرص على زيارتهم.

وفي ذلك يقول الشيخ ماء العينين رضي الله عنه: قال سيدي إبراهيم الدسوقي قدس سره: فيجب عليك يا ولدي التسليم لله في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

وكان الشيخ أبو المواهب الشاذلي قدَّس الله سـره يقول: سمعت شيخنا أبا عثمان يقول في الدرس على رؤوس الأشهاد: لعن الله من أنكر عليَّ هذا الطريق، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل: لعنة الله عليه.

وكان يقول: من اعترض عليَّ هذا الطريق لا يفلح أبدًا ولو كان على عبادة الثقلين

انتهى.

ومن كلام سيدي مدين: لا تقطع رحم أولاد الفقراء يقطع الله رحمك.

ومن كلام سيدي أبي العباس الغمري: لحوم أولاد الفقراء مسمومة، فمن تعرض لها عجل هلاكه بسمّ ساعة.

وقال اللُّقاني رحمه الله تعالى: ويُخشى على من تكلم فيهم يعني أهل الطريق سوء الخاتمة، وجزاؤه الأدب الشديد، والسجن الطويل المديد، قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧].

فتأمَّل يا أخي قول الله تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»، ولا تقل: لو علمته وليًّا لاعتقدت فيه، فإن الأولياء عرائس، والعروس لا تتجلَّى إلا على من طهر ظاهره من الانتقاد، ونظف باطنه من سوء الظن، ونوره بالاعتقاد.

قال سيدي أفضل الدين قدس الله روحه: لو أن إنسانًا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدًا منهم بغير عذرٍ مقبول في الشرع لم ينفعه حُسن الظن عند الله حتى يُحسن ظنه بالجميع، ولذلك لا تجد وليًّا حيًّا له قدم في الولاية إلا وهو مصدقٌ بجميع أقرانه من الأولياء، لم يختلف في ذلك اثنان، كما أنه لم يختلف في الله نبيَّان، فمن آذى الأولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة.

ومن كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي: من حرم احترام أصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت.

وذكر الشيخ محيي الدين ﷺ أن معاداة الأولياء والعلماء العاملين كفرٌ، ومن عادى أحدًا منهم فقد عادى إيمانه.

وقال الشيخ أبو محمد اليافعي: عليك بالاعتقاد في أهل عصرك من أولياء وعلماء عاملين، وأما أن تكون ممن يُصدق بأن لله أولياء وعلماء عاملين، ولكن لا يصدق بأحدٍ معين، فإن هذا محرومٌ من الإمداد؛ لأن من لم يُسلم لأحدٍ معينٍ لم ينتفع بأحدٍ أبدًا.

قلت: وهذا يخاف عليه من أن يكون مقتديًا باليهود والنصارى، في قولهم أنهم مصدقون نبي آخر الزمان ولكنهم كافرون بتعيينه أنه محمدٌ ﷺ.

وقال سيدي علي الخواص قدَّس الله سره: من زعم أنه ينال حظًّا من الله لقرابته من أولياء الله مع عدم صلاحه، ومخالفته لطريقتهم، ومع إساءته الأدب مع أحد منهم، فقد كذب فيما زعم، فكما تجب محبة الرسل كلهم وإن اختلفت شرائعهم، فكذلك الأولياء تجب محبة الكل وإن اختلفت طرائقهم، وكما أن من آمن بالأنبياء والمرسلين الأواخر منهم لا يصح إيمانه، فكذلك من اعتقد في أولياء الله كلهم إلا واحد منهم بغير طريقٍ

شرعيٌ لا تصح محبته، ولا يفيده ذلك الاعتقاد شيئًا.

وبالجملة فهلاك المعترض عليهم ومؤذيهم محتم بمجرد الإيذاء والاعتراض، ما لم تسبق له عناية من الله بتوفيقه للتوبة وحُسن الاعتقاد، ولأن من تعرَّض لهم بالأذى فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد استحقَّ الطرد والوبال، وأهلكه الله وفضحه في الحال، بشهادة حديث: «**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالمحاربة**». ولا تغتر أيها الجاهل بإمهال الله لك، فتقول: لو كان هذا وليًّا أهلكني الله بسببه، فهلاكه حتمٌ لا بدَّ منه، وتأخيره لحكمةٍ ربَّانيةٍ.

قلت: كما وقع لفرعون وأمثاله من الكفرة، فارجع عمَّا أنت فيه فقد نصحتك، كما قال صاحب الفيوضات: وبالغت في النصيحة وما قصرت.

فاخترْ لنفسك ما يحلو، فالله الله أيها المنكر على السادة الصوفية والعلماء العاملين، ألا ما رجعت عن إنكارك إلى رشد انقيادك، وحُسن اعتقادك بالمحبَّة والمودة.

واحرص على التوسل بهم تكن من الموفقين بإذن الله تعالى، فقد سُئل الشهاب الرملي عمَّا يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهل للأولياء إغاثة بعد موتهم؟

فأجاب بجواز ذلك، وبأن لهم الإغاثة بعد موتهم معجزة للأنبياء وكرامة للصالحين والأولياء. ومن كلام السادات بني الوفا قدست أسرارهم العلية: إن أولاد الفقراء يعني أرباب الطريق كشجر الزيتون، الكبيرة فيها الزيت، والصغيرة فيها الزيت، وهي لا تخلو من زيتٍ طيبٍ.

هذا.. وإليك هذا الكتاب العظيم المنتصر للأولياء الصالحين، والمرشد لسلوك القوم المهتدين، لتفوز برضا الله رب العالمين، وتحظى بمعاينة سيد المرسلين، وتنال نظرة أهل الله السادات الصالحين، فتكون يوم العرض في دار المزيد تُمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم.

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب الذي يخرج لعالم الطباعة لأول مرة، عن نسخة المؤلف، المحفوظة بدار الكتب المصرية، فتم ضبطها وتصحيحها، وقد أخذت منَّا جهدًا بالغًا، ثم قمنا بتخريج الأحاديث والآثار، والعزو والترجمة والتعليق قدر المستطاع على بعض المواضع، راجين الله توفيقه وتيسيره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولا يسعني إلا التقدم بالشكر لسيدنا القطب الرباني **الشيخ مصطفى بن عبد السلام** الملوي، قدس الله سره ونور ضريحه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه: أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي: جوال ٠١٠١٤٦٣٠٢٧، القاهرة، في الأول من ذي القعدة سنة ١٤٢٦ هـ، بدارنا للبحث العلمي دار الحقيقة المحمدية.

التعريف بالشيخ المصنف

هو الشيخ الإمام الفقيه العارف بالله تعالى المحقق الكبير سيدي يوسف بن الملا عبد الجليل بن مصطفى الخضري، الكردي، الجليلي، الموصلي، الحنفي.

ولد بالموصل. ونشأ بها.

وسكن بمصر.

طاف العراق ومصر، والشام، وغيرها من البلاد، كان مولعًا بحب الصالحين والعلماء وحرص على زيارتهم والحث عليها، والدفاع في جواز التبرك بهم.

أُوتي من العلم ما جعله رادعًا لكل مخالف ومعترض بالحجة الظاهرة والبراهين الساطعة.

من آثاره النافعة:

- الانتصار للأولياء الأخيار.
- كشف الأسرار وذخائر الأنوار.
- الاستشفا بأحاديث المصطفى.

توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٤١ هـ.

وانظر في ترجمته:

- الأعلام للزركلي (١٩/٧).
- معجم المؤلفين لكحالة (١٦٥/٤).
- هدية العارفين للبغدادي (٥٧٠/٢).
- إيضاح المكنون للبغدادي (١٣٠/١).
- الكشاف لأسعد طلس (١٣٣).

نماذج من صور المخطوط

الضعيف النحيف الذليل، يوسف بن ملا عبد الجليل، عامله الله
تعالى بلطفه الجميل، وأجراه على عوائد بره الجزيل، لما رأيت ظهور
الإنكار على الأولياء الأخيار، وهو من البدع الكبار، وقد قال نبينا
المختار صلى الله عليه وسلم ما دام الليل والنهار: إذا ظهرت الفتن أو قال
البدع وسبت أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، رواه الخطيب
البغدادي، وقال صلى الله عليه وسلم ما أظهر الناس بدعة إلا أظهر الله
تعالى فيهم حجته على لسان من يشاء من خلقه، رواه الحاكم، وقال صلى الله
عليه وسلم إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله
بعقابه، رواه ابن ماجة والترمذي، وقال صلى الله عليه وسلم ما من
امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما أي يترك نصرته وعونه في موضع تنتهك
فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه
نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه
وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، رواه
أبو داود، وقال صلى الله عليه وسلم من دعا إلى هدى كان له من الأجر
مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، رواه مسلم، فأردت
بعون الله سبحانه وتعالى أن أؤلف كتابا يشتمل على معرفة أولياء الله
تعالى وأوصافهم ونفع محبتهم وضرر معاداتهم والإنكار عليهم وغير ذلك
نصيحة للمسلمين، فاستخرت الله العظيم، وتفاءلت بكتابه الكريم فظهر

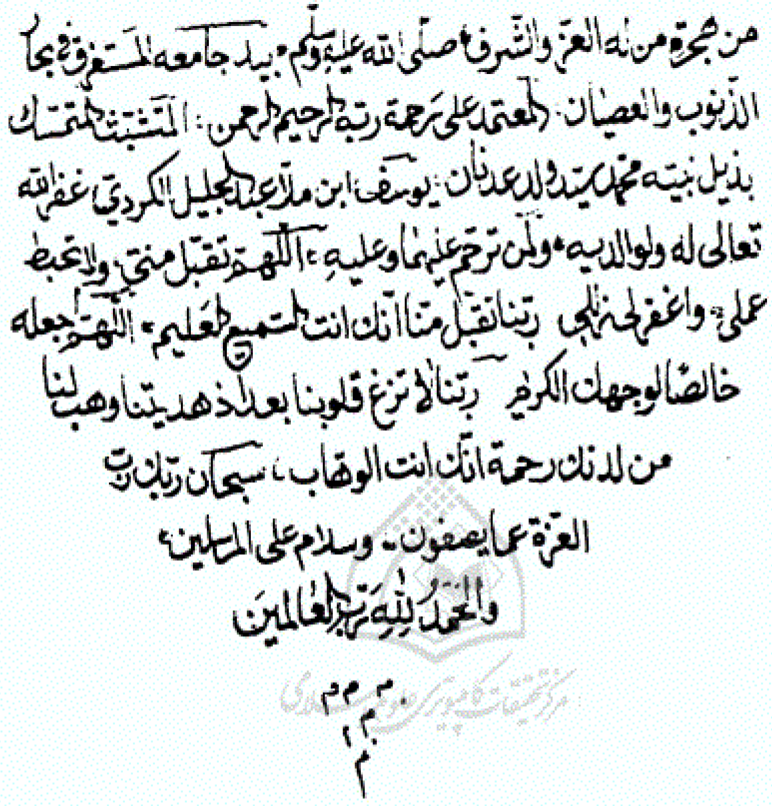
صورة الصفحة الثانية من المخطوط

رحمه الله تعالى . مسجد الضابرين رحمة الله تعالى عليهم

هو مسجد قديم تقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة يقال له مسجد الضابرين
فالظاهر انه قد سكنه جماعة من اهل الزهد والصبر والاخلاص والتوكل
وكثيرا ما نسمع ان الاغتسال بمائه يقضي الحمى المزمنة رحمة الله تعالى عليهم
اجمعين ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والاخرة امين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين وقد تم ما اردته
وكمل القصد الذي رمته وقصدته بحمد الله الوهاب الفتاح العليم والصلوة
والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم وعلى آله واصحابه اولي المجد القديم
والفضل العظيم وانا استغفر الله تعالى مما يعلمه مني من التعدي واسأله
جل جلاله مع ذلك ان لا يؤاخذني بما انطوى عليه ضميري من انواع القبائح
والمعائب التي مني ولا اعلمها او اعلمها وان يشرح نفسي بالمنتقى منها والتنزه
عنها اعتزازا مني بحلمه وان ينفعني ببركات كل ولي على وجه الارض او
في بطنها وان يمدني من مددهم جميعا وان يحشرني معهم ولا يخالف بي عن
طريقتهم وارغب اليه جل وعلا ان يمن علي بتوبة تمحو عني كل حوبة وان
يغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات انه
اكرم الاكرمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى
التابعين لهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين
وقد وقع الفراغ من تأليفه وكتابته بعون الله تعالى وحسن توفيقه
يوم الثلاثا تاسع عشر شهر صفر الخير من شهور سنة احدى عشرة ومائتين والف

من

صورة الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط


من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم . بيد جامعه المستغرق في بحار
الذنوب والعصيان . المعتمد على رحمة ربه الرحيم الرحمن . المتشبث المتمسك
بذيل نبيه محمد سيد ولد عدنان . يوسف ابن ملا عبد الجليل الكردي غفر الله
تعالى له ولوالديه . ولمن ترحم عليهما وعليه . اللهم تقبل مني ولا تحبط
عملي واغفر لجميع ذنوبي ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . اللهم اجعله
خالصا لوجهك الكريم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . سبحان ربك رب
العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
م م م
م
م

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

وبه نستعين

الحمد لله الذي ملأ قلوب أحبَّته من بئر محبته سرورًا، وكسا وجوههم من إشراق ضياء بهجته نورًا، توَّجهم بتيجان البهاء، وكتب لهم بالولاء منشورًا، وهداهم إلى طريق معرفته، فداموا على محبتهِ وما غيَّروا تغييرًا:

نالــوا بــذلكَ فرحةً وسرورًا ... وســعَوا فأصبحَ سَعيُهم مَشْكُورا
قــومٌ أقامــوا للإلــهِ نفوسهم ... فكــسا وجــوههم الوسيمةَ نورا
تــركوا النعــيمَ وطلقوا لذاتهم ... زُهــدًا فعوَّضــهم ربُّهم سرورا
قامــوا يــناجون الحبيبَ بأدمعٍ ... تجــري فتحكــي لؤلــؤًا منثورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذي ... وجــدوا فأصــبح حظُهم موفورا
وإذا بــدا لــيلٌ سمعــت أنِينهم ... وشــهدت وجــدًا منهم وزفيرا
تعــبوا قلــيلاً في رضا محبوبهم ... فــأراحهم يــوم المعــاد كــثيرا

أحمده سبحانه وتعالى حمدًا كثيرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا حكيمًا غفورًا.

وأشهد أن سيدنا وسندنا وذخيرتنا عند الله محمدٌ عبده ورسوله، الذي أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد...

فــيقول العبد الفقير الحقير المقرُّ بالذنب والتقصير المعتمد على رحمةِ ربِّه الكريم الخبير، تراب أقدام الصالحين، وغبار مجالس العلماء العالمين.

العبدُ الضعيف النحيف الذليل يوسف بن المُلا عبد الجليل، عامله الله تعالى بلطفه الجميل، وأجراه على عوائد بِرِّه الجزيل:

لما رأيت ظهور الإنكار على الأولياء الأخيار وهو من البدع الكبار، وقد قال نبيُّنا المختار ﷺ ما دام الليل والنهار: «**إذا ظهرتِ الفتنُ أو قال البدع وسُبَّت أصحابِي فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنةُ الله والملائكة والنَّاس أجمعين لا**

يَقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً[(١)]» رواه الخطيب البغدادي.

وقال ﷺ: «ما أظهر النَّاس البدعَ إلا أظهر الله تعالى فيهم حُجَّته على لسان مَنْ يشاءُ من خلقه[(٢)]» رواه الحاكم.

وقال ﷺ: «إنَّ النَّاس إذا رأوا منكرًا فلم يُغيِّروه يُوشكَ أن يعمَّهم الله بعقابه[(٣)]» رواه ابن ماجه.

وقال ﷺ: «ما من امرئٍ مسلمٍ يخذل امرأً مُسلمًا: أي يترك نصرته وعونه في موضعٍ تُنتَهك فيه حرمته، وينقص فيه من عِرضهِ إلا خذله الله تعالى في موضعٍ يحبُّ فيه نصرته، وما مِنْ امرئٍ مسلمٍ ينصر مسلمًا في موضعٍ ينتقص فيه من عِرضهِ وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله تعالى في موطنٍ يحبُّ فيه نصرته[(٤)]» رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «مَنْ دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا[(٥)]» رواه مسلم.

فأردتُ بعونِ الله سبحانه وتعالى أن أؤلف كتابًا يشتملُ على معرفة أولياء الله تعالى وأوصافهم، ونفع محبتهم، وضرر مُعَادَاتِهم، والإنكار عليهم، وغير ذلك نصيحةً للمسلمين، فاستخرت الله العظيم، وتفاءلت بكتابه الكريم، فظهر في أوَّل سطرٍ من الجانب اليمين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]، فعند ذلك قوي عزمي، فشددت حزمي، وشرعت في ذلك مستعينًا بالله العظيم، راجيًا منه سبحانه وتعالى أن يوفِّقني للتتميم، ومبتهلاً إليه ﷻ أن يجعله خالصًا لوجههِ الكريم، ونافعًا للمسلمين، إنه جوادٌ كريمٌ، رءوفٌ رحيمٌ، وهو حسبِي ونعمَ الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، ورتَّبته على خمسة عشر بابًا.

الباب الأول: في معرفة أولياء الله تعالى وأنهم لا ينقطعون.

الباب الثاني: في صفاتهم وما أعدَّ الله تعالى لهم من الفضلِ الجميلِ، والأجرِ الجزيل.

الباب الثالث: في نفع محبتهم.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣٢١/١)، والخطيب في الجامع (١١٨/٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أحمد (٩/١)، وابن ماجه (١٣٢٧/٢).

(٤) رواه أبو داود (٢٧١/٤)، والبيهقي في الكبرى (١٦٧/٨)، وفي الشعب (١١٠/٦).

(٥) رواه مسلم (٢٠٦٠/٤)، وأبو داود (٢٠١/٤)، والترمذي (٤٣/٥)، وابن ماجه (٧٥/١).

الباب الرابع: في ضَررِ معاداتهم، والوقيعة فيهم، والإنكار عليهم، وعلاج ذلك.

الباب الخامس: في ردِّ شُبهِ المنكرينَ عليهم.

الباب السادس: في كراماتهم.

الباب السابع: في عقائدهم.

الباب الثامن: في طريقتهم.

الباب التاسع: في التصوف.

الباب العاشر: في رتبةِ المشيخة، وبيان الشيخ والمريد، وبيان سنيَّة المبايعة وكيفيتها.

الباب الحادي عشر: في حقوق المسلم، والأقارب، والرحم، والوالدين، والولد والمملوك، والإخوة، والصحبة، والعَالِم، والأستاذ، والزوج، والزوجة، وفضيلة الأُلفة والأخوة.

الباب الثاني عشر: في ذِكر الله سبحانه وتعالى.

الباب الثالث عشر: في السَّماع.

الباب الرابع عشر: في ذِكرِ مناقب بعض أكابر هذه الأمَّة المحمَّدية.

الباب الخامس عشر: في زيارة الصالحين الأحياء والميتين.

وأنا أرجو ممن وقع بيده هذا التأليف فظهر فيه خطأٌ أو تحريفٌ أن يُصلح ما لقيه مختلاً، ويَنْتَهج عنه من الاعتذار الطريقةَ المُثلى، ولا يردَّه حسدًا من نفسه الأمارة؛ فإني أعوذُ بعزةِ ربِّي سبحانه وتعالى من شرِّ حاسدٍ يسدُّ باب الإنصاف، ويردُّ عنِّي جميل الأوصاف:

ترى الفتى يُنكرُ فضلَ الفتَى ... لومًا وبحثًا فإذا ما ذهبَ
لَجَّ به الحرصُ على نكتةٍ ... يَكتُبها عنه بماءِ الذهبِ

وما أحسن قول شيخ الإسلام خير الدِّين الرملي رحمه الله تعالى:

كل مَنْ لا يرى المعاصرَ شيئًا ... ويرى للأوائل التقديما
إنَّ هذا القديمُ كانَ حَدِيثًا ... وَسَيبقى هذا الحديثُ قديما

وسميَّتُهُ: (**الانتصار للأولياء الأخيار**) وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب، ما شاءَ الله لا قوة إلا بالله، توكَّلتُ على الله، اعتصمتُ بالله، فوَّضتُ أمري إلى الله، وأستودعهُ سبحانه وتعالى نفسي، وديني، وإيماني، وأولادي، وأهلي، وأصحابي، وأحبَّائي، وأحبابي، وسائر مَنْ أحسنَ إليَّ وجميع المسلمين، وجميع ما أنعمَ عليَّ وعليهم من أمور

الآخرة والدنيا والدِّين؛ فإنه سبحانه وتعالى إذا استُودع شيئًا حفظه، وهو نِعمَ الحفيظ، وأكرم الأكرمين.

* * *

الباب الأول / في معرفة أولياء الله تعالى، وأنهم لا ينقطعون

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فالأولياء جمع: ولي، وهو كما قال المحقق ابن حجر المكّي: فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه والى الله تعالى ورسوله، فلم يخرجْ عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما، أو مفعول؛ لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمهِ ورسوله والاه بمزيدِ إمداده وكرمه، وضابط الولي أنه المداوم على فضلِ الطاعات، واجتناب المعاصي، المُعرِض عن الانهماك في اللّذات، كذا قالوه.

قال رحمه الله تعالى: ويتجه أن هذا ضابط الولي الكامل، وأن أصل الولاية يحصل لمن وُجِدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء.

قلت: وهذا مِنْ فضلِ الله تعالى كثيرٌ في هذه الأمّة في كل زمانٍ ببركة نبيِّنا محمَّدٍ سيد الأكوان ﷺ في كل حينٍ وآن.

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الإمام ناصر الدين البيضاوي: دلّت الآية على خيرتهم فيما مضى، ولم تدل على انقطاعٍ وطردٍ.

وقال نبيُّنا ﷺ: «لا يزالُ من أمّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله لا يَضرُهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتَّى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك[1]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا أهلَ الشام؛ فإن فيهم الأبدالُ[2]» ذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وزاد الشارح المناوي: وفي رواية «وبِهم تُنصرون وبِهم تُرزقون[3]»، قال رحمه الله تعالى: وفيه ردٌّ على مَنْ أنكر وجود الأبدال كابن تيمية انتهى.

وفي كتاب «الأبدال» عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «البدلاءُ أربعون[4]».

---

(١) رواه البخاري (١٣٣١/٣)، والطبراني في الكبير (٥٢/٧).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦٥/١٨)، وابن المبارك في الجهاد (١٥٢/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤٠٠/٦).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٦٥/١٨)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٠٠/٥).

(٤) قال سيدنا الشرقاوي في شرح الحكم الكردية (ص٩٠) بتحقيقنا: (والأبدال): جمع بدل، وهو من له قدرةٌ على أن يقيم غيره بدلاً عنه إذا أراد مفارقة محله مثلاً.

=

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: لولا البدلاء لخسف بالأرض، وخرَّج السمرقندي فيه قال: لما قُبض النبي ﷺ شكت الأرض إلى ربِّها ﷻ أنه ما بقي يمشي عليَّ نبيٌّ من الأنبياء إلى يوم القيامة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أنِّي جاعلٌ مِنْ هذه الأمة رجالاً قلوبهم كقلوب الأنبياء.

قال السمرقندي: والقطب هو المقدم عليه انتهى.

قال العلامة ابن حجر في «شرح الهمزية»:

إن الله تعالى خصَّ هذه الأمة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمةً لنبيهم، وزيادةً في شرفه، ثم عدَّ منها إلى أن قال:

وأن فيهم أقطابًا، وأوتادًا، ونقباءً، ونجباءً، وأبدالاً: أي لا ينقطعون[1].

قال الشيخ أحمد الشهير بالأعرج في كتاب مواعظه: وأخفى الله تعالى وليَّه بين الناس ليعظِّموا الكل، كما أخفى الاسم الأعظم ليعظِّموا كل الأسماء، والصلاة الوسطى؛ ليحافظوا على كل صلاةٍ، وساعة الإجابة في الجمعة؛ ليداوموا على الدعاء في كل الجمعة، وليلة القدر؛ ليحيي مَنْ يريدها ليالي كثيرةً، ورضاه في الطاعة؛ ليرغبوا في الكل، وغضبه في المعاصي؛ ليتجرَّدوا عن الكل، ووقت الموت؛ ليكون المكلَّف على احتياطٍ في جميع

=

قال في «الفتوحات» في الباب الثالث والسبعين ما معناه: اعلم أنه لما انتقل رسول الله ﷺ بعد أن حرر الدين الذي لا يبدل، وكانت الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه يكون قطب العالم الإنساني، أبقي بعده من الرسل ثلاثة متفقًا عليهم، وهم إدريس وإلياس وعيسى، وواحد مختلف فيه عند غيرنا لا عندنا وهو الخضر عليهم السلام، فهؤلاء الأربعة باقون بأجسادهم في الدنيا، واحد منهم القطب واثنان منهم الإمامان وأربعتهم أوتاد، فبالواحد: يحفظ الله الإيمان، وبالثاني: يحفظ الله الولاية، وبالثالث: يحفظ الله النبوة، وبالرابع: يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع: يحفظ الله الدين الحنيفي، ولكل واحد منهم في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه، فيتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات، فإذا حصلها عرف أنه نائب، فنائب القطب يعرف أنه نائب القطب، ونائب الإمام يعرف أنه نائب الإمام، وكذا نائب الوتد، فمن كرامة رسول الله ﷺ على ربه أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وارثين مقام الرسالة إلى يوم القيامة. واعلم أن رجال الله في هذه الطريق هم المسمون بعالم الأنفاس، فهذا اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة: فمنهم من تجمع له الطبقات كلها، ومنهم من يحصل لما شاء الله منها، وما من أهل طبقة إلا ولهم اسم خاص، فمنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له.

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٥/٢٢٠)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/٢٦١)، وابن حبان في المجروحين (٢/١٨٠).

الأوقات.

وكان الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُه يقول: ومن أين لعامَّة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عباده من الأولياء، وشروق نوره في قلوبهم، ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه؛ لجلالتهم عنده، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسانٌ لكان قد بارز الحق تعالى بالمحاربة، فأهلكه الله تعالى، فكان سترهم على الخلق شفقةً على من آذاهم.

ومن ظهر من الأولياء للخلق إنما ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ودلالته، وأمَّا من حيث سرِّ ولايته فهو باطنٌ لم يزلْ.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُه يقول: لكل وليٍّ سترٌ أو أستارٌ نظير السبعين حجابًا التي وردت في حق الحق سبحانه وتعالى، حتى أنه لم يعرف إلا مِنْ ورائها فكذلك الولي.

فمنهم: مَنْ يكون ستره بالأسباب.

ومنهم: مَنْ يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه، فيقول الناس: حاشا لله أن يكون هذا وليًا لله تعالى، وهو في هذه النفس أو التعاظم؛ وذلك لأن الحق تعالى إذا تجلى في قلب العبد بصفة القهر كان قهَّارًا، أو بصفة الانتقام كان منتقمًا، أو بصفة الرحمة كان رحيمًا مُشفقًا وهكذا، ثم لا يصحب ذلك الولي لله، الظاهر بمظهر العزِّ والسطوة والانتقام من المريدين إلا مَنْ محق الله تعالى نفسه وهواه، ولم يزل في كل عصرٍ وأوانٍ أولياءٌ وعلماءٌ تذلُ لهم ملوك الزمان، ويعاملونهم بالسمعِ والطاعة والإذعان.

ومنهم: مَنْ يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر، والجمود على ظاهر النُّقول، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين.

ومنهم: مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا، وتظاهره بحبِّ الرئاسة والملابس الفاخرة وهو على قدمٍ عظيمٍ في الباطن.

ومنهم: مَنْ يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأغنياء وسؤالهم الدنيا وغير ذلك، فيقول القصير الفهم والإدراك: لو كان هذا وليًا لله ما تردَّد إلى هؤلاء الأمراء، أو الأغنياء، أو لأي شيءٍ، بل جلسَ في زاويته أو بيته يشتغل بعبادة ربِّه، ورحم الله الأولياء الماضين الذين كانوا في الزمن الماضي ونحو ذلك من ألفاظ الجور.

ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن يستنقد عليهم، فربما كان ترددهم لكشف ضَررٍ أو خلاص مظلومٍ من سجنٍ أو قضاء حاجةٍ مثلاً، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح، ويحرم عليهم التخلُّف عنهم، لا سيما إذا رأينا المتردد من الأولياء والعلماء زاهدًا فيما في أيدهم، متعززًا بعزِّ الإيمان وقت مجالستهم، آمرًا لهم بالمعروف، وناهيًا لهم عن المنكر، لا يقبل هديةً ممن شفع له عندهم، فإن هذا من المحسنين ولا يجوز الاعتراض عليه بسبب ذلك.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: سمعت سيدي عليًّا الخوَّاص رحمه الله تعالى يقول: إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نُصحَه لهم وشفاعته عندهم وَجبَ عليه صحبتهم والدخول عليهم.

وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر.

وقال رحمه الله تعالى: وَمِنْ الأولياء مَنْ يكون سِترهُ قبوله من الخلق ما يعطونه من الهدايا والصدقات، ويمدح الذين أعطوه بالكرمِ، وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله تعالى؛ فإن الرجل إذا قَبِلَ من الخلق صغُر في أعين الناس ضرورةً، كما أن مَنْ ردَّ عليهم كبُر في أعينهم، ولعلَّ ذلك الرادَّ إنما ردَّ رياءً وسمعةً واستئلافًا لقلوب الناس؛ ليتوجهوا إليه بالتعظيم والتبجيل، ويطلقوا ألسنتهم بالثناءِ الحسن.

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: مَنْ طلبَ الحمدَ مِنْ الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه، وليس من الله في شيءٍ.

وقال الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه: ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلةٍ ممن تزيَّا بزيِّهم، وانتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عند الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، فمن أين يلزم من إساءة واحدٍ أن يكون جميع أهل حرفته كذلك؟! ما هذا إلا محض عنادٍ، وتعصبٌ بباطلٍ.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى:

استتارُ الرجالِ في كلِّ عصرٍ ... تحت سوءِ الظنونِ قدرٌ جليلُ

ما يضرُّ الهلالَ في حِندسِ الليلِ ... سوادُ السَّحابِ وهو جميلُ

وقال رحمه الله تعالى: وَمِنْ أشدِّ حجابٍ عن معرفتنا أولياء الله تعالى شهود المماثلة والمشاكلة، وهو حجابٌ عظيمٌ قد حَجبَ الله تعالى به الأكثرين من الأوَّلين والآخرين كما

قال تعالى حاكيًا عن قوم: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْه وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:٣٣]، ﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ﴾ [القمر:٢٤]، ونحو ذلك، ولكن إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يُعرِّف عبدًا من عباده بوليٍّ من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريَّته، وأشهد وجه الخصوصية فيه، فيعتقده بلا شكٍّ، ويحبُّه أشد المحبّة، وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية، فلذلك قلَّ نفعهم، وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيءٍ.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه: ولقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصًا بأهل الجدل، فقلَّ أن تجد منهم أحدًا شَرَحَ الله صدره للتصديق بوليٍّ معينٍ؛ بل يقول لك: نعم، إن لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم؟ فلا تذكر أحدًا إلا ويأخذ بدفعه، ويردُّ خصوصية الله تعالى له، ويطلق اللسان على كونه غير وليٍّ لله تعالى، وغاب عنه أن الولي لا يَعْرِف صفاته إلا الأولياء، فمن أين لغير الولي نفي الولاية عن إنسانٍ؟ ما ذاك إلا محض تعصبٍ كما ترى في زماننا من إنكار ابن تيمية علينا وعلى إخواننا العارفين.

فاحذر يا أخي ممن كان هذا وصفه، وفرَّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري، جعلنا الله تعالى وإيَّاكم من المُصدِّقين لأوليائه، المؤمنين بكراماتهم بمنِّه وكرمه، آمين.

***

الباب الثاني / في صفاتهم وما أعدَّ الله لهم من الفضل الجميل والأجر الجزيل

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٢]: أي الذين يتولونه بالطاعةِ، ويتولاهم بالكرامةِ، ولا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون فوات مأمولٍ، والآية كمجملٍ فسَّره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

قال الواحدي في «الوسيط»: قال الأزهري: اتفق العلماء أن الإيمان معناه التصديق، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف:١٧]: أي بمصدِّقٍ لنا، ومعنى التصديق هو اعتقاد السامع صدق المخبِر فيما يُخبر.

فمن صدَّق الله تعالى فيما أخبَرَ به في كتابه وصدَّق الرسول فيما أخبر معتقدًا في القلب تصديقهما فهو مؤمنٌ.

ومعنى الاتقاء في اللغة: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقاه بترسه: أي جعل الترس حاجزًا بينهُ وبينه، ومنه: التقية في الدين يجعل ما يظهره حاجزًا بينه وبين ما يخشاه من المكروه، ومنه الحديث: «**كنَّا إذا احمرَّ البأسُ: أي اشتدت الحرب اتقينا برسول الله ﷺ، فكان أقربَنا إلى العدوِّ**[1]».

فالمتقي هو الذي يتحرَّز بطاعته عن العقوبة، ويجعل اجتنابه عمَّا نُهي عنه، وَفِعْلَهُ ما أُمر به حاجزًا بينه وبين العقوبة التي توعَّد بها العصاة.

قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس:٦٤]، وهو ما بشَّر به المتقين في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ وما يريهم في الرؤية الصالحة، وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عندَ النـــزعِ، وفي الآخرةِ بتلقي الملائكة إيَّاهم مسلمين مُبشَّرين بالفوز والكرامة[2].

---

(١) رواه مسلم (١٤٠١/٣)، وأحمد (١٥٦/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٦/٦).

(٢) فائدة: قال الشيخ الشرقاوي: وأما الأولياء فحضرتهم العبودية المحضة فهم ساعون دائمًا في ستر مقامهم وحالهم لربهم لا لأنفسهم، فعُلِمَ أن أعلى طوائف العبيد من لا مقام له، وذلك لأن المقامات حاكمة على من كان فيها والرجل من له الحكم، لا من يحكم عليه، فأصحاب المقامات هم الذين انحصرت هممهم إلى غاياتٍ ونهاياتٍ، فإذا وصلوا إلى تلك الغايات تجرَّدت لهم من قلوبهم غايات أخرى تكون تلك الغاياتُ التي وصلوا إليها بداية هذه الغايات، ولا يزال لهم هذا الأمر دائمًا، وأما العبيد فما لهم التفات إلى هذا الحكم ولا هذا الحصر؛ لأنهم علموا =

ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء أو الابتداء وخبره: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٤]، لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده، ذلك إشارةٌ إلى كونهم مُبشَّرين في الدارين، هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هذه الجملة والتي قبلها اعتراضٌ لتحقُّق المبشَّر به، وتعظيم شأنه، وليس من شرطه أن يقع بعده كلامٌ يتصل بما قبله، كذا ذكره البيضاوي.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال: «إنَّ لله تعالى عبادًا ليسُوا بأولياءَ ولا شهداءَ يغبطهم النبيُّون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيامة، فقال أعرابيٌّ: حَدِّثنا يا رسول الله مَنْ هم؟ فقال: «همْ عبادٌ من عبادِ الله من بلدانٍ شتَّى لم يكن بينهم أرحامٌ يتواصلون بها، ولا دنيا يتبَاذلون بها، يتحابُّون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورًا، ويجعل لهم منابر من نورٍ قدَّامِ عرش الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون[(١)]».

وقال ﷺ: «**أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى الأتقياءُ، الأسخياءُ، الأخفياءُ**: (أي المُبالغين في ستر عبادتهم، وتنــزيهها عن شوائب الأغراض الفانية، والأخلاق الدَنيَّة) **الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا شهدوا: أي حضروا لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم[(٢)]**».

رواه الطبراني.

وقال ﷺ: «**رُبَّ أشعثِ الأثواب مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه[(٣)]**».

رواه مسلم.

=

اتساع الحق وأنه ليس له غاية في نفسه ينتهي إليها، فلا غاية لهم في شهودهم؛ لأن الحق مشهودهم، ولذا كان القطب المحمدي ﷺ لا يتميز عن غيره إلا بأنه لا مقام له يتعيَّن، فمقامه أن لا مقام، ونسبة المقامات إليه نسبة الأسماء إلى الله، فلا يتعيَّن في مقام ينسب إليه، بل هو في كل نفسٍ وفي كل زمانٍ وفي كال حالٍ بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال ولا يتميز تقييده؛ لأن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمانٍ فكما أنه تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] كذلك القطب المحمدي.

(١) رواه أبو داود (٢٨٨/٣)، والترمذي (٥٩٧/٤)، وأحمد (٣٤١/٥).

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (٢٥٢/٢)، والطبراني في الكبير (٣٦/٢٠)، وفي الأوسط (١٦٣/٥)، والدارمي في السنن (٩٣/١).

(٣) رواه مسلم (٢٠٢٤/٤)، والبيهقي في الشعب (٣٣١/٧).

وقال ﷺ: «يَدخلُ الجنَّةَ مِنْ أمَّتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون[١]» رواه البخاري ومسلم.

وأخرج السمرقندي في كتاب «الأبدال»: أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ وكرَّم وجهه سأل النبي ﷺ عن الأبدالِ، فقال: «هم ستون رجلاً، قلت: يا رسولَ الله، صِفهُم لي. فقال: ليسوا بالمتنطِّعين، ولا بالمتعمِّقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاةٍ، ولا صيامٍ، ولا صدقة إلا سخاء النفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأمَّتهم، إنهم يا عليُّ أعزُّ من الكبريت الأحمر[٢]».

ورُوي عن أبي ذرٍّ ﷺ أنه قال: لما ذَهبتْ النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلفَ الله تعالى مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمدٍ ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى يُنشئ الله تعالى مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، ثلاثون منهم على يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة صلاةٍ ولا صيامٍ ولا بحسن الحلية، لكن بصدق الوَرَع وحسن النيَّة، وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبرٍ وخبرٍ، ولبٍّ، وحلمٍ، وتواضعٍ في غير مذلة[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ من أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله تعالى لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك[٤]» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «وهم بالشام[٥]».

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى للشام! قلنا: لأي شيءٍ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها[٦]».

رواه الإمام أحمد والترمذي.

وقال ﷺ: «مِنْ أشدِّ أُمَّتي حُبًّا لي ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٧٥)، ومسلم (١/١٩٧)، وأحمد (١/٣٢١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (١/١٢).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (١/٢٧).

(٤) رواه البخاري (٣/١٣٣١)، ومسلم (٣/١٥٢٤)، والترمذي (٤/٤٨٥)، وأحمد (٤/١٠١)، وابن ماجه (١/٤).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٣١)، والروياني في مسنده (١/١٢٤).

(٦) رواه الترمذي (٥/٧٣٤)، وأحمد (٥/١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥/١٥٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٤٩).

وماله[١]» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**وددتُ أنّي قد رأيتُ إخواننا قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ، وأنا فرطُهم على الحوض**[٢]» رواه البغوي.

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى حيث مَنَّ عليَّ بالانتماء إلى مذاهب أوليائه الكرام والانتساب إلى كريم مناسب أصفيائه ذوي الاحترام ورزقني شيئًا من تعظيمهم وحبِّهم وقسطًا من تكريمهم وبرِّهم ألا يحرمني من شفاعتهم، ولا يُخرجني من كنف ولايتهم، ولا يطردني عن بابهم الكريم، ولا يصرفني عن منهجهم القويم، فهمُ القومُ الذين لا يشقى بهم جليسُهم:

لِـي سـادةٌ مِـنْ عـزِّهِمِ أقـدامُهم فـوقَ الجـباه
إنْ لَـمْ أكـنْ مـنهم فلـي فِـي ذِكـرهِمِ عـزٌّ وجـاه

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، وأفاض علينا من دُرَرِهم، آمين.

***

(١) رواه مسلم (٤/٢١٧٨)، وأحمد (٢/٤١٧)، والديلمي في الفردوس (١/٢١٢).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١/٩٥)، وأحمد (٢/٣٠٠)، وابن حبان في الصحيح (١٦/٢٢٤)، ومالك في الموطأ (١/٢٩).

الباب الثالث

في نفع محبتهم

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ﴾ [الزخرف:٦٧]: أي بعض الذين يتحابُّون في معصية الله تعالى ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعةً لهم أبد الآباد، ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨]، حكايةً لما ينادي ربُّه، المتقون المتحابون في الله يومئذ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ صفة للمنادي، ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف:٦٩] حال من الواو في الذين آمنوا مخلصين، غير أن هذه العبارة آكد: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الزخرف:٧٠]: نساؤكم المؤمنات، ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تسرُّون سرورًا يظهر حباره: أي أثره على وجوهكم، أو تزيُّنون من الحبر، وهو حسن الهيئة، أو تكرمون إكرامًا يبالغ فيه، **والحبرة**: المبالغة فيما وصف بجميل.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١] **الصحاف**: جمع: صحفة، وهي: القصعة الواسعة، والأكواب جمع: كوب، وهو: كوز لا عروة له، ﴿وَفِيهَا﴾: أي في الجنة: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾، فسَّر نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الأصل، والباقون بخلاف الهاء، ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ بمشاهدته، وذلك تعميمٌ بعد تخصيصٌ، والمراد: ما يعدُّ من الزوائد في التنعُّم والتلذُّذ، ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

فإن كل نعيمٍ زائلٌ موجبٌ لكلفة الحفظ، وخوف الزوال، ومستعقبٌ للتحسُّر في ثاني الحال: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢، ٧٣]، بعضها تأكلون لكثرتها، أو دوام نوعها، ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقيرٌ بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة، كذا ذكره البيضاوي.

وقال نبيُّنا ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلف**[1]» رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام محيي السنة:

في هذا الحديث الشريف بيان أن الأرواح خُلقت قبل الأجساد، وأنها مخلوقةٌ على

---

(١) رواه البخاري (١٢١٣/٣)، ومسلم (٢٠٣١/٤)، وأبو داود (٢٦٠/٤)، وأحمد (٢٩٥/٢).

الائتلاف والاختلاف كالجنود المجندة إذا تقابلت، وذلك على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتنافر في بدءِ الخلق، فيرى البَرُّ الخير يحبُّ مثله، والفاجر يألف من شاكله، وينفي كل واحدٍ من ضده.

قلت: وفيه حثٌ على محبةِ الصالحين، وزجرٌ عظيمٌ عن محبة الفاسقين، وأن ذلك يدل على علامة السوء، والعياذ بالله ربِّ العالمين.

وعن أنس ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ويلك! ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أنّي أحبُ الله ورسوله، قال: أنت مع مَنْ أحببتَ**[1]».

قال أنس ﷺ: فما رأيت المسلمينَ فرحوا بشيءٍ بعد الإسلام فرحتهم بها، رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية قال أنس ﷺ: «**فأنا أحبُ النبي، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم بمحبتي إيَّاهم، وإن كنت لا أعمل بأعمالهم**[2]».

وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: المتحابُون فِي جلالِي لهم منابرُ من نورٍ، يغبطهم النبيون والشهداء**[3]» رواهُ الترمذي.

وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابُون بجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلّي يوم لا ظلَّ إلا ظلّي**[4]» رواه مسلم.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قومًا ولم يلحق بهم: أي لم يُدرِكهم في العمل؟ فقال ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أحبَّ: أي يُحشر مع محبُوبهِ**[5]» رواهُ مسلم.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: لا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمله لكان مثلهم، ولا يلزم مِنْ كونه معهم أن يكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجهٍ انتهى.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٨٢/٥)، ومسلم (٢٠٣٢/٤)، والترمذي (٥٩٥/٤)، وأحمد (١٠٤/٣)، والطبراني في الكبير (١٨٣/٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٤٩/٣).

(٣) رواه الترمذي (٥٩٧/٤)، وأحمد (٢٣٩/٥)، وابن ماجه (١٤٥٠/٢).

(٤) رواه مسلم (١٩٨٨/٤)، وأحمد (٢٣٧/٢)، والدارمي في السنن (٤٠٣/٢).

(٥) رواه البخاري (٢٢٨٣/٥)، ومسلم (٢٠٣٢/٤)، والترمذي (٥٩٥/٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٤٤/٦).

وفي شرح «الجامع الصغير» للمناوي في قوله ﷺ: «مَنْ أحبَّ قومًا حشره الله تعالى في زمرتهم[١]».

وقال: «مَنْ أحبَّ أولياء الرحمن فهو معهم في الْجِنان، وَمَنْ أحبَّ حزب الشيطان فهو معهم في النِّيران[٢]».

وفيه بشارةٌ عظيمةٌ لمن أحبَّ الصوفية، أو تشبَّه بهم؛ فإنه يكون مع تفريطه في القيام بما هو عليه في الجنة، ومَنْ تشبَّه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إيَّاهم، ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبُّه روحه لما تنبَّهتْ له أرواحهم؛ لأن محبة الله تعالى محبة أمره وما يقرِّب إليه، ومَنْ تقرَّب منهم يكون بجاذب الروح، لكن التشبُّه تعوَّق بظلمة النفس، والصوفي خلص من ذلك انتهى.

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: عند ذكر الصالحين تنـزل الرحمة، اللَّهُمَّ إنَّا نتوسل إليك بحبِّهم، فإنهم أحبُّوك ولم يُحبُّوك حتى أحببتهم، فبحبِّكَ إيَّاهم وصلوا إلى حُبِّكَ، ونحن لم نصل إلى حبِّهم فيك إلا بحظنا منك، فتمِّم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٩)، وابن عدي في الكامل (١/٣٠٣).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٣٢).

الباب الرابع / في ضرر معاداتهم والوقيعة فيهم والإنكار عليهم، وعلاج ذلك

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨].

قال مجاهد: يقعون فيهم، ويرمونهم بغير جُرم، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ورُوي عن نبيِّنا ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ أفضلُ من الكعبةِ، والمؤمن طيِّبٌ طاهرٌ، والمؤمنُ أكرمُ على الله تعالى من الملائكة**[١]».

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: مَنْ عادى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب: أي أعلمته أنِّي محاربٌ له، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني (روي بالنون والباء) لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدَّ منه[٢]» رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم: أي لا تعيِّبوهم يعني: لا تنسبوهم إلى عيبٍ، ولا تَصفوهم بعيبٍ، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورةَ أخيه المسلم تتبَّع الله عورتَه، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته[٣]» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «**لما عَرَجَ بِي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يُخمِّشون وجوههم وصدورهم. فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم**[٤]» رواه أبو داود.

وفي الحديث الطويل لأنس ﷺ قال ﷺ: «إنَّ الله شرَّف الكعبة وعظَّمها، ولو أنَّ عبدًا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٨٤)، وابن حبان في الصحيح (٢/٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢/١٤٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١/١٨٦)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٣٠٦).

(٤) رواه أبو داود (٤/٢٦٩)، وأحمد في المسند (٣/٢٢٤).

هدمها حجرًا حجرًا ثم أحرقها ما بلغ جُرم مَنْ استخفَّ بوليٍّ من أولياء الله تعالى. قال الأعرابي: ومَنْ أولياء الله تعالى؟ قال: المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى.

أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧] [(١)]».

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: اعلم أن طريق القوم مشيَّدةٌ بالكتاب والسنة، وأنها مبنيَّةٌ على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وأنها لا تكون مذمومةً إلا إذا خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير، وأمَّا إذا لم تخالف فغاية الأمر أنه فهمٌ أوتيه رجلٌ مسلمٌ، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه.

ونظير الفهم في ذلك الأفعال وما بقي الإنكار في ذلك إلا سوء الظن بهم، وحملهم على الرياء، وذلك لا يجوز شرعًا، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحَّر فيها أعطاه الله تعالى هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدٍّ سواءٍ، فيستنبط في الطريق واجباتٍ ومندوباتٍ وآدابًا ومحرَّماتٍ ومكروهاتٍ نظير ما فعله المجتهدون، وليس إيجاب مجتهدٍ باجتهاده شيئًا لم تصرِّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكمًا في الطريق لم تصرِّح الشريعة بوجوبه.

وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدولٌ في الشرع اختارهم الله تعالى لدينهم، فمن دقَّق النظر علم أنه لا يخرج شيءٌ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وسيلتهم إلى الله تعالى في كل لحظة! ولكن أصل استغراب من لا إلمام له بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونَهُ لم يتبحَّر في علم الشريعة.

ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: عِلمُنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنَّة[(٢)].

ردًّا على مَنْ توهَّم خروجه عنها في ذلك الزمن أو غيره، وما بلغنا قطُّ عن أحدٍ من القوم أنه نهى أحدًا عن الصلاةِ أو الزكاةِ أو الصومِ أو الحجِ أبدًا، ولا تَعرَّض لمعارضة شيءٍ من الشرع، وكيف يترك الولي ما كان سببًا لوصوله إلى حضرة ربِّه؟ وإنما يحثُّ الناس على الإكثار من أسباب الوصول، فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم،

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٧٨).

(٢) انظر: كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص١٤٥)، واللمع (ص١٤٤)، والرسالة (١/١٠٧)، وتاريخ بغداد (٧/٢٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٦٧)، ومدارج السالكين لابن قيم (٣/١١٩)، وروضة الحبور (ص١٢١) بتحقيقنا.

وتلك أمورٌ لا تُعارض شيئًا من صريح السنَّة.

والأمر في ذلك سهلٌ، فمن شاء فليصدِّقهم، ويقتدِ بهم كمقلدي المذاهب، ومن شاء فليسكت ولا ينكر؛ لأنهم مجتهدون في الطريق، والمجتهد لا يقتدي وإن كان على مجتهدٍ آخر، وبالجملة فما أنكر على الصوفية إلا مَنْ جهلَ حالهم.

كان الشيخ عليٌّ الخواص رحمه الله تعالى يقول: إيَّاك أن تُصغي لقول منكرٍ على أحدٍ من طائفة العلماء والفقراء فتسقط من عين رعاية الله ﷻ، وتستوجب المقت من الله تعالى.

وقال الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه: أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربَّانية كونها خارجةً عن طور العقول، ومجيئها بغتةً من غير تفكُرٍ ونظرٍ ومن غير طريق العقل، فتنكَّرت على الناس من حيثُ طريقها، فأنكروها، ومَنْ أنكر طريقًا من الطرق عادى أهلها ضرورةً؛ لاعتقاده فسادها، وفساد عقائد أهلها، وقد غاب عن المنكر أن الأولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله سبحانه وتعالى على حقيقة التصديق، وعلى الصدق، والتسليم، والإخلاص، والوفاء بالعهود، وعلى مراقبة النفوس مع الله ﷻ حتى سلَّموا انقيادهم إليه، وألقوا نفوسهم سَلَمًا بين يديه، وتركوا الانتصارَ لنفوسهم في وقتٍ من الأوقات حياءً من ربُوبيةِ ربِّهم، واكتفاءً بقيُّوميَّته عليهم، فقام لهم فيما يقومون لأنفسهم؛ بل أعظم.

وكان سبحانه وتعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

وقال قُدِّس سرُّه في باب الوصايا من «الفتوحات»: إيَّاكم! ومعاداة أهل لا إله إلا الله؛ فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة؛ فهم أولياء الله تعالى، ولو أخطأوا وجاءوا بترابِ الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا فإن الله تعالى يلقى جميعهم بمثلها مغفرةً، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته، وإنما جاز هجر أحدٍ من الذاكرين الله تعالى لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه، ونزدريه، وأطال في ذلك.

قلت: ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث القدسي الطويل الذي رواهُ مسلم: «**قال الله تعالى: ومَنْ لقيَنِي بتِرابِ الأرض خطيئةً لا يُشرك بِي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرةً**[1]».

ثم قال قُدِّس سرُّه: وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله تعالى عليه بالنار فليختمه بالتوحيد؛ فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بدَّ من ذلك.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٦٨/٤)، وابن ماجه (١٢٥٥/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠١/٤).

قلت: ويؤيده ما روي عن أبي ذرٍّ أنه قال:

«يا رسول الله، أوصني. قال: **أُوصيك بتقوى الله تعالى، وإذا عملت سيئةً فأتبعها بحسنةٍ تَمحُها.** قلت: يا رسول الله، أمِنَ الحسنات قول لا إله إلا الله؟ قال: **مِنْ أفضل الحسنات**[١]» ذكره في شروح أم البراهين.

وكان الشيخ أبو تراب النَّخشبي رحمه الله تعالى يقول: إذا أَلِفَ القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأنه لو كان من المُقبِلين بقلوبهم على حضرة ربهم سبحانه وتعالى لشمَّ روائح أهل حضرة ربه تعالى، فتأدَّب معهم ومدحهم وأحبَّهم، وخَدمَ نِعالهم حتى يقرِّبوه إلى حضرته سبحانه تعالى، ويصير مثلهم كما هو شأن مَنْ يريد التقرُّب إلى ملوك الدنيا.

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى يقول: مَنْ بَغَضَ وليًّا لله تعالى ضُرِبَ في قلبه بسهمٍ مسمومٍ، ولم يَمتْ حتى تفسد عقيدته، ويُخاف عليه من سوء الخاتمة.

وكان الشيخ زكريا الأنصاريُّ رحمه الله تعالى يقول: الاعتقاد صنيعةٌ، والانتقاد حرمانٌ.

وقال الإمام الشافعي ﷺ: الإنكار فرعُ النفاق.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على رسول الله ﷺ لآمنوا به ظاهرًا وباطنًا.

وكان الشيخ الجنيد قدَّس الله تعالى سرَّه يقول: مَنْ قعد مع هؤلاء الفقراء وخالفهم في شيءٍ مما يتحقَّقون به نزع الله تعالى منه نور الإيمان[٢].

وقد رُوي في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدَّس الله تعالى سرَّه بأسانيد متعددة:

عن أبي سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عصرون التميمي الشافعي قال:

دخلتُ وأنا شابٌّ إلى بغداد في طلب العلم، وكانَ ابن السقَّا يومئذ رفيقي في الاشتغال في النظامية، وكنَّا نتعبد، ونزور الصالحين، وكان يومئذٍ ببغداد رجلٌ يقال له: الغوث، وكان يقال عنه: أنه يَظهرُ إذا شاء، ويختفي إذا شاء، فقصدت زيارته أنا وابن السقَّا

---

(١) رواه الدارقطني في العلل (٦/٢٦٨).

(٢) انظر: كتابنا الإمام الجنيد (ص٣٤) عن رويم (ص٣٥٥) عن الجنيد بنحوه.

والشيخ عبد القادر وهو يومئذٍ شابٌّ، فقال ابن السقا ونحن في الطريق: اليوم أسأله عن مسألة لا يدري لها جوابًا. فقلتُ: أنا أسأله عن مسألة، فأنظر ما يقول فيها. فقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله! معاذ الله! أن أسأله شيئًا وأنا بين يديه، إذًا أنتظرُ بركات رؤيته. فلما دخلنا عليه لم نره في مكانه، فمكثنا ساعةً فإذا هو جالسٌ، فنظر إلى ابن السقا مغضبًا، وقال: ويحك يا ابن السقا! تسألني عن مسألة لا أدري لها جوابًا، هي كذا، وجوابها كذا، وإني لأرى نار الكفر تتلهَّبُ فيكَ، ثم نظر إليَّ، وقال: يا عبد الله، تسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها! هي كذا، وجوابها كذا، ولتأخذنَّكَ الدنيا إلى شحمتي أذنيك بإساءة أدبك.

ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأدناه منه، وأكرمه، وقال: يا عبد القادر، لقد أرضيتَ الله ورسوله بأدبك، فكأنِّي أراك ببغداد، وقد صعدتَ على الكرسي متكلمًا على الملإ، وقلتَ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حَنوا رقابهم إجلالاً لك، ثم غابَ عنَّا لوقته فلم نرهُ بعدَ ذلك.

فأمَّا «الشيخ عبد القادر» فإنه ظهرت أمارات قربهُ مِنَ الله ﷻ، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل وليُّ لله، وأقرَّت الأولياء بفضله في وقته.

وأما «ابن السقا» فإنه اشتغل بالعلوم الفرعية حتى برعَ فيها، وفاق بها كثيرًا من أهلِ زمانهِ، واشتهر بقطعِ من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسانٍ فصيحٍ، وسمتٍ بهيٍّ، فأدناه الخليفة منه، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فرآهُ الملك ذا فنونٍ، وفصاحةٍ، وسمتٍ فأُعجب به، وجمع له القسِّيسين والعلماء بدين النصرانية، وناظروه، فأفحمهم عجزًا، فعظُمَ عند الملك، ثم رأى بنتًا للملك حسناء ففتِن، وسأل أباها أن يُزوِّجها منه، فأبى إلا أن يتنصَّر، فأجابه، وتزوج بها فذكر ابن السقا كلام الغوث، وعلم أنه أُصيبَ.

وأما أنا فجئت إلى دمشق، وأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف فوليتُها، وأقبلتُ على الدنيا إقبالاً كثيرًا، وَصدَقَ قول الغوث فينا كلنا نعوذ بالله تعالى من غضبه، ونسأله حُسن الخاتمة، آمين.

وذكرَ اليافعي رحمه الله تعالى في كتابه «نشر المحاسن» قال:

أخبرني بعض الصالحين من ذرية الشيخ أبي الحسن بن حرز: أنه لما وقف أبو الحسن المذكور على كتاب «الإحياء» نظر فيه، وتأمله، ثم قال: هذا بدعةٌ مُخالفةٌ للسنَّة، وكان مطاعًا في جميع بلاد الغرب، فأمر بإحضار كل ما فيها مِنْ نسخ الإحياء، وطلب من السلطان أن يلزم الناس ذلك، فأرسل السلطان إلى جميع النواحي، ونودي فيها: لعنةُ الله على مَنْ عنده شيءٌ من كتاب «الإحياء» ولا يحضرهُ، فأحضر الناس ما عندهم من ذلك،

واجتمع الفقهاء، ونظروا فيه، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة، وكان اجتماعهم يوم الخميس، فلمَّا كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه، فرأى في ركن المسجد نورًا، وإذا بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوسٌ، والإمام أبو حامد الغزالي قائمٌ وبيده كتاب «الإحياء»، فقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه، وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي ﷺ، فناوله كتاب «الإحياء»، وقال: يا رسول الله، انظر فيه، فإن كان بدعةً مخالفةً لسنَّتك كما زعم تُبت إلى الله تعالى، وإن كان شيئًا تستحسنه جُعل لي من بركتك، فانصفني مِنْ خصمي. فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقةً ورقةً إلى آخره، ثم قال: **«والله إنَّ هذا الشيء حسنٌ»**. ثم ناوله أبا بكر، فنظر فيه كذلك قال: **«والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسنٌ»**. ثم ناوله عمر، فنظر فيه كذلك قال كما قال أبو بكر، فأمر رسول ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه، وضَربِهِ حدَّ الفرى، فجُرِّد من ثيابه، وَضُرِب، ثم شفع فيه أبو بكر ﷺ بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله، إنما فعل هذا اجتهادًا في سنَّتك، وتعظيمًا لها، فغفرَ له أبو حامد عند ذلك، فلمَّا استيقظ مِنْ منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى له، ومكث قريبًا من شهر وَجِعًا من ذلك الضرب، ثم نظر بعد ذلك في «الإحياء» فرأى أمرًا آخر، وفهمه فهمًا مخالفًا للفهم الأول، فرآه موافقًا للكتاب والسنة، ورأى النبي ﷺ مسحَ على ظهرِهِ بيده المباركة الكريمة، فشُفي جسمه وقلبه بعد خمسةٍ وعشرين يومًا، ثم فُتح عليه بعد ذلك، ونال من المعرفة بالله تعالى والحظ العظيم ما نال، وصحبه الشيخ أبو مدين فربَّاه، ثم قال له: قد فتحت لك ستة أقفالٍ وبقي سابعٌ يفتحه لك الشيخ أبو يعزى؛ فاذهب إليه. فلمَّا رآه الشيخ أبو يعزى قال له: قال لك الشيخ أبو الحسن أني أفتح لك القفل السابع، ها أنا أفتحه بإذنه، ففتحه له، ففتح، وكان من أمر الشيخ أبو مدين وعظم شأنه ما كان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ولولا أن هذا الشيخ أدركه اللطف والعناية بالتوبة والهداية وتشفَّع فيه الصدِّيق ﷺ لكان يموت على ذلك الحال، ويلقى العذاب والنَّكال، نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة، آمين.

وذكر الشيخ عبد الغني الشامي في كتابه «كشف النور» قال:

حكى الشيخ عبد الله بن زين اليابري الإشبيلي: أنه قرأ ليلةً تأليف أبي القاسم بن أحمد في الردِّ على الغزالي فعمي، فسجد لله تعالى من حينه، وتضرَّع، وأقسم أنه لا يقرأه أبدًا،

ويذهبه الله سبحانه وتعالى، فردَّ الله سبحانه وتعالى بصره.

وقد حكى الشيخ الفقيه خير الدين الرملي الحنفي: أن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت ونصبت أوانٍ في غاية الكِبَر، وأغلي فيها ماءٌ تطاير منه الشرر، وجيء بجماعة، فسلقوا فيه حتى تهرَّى اللحم والعظم. فقال: ما هؤلاء؟ قال: الذين يُنكرون على ابن العربي وابن الفارض رضي الله تعالى عنهما.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «العهود المحمدية» قال:

حكى لي شيخي الإمام المحدِّث الشيخ إمام الدين إمام جامع الغمري بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني: أن سراج الدين البلقيني مرَّ يومًا بـ «باب اللوق» فوجد هناك زحمةً، فقال: ما هذه الزحمة؟ فقالوا: شخصٌ من أولياء الله تعالى يبيع الحشيش. فقال: لو خرج الدجال حينئذٍ في مصر لاعتقدوه من شدَّةِ جهلهم، كيف يكون حشَّاشٌ مِنْ أولياء الله تعالى؟ إنما هؤلاء حرافيش، ثم ولَّى، فسُلب جميع ما معه حتى الفاتحة، فتنكَّرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئًا، ونسي ما قاله في حق الحشَّاش، فمكث كذلك في مدرسته بحارة «بهاء الدين» ثلاثة أيام، فدخل عليه فقيرٌ، فشكا إليهِ حاله، وأفشى له سرَّه، فقال: هذا من الحشَّاش الذي أنكرت عليه، فإن الفقراء أجلسوه هناك يُتوِّب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحدٌ من يده، ويعود يأكلها أبدًا حتى يموت، فأرسل: استغفر له يُردُّ عليك حالك، فأرسل له، فبمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ:

نحنُ الحرافيشُ لا نسكنُ علالِي الدُّور ولا نرائـي ولا نـشهدُ شهادةَ زورْ
نقـنعُ بلقمةٍ وخِرقةٍ بمسجدٍ مهجورٍ مَـنْ كـان ذا الحال حالهُ ذنبهُ مغفورْ

فلو كنَّا عصاةً نبيع الحشيش ما أقدرنا على سلب شيخ الإسلام، ثم قال: سَلِّمْ على شيخ الإسلام، وقل: اعمل أربعة خراف معاليف شواء، وأربعمائة رغيفٍ، وتعال اجلس عندي كلُّ مَنْ بعته قطعة حشيشٍ زن له رطلاً، وأعطه رغيفًا.

فشقَّ ذلك على شيخ الإسلام، فما زال به أصحابه حتى فعل ذلك، وصار يزن لكل واحدٍ الرطل، ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسَّم، ويقول: نحن نحلِّيهم في الباطن، وأنت تحلِّيهم في الظاهر إلى أن فرغ.

ثم قال له: اذهب إلى الدِّيك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه، وكُلْ قلبه يُردَّ لك علمك، فبالله عليك كيف تتكبَّر على المسلمين بعلمٍ حمله الديك في قلبه، فمن ذلك اليوم ما أنكر البلقيني على أحدٍ من أرباب الأحوال. هذه حكاية الشيخ أمين الدين عن ولد

الشيخ سراج الدين.

وكان قبل ذلك ينكر على سيدي عليٍّ بن وفا أشد الإنكار، فلمَّا وقعت له هذه الواقعة من الحشَّاش تاب إلى الله تعالى عن الإنكار، وأوصى سيدي عليٍّ بن وفا أن يصبَّ عليه الماء إذا مات، ففعل له ذلك، وقال: والله لقد رجع أمرك إلى سلامة. وكان الشيخ عليٌّ الخواص رحمه الله تعالى يقول: لو أن كمال الدُّعاة إلى الله تعالى كانَ موقوفًا على أطباق الخلق كلهم على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام قبله صدَّقهم قومٌ، فهداهم الله تعالى بفضله، وحُرم آخرون، فأشقاهم الله تعالى بِعدلِهِ.

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل في مقام التأسِّي بهم انقسم الناس فيهم فريقين: فريقٌ معتقدٌ مُصدِّقٌ، وفريقٌ منتقدٌ مُكَذِّبٌ، كما وقع للرسل عليهم السلام؛ ليحقق الله تعالى بذلك ميراثهم، فلا يُصدِّقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا مَنْ أراد الله تعالى أن يلحقه بهم ولو بعد حين.

وأما المكذِّب لهم المنكر عليهم فهو مطرودٌ عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بُعدًا.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه: ولما عَلِمَ الله تعالى ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به العلم القديم بدأ بنفسه، فقضى على قومٍ أعرضوا عنه بالشقاء، فنسبوا إليه زوجةً وولدًا وفقرًا وغير ذلك، سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، فإذا ضاق ذرع الولي أو الصدِّيق لأجل كلامٍ قيل فيه: من كفرٍ، وزندقةٍ، وسحرٍ، وجنونٍ وغير ذلك نادته هواتف الحق تعالى في سرِّه: أما ترى إخوتك من بني آدم كيف وقعوا في جنابِي، ونسبوا إليَّ ما لا ينبغي لي؟ فإن لم ينشرح لما قيل فيه نادته هواتف الحق سبحانه وتعالى: أما لك أُسوةٌ بي، فقد قيل فيَّ، وقيل في حبيبي محمدٍ، وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون وغير ذلك، فيسكن قلبه عند ذلك.

[صور من المحن لأهل الله وخاصته]

قال الجلال السيوطي: واعلم أنه ما كان كبيرًا في عصرٍ قطُّ إلا وكان له عدوٌّ من السفلة؛ إذ الأشراف لم تزل تُبتلى بالأطراف، كما قيل:

وإذا أتتْكَ مذمَّتِي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لِي بأنِّيَ كاملُ

فكان لأبينا آدم عليه السلام إبليس، وكان لنوح عليه السلام حام وغيره، وكان لداود عليه السلام جالوت، وكان لسليمان عليه السلام صخر، وكان لعيسى عليه السلام في مدته الأولى بختنصر وفي الثانية الدجَّال، وكان لإبراهيم عليه السلام النمرود، وكان لموسى عليه السلام فرعون، وهكذا إلى نبينا محمَّد ﷺ فكان له أبو جهل وغيره من المشركين، بل كان المنافقون يؤذونه أشد الإيذاء حتى رُوي: «أن قطيفةً حمراء فقدت يوم بدرٍ، فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله تعالى في براءة رسوله ﷺ من الغلولِ:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال ﷺ: **ما أُوذِي أحدٌ بما أُذويتُ فِي الله**(١)».

وتكلَّموا في جماعةٍ من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونسبوهم إلى الرياء والنفاق، منهم:

عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وكان كثير الخشوع في الصلاة، فكان بعضهم يقول: إنه مُراء، فبينما هو ساجدٌ؛ إذ صبوا على رأسه ماءً حميمًا، فزلع رأسه ووجهه وهو لا يشعر، فلمَّا فرغ من صلاته قال: ما هذا؟ فأخبروه، فقال: غفر الله لهم ما فعلوا، ومكث زمانًا يتألم مِنْ رأسهِ ووجهه.

وكان لابن عمر رضي الله عنهما عدوٌّ يعبث به كلما مرَّ عليه.

وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الأزرق، فكان يؤذيه أشد الإيذاء، ويقول: إنه يُفسِّر القرآن بغير علمٍ.

وكان لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جهلةٌ من جُهَّال الكوفة، فكانوا يؤذونه مع أنه مشهودٌ له بالجنة، وشكوه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا: لا يحسن يصلي.

ولا يخفى ما قاسى أهل البيت المطهَّر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من الأذى، حتى أنهم سُبُّوا على المنابر.

ولا يخفى ما قاساه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه مع الخلفاء من الضرب والحبس حتى أنه تُوفِّي محبوسًا، وما قاساه الإمام مالكٌ رضي الله عنه من الضرب والإيذاء حتى أنه استخفى خمسًا وعشرين سنةً لا يخرج لجمعةٍ ولا لجماعةٍ.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤/٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٣٣)، وابن حبان في المجروحين (٢/٣٠٥).

وما قاساه الإمام الشافعي ﷺ من أهل العراق ومن أهل مصر حتى أنهم وشوا به عند الخليفة هارون الرشيد، فأشخصه من الحجاز إلى العراق.

وما قاساه الإمام أحمد بن حنبل ﷺ من الضرب والحبس والإيذاء.

وما قاساه الإمام البخاري ﷺ حين أخرجوه من «بخارى» إلى «خرتنك»[(١)].

ونقل الثقاة أنهم نفوا أبا يزيد البسطامي رحمه الله تعالى سبع مراتٍ من بلده «بسطام» لما أنكر عليه الحسين بن عيسى إمام ناحيته والمُدرس بها في علم الظاهر، فأخرجوه منها ولم يعد إليها إلا بعد موت الحسين المذكور، ثم بعد ذلك ألفه الناس، وعظَّموه، وتبرَّكوا به، ثم لم يزلْ يقوم له منكرٌ بعد منكرٍ وهو يُنفى إلى أن يستقر أمره على تعظيم الناس له والتبرُّك به إلى وقتنا هذا.

ووشوا بذي النون المصري رحمه الله تعالى عند الخليفة، وأخذوه من مصر إلى بغداد مغلولاً مقيَّدًا، فكلَّم الخليفة، فأعجبه، وقال: إن كان هو زنديقٌ فما على وجه الأرض مسلمٌ. وتعصَّب عليه مرةً فقهاء «أخميم»، ونزلوا في زورقٍ؛ ليمضوا إلى السلطان بمصر يشهدون عليه بالكفر، فأعلموه بذلك، فقال: اللَّهُمَّ إن كانوا كاذبين فأغرقهم، فانقلب الزورق عليهم، والناس ينظرون حتى رئيس المركب، فقيل له: ما ذنب الرئيس؟ فقال: حمل الفُسَّاق، ورموا «سمنون المحب» رحمه الله تعالى أحد رجال رسالة القشيري بالعظائم، وأرشوا امرأةً من البغايا فادَّعت عليه أنه يأتيها هو وأصحابه، واختفى بسبب ذلك سنةً إلى أن كشف الله تعالى عنهم تلك المحنة.

وأخرجوا **سهل بن عبد الله التستري** رحمه الله تعالى من بلده إلى البصرة، ونسبوه إلى قبائح، وكفَّروه مع إمامته وجلالته، ولم يزل بالبصرة إلى أن مات بها.

ورموا **أبا سعيد الخرَّاز** رحمه الله تعالى بالعظائم، وأفتى العلماء بكفرهِ بألفاظٍ وجدوها في كتبه، منها: لو قلت مِنْ أين؟ وإلى أين؟ لم يكن جوابي غير: الله تعالى.

وشهدوا على الجنيد رحمه الله تعالى بالكفر مرارًا حين كان يتكلَّم في علم التوحيد على رؤوس الأشهاد، فصار يقرِّره في قعر بيته إلى أن مات، وكان من أشد المنكرين عليه وعلى «رويم» وعلى «سمنون» وعلى «ابن عطاء» ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان [جزء ٢ - صفحة ٣٥٦]: خرتنك بفتح أوله وتسكين ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق ونون ساكنة وكاف قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ بها قبر إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري.

عليهم أشد الحط، وإذا سمع أحدًا يذكرهم بخير تغيَّظ، وتغيَّر لونه.

وأخرجوا الإمام محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالى من «بلخ» لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من إجراء الصفات على ظاهرها بلا تأويلٍ، والإيمان بها على علم الله تعالى فيها.

ولما أرادوا إخراجه قال: لا أخرج إلا أن تجعلوا في عنقي حبلاً وتمروا بي في أسواق البلد، وتقولوا هذا مبتدعٌ، نريد أن نخرجه من بلدنا، ففعلوا به ذلك، وأخرجوه، فالتفت إليهم، وقال: يا أهل بلخ، نزع الله تعالى من قلوبكم معرفته، فلم يخرج بعد دُعَائه قطُّ من بلخ صوفيٌّ، مع أنها كانت أكبر بلاد الله صوفيةً، وعقد الشيخ عبد الله بن أبي حمزة رحمه الله تعالى مجلسًا في الردِّ عليه حين قال: أنا أجتمع بالنبي ﷺ يقظةً، فلزم بيته، فلم يخرج إلا للجمعة حتى مات.

وأخرجوا الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى إلى بلخ بسبب كتابين صنَّفهما، فأغلظوا عليه، وقالوا له: أنت فضَّلت الأولياء على الأنبياء، فجمع كتبه، وألقاها في البحر، فابتلعتها سمكةٌ سنين ثم لفظتها، وانتفع الناس بها.

وأخرجوا الإمام يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله تعالى، وقام عليه زُهَّاد الراز وصوفيتها.

وأخرجوا أبا عثمان المغربي رحمه الله تعالى من مكة مع كثرة مجاهدته، وتمام علمه وحاله، وضربوه ضربًا مُبَرِّحًا، وطافوا به على جملٍ، فأقام ببغداد إلى أن مات فيها.

وشهدوا على الشبلي رحمه الله تعالى بالكفر مرارًا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته، واتباعه للسنَّة، فأدخله أصحابه «المارستان» ليرجع الناس عنه مدةً طويلةً.

وقتلوا الحسين الحلاج رحمه الله تعالى بسبب كلماتٍ وجدوها في كتبه، قال ابن خلكان: وإنما سمي الحلاج؛ لأنه جلس على دكان حلاجٍ وبه مخزن قطنٍ غير محلوجٍ فذهب صاحب الدكان في حاجته، ورجع فوجد القطن كله محلوجًا، فسمِّي لذلك الحلاج. قال: وأما سبب قتله فلم يكن عن أمرٍ يوجب القتل، إنما عمل عليه الوزير حيلةً حين أحضروه إلى مجلس الحكم مراتٍ، ولم يظهر منه ما يخالف الشريعة، فقال الوزير لجماعة: هل له مصنَّفاتٌ؟ قالوا: نعم، فذكروا أنهم وجدوا له كتابًا فيه: أن الإنسان إذا عجز عن الحجِّ فليعمد إلى غرفةٍ من بيته، فيطهِّرها، ويطيِّبها، ويطوف، ويكون كمن حجَّ البيت، والله أعلم إن كان القول عنه صحيحًا، فطلبه القاضي، فقال: هذا الكتاب تصنيفك، فقال: نعم، فقال: أخذته عن مَنْ؟ فقال: عن الحسن البصري ولا يعلم الحلاج

ما دسُّوه عليه فيه. فقال القاضي: كذبت يا حلال الدم. فمسك الوزير هذه الكلمة على القاضي، فقال: هذا فرعٌ عن حكمك بكفره، وقال للقاضي: اكتب خطَّك بالتكفير، فامتنع القاضي، فألزمه الوزير بذلك، فكتب، فقامت العامة على الوزير، فخاف على نفسه، فكلَّم الخليفة في ذلك، فأمر بالحلاج، فضُرب ألف سوطٍ فلم يتأوَّه، وقُطِّعت يداه ورجلاه وصُلب، ثم أُحرق بالنار، ووقع الاختلاف بين الناس أهو الذي صُلب؟ أم رُفع كما وقع في عيسى ابن مريم عليه السلام؟.

ورُوي أنه لما قُدِّم لتقطَّع يداه قُطعت اليد اليمنى أولاً، فضحك، ثم قُطعت اليسرى فضحك ضحكًا بليغًا، فخاف أن يصفرَّ وجهه من نزف الدم، فكبَّ بوجهه على الدم السائل، ولطَّخ وجهه بدمه، وأنشد يقول:

الله الله إنَّ الرُّوحَ قد تلفتْ ... شوقًا إليك ولكنِّي أُمنِّيها
ونظرةٌ منك يا سُؤْلِي ويا أملي ... أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها
يا قومُ إنِّي غريبٌ فِي دِيَاركم ... سلَّمتُ رُوحي إليكم فاحكموا فيها
لم أُسلِّم النفس للأسقام تتلفُها ... إلا لعلمي أنَّ الوصلَ يُحييها
نفسُ المحبِّ على الآلام صابرةٌ ... لعلَّ مُسقِمَها يومًا يُداويها

ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: يا مولاي، إني غريبٌ في عبادك، وذكرك أغرب منِّي، والغريبُ يألف الغريبَ.

وأخرجوا الإمام أبا بكر النابلسي رحمه الله تعالى مع فضله، وكثرة علمه، واستقامته، في طريقته من الغرب إلى مصر، وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر، فأمر بسلخه منكوسًا، فصار يقرأ القرآن بتدبُّرٍ وخشوعٍ حتى قطَّع قلوب الناس، وكادوا أن يفتتنوا به.

وكذلك سلخوا النسيمي بحلب، وعملوا له حيلةً؛ حيث كان يقطعهم بالحجج، وذلك أنهم كتبوا سورة الإخلاص، وأرشوا من يخيِّط النعال، وقالوا: هذه ورقة محبَّة فضعها لنا في أطباق النِّعال، ثم أخذوا ذلك النعل، وأهدوه للشيخ من طريقٍ بعيدة، فلبسه وهو لا يشعر، ثم أطلعوا نائب حلب، وقالوا له: بَلَغَنا من طرقٍ صحيحة: أن النسيمي كتب (قل هو الله أحد)، وجعلها في طباق نعله، وإن لم تصدِّقنا، فأرسل إليه وانظر ذلك، ففعل، فاستخرجوا الورقة، فسلَّم الشيخ لله تعالى ولم يُجب عن نفسه، وعلم أنه لا بدَّ من قتله على تلك الصورة.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: وأخبرني بعض تلامذته أنه صار

ينشد موشحاتٍ في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيتٍ، وكان ينظر إلى الذي يسلخه، ويبتسم.

وأفتوا بتكفير **الإمام الغزالي** رحمه الله تعالى، وحرقوا كتابه «**الإحياء**» ثم نصره الله تعالى عليهم، وكتبوه بماء الذهب.

ورموا **الشيخ أبا مدين المغربي** بالزندقة، وأخرجوه من «بجاية» إلى «تلمسان» فمات بها.

وكذلك أخرجوا **الشيخ أبا الحسن الشاذلي** رحمه الله تعالى من بلاد المغرب بجماعته، ثم كاتبوا نائب الإسكندرية بأنه سَيَقْدِم عليكم مغربيٌّ زنديقٌ، وقد أخرجناه من بلادنا، فالحذر من الاجتماع عليه، فجاء الشيخ الإسكندرية، فوجد أهلها كلُّهم يسبُّونه، ثم وشوا به إلى السلطان، ولم يزل بالأذى حتى حجَّ بالناس في سنين، كان الحجُّ فيها قد قُطِعَ مِنْ كثرة قُطَّاعِ الطريق فاعتقده الناس.

ورموا **الشيخ عز الدين بن عبد السلام** رحمه الله تعالى بالكفر، وعقدوا له مجلسًا في كلمةٍ قالها في عقيدته، وحرضوا السلطان عليه، ثم حصل له اللطف.

ورموا **الشيخ تاج الدين السبكي** رحمه الله تعالى بالكفر، وشهدوا عليه أنه يقول بإباحة الخمر واللواط، وأنه يلبس في الليل الغيار والزنار، وأتوا به مغلولاً مقيدًا من الشام إلى مصر، وخرج الشيخ جمال الدين الأسنوي، فتلقَّاه من الطريق، وحَكم بحقن دمه.

وأنكروا على **الشيخ عبد الحق بن سبعين** رحمه الله تعالى، وأخرجوه من بلاد المغرب، وأرسلوا مكتوبًا أمامه يحذِّروا أهل مصر منه، وكتبوا فيه أنه يقول: أنا هو وهو أنا.

وأما الشيخ **محيي الدين بن العربي** والشيخ **عمر بن الفارض** رحمهما الله تعالى فلم يزل ينكرون عليهما إلى وقتنا هذا(١).

وإنما ذكرنا لك محن هؤلاء الأئمة الكرام تأنيسًا لك ليتحبَّب إليك سلوك طريق القوم، وتُقبِل على مطالعة كتبهم فتنتفع بها، وتلحظك همتُهم، وتفوح عليك نفحاتهم، ويعود عليك مددهم، ومن ذاق عرف، ولا تلتفت إلى منكرٍ عليهم فإنه مطرودٌ، مبتعدٌ، ممقوتٌ، ولو أنه يفعل بعض العبادات فإنه لا يجد لها حلاوةً ولذة البتَّة.

---

(١) قلت: وما زال ذلك الأمر إلى وقتنا نحن بل أشد بكثيرٍ جدًا عما كان، والله يخص بمحبة الصالحين ويهبها إلى من يشاء، فلا يحب ولا يزار ولي الا بإذنه.

كما حكى الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في «**العهود المحمدية**» قال: أخبرني سيدي عليٌّ الخوَّاص: أن شخصًا من العلماء استأذنه في الحج سَنَةً من السنين، فقال له: لا تسافر تمقت، فقال: كيف أمقت بالحجِّ؟ ثم خالف، وسافر إلى مكة، فحضر وقت الخطبة فنهض قائمًا، وقال: يا أهل مكة، جُمعَتكم باطلةٌ؛ فإن شرطها أن يسمعها أربعون من أهل الجمعة وما هنا إلا مسافرون، وكان الناس متفرِّقين في ظلِّ الكعبة من شدة الحرِّ، فوقع لذلك ضجَّةٌ عظيمةٌ، وأعادوا الخطبة، وكان مِنْ جملة من كان حاضرًا القطب، والأوتاد، والأبدال ومن شاء الله تعالى فرجع ممقوتًا، قال الشيخ: فأوَّل ما رأيته حين دخل مصر وجدته ممقوتًا كالجلد الذي لا روح فيه، ثم قال لي: تقول لي: إن حججت تمقت، ولولا حضوري هناك في هذه السنة بطلت جمعة أهل مكة في الموسم، قال الشيخ: فعرفت تمكن المقت منه من القطب والأولياء الحاضرين هناك.

قال الشيخ عبد الوهاب: وقد رأيت أنا صاحب هذه الواقعة، وقد نزع الله تعالى منه الاعتقاد من سائر العلماء والصالحين، فلا تكاد تذكر له أحدًا إلا جرَّحه، وكان مع ذلك يقرأ كل يومٍ ختمةً، وسمعت سيدي عليًّا الخواص مرارًا يقول: أنا خائفٌ على هذا الرجل من الموت على غير حالةٍ مرضيَّةٍ. قال: ولو أن هذا المنكر كان عنده أدبٌ لَعَلِمَ أن لله تعالى رجالاً يسمعون كلامًا من بينهم وبينه مسيرة ثلاثين ألف سنةٍ وراثةٍ إبراهيمية.

قال الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى: وقد اعتاد المتفقِّهة في كل زمانٍ على التفتيش عن عيوب الناس الشرعية بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه مخالفًا لعلمهم، وإن كان له ألف تأويلٍ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ولو بوجهٍ ضعيفٍ، وإن كان صوابه ظاهرًا؛ بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر، فينكر عليه ما خالف مذهبه، كما حكى لي رجلٌ حنفيُّ المذهب، صلَّى ركعتين في الجامع الأموي، فوضع يديه تحت سرَّته، ثم لما فرغ من صلواته أقام عليه النكير رجلٌ شافعيُّ المذهب، وقال له: ضع يديك على صدرك، هذا الذي فعلته مكروهٌ، وأنت جاهلٌ بأحكام الصلاة، وهذه الأمور كلها طريقة المتفقهة في المذاهب إلا الفقهاء، فإن المتفقِّهة قاصرون، ومرادهم أن يُعرَفوا بين الناس بلا فقه، والعلم لأجل أغراضٍ شيطانيةٍ يريدون إنفاذها وشهواتٍ نفسانيةٍ يحاولون إيجادها، فيضطرُّ بهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس، فكيف يؤوِّلون شيئًا مقصدهم التفتيش عليه، ومتى ظفروا بوجه فاسدٍ في حالٍ فكأنما ظفروا بملك الدنيا، ففي قلوبهم الفرح الشديد، فمن المحال أن يُقيلوا عثرة مؤمنٍ أو يتغافلون عن زلَّة مسلمٍ؛ لأنهم في زعمهم لا يرتقون ويرتفعون إلا بإنكارِ المناكر خصوصًا على الكامل الخاشع، والعابد

الذاكر.

وأما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة فإن قلوبهم مُتجَانِبةٌ عن الدنيا، مُقبلةٌ على الآخرة، وبسبب ذلك لا حسد عندهم، ولا تكبُّر، ولا عداوة، ولا حقد، ولا رياء، ولا سمعة يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعًا، ومن شدة شفقتهم على عبادِ الله تعالى لا يكادون يجدون في الناس منكرًا أصلاً، ومن كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس لا يجدون في الغَير مفسدةً حتى يجدوا في أنفسهم مائة مفسدةٍ يعدُّونها على أنفسهم، فلا يخفى عليهم دسائس النفوس، فَهُم في صددِ كمال نفوسهم، وتطهيرها، فَهُم في شغلٍ شاغلٍ عن إنكار المنكر على الغير، وإذا رأوا مُنكرًا لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حق الغير احتياطًا، وورعًا، وعندهم أحكام الشريعة أمورٌ كليَّاتٌ يقررونها للناس في الدروس على الكراسي وفوق المنابر، وليس في قلوبهم وجود شيءٍ منها في أحدٍ من الناس على التعيين أصلاً، كما أن الله سبحانه وتعالى أنكر المنكر في القرآن بلا تعيين أحدٍ مع علمه تعالى بالمناكر وأهلها في كل زمانٍ، وكذلك الرسول ﷺ كان يقول: «**ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا**[1]» ولا يذكر أحدًا بسوءٍ؛ فهؤلاء هم الناس الذين يليق في حقهم أن يقال عنهم: علماء فقهاء أُمناء على أحكام الله تعالى.

قال النجم الغزي رحمه الله تعالى في كتابه «منبر التوحيد»: ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا: إن لم تكن العلماء أولياءً فليس لله تعالى وليٌ، والمراد بهم: العاملون.

كما روي في التنبيه بذلك عن الشافعي ﷺ أيضًا لقوله ﷺ: «**لا يكون العَالم عالمًا حتَّى يكون بعلمه عاملاً**[2]» كذلك ذكره بعضهم مرفوعًا، وإنما هو موقوفٌ على أبي الدرداء، كما رواه ابن حبان في «روضة العبَّاد»، والبيهقي في «المدخل».

وذكر **النجم الغزي** أيضًا في كتابه المذكور عن الإمام الشافعي ﷺ أنه قال:

مَنْ أحبَّ أن يفتح الله تعالى على قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدبٌ انتهى كلامه.

وهؤلاء العلماء الذين ترك مخالطة بعضهم موجبٌ للفتح على القلب في طريق الله تعالى

(١) ذكره الحسيني في البيان والتعريف (١/١١)، وذكره المناوي في فيض القدير (١/٦٣).
(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٣٧٢).

هم المتفقهة الذين قدَّمنا ذكرهم قبل ذكر الفقهاء، وهم موجودون في كل زمانٍ من عصر الإمام الشافعي، بل من قبله إلى يوم القيامة، خذلهم الله تعالى، وأذلَّهم إن لم يكن لهم نصيبٌ في الهداية والتوفيق والتوبة انتهى كلامه.

وذكر الفاضلِ البركيلي رحمه الله تعالى في الطريقة المحمديَّة عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**العلماءُ أمناءُ الرسل على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا، فإذا دخلوا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل؛ فاعتزلوهم**[(١)]» رواه الحاكم.

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: تعرَّضت وتصدَّيت لرسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فقلت: يا رسول الله، أيُّ الناس شرٌّ؟ فقال: «**اللَّهمَّ غُفرًا، اسأل عن الخير، ولا تسأل عن الشرِّ، شرار الناس شرار العلماء**[(٢)]» رواه البزار.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدُّ النَّاسِ عذابًا يوم القيامة عالِمٌ لم ينفعْه علمُه**[(٣)]» رواه الطبراني والبيهقي.

وعن مجاهد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أنه قال: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ: «**مَنْ قالَ إنِّي عالِمٌ فهو جاهلٌ**[(٤)]» رواه الطبراني.

قال رحمه الله تعالى: ولا أرى عالمًا مُنصفًا إذا نظر وتأمل في أحواله وأعماله يحكم لنفسه أنها بريئةٌ من هذه الآفات، ولو سلِّم أن العالم بريء من هذه الآفات المذكورة وأن لعلمه فضلاً فعلمه يورثه خشيةً من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨]، لا جرأة على الله تعالى، وأمناً منه، وكبرًا على عباده، وعجبًا عليهم، فلهذا صار الأنبياء عليهم السلام متواضعين خاشعين لم يكن فيهم كِبرٌ ولا عُجْبٌ، فحقُّ العبد ألا يتكبَّر على أحد، فإن نظر إلى جاهلٍ يقول: هذا عصى الله تعالى بجهلٍ، وأنا عصيته بعلمٍ، فهذا أعذر منِّي، وإن نظر إلى عالمٍ يقول: هذا عَلِم ما لم أعلم فكيف أكون مثله، وإن نظر إلى أكبر منه سنًا يقول: إنه أطاع الله قبلي، وإن نظر إلى صغيرٍ

---

(١) رواه القضاعي في الشهاب (١/١٠٠)، والديلمي في الفردوس (٣/٧٥)، والرافعي في التدوين (٢/٤٥٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٢٤٢)، والبزار في مسنده (٧/٩٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١/٢٥٨).

(٣) رواه الطبراني في الصغير (١/٣٠٥)، وابن عدي في الكامل (٥/١٥٨)، والبيهقي في الشعب (٢/٢٨٥).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٦٩)، وفي الصغير (١/١٢٠).

يقول: إني عصيت الله تعالى قبله، وإن نظر إلى ما يساويه سنًّا يقول: إني أعلمُ بحالي ولا أعلم حاله، والمعلوم أولى بالتحقير من المجهول، وإن نظر إلى مبتدعٍ أو كافرٍ يقول: ما يُدريني لعله يُختم له بالإسلام، ويختم لي بما هو عليه الآن، وإن نظر إلى كلبٍ أو خنزيرٍ أو حيَّةٍ أو عقربٍ أو نحوها يقول: هذا لم يعصِ الله تعالى، فلا عتاب ولا عقاب عليه، وأنا عصيته فأنا مستحقٌ لهما، فيكون مصروف الهم إلى نفسه، مشغول القلب بعيبه؛ لخوف العاقبة عن عيب غيره، فإن قلتَ: فكيف أبغضُ المبتدع والفاسق في الله وقد أمرت به، وكيف أنهاهُما عن المنكر مع رؤية نفسي دونهما؟ قلتُ: تبغض وتنهى لمولاك؛ إذ أمركَ بهما لا لنفسك، وأنت فيهما ترى نفسك ناجيًا وصاحبك هالكًا؛ بل يكون خوفك بما علم الله تعالى من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليهما مع الجهل بالخاتمة، فتكون كغلامٍ مَلكَ أمره بمراقبة ولده والغضب عليه، وضربِه مهما أساء، فيغضب عليه، ويضربه عند الإساءة امتثالاً لأمر مولاه، وتقربًا له به بلا تكبُّرٍ عليه؛ بل هو متواضعٌ له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه، فكذلك عليك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق، وتقول: ربما كان قدره عند الله تعالى أعظم؛ لما سبق لهما من حسن العاقبة في الأزل، ولما سبق لي من سوء العاقبة وأنا غافلٌ عنه، فتغضب وتنهى لحكم الأمر محبةً لمولاك إذا جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون أقرب منك عنده في الآخرة انتهى.

فالحاصل: الإنكَار على أولياء الله تعالى لا يكون إلا من سوء النيَّة، وخبث الطويَّة، كما قيل:

كـلُّ امـرِئٍ يُشبهُه فعلُه ... وينـضحُ الكُـوزُ بمـا فـيهِ

* * *

[علاج الاعتراض على الأولياء للنجاة من البلاء]

وعلاج هذا الداء العُضال التوبة من سائر الذنوب، ثم كثرة الاستغفار، والمحافظة على السُّنن المؤكدات، والصلاة بالخشوع، وقيام الليل، وقراءة القرآن مع التدبُّر، ومجالسة العلماء العاملين، والصلحاء الخاشعين، وترك الكلام الذي لا يعني.

فقد ذَكر **الفاضل البركيلي** في «**الطريقة**» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثرُ النَّاسِ ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه**، ووجهه أنه يجرُه غالبًا إلى ما لا يحلُ:

من الكذب والغيبة ونحوهما[(١)]».

وعن أنس ﷺ أنه توفي رجلٌ فقال رجلٌ آخر ورسول الله يَسمعُ: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: «ما يُدريك لعلَّه كان يتكلمُ بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا يغنيه[(٢)]» رواه الترمذي.

وعن أنس ﷺ: أنه استشهد رجلٌ منَّا يوم أُحدٍ، فوجدَ على بطنهِ صخرةً مربوطةً من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئًا لك يا بني.

فقال النبي ﷺ: «ما يُدريكِ لعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضرُّه[(٣)]» رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى.

ووجهه أنَّ البشارة والتهنئة الكاملتين لمن لا يحاسب أصلاً؛ إذ الحساب نوع عذابٍ، ومن تكلم بما لا يعنيه يحاسب ويُسأل انتهى.

ثم بعد ذلك الإقبال على ذكر الله تعالى خصوصًا كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ فإنه أسرع شيءٍ لإزالة نزغ الشيطان من القلب، وتطهيره من سائر مكائدهِ، ووساوسه وهي سببٌ عظيمٌ لإشراق القلب، وتنويره، ولينه، وخشوعه بعد غِلظته، وقسوته، وقد جرَّبنا ذلك مرارًا.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «الأذكار»: ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية السالكين، وتأديب المريدين قول لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأَمرُوهم بالمداومة عليها، وقالوا: أنفع علاجٍ في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والإكثار منه انتهى.

وروى الترمذي عن عبد الله بن بشر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائح الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبث به. قال: «لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكر الله[(٤)]».

وروى الترمذي أيضًا عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «أن رسول الله سُئِل: أيُّ العباد

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠/٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٢/١).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤٢٥/٧)، والضياء المقدسي في الأحادي المختارة (٢٢٠/٦).

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٨٤/٧)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٢٨/١٠).

(٤) رواه الترمذي (٤٥٨/٥)، وأحمد (١٨٨/٤)، وابن حبان في الصحيح (٩٦/٣)، والحاكم في المستدرك (٦٧٢/١).

أفضل درجةً عند الله تعالى يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا. قلت: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضربَ بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه[1]».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المواظبين على ذكره، وأن يعصمنا من الشيطان وجنده؛ إنه جوادٌ كريمٌ رءوفٌ رحيمٌ.

***

(١) رواه الترمذي (٥/٤٥٨)، وأحمد (٣/٧٥).

الباب الخامس / في ردِّ شَبهِ المنكرين عليهم

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علمٌ.

وقال البيضاوي: لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدًا أو رجمًا بالغيب؛ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦]: أي كل هذه الأعضاء كان عنه مسؤولاً.

قال الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وفي هذا زجرٌ عن النظر إلى ما لا يحلُّ، والاستماع إلى ما يحرم، وإرادة ما لا يجوز، كذا ذكره الواحدي.

وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب:٦٩].

قال البيضاوي: فأظهر براءته من مقولهم يعني: مؤداه ومضمونه، وذلك أن قارون حرَّض امرأةً على قذفه بنفسها، فعصمه الله تعالى، أو اتهمه ناسٌ بقتل هارون عليه السلام لما خرج معه إلى الطور، فمات هناك، فحملته الملائكة، ومرُّوا بهم حتى رأوه غير مقتولٍ، وقيل: أحياه الله تعالى، فأخبرهم ببراءته، أو قذفوه بعيبٍ في بدنه من مرضٍ أو أدرةٍ لفرط تَستُّره حياءً، فأطلعهم الله على أنه بريءٌ، وكان عند الله وجيهًا ذا قرابةٍ ووجاهةٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ [الأحزاب:٧٠]، قاصدًا إلى الحق، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١]، يوفِّقكم للأعمال الصالحات، أو يُصلحها بالقبول والإثابة عليها، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ويجعلها مُكفِّرة باستقامتكم في القول والعمل، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾، يعيش في الدنيا حميدًا، وفي الآخرة سعيدًا، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليسكتْ**[1]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدوَّ الله وليس كذلك إلا حار: أي رجع**

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٧٦)، ومسلم (١/٦٩)، وأبو داود (٣/٣٢٢)، والترمذي (٤/١١٠)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٩٤).

عليه[1]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**مَنْ قفَى مُسلمًا بشيءٍ يريد به شينه: أي عيبهُ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال[2]**».

وقال ﷺ: «**مَنْ رمى مُسلمًا بشيءٍ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال[3]**».

وفي تفسر البيضاوي قال ﷺ: «**مَنْ قفَى مؤمنًا بما ليس فيه حبسه الله في رذْغَة الْخَبال حتى يأتي بالمخرج[4]**». **والرَّدْغة** بسكون الدال وفتحه والغين المعجمة: الوحل الشديد، **والخبال**: صديد أهل النار.

وقال ﷺ: «مَنْ أكل برجلٍ مُسلمٍ أكلةً: أي بأن يغتابه عند عدُوه، أو يسبَّه عنده، فيطعمه بسبب ذلك فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كسا ثوبًا برجلٍ مسلمٍ: أي بأن يغتابه أو يسبُّه عند عدُوه فيكسوه بسبب ذلك فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجلٍ مسلمٍ مقام سمعه: أي يقول أنه مرائي، وأقواله وأفعاله رياءً لأجل عدُوه فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعةٍ ورياءٍ يوم القيامة[5]». رواه النسائي.

قال ﷺ: «**إيَّاكم والظن؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا[6]**» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**حسنُ الظنِّ من حسنِ العبادة[7]**» رواه النسائي والترمذي وأبو داود: أي اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادةٌ حسنةٌ من جملة العبادات.

قال الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى: لا يجوز أن يُنكر على القوم ببادي الرأي؛ لعلوِّ مراقبتهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحدٍ منهم أنه أَمَرَ بشيءٍ يهدم الدين، ولا نهى أحدًا عن الوضوء ولا الصلاة، ولا غيرها من فروض الإسلام ومستحبَّاته، إنما يتكلمون بكلامٍ يدقُّ عن الأفهام، وكان يقول: قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات

---

(١) رواه مسلم (٦٩/١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٥٥/١)، وأحمد (١٦٦/٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٩٤/٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٢٣٩/١).

(٣) رواه أبو داود (٢٧٠/٤)، وأحمد (٤٤١/٣).

(٤) رواه أبو داود (٣٠٥/٣)، وأحمد (١٧٦/٢)، والبيهقي في الكبرى (٨٢/٦).

(٥) رواه أبو داود (٢٧٠/٤)، وأحمد (٢٢٩/٤).

(٦) رواه البخاري (١٠٠٩/٣)، ومسلم (١٩٨٥/٤)، وأبو داود (٢٨٠/٤)، وأحمد (٢٤٥/٢).

(٧) رواه أبو داود (٢٩٨/٤)، وأحمد (٣٠٤/٢)، وابن حبان (٣٩٩/٢).

العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يُصرِّح بها كتابٌ ولا سنّةٌ، ولكن أكابر العلماء العالمين قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنَّة بطريقٍ دقيقٍ لحُسن استنباطهم وحسن ظنِّهم بالصالحين، وكان يقول: كما أعطى الله تعالى الكرامات للأولياء التي هي فرع المعجزات، فلا بد أن يعطيهم من العبادات ما يعجز عن فهمها فحول العلماء.

وكان شيخ الإسلام المخزومي رحمه الله تعالى يقول: لا يجوز لأحدٍ من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم، ورأى أفعالهم، وأقوالهم مخالَفةً للكتاب والسنَّة، وإما بالإشاعة عنهم، فلا يجوز الإنكار عليهم، ولا سبُّهم، وأطال في ذلك، ثم قال: وبالجملة فأقل ما يحقُّ على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم، أو على أفعالهم، أو على أحوالهم أن يعرف سبعين أمرًا، ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل عليهم السلام على اختلاف طبقاتهم، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثنى منها.

ومنها: اطِّلاعه على كتب تفسِّر القرآن سلفًا وخلفًا؛ ليعرف أسرار الكتاب والسنَّة، ومنازع الأئمة المجتهدين، ويعرف التفسير والتأويل وشرائطه، ويتبحَّر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاداتها حتى يبلغ الغاية.

ومنها: كثرة الاطِّلاع على مقالات للسلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر، ومَنْ أوَّل، ومَنْ دليله أرجح من الآخر.

ومنها: تبحُّره في علم الأصوليين، ومعرفة منازع أئمة الكلام.

ومنها: وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبَّروا عنه مِنَ التجلِّي الذاتي والصوري، وما هو الذات وذات الذوات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات، والفرق بين الأحدية والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل والأبد، وعالم الغيب والكون، والشهادة والشئون، وعالم الماهيَّة والهويَّة، والسُكر والمحبَّة، ومَنْ هو الصَّادق في السُكر حتى يسامح، ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك، فمن لم يعرف مرادهم كيف يحلُّ كلامهم، أو ينكر عليهم بما ليس هو من مرادهم انتهى.

وقد شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى بعض أبياتٍ من تائية الشيخ عمر بن الفارض، وقدَّمها إلى الشيخ أبي مدين؛ ليكتب عليهم إجازةً، فكتب له على ظاهرها: ما أحسن ما قال بعضهم:

سارتْ مشرقةً وسرتُ مَغربًا   شتَّانَ بين مشرقٍ ومغربِ

ثم أرسلها إلى الحافظ، فتنبَّه الشيخ لأمرٍ كان عنه غافلاً، ثم أذعن لأهل الطريق، وصحب لله الشيخ أبا مدين حتى مات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

ونقل الإمام القزويني في كتابه «**سراج العقول**» **عن إمام الحرمين**: أنه سُئل عن كلام الصوفية، فقال: لو قيل لنا: فقولوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمعٌ في غير مطمعٍ؛ لأن كلامهم بعيدُ المدرك وعين المسلك، يغترف من تيار بحر التوحيد، ومن لم يُحط علمًا بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق، كما أنشد بعضهم في هذا المعنى:

تــركنَا البحارَ الزَّاخراتِ وراءنا فمن أين يدري النَّاس أين توجُّهنا

وسُئل شيخ الإسلام **تقي الدين السبكي** عن حكم غلاة المبتدعة وأهل الأهواء والمتفوِّهة بالكلام على الذات المقدَّسة؟ فقال: اعلم أيها السائل أن كل مَنْ خاف من الله ﷻ استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؛ إذ التكفير أمرٌ هائلٌ عظيم الخطى؛ لأن مَنْ كفَّر شخصًا فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين، وأنه في الدنيا مُباح الدم، والمال لا يملك مسلَّمةً، ولا تجري عليه أحكام المسلمين في حياته ولا بعد مماته، والخطأ في ترك ألف كافرٍ أهون من الخطأ في سفك محجمةٍ من دم امرئٍ مسلمٍ، وفي الحديث: «**لئن يُخطئ الإمامُ في العفو أحبُّ إلى الله تعالى من أن يخطئ في العقوبة**[١]».

ثم إن تلك المسائل التي يُفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض؛ لكثرة سعتها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دعاويها، والاستقصاء في معرفة الخطإ من سائر صنوف وجهه، والاطِّلاع على حقائق التأويل وشرائطه في أماكنه، ومعرفة دلائله في التوحيد وغوامضه إلى غير ذلك مما هو مُتعذِّرٌ على أكابر علماء عصرنا، فضلاً عن غيرهم، وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقدٍ في عبارةٍ فكيف يحرِّرها اعتقاد غيره من عباراته! فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرَّح بالكُفر، واختارهُ دينًا، وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام، وهذا نادرٌ وقوعه؛ فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شيءٍ قالوه مما لا يخالف صريح النصوص انتهى.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «**مقدمة الطبقات**» **قال**:

أخبرني الشيخ أمين الدين الإمام بجامع «الغمري» بمصر أن شخصًا وقع في عبارةٍ

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨/٢٣٨).

موهمةٍ للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان: هل بقي أحدٌ من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلي أشاج المنهاج، فأرسل السلطان وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان، فقال الشيخ: ما هذا؟ فقالوا: كفر. فقال: ما مستند مَنْ أفتى بكفره؟ فبادر الشيخ صالح وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين البلقيني في مثل ذلك بالتكفير. فقال الشيخ جلال الدين المحلي: يا والدي أترى أن يُقتل رجلٌ مسلمٌ مُوحدٌ يحبُّ الله ورسوله بفتوى أبيك؟! حِلّوا عنه الحديد. فجرَّدوه، فأخذه الشيخ جلال الدين بيده، وخرج والسلطان ينظر فما تجرَّأ أحدٌ أن يتبعه.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي قُدِّس سرُّه يقول كثيرًا: ما تهبُّ على قلوب العارفين نفحاتٌ إلهيةٌ، فإن نطقوا بها جَهَّلهم بها كُمَّل العارفين، وردَّها عليهم أصحاب الأدلَّة من أهل الظاهر، وغاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى كما أعطى أولياءه من الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يُنطق ألسنتهم بالعبادات التي تعجز العلماء عن فهمها.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: ومن شكَّ في هذا القول فلينظر في كتاب «**المشاهد**»[١].

أو كتاب «**عنقاء مغرب**»[٢] للشيخ محيي الدين.

أو كتاب «**الشعائر**»[٣] لسيدي محمد وفا.

أو كتاب «**خلع النعلين**»[٤] لابن قيس.

فإن أكبر العلماء لا يكاد يفهم منه معنًى مقصودًا لقائلٍ أصلاً؛ بل خاصٌّ بمن دخل مع ذلك المتكلم حضرة القدس، فإنه لسانٌ قدسيٌّ لا يعرفه إلا الملائكة، أو من تجرَّد عن هيئة البشرية، أو أصحاب الكشف الصحيح.

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبي الحسن

---

(١) هو المشاهد القدسية من أعظم كتب الشيخ، وقد حققناه لأول مرة مع شرحه الفخم العظيم للست عجم بنت النفيس البغدادية العامية الأمية، وهو تحت قيد الطبع بدار الكتب العلمية.

(٢) قد شرح أكثر من واحد، كالشيخ الداموني، يسر الله لنا تحقيقه.

(٣) وهو شعائر أهل العرفان، تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

(٤) وهو من الكتب المهمة في الحقيقة المحمدية، أتم الله لنا تحقيقه، ورزقنا سر العلم وفضله.

الشاذلي وتسليمه للقوم: من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم قواعد الشرع وأساسه ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيءٌ قطُّ من ذلك لفقيهٍ إلا إن سلك طريقهم كما هو مشاهدٌ.

وكان الشيخ عز الدين قبل ذلك ينكر على القوم ويقول: وهل لنا طريقٌ غير الكتاب والسنة؟ فلمَّا ذاق مذاقهم وقطع سلسلة الجدل بكراسة الورع صار يمدحهم كل المدح، ولما اجتمع الأولياء والعلماء في وقعة الفرنج بالمنصورة قريبًا من ثغر دمياط جلس الشيخ **عز الدين بن عبد السلام** والشيخ **مكين الدين الأسمر** والشيخ **تقي الدين بن دقيق العيد** وأضرابهم وقد قرأ بعضهم عليهم رسالة القشيري، وصار كل واحدٍ يتكلم، إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه فقالوا له: نريد أن تُسمعنا من معاني هذا الكلام. فقال: أنتم مشايخ الإسلام، وكبراء الزمان، وقد تكلمتم فما بقي لكلام مثلي موضعٌ. فقالوا: لا بدَّ من ذلك. فحمد الله، وأثنى عليه، وشرع يتكلَّم، فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة، وخرج ينادي بأعلى صوته: هلمُّوا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى، رحمة الله عليهم أجمعين.

وذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» عن بعض العارفين أنه كان يقول: من لم يكن له نصيبٌ من علم القوم يخاف عليهِ من سوء الخاتمة وأدنى نصيبٍ منه التصديق به والتسليم لأهله إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما نسب المنكرون إلى الشيخ محيي الدين والشيخ عمر بن الفارض وغيرهما القول بالحلول والاتِّحاد.

قال **الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى**: وحاشاهم من ذلك؛ بل حاشا أدنى مريدٍ سالكٍ في طريق الصوفية الصَّادقين إلى يوم القيامة مِنْ خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف أمر مستحيل عند المتمسِّكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم فما بالك بالذين هم أعلى منهم مِنْ المتمسِّكين بالإيمان، والفتح، والكشف، والإلهام بعد القيام بحسن المعاملة الشرعية في الظاهر والباطن من غير بدعةٍ مع الإخلاص، واليقين، والزهد، والورع، وإن أشبهت كلماتهم على غير أهل طَريقهم، وفَهِمَ منها علماء الإنكار المنكبُّون على الدنيا قبائح المفهومات، فإن الأعمال بالنيَّات، ولكل امرئٍ ما نوى، والمرء عدوُّ ما جهله:

وكــم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفــتــه مِــنَ الفهــم الــسقيم

ولعمري: لو يَفهم ذلك علماء الظاهر لعذرتهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوامُّ من أن الله تعالى موجودٌ، وكل مخلوقٍ من مخلوقاته موجودٌ أيضًا سبحانه وتعالى،

والوجود عندهم جنسٌ عامٌ مشتركٌ بين القديم وبين الحوادث، وإنما يتميَّز القديم عن الحوادث بالقدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها وفي حال وجودها هي مشاركةٌ للقديم، تعالى في الوجود العام المطلق وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقولٍ وأفكارٍ، فإذا قيل لهم يلزم على قولكم هذا ترك الحق سبحانه وتعالى من عامٍّ وخاصٍّ كبقية الماهيات الحادثة انتحلوا بعقولهم جوابًا أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك، والله يعلم المفسد من المصلح، فإن الحلول على الحقِّ سبحانه وتعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً، فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلَّفون في ذلك كما بسط الكلام عليه في كتب علم الكلام، وأما عند المحققين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانية فلا يتصور الحلول عندهم أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله؛ لعدم تصوره عندهم، وعدم خطوره في بالهم؛ فإن وجود الحق تعالى وجودٌ حقيقيٌّ ليس بمفهومٍ لهم أصلاً، وإنما عندهم التصديق به على المغيب، ووجود الحوادث أثرٌ من آثار قدرته، وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرفٍ، فكيف لوجودٍ يحلُّ في العدم حاشا وكلا! وإذا بطل الحلول بطل الاتحاد بالأولى، وكل الضلالات التي تفهمها علماء الظاهر من كلام المحققين من أهل الله تعالى، ويشنِّعون بها عليهم بين العوامِّ والجهَّال؛ لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى كلامه.

وقال الشيخ محيي الدين قُدِّس سرُّه في «**عقيدته الصغرى**»: تعالى الله أن تحلَّه الحوادث أو يحلَّها.

وقال في «**عقيدته الوسطى**»: اعلم أن الله تعالى واحدٌ بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحلَّ فيه شيءٌ، أو يحلَّ هو في شيءٍ، أو يتحد بشيءٍ.

وقال في الباب الثالث من «**الفتوحات**»: اعلم أنه ليس في أحدٍ من الله شيءٌ، ولا يجوز ذلك عليه بوجهٍ من الوجوه.

وقال في «**باب الأسرار**»: لا يجوز لعارفٍ أن يقول: أنا الله، ولو بلغ أقصى درجات القُرب، وحاشا العارف عن هذا القول حاشاه، إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل.

وقال في الباب التاسع وستين ومائة: القديم لا يكون محلاً قطُّ للحوادث، ولا يكون حالاً في المحدث.

وقال في باب الأسرار: من قال بالحلول فهو معلولٌ؛ فإن القول بالحلولِ مرضٌ لا

يزول.

وقال فيه أيضًا: الحادث لا يخلو عن الحوادث، ولو حلَّ بالحادثِ القديم لصحَّ قول أهل التجسيم، فالقديم لا يحلُّ ولا يكون محلاً، ومَنْ ادَّعى الوصل فهو في عين الفصل.

وقال فيه أيضًا: اعلم أن العاشق إذا قال: أنا مَنْ أهوى وَمَنْ أهوى أنا فإن ذلك كلامٌ بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق، ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول إذا صحا من سكرته.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين: مِنْ أعظم دليلٍ على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيءٌ، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان القمر مجلًى لها، كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيءٌ ولا حلٌ فيه.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلامٍ طويلٍ: وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق، ولا حلَّ فيه الحق؛ إذ لو كان عينُ الحق أو حلَّ فيه لما كان تعالى قديمًا ولا بديعًا.

وقال أيضًا في الباب الثاني والسبعين والثلاثمائة بعد كلامٍ طويلٍ: وبالجملة، فالقلوب به هائمةٌ، والعقول فيه حائرةٌ.

ثم قال: وبذلك ظهرت عظمته سبحانه وتعالى.

وقال الشيخ عمر بن الفارض قُدِّس سرُّه في قصيدته نظم السلوك[1]:

وكيف وَبِاسْمِ الحقِّ ظلَّ تخلُّقي ... تكون إذا جِيف الضَّلالُ مخيفتي
وها دِحيةُ وافى الأمين نبيًّنا ... بصورتهِ في بدءِ وحي النبوَّةِ
أجبريلُ قلْ لِي كان دِحيةُ إذ بدا ... لمهدَى الهدى فِي صورةٍ بشريَّةِ
وفِي علمهِ عن حاضريه مزيَّةٌ ... بماهية المرئي مِنْ غَيرِ مريَّةِ
يرى مَلكًا يُوحِي إليهِ وغيره ... يرى رجلاً يدَّعي إليه بصحبتهِ
ولِي من أتمِّ الرؤيتين إشارةٌ ... تنزِّه عن رأي الحلول عقيدتِي
وفي الذكر ذِكرُ اللبس ليس بمنكرٍ ... ولم أعدُ عن حكمي كتابٍ وسنةِ

قلت: فَكَذَبَ والله وافترى مَنْ نسب القول بالحلول والاتحاد إلى الشيخ محيي الدين

(١) انظر: شرح تائية ابن الفارض الكبرى للشيخ القيصري (ص٧٢) بتحقيقنا، طبع العلمية.

والشيخ عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنهما، وهذه نصوصهما تُكذِّب هذا المفتري، والله أعلم[١].

(١) قلت: مسألة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود قد كثر فيها الكلام من العالم والجاهل، فكثر الكلام، وتخبطت الآراء، وتنازعت، وبمجرد إطلاق لفظ وحدة الوجود يتوهم الجاهل القول بالحلول والاتحاد، ونسبها ظلمًا وعدوانًا الكثير من الجهلة قديمًا إلى سيدنا الشيخ الأكبر وأكابر الأولياء: كالشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي، والشيخ القوني، والشيخ ابن سبعين، والشيخ ابن الفارض، وغيرهم رضي الله عن جميعم، وتبعهم على ذلك أتباعهم من المتأخرين، وإن شئت قلت: أعوانهم في تلك الجهالة، وكان مدخلهم إلى هذه النسبة وتلك الاعتراضات وتَجرؤهم على ما يجهلونه من علوم الأولياء نظرهم إلى علوم القوم باعتبار أنها علومٌ فلسفيةٌ، مصدرها الفكر والعقل، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ولا قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]، ولا قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]، ولا قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة:٢٤]، ولا ما روي عن أبي جحيفة قال: سألت عليًا ﷺ: هل عندك عن النبي ﷺ شيءٌ سوى القرآن؟ فقال: «لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتِ الله عبدًا فهمًا في القرآن وما في هذه الصحيفة»، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ الحديث، ولا ما روي في البخاري: حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»، ولم يبلغهم مما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مما يقرر اختصاص الحق سبحانه لمن شاء من عباده بما شاء من عطاياه، سواء كان المُعطَى محسوسًا أم معنويًا كالعلم بالله والفهم في كتابه، فراحوا ينكرون كل ما يجهلونه، وكأنهم أحاطوا بما عند الله، أو تحكموا على الله في ألا يعطي أحدًا من خلقه إلا بعد أن يستأذنهم، ولا يُفهِمُ أحدًا في كتابه إلا بما فَهِمُوه هم بفهمهم السقيم لا غير، فسبُّوا ولعنُوا أولياء الله، ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور:١٥]، وجعلوا يستشهدون بأقوال أهل الكفر المستشرقين الذين ما أرادوا بالإسلام والمسلمين خيرًا قطُّ على أئمة الهدى المسلمين، فينسبون العلم اللدني الوارد ذكره في كتاب الله وفي سنة رسول الله تارةً إلى المسيحية، وتارةً إلى الفلسفة اليونانية، وأخرى إلى الاستنباطات العقلية تبعًا لهؤلاء المستشرقين، الذين أدركوا حقيقة علوم التصوف، وما لها من العظمة بحيث يعجز غير المسلمين عن الإتيان بشيءٍ منها، وكيف لا وهي من السيد الأعظم ﷺ متلقاةٌ، وأن التصوف الإسلامي منذ عهد الصحابة إلى الآن السبب الأقوى والفعَّال في دخول جموع الناس في دين الله أفواجًا، وهذا ما يشهد به التاريخ، فراحوا ينسبونها إلى أنفسهم أو إلى عقلٍ وفكرٍ كما مرَّ محاولين بذلك التقليل من شأن العلم في قلوب المسلمين، ولكن هيهات هيهات: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ =

=

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨] ببعضٍ من النظريات التي يكذبها التاريخ، وتأباها عظمة الدين الخاتم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

فترى دافع المتقدمين إلى الإنكار: الحقد، والحسد، وحب السمعة، والمتأخرين: الجهل الذي ملأ قلوبهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] فتراهم ينقلون أقوال إخوانهم الذين يمدونهم في الغيِّ دون أدنى معرفة بالدليل الذي استند إليه العلماء بالله، ولا يستبرئ لدينه فيبحث عنه، بل أخذوا يكررون ويرددون الأقوال المنكرة في حقِّ سادات الأمة المحمدية ورثة الأنبياء تلك الأقوال العارية بالطبع عن دليل القوم، وكان الأحق بهم قبل أن يؤذنهم الله بمحاربته بإيذائهم لأوليائه أن يأخذوا العلم من أهله؛ وخصوصًا أن علوم القوم موضوعها العقائد المتعلقة بمعرفة الله ورسوله ﷺ، وتلك أمورٌ محلها القلب، فلا اطِّلاع عليها إلا لصاحبها.

ولا تظن يا أخي أن علوم القوم خاليةٌ عن تأييد الشرع، أو عاريةٌ عن الدليل، كما صوَّرها هؤلاء الجهلة، بل الحق الذي لا مرية فيه أنه لا توجد عقيدةٌ قررها القوم في كتبهم إلا وهي محاطةٌ بالدليل الشرعي، والمتتبع لأقوالهم نفعنا الله بهم يجدها مصحوبةً بالدليل.

فتبرأ لدينك يا أخي، وإيَّاك أن تعترض على أحدٍ من العلماء بالله بجهلك في أمرٍ جهلته من كلامهم، أو أن يكون لك أيُّ نسبة تربطك بهذا الاعتراض فالأمر جِدٌّ وليس بالهزل.

وانظر كيف نُسبوا إلى الله في تسميتهم، بل وحقيقتهم في قول: أولياء الله، أو العلماء بالله، أو العارفين بالله، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فما عاديت في الحقيقة إلا ما نُسب لله؛ فانتبه من رقدتك.

واعلم أني ما ذكرت لك تلك المقدمة في هذا الموضع إعلامًا منِّي بأن واحدًا من العلماء بالله يقول بالحلول أو الاتحاد معاذ الله، ولكن لأوضح لك حقيقة الخلاف، والله يتولى هداك وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وإليك نصوص ما ذكره ساداتنا العلماء بالله في نفيهم للحلول والاتحاد المتوهَّم في حقهم الشريف فأقول وبالله التوفيق:

قال سيدنا في «**الفتوحات**» **في باب الأسرار**: من قال بالحلول فهو معلولٌ؛ فإن القول بالحلول مرضٌ لا يزول، ومن فَصَلَ بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه، ألا ترى قوله: «**كنتُ سمعَه الذي يسمع به**»، أثبتك بإعادة الضمير إليك ليدلك عليك، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فإنه أثبتك حالاً ومحلاً، فمَنْ فَصَلَ نفسهَ عن الحق فنِعْمَ ما فَعل.

وقال في باب الأسرار أيضًا: الحادث لا يخلو عن الحوادث، لو حلَّ بالحادث القديم لصحَّ قول أهل التجسيم، فالقديم لا يَحِلُ ولا يكون مَحَلاً، ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل اهـ.

=

=

وقال في هذا الباب أيضًا: أنت أنت، وهو هو، فإيَّاك أن تقول كما قال العاشق: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا»، فهل قدر هذا أن يرد العين واحدةً؟ لا والله ما استطاع فإنه جهلٌ، والجهل لا يتعقلُ حقًا، ولا بدَّ لكلِ أحدٍ من غطاءٍ ينكشف عند لقاء الله.

وقـال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلامٍ طويلٍ: وهذا يدلك على أن العالم ما هـو عين الحق، ولا حلَّ فيه الحق؛ إذ لو كان عين الحق أو حلَّ فيه لما كان تعالى قديمًا ولا بديعًا انتهى.

وقـال في الباب الثاني والتسعين ومائتين: من أعظم دليلٍ على نفي القول بالحلول والاتحاد أنك تـدرك عقلاً أن الشمس هي التي أفاضت على القمر النور، وأن القمر ليس من نور الشمس شيئًا مـشهودًا؛ لأنها لم تنتقل إليه بذاتها، وإنما القمر محلاً لها، فكذلك العبد ليس فيه شيءٌ من خالقه، ولا حلَّ فيه اهـ.

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: لو صحَّ أن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصحَّ انقلاب الحقائق، وخرج الإله عن كونه إلهًا، وصار الحق خلقًا، والخلق حقًا، وما وثق أحدٌ بعلمه، وصار المحال واجبًا، فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدًا اهـ.

وقال في الباب الثامن والأربعين: لا يصحُّ أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدًا، كما لا يصحُّ أن يكون المعلول في رتبة العلة اهـ.

وقال سيد الطائفة الجنيد ﷺ: التوحيد إفراد القدم عن الحدوث.

وقال سيدي عبد القادر الأمير ﷺ في «مواقفه» في حديث مسلم: «**إن الحق تعالى يتجلى لأهل المحشر ..إلخ**»: وفرقةٌ تقرُّه في الدنيا والآخرة: أي التحول المذكور في الحديث من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ولا تولُّد، مع اعتقاد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وهم العارفون بالله تعالى أهل التجلي والشهود في الدنيا اهـ (ص٣٥٣).

وقـال أيـضًا: الموقف الثلاثون: قال لي الحق: «أتدري من أنت؟ فقلت: نعم، أنا العدل الظاهر بظهـورك، والظلمة المشرقة بنورك. فقال لي: عرفت؛ فالزم، وإيَّاك أن تدَّعي ما ليس لك، فإن الأمانـة مـؤداةٌ والعارية مردودةٌ، واسم الممكن منسحبٌ عليك أبدًا، كما هو منسحبٌ عليك أزلاً» اهـ.

ثم قـال في شـرح حديث (كنت سمعه): وإنما هي الأحكام العدمية التي ظهر الوجود الحق بها لا غير، ولا اتحاد كما يفهمه العميان، ولا تأويل كما يقول صاحب الدليل والبرهان اهـ.

وقـال في الكلام على حديث (ما وسعني..إلخ): قلب العارف الكامل المحقق الواصل يصير عين معروفه، وعين ما حققه، مع بقاء التمييز: إلهٌ ومألوهٌ، ربٌّ وعبدٌ اهـ.

وقـال سـيدي عليُّ بن وفا نفعنا الله به: إنما كانت القلوب السليمة تحنُّ إلى التنـزيه أكثر من التـشبيه لأن التنـزيه هو الأصل، والتشبيه إنما هو تنـزُّلٌ للعقول، ومن شأن الذات الإطلاق لذاتها، وتساوي النسب لصفاتها؛ فاعلم ذلك، ونزِّه ربَّك عن صفات خلقه اهـ.

=

قال الفاضل المحقق ابن حجر في «شرح الهمزية»: واعلم أن من الكفر الصريح ما حُكي عن بعض الكراميَّة: أن الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة.

وقال سيدي أيضًا: المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم: فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى، كما يقال: بين فلان وفلان اتحادٌ، إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه، ثم أنشد:

وعلمُك أنَّ كل الأمر أمري ... هـو المعنـى المسمَّى باتحـاد

وقال سيدي أيضًا: الاتحاد لفظٌ يطلق ويراد به أعلى درجات قرب العبد من الرب اهـ.

وانظـر يـا أخـي رحمك الله إلى ما قاله هؤلاء السادات في الحلول والاتحاد؛ كي تعلم حقيقة مرادهم بتلك اللفظة، على فرض وقوعها في كلامهم، هو استخدام اللفظ ليس إلا، ودليلي فضلاً عمَّـا ذكـرته مـن نفي القوم لذلك: قال سيدي عليٌّ ﷺ: «إن الاتحاد لفظٌ» ولم يقل معنًى أو حقيقةً، فاعلم تلك الأقوال، وعضَّ عليها بالنواجذ، واجعلها أساسًا تحمل عليه كلام القوم.

وانظر قول الشيخ الشعراني: وعندي أن هؤلاء القائلين بالاتحاد كلهم لم يصحُّ لهم اتحادٌ قطُّ إلا بالـوهم، وانظـر كلامهم تجده من أوله إلى آخره لا يبرح من التنوية، فإنه لا بدَّ من مُخاطِبٍ ومخاطَب.

وفي كلامـه ﷺ مـا يغني عن التعليق من نفي تلك الاعتقادات المتوهمة، وقولي المتوهمة إنما هو بالنظـر للمنكـر، فإننا إذا أمعنا النظر في كتابات المعترضين على أقوال الكُمَّل رضي الله عنهم نجدها منصبَّةً حول معنًى غير مقصودٍ بالمرة للقائل، ولو ذكرت للقائل معنى تلك المقولة بتفسير المنكـر لها؛ لكان من أول المنكرين لها وأشد الناس اعتراضًا عليها، فإذن تلك العقائد المعترض علـيها لـيس لها وجودٌ إلا في عقل المنكر، فإنه اعترض على ما فهمه هو، لا على حقيقة المراد باللفظ.

فـإذن الخلاف ليس في المعاني، وإنما هو خلافٌ نشأ عن استخدام تلك الألفاظ، ودليلي في ذلك مـا ذكرته لك من أقوال هؤلاء الأئمة، فخذ تلك القواعد واحكم عليهم بمقتضى قولهم تجدهم جميعًا أقرب الخلق إلى الله وإلى رسوله ﷺ وأعرفهم بالله ورسوله ﷺ.

فإن قلت: فكيف العمل في تلك الأقوال الكثيرة المشحونة باستخدام تلك الألفاظ الموهمة؟!

أقول لك: بعد ما تقدم ذكره من القول إن لم تستطع قبول تلك الأقوال ولم تفهم المعنى الموافق للشرع الذي هو يقينًا مراد القائل فتأولها بما يوافق الشرع، فإن الكتب الفقهية والشرعية مليئة بالتعارض والترجيحات وتأويل الأقوال والأدلة المتعارضة، فقس على ذلك والله هو الموفق.

واعلم يا أخي أني لم أذكر لك جميع كلام القوم في نفي الحلول والاتحاد ووحدة الوجود المتوهمة وإنما ذكرت لك طرفًا منه، فإنهم نبَّهوا عليه كثيرًا فاختر يا أخي لنفسك، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، ووالله لا ينسب القول بالحلول أو غيره من القبائح إلى القوم بعدما ذكرناه من كلامٍ إلا معاندٌ مكابرٌ، فحمل كلامهم على مرادهم لا غير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والسلام.

وعن بعض المتصوفة الجهلة: إن الولاية فوق رتبة النبوة، وأن الولي قد يبلغ حالةً يسقط عنه فيها التكليف.

قال الغزالي: وقتل الواحد من هؤلاء خيرٌ من قتل مائة كافرٍ؛ لأن ضرر أولئك أشدُّ في الدين، وليس من أولئك العالمان العارفان المحققان الوليان الكبيران **المحيوي ابن العربي**، **والسراج ابن الفارض** وأتباعهما بحقٍّ خلافاً لمن زلَّ فيهم قدمه، وطغى قلمه إلا أن يكون أراد بما قاله الذبَّ عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم انتهى.

قال الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى: وأما قول الشيخ الأكبر أنه تعالى أوجد الأشياء وهو عينها فهو مبنيٌّ عنده على اصطلاحه في معرفة الأشياء ومعرفة الحق سبحانه وتعالى؛ فإن الأشياء كلها عنده مجرَّد تقديراتٍ وتصويرات قائمة به تعالى الذي هو مقدِّرها ومُصوِّرها لا مبنيٌّ ذلك على اصطلاح غيره من أن الأشياء كلها أعراضٌ وأجسامٌ مستقلةٌ بنفسها في الوجود لها الاستناد العقلي إلى الحق تعالى بالإيجاد؛ فإن الوجود في اصطلاح الشيخ الأكبر واحدٌ، وهو: الوجود الحقيقي لله تعالى حقيقةٌ ولغيره بطريق المجاز الذي هو استعمال الشيء في غير ما هو له، فالأشياء كلها عنده يقال لها: موجودات بطريق المجاز، والوجود المنسوب إليها نسبةٌ مجازيةٌ عدم محضٍ، وإنما الوجود الحقيقي الذي هو مستعملٌ فيما هو له إنما هو وجود الله تعالى، واصطلاحه هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنَّة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]: أي ذاته.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦،٢٧]: أي ذاته سبحانه وتعالى، وذاته سبحانه وتعالى هو الوجود الحقيقي الواحد الأحد، الحق المطلق المنــزه عن مشابهة كل شيءٍ، والأشياء كلها هي الهالكة الفانية في حدِّ ذاتها، وقال ﷺ: «**كانَ الله ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليه كانَ**[1]».

وقال ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر لُبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ**[2]»، والباطل خلاف الحق، والله سبحانه وتعالى هو الحق، والأشياء كلها هي الباطل، فكل شيءٍ عينه من حيث الوجود القائم به ذلك الشيء، وذلك الشيء غيره سبحانه وتعالى من

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٤/١٠٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/١٧١).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٩٥)، ومسلم (٤/١٧٦٨)، والترمذي (٥/١٤٠)، وأحمد (٢/٢٤٨).

حيث الصورة والشيئية الهالكة الفانية، فَصدَقَ حينئذ عند العارف أنه تعالى أوجد الأشياء وهو عينها: أي عين وجودها التي هي موجودةٌ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه «اليواقيت والجواهر»: ومما أنكره المتعقِّبون على الشيخ بحسب الإشاعة قولهم: إن الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا إله إلا الله، وذلك كفرٌ.

والجواب بتقدير صحة ذلك عنه: أن المراد أن الحق سبحانه وتعالى ثابتٌ في الألوهية قبل إثبات المثبت، ومن كان ثابتًا لا يحتاج إلى إثباتك؛ إذ ما ثمة من تثبت ألوهيته من الخلق حتى يُنفى، وإنما تعبَّد الله المؤمن بذلك على سبيل التلاوة؛ ليأجره الله على ذلك، وحاشا الشيخ أن يصرِّح بفساد قول لا إله إلا الله، هذا لا يقوله عاقلٌ؛ لأنها من القرآن العظيم؛ فافهم.

ومن ذلك دعوى المنكرات الشيخ يقول في كتبه مرارًا: لا موجود إلا الله.

والجواب: أن معنى ذلك بتقدير صحته عنه: أنه لا موجود قائمٌ بنفسه إلا هو سبحانه وتعالى وما سواه قائمٌ بغيره، كما أشار إليه: (**ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ**)، ومن كان حقيقته كذلك فهو إلى العدم أقرب؛ إذ هو وجودٌ مسبوقٌ بعدمٍ، وفي حال وجوده مترددٌ بين وجودٍ وعدمٍ لا يخلص لأحد الطرفين، فإن صحَّ أن الشيخ قال: لا موجود إلا الله، فإن ذلك عند من تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق سبحانه وتعالى بقلبه كما **قال أبو القاسم الجنيد:** مَنْ شَهِدَ الحق لم يرَ الخلق، ومن ذلك دعوى المنكرات، الشيخ محيي الدين جعل الحق تعالى الخلق واحدًا في قوله في بعض نظمه:

فيحمدنِـــــي وأحمـــــدهُ ويعبدُنِـــــي وأعـــــبدُهُ

والجواب: بتقدير صحته عنه أن معنى يحمدني: يشكرني إذا أطعته كما في قوله: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:١٥٢].

وأمَّا قول الشيخ: ويعبدني: أي يُطيعني بإجابة دعائي، كما قال تعالى: ﴿**لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ [يس:٦٠]: أي لا تطيعوه، وإلا فليس أحدٌ يعبد الشيطان كما يعبد الله تعالى؛ فافهم.

وقد ذكر في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من «الفتوحات المكية» بعد كلامٍ طويلٍ ما نصُّه: وهذا يدلُّك صريحًا على أن العالم ما هو عين الحق؛ إذ لو كان عين

الحق تعالى ما صحَّ كون الحق بديعًا انتهى، والله أعلم.

ومن ذلك دعوى المنكر بأن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كَذِبٌ وافتراءٌ على الشيخ؛ فقد صرَّح الشيخ في الباب الثاني والستين من «**الفتوحات**»: بأنَّ فرعون من أهلِ النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين، والفتوحات من آخر مؤلفاته؛ فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين.

قال شيخ الإسلام الخالدي: والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به، بل ذهب جمعٌ كثير من السَّلف إلى قبول إيمانه؛ لما حكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿**آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنو إِسْرائيلَ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[يونس: ٩٠]، وكان ذلك القول آخر عهده بالدنيا.

وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، ولم يرد لنا نصٌّ صريحٌ أنه مات على كفره انتهى.

ودليل جمهور السلف والخلف على أنه آمن عند اليأس، وإيمان أهل اليأس لا يُقبل، والله أعلم انتهى.

قال الفاضل بن حجر في «**الزَّواجر**»: فإن قلت: قد قال الإمام العارف المحقِّق محيي الدين بن العربي في «**فتوحاته**»: بصحة الإيمان عند الاضطرار، وأن فرعون مؤمنٌ، قلت: هذا كلامٌ مقررٌ، وإن كنَّا نعتقد جلالة قائله فإن العصمة ليست إلا للأنبياء.

ولقد قال الإمام مالك وغيره: ما من أحدٍ إلا مأخوذٌ من قوله ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر: يعني النبي ﷺ، على أنه قد نقل عن بعض كتب ذلك الإمام أنه قد صرَّح فيها بأن فرعون مع هامان وقارون في النار، وإذا اختلف كلام العام فيؤخذ منه بما يوافق الأدلة الظاهرة ويعرض عمَّا خالفها انتهى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه «**اليواقيت**»: ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: بإباحة المكث للجُنب في المسجدِ، فإن صحَّ ذلك عن الشيخ فهو موافقٌ فيه لابن عباس والإمام أحمد بن حنبل، وهو مذهب الإمام المزني وجماعةٍ من التابعين والفقهاء، فقول المنكر: أن الشيخ خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة المجتهدين مردودٌ.

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: إن الولي أفضل من الرسول.

والجواب: أن الشيخ لم يقل ذلك، وإنما قال: اختلف الناس في نبوة النبي وولايته

أيهما أفضل؟ والذي أقول به: أن ولايته أفضل لشرف المتعلق بها، ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة؛ فإنها تتعلق بالخلق، وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى.

ووافقه على ذلك عز الدين بن عبد السلام، فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته، ونبوّته مع ولاية غيره؛ فافهم.

وبقي مسائل كثيرةٌ نُسبت للشيخ، وسيأتي بيان أنها افتراءٌ وكذبٌ على الشيخ، منبوذةٌ في مباحثها، وفي المثل السَّائر، وَيَعْيَا المداري في طريق المخالف، والله أعلم، انتهى ما ذكره في كتاب «**اليواقيت والجواهر**».

وقد ذكر رحمه الله تعالى بيان افتراء تلك المسائل على الشيخ في مباحثها، فلا نطوِّل الكلام بذكرها.

وسُئل الإمام النووي عن الشيخ محيي الدين فقال: تلك أمةٌ قد خلت، ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقلٍ أن يُسيء الظن بأحدٍ من أولياء الله تعالى، ويجب عليه أن يؤوِّل أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحقْ بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال رحمه الله تعالى في «**شرح المهذب**»: وإذا أوِّل كلامهم فيؤول إلى سبعين وجهًا، فإن لم يقبل كلامهم تأويلاً منها فليرجع على نفسه باللوم، ويقول: يحتمل كلام أخيك المسلم سبعين وجهًا، ولا تقبل منه تأويلاً واحدًا ما ذاك إلا تعنُّدٌ وتعقُّبٌ انتهى.

ثم العجب العجيب والأمر الغريب ممن تجرأ على خرق إجماع المسلمين، ووقع في حضرة إمام العارفين، وشيخ شيوخ العالمين صاحب القَدَمِ من القِدَم، غوث البريَّة، قطب العرب والعجم، من خضعت له الرقاب، وشهدت بسلطنته الأقطاب، بحر العلم اللدنيّ، مولانا الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، مروِّح الله تعالى أروحنا بنفحات روحه، وفتح أقفال قلوبنا بمفاتيح فتوحه، ولا زالت رحمة الرحمن فيَّاضةً على روحه في كل حينٍ وآنٍ، آمين.

وزعم أن قوله رضي الله تعالى عنه وقدَّس روحه: قَدَمي هذا على رقبة كل وليٍّ لله، قالهُ بحظِّ نفسٍ وهوًى كامنٍ، وحاشاه ثم حاشاه من ذلك؛ بل إذا كان كامنًا في باطنه يظن أن أصفياء الله تعالى مثله منطوون على خبث الضمائر، ومتصفون بالصفات الرذائل، نعوذ بالله العظيم من الخذلان، وسوء الظن بأولياء الله أهل العرفان، ولقد صدق من قال:

وإذا رأى الإنسانُ نقصًا إنَّما ... مِرآتُهُ تجلي عليهِ بحالهِ

فإن من قُرِّبَ هذا التقريب وعُرِّف هذا التعريف ومُكِّن هذا التمكين وصُرِّف هذا التصريف وخضع له رقاب أكابر الأولياء هذا الخضوع ورجع إليه العارفون بالله تعالى هذا

الرجوع وزفتُّه العناية هذه الزفات المشعرة بعظيم جلالته وضرب له الوجود بمعازف السرور عند رؤية طلعته ورقص الكون جميعه طربًا لظهور ولايته وحَمَلَ بين يديه علم القطبيَّة وتُوِّج بتاج الغوثية، وأُلبس خلعة التصريف العام النافذ في جميع الوجود ومشت أكابر الأولياء من الصدِّيقين والبُدلاء تحت ركابه بأمر الملك المعبود واشتهرت في الجود كراماته وجمعه بين علمي الظاهر والباطن يستحيل أن يكون قال ذلك بحظِّ نفسٍ وهوًى كامنٍ، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم آياته: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤]، كيف وقد أجمع على فضله وعلمه وجلالة قدره الخاص والعام من زمنه إلى هذه الأيام! بل قد ذكر العلماء الأعلام أن كراماته قربت من التواتر بين أهل ملة الإسلام، فيكون صدور هذا القول عنه امتثالاً لأمره، ويكون ذلك الأمر تنويهًا بفضله، وبيانًا لعلوِّ شأنه، وتعريفًا للجاهل بكبر قدره، وإرشادًا إلى التعلُّق به، والتوسل برفيع جاهه، وغير ذلك من المصالح.

وقد رُوي في كتاب «**مناقبه**» من طرقٍ كثيرةٍ بروايات شهيرةٍ عن جماعةٍ من المشايخ الأكابر والعلماء الأفاضل والأخيار الثقاة واشتهر واستفاض حتى في الجهات البعيدة أنه قال في مجلسه وهو على الكرسي يتكلم على الناس: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وكان في مجلسه حينئذٍ عامة مشايخ العراق، ورُوي أنهم كانوا نحوًا من خمسين شيخًا، ورُوي نيفًا وخمسين شيخًا، منهم: الشيخ **أبو النجيب السهروردي**، والشيخ **قضيب البان الموصلي**، والشيخ **أبو السُّعود أحمد بن أبي بكر العطاء**، وغيرهم من المشايخ الأكابر المعدودين.

ورُوي من طرقٍ كثيرةٍ عن خلائق من الأولياء أنه لم يبق أحدٌ من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع آفاق الأرض إلا حَنى له رقبته إلا رجلاً بأصبهان؛ فإنه لم يفعل، فسُلب حاله.

ورُوي أن الشيخ أبا النجيب السهروردي طأطأ رأسه حتى كاد يبلغ الأرض، وقال: على رأسي على رأسي على رأسي، قالها ثلاث مراتٍ، وكان من جملة من حَنى له رقبته من الغائبين الكبار المشهورين: الشيخ أبو مدين المغربي، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين.

فأما الشيخ أحمد الرفاعي: فرووا عنه أنه كان جالسًا يومًا برواقه بأم عبيدة، فمدَّ عنقه وقال: على رقبتي، وفي رواية أنه قال: وحميد منهم، فسُئِل عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله.

وأما الشيخ أبو مدين المغربي: فرووا عنه أنه حَنى رأسه يومًا وهو بين أصحابه، وقال: وأنا منهم اللَّهُمَّ إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك أني سمعت، وأطعت. فسأله أصحابه عن ذلك؟ فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، فأرَّخوا ذلك وهم في المغرب، ثم جاء المسافرون من العراق، وأخبروا أن الشيخ عبد القادر الكيلاني قال ذلك في الوقت الذي أرَّخوه.

وأما الشيخ عبد الرحيم القناوي: فرووا عنه أنه مدَّ عنقهُ يومًا بقنا، وقال: صدق الصَّادق المصدوق. فقيل له: ومن هو؟ فقال: الشيخ عبد القادر الكيلاني قد قال: قدمي هذا على رقبة كل وليٍّ لله، وتواضع له رجال المشرق والمغرب، فأرَّخوا ذلك الوقت، ثم جاء الخبر بذلك في ذلك الوقت.

ورُوي بأسانيد كثيرةٍ من طرقٍ متعددةٍ عن جماعةٍ من كبار المشايخ أنه لم يقل ذلك إلا بأمرٍ.

منهم: **الشيخ عدي بن مسافر الأموي قال:** إنما وَضَعَتْ الأولياء كلهم رؤوسهم لمكان الأمر، ألا ترى الملائكة لم يسجدوا لآدم عليه السلام إلا لورود الأمر عليهم.

ومنهم: **الشيخ أبو سعيد القليوبي قال:** قالها بأمرٍ لا شكَّ فيه، وهي لِسَان القطبيَّة.

ومنهم: **الشيخ على الهيتي:** لَمَّا قال الشيخ عبد القادر مقالته تلك صَعَدَ إليه فوق الكرسي، وأخذ قدمه، وجعلها على عنقه، ودخل تحت ذيله، فقال له أصحابه: فلِمَ فعلت ذلك؟ فقال: لأنه أُمر أن يقولها، وأُذن له في عزل من أنكرها عليه من الأولياء، فأردتُ أن أكون أول من سارع إلى الانقياد له.

ومنهم: **الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي** قيل له: هل قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذا على رقبة كل وليٍّ لله بأمرٍ أو بلا أمرٍ؟ قال: بلى قالها بأمرٍ.

ومنهم: **الشيخ أبو محمد القاسم قال:** لما أُمر الشيخ عبد القادر بقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله رأيتُ الأولياء بالمشرق والمغرب واضعين رؤوسهم تواضعًا إلا رجلاً بأرض العجم فإنه لم يفعل، فتوارى عنه حاله.

ومنهم: **الشيخ حياة بن قيس الحرَّاني قال:** قد غشانا زمانٌ مديدٌ في ظلِّ حماية سيئات الشيخ عبد القادر الكيلاني وشَرِبنا كؤوسًا هنيئةً من مناهل عرفانه، ولقد كان النفس الصادق يصدر عنه، فيبسط من شعاع نوره في الآفاق استطارة النار، فيقتبس منه الأسرار أصحاب الأحوال على قدر مراتبهم، ولما أتاه الأمر بقول: قدمي هذه على رقبة

كل وليٍّ لله زاد الله جميع الأولياء نورًا في قلوبهم، وبركةً في علومهم، وعلوًّا في أحوالهم بسبب وضعهم رؤوسهم.

ورُوي بأسانيد صحيحة متعددة كثيرة عن جماعةٍ من الشيوخ الكبار أنهم أخبروا عنه أنه سيقول مقالته تلك قبل أن يقولها بسنين كثيرة، بعضهم قال ذلك بنحو مائة.

منهم: **الشيخ عبد الله الجوني** روى عنه الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني قال: سمعت شيخنا أبا أحمد عبد الله بن علي الجوني سنة أربعٍ وستين وأربعمائة يقول: أُشهدت أنه سيولد بأرض العجم مولودٌ، له مظهرٌ عظيمٌ بالكرامات، وقبولٌ تامٌّ عند الكافة، ويقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ويندرج الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك الذي يشرق به زمانه، وينتفع به من رآه.

ومنهم: **الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء** قال لمن حضره لما أتى الشيخ عبد القادر لزيارته وهو شابٌّ: قوموا لوليِّ الله، وربما يمشي إليه في وقتٍ خطوات، وكان الشيخ عبد القادر يتكرَّر إليه، فلمَّا تكرَّر منه قوله: قوموا لوليِّ الله قال له أصحابه في ذلك، فقال لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه فيه الخاص والعام، وكأنِّي أراه قائلاً ببغداد على رؤوس الأشهاد وهو محقٌّ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، فتوضع له رقاب الأولياء في عصره؛ إذ هو قطبهم، فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليلزم خدمته.

ومنهم: **الشيخ عقيل المنبجي**(١) **قُدِّس سرُّه** سُئل عن القطب في وقته؟ فقال: هو في وقتنا هذا بمكة مخفيٌّ لا يعرفه إلا الأولياء، وسيظهر هنا، وأشار إلى العراق، وهو شريفٌ يتكلَّم على الناس ببغداد، يعرف كراماته الخاص والعام، وهو قطب وقته، يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وتضع له الأولياء رقابهم، ولو كنتُ في زمانه لوضعت له رأسي، ذلك الذي ينفع الله به مَنْ صدَّق بكراماته من سائر الناس.

ومنهم: **الشيخ علي بن وهب البخاري قُدِّس سرُّه** قال: إن الله تعالى قد نوَّر الوجود بظهور رجلٍ اسمه عبد القادر، مظهره في العراق، يقول ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ويقرُّ أولياء عصره بفضله.

ومنهم: **الشيخ حمَّاد الدبَّاس قُدِّس سرُّه** قال الشيخ أبو النجيب عبد القادر السهروردي: كنت عند الشيخ حمَّاد بن مسلم الدبَّاس ببغداد سنة ثلاثٍ وخمسمائةٍ،

---

(١) نسبة إلى منحة من قرى دمشق بالغوطة، وقيل: المنبجي: نسبة إلى منبج، وانظر: معجم البلدان لياقوت (٥/٢٠٥)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/١١٧)، والكرامات للنبهاني (٢/١٥٣).

والشيخ عبد القادر يومئذٍ في صحبته، فجاء، فجلس بين يديه متأدِّبًا، ثم قام، فسمعت الشيخ حمَّاد يقول بعد قيام الشيخ عبد القادر: لهذا العجمي قدمٌ تعلو في وقتها على رقاب الأولياء في ذلك الوقت، وليُؤمرنَّ أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وليقولنَّ، ولتوضعنَّ له رقاب الأولياء في زمانه.

وقد سَبَقَ قول الغوث في قصة ابن السقَّا، ومما أخبر به جماعةٌ من المشايخ الكبار أهل الكشف والأنوار والمعارف والأسرار قدَّس الله تعالى أرواحهم عن هيئة الحال، لما قال الشيخ عبد القادر ذلك المقال.

منهم: الشيخ أبو سعيد العز بن أحمد القيلوي قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله تجلَّى الحق سبحانه وتعالى على قلبه، وجاءته خُلعةٌ من رسول الله ﷺ على يد طائفة من الملائكة المقرَّبين والبهاء بمحضرٍ من الأولياء من تقدَّم منهم ومن تأخَّر، الأحياء بأجسادهم، والأموات بأرواحهم، وكانت الملائكة ورجال الغيب حافِّين بمجلسه، واقفين في الهواء صفوفًا حتى انسدَّ الأفق بهم، ولم يبقَ وليٌّ لله تعالى في الأرض إلا حَنى عنقه.

ومنهم: الشيخ بقاء قُدِّس سرُّه قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله قال الملائكة: صَدَقت يا عبدَ الله.

ومنهم: الشيخ عدي بن مسافر الأموي قُدِّس سرُّه، والشيخ أحمد الرفاعي قُدِّس سرُّه روي عن الشيخ عدي أنه لما ذكر بين يديه الشيخ عبد القادر قال: بخٍ بخٍ، ذلك قطب الأرض، وضع ثلاثمائة وليٍّ لله، وسبعمائة غَيبي، ما بين جالسٍ في الأرض ومارٍّ في الهواء، ممتدة أعناقهم له في وقتٍ واحدٍ حين قال: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله.

قال الراوي: فعظم ذلك عندي، ثم بعد مدة أتيت أم عبيدة؛ لأزور الشيخ أحمد بن الرفاعي، فذكرت له ما سمعت من الشيخ عدي، قال: صَدقَ الشيخ عدي[1].

ومنهم: الشيخ ماجد، والشيخ مطر قُدِّس سرُّهما روي عن الشيخ ماجد أنه قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله لم يبقَ لله وليٌّ في الأرض في ذلك الوقت إلا حنى عنقه تواضعًا له، واعترافًا بمكانته، ولم يبقَ نادٍ من أندية صالحي الجن من جميع الأقطار في الآفاق في ذلك الوقت إلا وفيه ذكر ذلك، وقصدته وفود صالحي الجن

(١) وانظر: أفضل ما صنف في مناقبه لنصر العسقلاني: النور السافر في مناقب سيدي عدي بن مسافر، تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

من جميع الأقطار مسلِّمين عليه، وتائبين على يديه، وازدحموا في بابه.

قال الراوي: فأتينا إلى الشيخ مطر؛ لزيارته وفي أنفسنا إعظام ما سمعناه من الشيخ ماجد، فلمَّا دخلنا عليه رحَّب بنا، وقال: صدق أخي الشيخ ماجد فيما أخبركم به عن الشيخ عبد القادر.

ومنهم: الشيخ مكارم قدّس سرُّه قال: أشهدني الله ﷻ أنه لم يبقَ أحدٌ ممن عقد له الولاية في أقطار الأرض أدناها وأقصاها إلا شاهد علم القطبية محمولاً بين يدي الشيخ عبد القادر، وتاج الغوثية على رأسه، ورأى عليه خلعة التصريف النافذ في الوجود وأهله ولايةً وعزلاً معلمةً بطرازي الشريعة والحقيقة، وسَمِعْتُهُ يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ووضع رأسه، وذلل قلبه له في وقتٍ واحدٍ حتى الأبدال العشرة.

قال الراوي: قلت: مَنْ هم؟ قال: الشيخ بقاء بن بطو النهر ملكي، والشيخ أبو سعيد القليوبي، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ عدي بن مسافر الأموي، والشيخ موسى الزولي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحمن الطفونجي، والشيخ محمد بن عبد البصري، والشيخ حياة بن قيس الحرَّاني، والشيخ أبو مدين المغربي قدَّس الله تعالى أرواحهم أجمعين.

ومنهم: الشيخ خليفة قدِّس سرُّه، وكان كثير الرؤيا للنبي ﷺ، روى عنه الشيخ أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن أبي السعادات البندينجي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله. قال: صدق الشيخ عبد القادر، كيف لا وهو القطب وأنا أرعاه!.

فهذه نُبذةٌ يسيرةٌ مما يتعلق بقول الشيخ عبد القادر قُدِّس سرُّه ومقالاته المذكورة، وقد أضربت عن أشياء كثيرةٍ مما يتعلق بذلك ومما يدل على عظمة فضله وجلالة قدره، ضربت وحذفت الأسانيد للاختصار، ولا حاجة إليها أيضًا؛ لكثرة ما في ذلك من الأشهار، وقد ذكر بعض أهل العلم أن كراماته قربت من التواتر يعني: قرب حصول العلم بوجودها من العلم القطعي الحاصل بكثرة الرواة البالغين حدَّ التواتر المعروف؛ لكثرة المخبرين عنها، وقد ذكرت شيئًا منها في باب الكرامات الآتي قريبًا.

وبالجملة: فهذا الذي ذكرته مِنْ فضله، وإن عظم فهو قطرةٌ من بحر فضائله، أو غبارٌ من رمال ساحله.

وقد رُوي بالسند الصحيح عن الشيخ أبي الرضا محمد بن أحمد بن داود البغدادي المعروف بالمقيَّد قال: كنت كثيرًا ما أتوقع من أسئلةٍ عن شيءٍ من صفات القطب، فدخلت أنا والشيخ أبو الخليل أحمد بن أسعد بن وهب بن عليٍّ المقري إلى جامع

الرِّصافة، فوجدنا فيه الشيخ أبا سعيد القيلوي، والشيخ على الهيتي، فسألت الشيخ أبا سعيد عن ذلك؟ فقال: إلى القطب انتهت رئاسة هذا الأمر في وقته، وعنده تُحط رحال جدالة هذا الشأن. قلت: فمن هو هذا؟ قال: هو الشيخ عبد القادر الكيلاني، فلم أتمالك أنا، وثبتُ، ووثبوا كلُّهم؛ لنحضر مجلس الشيخ عبد القادر، ولا تقدَّم منا أحدٌ ولا تأخَّر ولا تفرَّقنا وما منَّا إلا مَنْ يشتهي أن يسمع شيئًا في هذا المعنى، فوافيناه يتكلم، فلمَّا استقر بنا المجلس قطع كلامه، وقال: أنى للواصف أن يبلغ وصف القطب ولا مسلك في الحقيقة إلا وله فيه مأخذٌ مكينٌ، ولا درجة في الولاية إلا وله فيها موطئٌ ثابتٌ، ولا مقام في النهاية إلا وله فيه قدمٌ راسخٌ، ولا منازلةٌ في المشاهدة إلا وله منها مشربٌ هنيءٌ لا يشقى جليسه، ولا يغيب شهوده، ولا يتوارى عن حاله بشرٌ تابعٌ له حدٌّ ينتهي إليه، ووصفٌ ينحصر فيه، وتكلُّفٌ يجب عليه، ثم أنشد بعد كلامٍ طويلٍ في ذلك من غير ترنُّمٍ ولا أغانٍ:

مَــــا في الصبابةِ منهلٌ مستعذبٌ إلا ولِــي فـــيه الألـــذُّ الأطيبُ
أو في الوصـــالِ مكانـــةٌ مخصوصةٌ إلا ومنـــزلتِـــي أعـــزُّ وأقـــربُ
وهـــبتْ لِـــي الأيامُ رونقَ صفوها فَحَـــلاَ مناهلها وطاب المشربُ
وغـــدَوتُ مخطـــوبًا لكـــلِّ كريمة لا يهـــتدي فيها اللبيبُ ويخطبُ
أنـــا مِنْ رجالٍ لا يخافُ جليسُهم ريبَ الزمانِ ولا يرى ما يُرهِبُ
قـــومٌ لهـــم فِـــي كلِّ مجدٍ رتبةٌ علـــويَّةٌ وبكـــلِّ جيشٍ مَوكبُ
أنـــا بلـــبلُ الأفـــراحِ أملأُ دوحَها طـــربًا وفي العلـــياء بانٍ أشهبُ
أضحتْ جيوشُ الحبِّ تحت مَشيئتِي طـــوعًا ومهمـــا رمته لا يعزبُ
أصـــبحتُ لا أمـــلاً ولا أمنـــيةً أرجـــو ولا موعـــودةً أتـــرقبُ
مـــا زلـــتُ أرتعُ فِي ميادين الرِّضا حتَّـــى وُهـــبتُ مكانةً لا تُوهبُ
أضـــحى الـــزمانُ كحُلـــةٍ مرقومةٍ تـــزهو ونحن لها الطرازُ الْمُذَهَّبُ
أَفِلَـــتْ شمـــوسُ الأوَّلـــينَ وشمسُنا أبـــدًا على فَلَكِ العُلا لا تغربُ

ثم قال: كل الطيور تقول ولا تفعل، والبازي يفعل ولا يقول، ولأجل هذا صار أكفُّ الملوك سُدَّتَهُ، فقال إليه الشيخ أبو منصور بن المبارك الواعظ المعروف بجرادة، وأنشد يقول:

بـــكَ الـــشهورُ تُهنَّا والمواقيتُ يـــا مَـــنْ بألفاظهِ تغلو اليواقيتُ

الـبازُ أنت فإنْ تفخرْ فلا عجبَ ... وسـائرُ الناسِ في عيني فواخيتُ
وأشمُّ من قدميك الصدقَ مجتهدًا ... لأنَّـه قـدمٌ في نعلـه الـصيتُ

فقام الشيخ علي بن الهيتي وَقبَّل قدم الشيخ عبد القادر، قال: فكتبنا المجلس عندنا وحفظنا ما وقع فيه.

قلتُ: وقد أوَّل بعض العلماء قوله قُدِّس سرُّه: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، فقال: المراد بذلك شريعتي وعلمي الذي هو شريعة محمَّدٍ ﷺ، كما يُقال: القدم على القدم: أي العلم على العلم، والله أعلم.

قال اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»:

اعلم وفَّقنا الله تعالى وإيَّاك لفهم الحق واتِّباعه وَجَعَلنا جميعًا ممن انتفع به ونفع الغير بانتفاعه أن القوم وردوا بحرًا ليس له ساحلٌ، وكل أحدٍ من المنكرين عليهم من ذلك المورد ما حلٌ، وبما فيه من جواهر المعارف والأسرار والحِكَم جاهلٌ، وسُقوا بكؤوس الوصل راح المحبة التي لم يشمَّ ريحها مَن لم يقضِ من قتل نفسه بحبِّه، فأخذ ينكر عليهم مَنْ لم يعرف تلك الجواهر التي لا يعرفها إلا من هو في ذلك البحر ماهرٌ؛ وذلك لجهله بالأسرار التي في تلك المعارف، والرَّاح التي في تلك المغارف، فإن الشَّطح الصادر عنهم منه ما وقع منهم في حال السكر والغيبة بواردات الأحوال، والسُكر سببٌ مباحٌ يُسقط التكليف بالشرع بالشرط المعروف في كتب الفقه، ومنه ما صدر منهم على سبيل الحكاية عن الله ﷻ.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في «عوارف المعارف»:

وما يُحكى عن أبي يزيد قوله: (سبحاني ما أعظم شاني) أن يعتقد في أبي يزيد أنه لا يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله ﷻ.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله: (أنا الحق)[1].

---

(١) قلت: وقيل لأبي القاسم الجنيد قَدَّس الله روحه: إن أبا يـزيد يسرف في الكلام. قال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحـاني سبحـاني ما أعظـم شأنـي». فقال الجنيد: إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه؛ لذهوله في الحق عن رؤيته إيَّاه، فلم يشهد إلا الحق تعالى، فنعته، فنطق به، ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًّا من الحق به، ألم تسمعوا مجنـون بني عامـر لما سئل عـن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه، ولم يكن من شهوده إيـاه فيه، وقيـل لـه: من أنـت؟ قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا. وانظر: روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد وأبي يزيد طيفور (بتحقيقنا). وقال الشيخ أبو =

وممن قال أن هذا القول صَدَرَ عنه في حال السُكر الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنه ما أمروا به، فصدر عنهم امتثالاً للأمر، ويكون ذلك الأمر تنويهًا بفضلهم، وبيانًا لعلوِّ شأنهم، وتعريفًا للجاهل بكِبَر قدرهم، وإرشادًا إلى التعلُّق بهم، والتوسل برفيع جاههم، وغير ذلك من الصالح، ومن ذلك قول الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس سرُّه: (قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله)، وشطحات المشايخ كثيرةٌ جدًّا، فكل ما بلغك عن أحدٍ منهم مِنْ شطحٍ فاحمله على أحد المحامل المذكورة على حسب ما يليق بحاله تسلم وتغنم إن شاء الله تعالى انتهى.

***

=

النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول: لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائماً أبا يــزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يــزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يــزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق. وانظر: كتابنا في الإمام الجنيد قدس سره.

الباب السادس /

في كراماتهم

قال الإمام نجم الدين عمر النسفي في «**عقائده**»: وكرامات الأولياء حقٌّ، فتظهر الكرامة على طريق تقفِّي العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وظهور الطعام، واللباس، والشراب، والمشي على الماء وفي الهواء، وكلام الجماد، والعجماء وغير ذلك من الأشياء، ويكون ذلك معجزةً للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحدٍ من أمته؛ لأنه يظهر بها أنه وليٌ، ولن يكون وليًا إلا وأن يكون محقًا في ديانتهِ، وديانته الإقرار برسالة رسوله مع الطاعة له في أوامره ونواهيه.

قال الشارح سعد الدين: حتى لو ادَّعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليًا، ولم يظهر ذلك على يده، وإذا ظهر فلا يكون كرامةً بل استدراجًا.

والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة هو بالنسبة إلى النبي معجزةٌ سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته، وبالنسبة إلى الولي كرامةٌ؛ لِخلوِّه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله.

وقال إمام الحرمين في كتابه «**الإرشاد**»: ما صار إليه أهل الحق انخراق العادات للأولياء.

ثم قال: وإن الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرقٌ إلا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادِّعاء النبوة.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «**المحصّل**»: ثم تتميز الكرامة من المعجزة بتحدِّي النبوة.

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي في كتابه «**المصباح**»: الكرامات جائزةٌ خلافًا للمعتزلة والأستاذ، وتتميز عن المعجزة بعدم التحدي.

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه «**نشر المحاسن**»: ظهور الكرامات للأولياء جائزٌ عقلاً، وواقعٌ نقلاً، أمَّا جوازه في العقل فلأنه ليس مستحيلٌ في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء، هذا مذهب أهل السنَّة من المشايخ العارفين، والنُّطقاء الأصوليين، والفقهاء، والمحدثين، وتصانيفهم ناطقةٌ بذلك شرقًا وغربًا عجمًا وعربًا، وأمَّا وقوع ذلك بالنقل فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد، فمن ذلك في القرآن ما أخبر الله تعالى عن مريم عليها

السلام بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران:37]، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، هكذا جاء في التفسير، وكذلك ما أخبر الله تعالى من إلهام أم موسى عليه السلام في أمره ما هو معروفٌ، وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب عن الخضر مع موسى عليهما السلام، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك، وكذلك قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:40]، ومن ذلك في الأخبار حديث جريج الرَّاهب الَّذي كلَّمه الطفل في المهد، وهو حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري ومسلم.

وحديث الغار الذي انطبقت عليهم الصخرة، ثم انفرجت عنهم، وهو أيضًا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري ومسلم.

وحديث البقرة التي كلَّمت صاحبها، وهو حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ، والحديث المتفق على صحته المذكور في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه وبركة الطعام حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان قبله ثلاث مرات، وكذلك ما اشتهر عن الصدِّيق أيضًا أنه أُخبر أن حمل امرأته أنثى فكان كذلك، وحديث الصحيحين المتفق على صحته في عمر رضي الله عنه أنه من المحدَّثين بفتح الدال، وكذلك ما صحَّ عنه أنه قال: يا سارية الجبل في حال خطبةٍ في يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية، فكان لعمر رضي الله عنه في ذلك كرامتان: إحداهما: ما كُشف له عن حال ساريةٍ وأصحابه المسلمين، وحال العدو، والثانية: بلوغ صوته إلى بلادٍ بعيدةٍ.

والحديث المتفق على صحته في سعد وسعيد في إجابة دعوة كل واحدٍ منهما، والحديث الصحيح في البخاري في «خبيب» في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوان الثمر.

والحديث الصحيح حديث البخاري أيضًا في: أسيد بن حضير، وعبَّاد بن بشر اللذين خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما.

والحديث الصحيح: حديث الرجل الذي سمع صوتًا في السحاب يقول: اسقي حديقة فلان، وما جاء أن ابن عمر رضي الله عنهما قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنحَّ، فبصبص بذَنَبِه وذهب، وما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي، فحال بينهم وبين الموضع قطعةٌ من البحر، فدعا بالاسم الأعظم، ومشى على الماء.

وما جاء أنه كان مع سلمان وأبي الدرداء قصعةٌ فسبَّحت حتى سمعا التسبيح، وكذلك

ما اشتهر أن عمران بن الحصين كان يسمع تسبيح الملائكة عليه حتى اكتوى، فانحبس عنه ذلك، ثم أعاده الله تعالى عليه.

والحديث الصحيح حديث مسلم قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ مدفوعٌ بالأبوابِ لو أقسمَ على الله لأبرَّه**[(١)]».

قلت: ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلاً.

وقد ورد عن السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ العارفين والفقراء الصادقين وسائر الأولياء والصالحين من الكرامات المستفيضات، الصادرات عن العِيان والمشاهدات، ما طَبَقَ الآفاق، وملأ جميع البلاد، وعجزت الدفاتر عن اليسير منه في الحصر والتَّعداد، وأمَّا كثرة ظهور الكرامات واشتهارها بعد زمن الصحابة وزيادتها على ما كان في زمانهم فالجواب عن ذلك ما أجاب به الإمام أحمد لما قيل له: يا أبا عبد الله، إنَّ الصحابة لم يُروَ عنهم مثلما قد رُوي عن الأولياء والصالحين، فكيف هذا؟! فقال: أولئك كان إيمانهم قويًّا، فما احتاجوا إلى زيادة شيءٍ يتقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفًا لم يبلغوا إيمان أولئك، فقووا بإظهار الكرامات.

وكذلك قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمةً من الله تعالى على عباده العبَّاد، وثوابًا معجَّلاً لهم، وفوق هؤلاء قومٌ ارتفعت الحجب من قلوبهم، وباشر بواطنهم نور اليقين، وصدق المعرفة، فلا حاجة لهم إلى مددٍ من المخرقات، ورؤية القدر والآيات، ولهذا ما نُقل عن أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك إلا القليل، وما نُقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ لبركة صحبة النبي ﷺ ومجاورة نزول الوحي وتردُّد الملائكة وهبوطها تنوَّرت بواطنهم، وعاينوا الآخرة، وزهدوا في الدنيا وتزكَّت نفوسهم، وانخلعت عاداتهم، وانصقلت مرايا قلوبهم، فاستغنوا بما أعطوا من رؤية الكرامة، واستماع أنوار القدرة.

قال اليافعي: وأيضًا فهذه الكرامات من الكشف وغيره أنوارٌ، والأنوار إنما يظهر حسن بهائها في الظلمة، فأما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكلُّهم أنوارٌ ليس فيهم ظلمةٌ؛ لتوهُّج ضياء شمس النبوة عليهم، وكمال محاسنهم، ثم إن الشمس إذا غربت تظهر الظلمة عقيب غروبها ولا تظهر إلا الكواكب الكبار، فكلما تغرب عن الأفق تكثر الظلمة،

---

(١) تقدم تخريجه.

فتظهر سائر الكواكب إلى أن يظهر فجر الوعيد، وأيضًا الصحابة كانوا أهل حقٍّ، وسُنَّة، وطاعة، وعدل، ومعروف، ثم ظهر بعدهم عكس ذلك من الباطل والبِدَع، والمعاصي، والظلم، والمنكر، فبثَّ الله تعالى في سائر البلدان رجالاً قلَّدهم سيوفًا ماضيات تقطع أعناق المنكرين عليهم.

والحاصل: أنه قد علمت أنهم قد اتفقوا على أن الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط، ولم يشترط أحدٌ منهم لكون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدلَّ ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدي المذكور، ويشهد لصحة هذا القول قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لو أقسمَ على الله لأبرَّه[1]».

فإن الإبرار المذكور عامٌّ في كل مقسَمٍ فيه، ثم إن وقوع ذلك من كثيرٍ من الأولياء أعني عظام الكرامات خارجٌ عن الحصر، وها أنا أقتصر في التنبيه على ذلك بذكر عشرة أنواعٍ:

النوع الأول: إحياء الموتى: روى القشيري بإسناده في رسالته: إن أبا عبيد البسري غزا سنةً من السنين، فخرج في البرية، فمات المهر الذي كان تحته وهو في البرية، فقال: يا ربِّ، أعرناه حتى نرجع إلى بسر: يعني قريته، فإذا المهر قائمٌ، فلمَّا غزا ورجع إلى بسر، قال لابنه: يا بني، خذ السرج من المهر، قال ابنه: فقلت له: إنه عَرِق فإذا أخذت السرج دَاخلهُ الريح، فقال: يا بني، إنه عاريةٌ، قال: فلما أخذت السرج وقع المهر.

وروى أيضًا بإسناده في رسالته: إنه انطلق رجلٌ من اليمن، فلمَّا كان في بعض الطريق نفض حماره، فقام، فتوضأ، ثم صلَّى ركعتين، ثم قال: اللَّهُمَّ إني جئت مجاهدًا في سبيلك ابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تُحيي الموتى، وأنك تبعث مَنْ في القبور، ولا تجعل لأحدٍ عليَّ منَّةً اليوم، أطلب منك أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه، وقد نقل هذا عن الإمام الشعبي أيضًا.

وروى أيضًا بإسناده فيها أن محمَّد بن سعيد البصري قال: بينما أنا أمشي في طرق البصرة إذ رأيتُ أعرابيًا يسوق جملاً، فالتفتُّ فإذا الجمل وقع ميتًا، ووقع الرجل والقنب، فمشيت ثم التفتُّ فإذا الأعرابي يقول: يا مسبِّب كل سببٍ، ويا مأمول من طلبه رُدَّ عليَّ ما ذهب، وحمل الرجل القنب، فإذا الجملُ قائمٌ، والرجل والقنب فوقه.

وروى أيضًا بإسناده فيها إلى الشيخ سهل بن عبد الله التستري أنه قال:

---

(١) تقدم تخريجه.

الذاكر لله على الحقيقة لو همَّ أن يحيي الموتى لفعل بإذن الله تعالى، ومسح يده على عليلٍ بين يديه فبرأ وقام.

وكان الشيخ مفرِّج الدماميلي عبدًا حبشيًّا اصطفاه الله تعالى، ولما تكاثرت كراماته أحضرت عنده فراخٌ مشويةٌ، قال لها: طيري، فطارت أحياءً بإذن الله تعالى.

ومن المشهور ما روي سندًا في كتاب «**مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني**» قُدِّس سرُّه من خمسة طرقٍ عن جماعةٍ من الشيوخ الأجلاَّء قالوا:

جاءت إليه امرأةٌ بولدها، وقالت له: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، وقد خرجتُ من حقي فيه لله سبحانه وتعالى ولك، فقبِّله الشيخ، وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت أمه عليه يومًا فوجدته نحيلاً مصفرًّا من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصًا من شعير، فدخلت على الشيخ، فوجدت بين يديه إناءٌ فيه عظام دجاجةٍ مسلوقةٍ قد أكلها، فقالت: يا سيدي، تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير. فوضع يده على تلك العظام، وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميمٌ، فقامت دجاجةً سويَّةً، وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

قالوا: ومرَّت على مجلسه حدأةٌ طائرةٌ في يومٍ شديد الريح، فصاحت، فشوشت على الحاضرين، فقال: يا ريح، خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحيةٍ ورأسها في ناحيةٍ، فنــزل الشيخ من الكرسي، وأخذها في يديه وأمرَّ يده الأخرى عليها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك.

قلت: فإحياء الله تعالى الموتى كرامةٌ لهم، فهو وإن كان عظيمًا فهو جائزٌ كما قدَّمنا عن الأئمة أن ما جاز أن يكون معجزةً لنبيٍّ جاز أن يكون كرامةً لوليٍّ بشرط ألا يدَّعي النبوة.

***

النوع الثاني: كلام الموتى:

قال اليافعي: أخبرني بعض الشيوخ الصالحين من أهل اليمن عن الفقيه إسماعيل الحضرمي أنه مرَّ يومًا على مقبرةٍ ومعه ناسٌ كثيرون، فبكى بكاءً شديدًا ثم ضحك في الحال، فسُئِلَ عن ذلك؟ فقال: رأيتُ أهل هذه المقبرة يُعذَّبون، فحزنت لذلك، ثم سألتُ الله ﷻ أن يُشفِّعني فيهم، فشفَّعني، فقالت صاحبة هذا القبر وأشار إلى قبرٍ قريب العهد بالحفر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل، أنا فلانة المغنيَّة. فضحكتُ، وقلت: أنتِ معهم، ثم

أرسل إلى الحفار، وقال له هذا قبر مَنْ؟ فقال: قبر فلانة المغنية.

وروى القشيري أن الشيخ أبا سعيد الخرَّاز قال: كنتُ مجاورًا بمكة، فجزتُ يومًا بباب بني شيبة، فرأيت شابًا حسن الوجه ميتًا، فنظرت في وجهه، فتبسَّم، وقال لي: يا أبا سعيد، ما علمت أن الأحياء أحياءٌ وإن ماتوا، وإنما يُنقلون من دارٍ إلى دارٍ.

ومن المشهور ما رُوي مسندًا من ثلاثة طرقٍ عن جماعةٍ من الشيوخ الأكابر في كتاب «**مناقب الشيخ عبد القادر**»، قالوا:

زار شيخنا محيي الدين عبد القادر الكيلاني الشونيزي يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسعٍ وخمسمائةٍ ومعه جمعٌ كثيرٌ من الفقهاء والفقراء، ووقف عند قبر الشيخ حمَّاد الدبَّاس زمنًا طويلاً حتى اشتدَّ الحرُّ والناس واقفون خلفه، ثم انصرف والسرور بَيِّنٌ في وجهه، فسُئل عن سبب طول قيامه؟ فقال: كنت خرجت من بغداد في يوم الجمعة منتصف شعبان سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائةٍ مع جماعةٍ من أصحاب الشيخ حمَّاد لنصلي الجمعة في جامع «الرصافة» والشيخ معنا، فلمَّا كنَّا عند قنطرة النهر دفعني، فرمى بي في الماء وكان في شدة البرد في كوانين، فقلت: بسم الله غسل الجمعة، وكان عليَّ جبةٌ صوف، وفي كمي أجزاءٌ، فرفعت يدي لئلا تبتل وتركوني وانصرفوا، وخرجت من الماء، وعصرت الجبة وتبعتهم وقد تأذيت بالبرد أذىً كثيرًا، فطمع في أصحابه، فنهرَهم وقال: إنما أوذيه لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك، وإني رأيته اليوم في قبره وعليه حلةٌ من جوهرٍ، وعلى رأسه تاجٌ من ياقوتٍ، وفي يده أساور من ذهبٍ، وفي رجليه نعلان من ذهبٍ، ويده اليمنى لا تطيعه، فقلت: ما هذا؟ قال: هذه اليد التي رمتك فهل أنت غافرٌ لي ذلك؟ قلت: نعم، قال: فاسأل الله تعالى أن يردَّها عليَّ. فوقفت أسأل الله تعالى في ذلك، وقام خمسة آلاف وليٍّ من أولياء الله تعالى في قبورهم يسألون الله ﷻ أن يقبل مسألتي فيه، ويشفعون عندي في تمام المسألة، فما زلت أسأل الله ﷻ في مقامي ذلك حتى ردَّ الله تعالى يده، وصافحني بها وقد تمَّ سروره.

قالوا: فلمَّا اشتهر هذا القول في بغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ حمَّاد؛ ليطالبوا الشيخ عبد القادر بتحقيق ما قاله في الشيخ حمَّاد، وتبعهم خلقٌ كثيرٌ من الفقراء، وأتوا إلى المدرسة فلم يتكلم منهم أحدٌ إجلالاً للشيخ، فبدأهم بمرادهم، وقال لهم: اختاروا رجلين من المشايخ يتبين لكم ما ذكرته على لسانهما، فأجمعوا على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وكان يومئذ قد ورد إلى بغداد والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن شعيب الكردي وكان مقيمًا ببغداد، وكان من ذوي

الكشف الخارق والأحوال الفاخرة، وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك على لسانهما جمعةً. فقال لهم: بل ما تقومون مِنْ مقامكم هذا حتى يتحقق لكم الأمر، وأطرق وأطرقوا، فصاح الفقراء من خارج المدرسة، وإذا بالشيخ يوسف قد جاء حافيًا يشتد في عدوه حتى دخل المدرسة، وقال: أشهدني الله ﷻ ساعة الشيخ حمَّاد لو قال لي يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر وقل للمشايخ الذين فيها: صَدَقَ الشيخ عبد القادر فيما أخبر به عني فلم يتمَّ كلامه الشيخ يوسف حتى جاء الشيخ عبد الرحمن بن شعيب، وقال مثل قول الشيخ يوسف، فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر قدَّس الله تعالى روحه.

قال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه «**نشر المحاسن**»: أخبرني بعض الأخيار عن بعض الصالحين أنه يأتي قبر والده في بعض الأوقات ويتحدث معه.

ومن المشهور أن الشيخ الكبير أحمد بن موسى بن عجيل سمعه بعض الفقهاء الصلحاء من قرابته يقرأ سورة النور في قبره.

قال: وروينا أن الشيخ نجم الدين الأصبهاني طَلَعَ مع جنازة بعض الصالحين، فلمَّا جَلَسَ بعض الناس من أهل العلم يُلقِّن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ولم يكن الضحك عادته، فسُئل عن ذلك؟ فقال: سمعت صاحب القبر يقول: أما تعجبون من ميتٍ يُلقِّن حيًّا وغير ذلك مما يطول ذكره من كلام الموتى للأولياء.

***

النوع الثالث: انغلاق البحر وجفافه: من ذلك ما رُوي أنه مات بعض الفقراء في سفينة، قال الراوي: فأردنا إلقاءه في البحر، فرأيت البحر قد انشقَّ نصفين، ونزلت السفينة إلى الأرض، فخرجنا وحفرنا له قبرًا ودفناه فيه، فلمَّا فرغنا استوى الماء، وارتفعت السفينة وسرنا.

روى القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن بعضهم قال: كنَّا في مركبٍ فمات رجلٌ عليلٌ كان معنا، فأخذنا في جهازه، وأردنا أن نلقيه في البحر، وصار البحر جافًا، ونزلت السفينة فخرجنا، وحفرنا له قبرًا، ودفنَّاه، فلمَّا استوى الماء وارتفع المركب سرنا.

***

النوع الرابع: انقلاب الأعيان: اعلم أن هذا النوع مما كثر وقوعه لهم واشتهر عنهم، كانقلاب الحصى جواهر وذهبًا لكثيرٍ منهم، وانقلاب ماء البحر عذبًا، ولبعضهم سمنًا، ولبعضهم مع الرمل سَويقًا وسكرًا، ولبعضهم الحطب ذهبًا، وغير ذلك مما يتعذَّر حصره،

وهذه الأشياء مشهورةٌ مذكورةٌ في الكتب المشتملة على بعض كرامات الأولياء كالرسالة وغيرها، وأعجب من ذلك انقلاب الخمر سمنًا، كما روي عن الشيخ عيسى المعروف بالهتَّار اليمني: أنه مرَّ على امرأةٍ بغيٍّ، فقال لها: بعد العشاء آتيك، ففرحت بذلك، وتزيَّنت، فلمَّا كان بعد العشاء دخل عليها البيت فصلَّى ركعتين ثم خرج.

فقالت: أراك خرجت. فقال: المقصود حصل، فورد عليها واردًا أزعجها عمَّا كانت عليه، وخرجت بعد الشيخ وتابت على يديه، فزوَّجها من بعض الفقراء.

وقال: اعملوا الوليمة عصيدةً، ولا تشتروا لها إدامًا، ففعلوا ذلك، وأحضروه، وحضر الفقراء والشيخ معهم كالمنتظر لشيءٍ يُؤتى به، فوصل الخبر إلى أمير تلك البلدة، فأخرج قارورتين مملوءتين خمرًا، وأرسل بهما إلى الشيخ، وأراد أن يستهزئ بالفقراء ويفضحهم، وقال للرسول: قل للشيخ: قد سرَّني ما سمعت، وبلغني أنه ما عندكم إدامٌ فخذوا هذا فآدموا به، فلمَّا أقبل الرسول قال له الشيخ: أبطأت، ثم تناول إحداهما فخاضها، ثم صبَّها، ثم كذلك الأخرى، ثم قال للرسول: اجلس فكُل، فأكل فطعم سمنًا لم يرَ مثله طعمًا، وريحًا، ولونًا، ورجع وأخبر الأمير بذلك، فجاء الأمير فأكل، وتحيَّر مما رأى، فتاب أيضًا على يد الشيخ، والحمد لله الذي جعل هؤلاء السادة سببًا للسعادة.

وأعظم من ذلك ما رواه اليافعي في نشر المحاسن عن جماعةٍ من الصالحين.

رُوي عن بعض الأولياء أنه طلب بعض الناس يدعو له إلى الله تعالى أن يرزقه ولدًا ذكرًا، فقال له: إن أحببت ذلك فسلِّم للفقراء مائة دينارٍ. فسلَّم إليه ذلك، ثم جاءه بعد ذلك بمدةٍ، وقال له: يا سيدي، وعدتَّني بولدٍ ذكرٍ وما وضعت امرأتي إلا أنثى.

فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصةٌ. قال: يا سيدي، ما هي ناقصةٌ إلا شيئًا يسيرًا. فقال له الشيخ: ونحن أيضًا ما نقصناك إلا شيئًا يسيرًا، فإن أحببت أن نوفِّي لك فأوفِ لنا. قال: نعم يا سيدي، ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان.

فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت، فرجع إلى منـــزلهِ، فوجد الولد غلامًا بقدرة الله تعالى وإكرامه للأولياء.

ومن ذلك ما رُوي مسندًا في كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني» أنه خرج يومًا لصلاة الجمعة، فمرَّ به في الطريق ثلاثة أحمالٍ خمرًا للسلطان قد فاحت رائحتها واشتدت، ومعها صاحب الشرطة وأعوان الديوان، فقال لهم الشيخ: قفوا. فلم يفعلوا، وأسرعوا في سوق الدواب.

فقال الشيخ للدواب: قفي. فوقفت مكانها كأنها جماداتٌ، فضربوها ضربًا عنيفًا فلم

تتحرك من مواضعها، وأخذهم كلهم القولنج، وجعلوا يتقلَّبون على الأرض يمينًا وشمالاً من شدة الْمَهَمِّ، وضجُّوا بالشيخ، وأعلنوا بالتوبة والاستغفار، فزال عنهم المهم، وانقلبت رائحة الخمر برائحة الخل، ففتحوا الأواني فإذا هي خلٌ ومشت، فَعلتْ أصوات الناس بالضجيج، وذهب الشيخ إلى الجامع، وانتهى الخبر إلى السلطان، فبكى رعبًا، وارتدع من فِعل كثيرٍ من المحرَّمات، وجاء إلى الشيخ زائرًا، وكان بعد ذلك يجلس بين يديه متواضعًا متصاغرًا.

وعن بعضهم قال: بينما أنا أسير في فلاةٍ من الأرض إذ برجلٍ يدور حول شجرة شوكٍ، ويأكل منها رطبًا، فسلَّمت عليه، فقال: وعليك السلام تقدَّم وكُلْ.

فتقدَّمت للشجرة، فكلَّما أخذت منها رطبًا عاد شوكًا فتبسَّم الرجل، وقال: هيهات لو أطعتهُ في الخلواتِ أطعمك الرطب في الفلوات.

النوع الخامس: عِلْمُهم ببعض الحوادث قبل وجودها، والاطِّلاع على ضمائر الخلق:

وأما قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]، فقد قال الإمام ناصر الدين البيضاوي، واستدلَّ به على إبطال الكرامات، وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسط، وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقيًا عن الملائكة كاطِّلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء عليهم السلام: يعني أن الله سبحانه وتعالى يظهر الغيب على الملك، والملك على الأنبياء وعلى الأولياء.

قال الإمام مظهر الدين: وقد تستفيد الأولياء من أرواح الأنبياء، وأما أصحاب الأنبياء من ألسنتهم فظاهرٌ انتهى.

وسُئل الإمام اليافعي هل يكفر من قال: المؤمن يعلم الغيب أم لا؟ فقال: أقول وبالله التوفيق لا يستعجل بتكفيرٍ من قال المؤمن يعلم الغيب حتى يُسئل ماذا أراد بالمؤمن وبالعلم وبالغيب؟ فإن أراد بالمؤمن المؤمن الخاص وهو الولي دون المؤمن العام وهو كل مؤمنٍ وبالعلم بأنه يعلم بإعلام الله تعالى له لا يعلمه بنفسه استقلالاً وبالغيب بعض الغيوب لا جميعها فإنه لا يكفر بذلك؛ لأنه جائزٌ في كرامات الأولياء بل واقعٌ.

وقد دلَّ على جوازه العقل، وشهد بوقوعه النقل.

أمَّا العقل: فلأن ذلك ليس بمستحيلٍ في قدرة الله تعالى؛ بل هو من قبيل الممكنات

ولا قادح في معجزات الأنبياء، وقدَّمنا أنه لا فرق بين الكرامات والمعجزات إلا دعوة النبوة.

وأمَّا النقل: فهو خارجٌ عن الحصر؛ إذ لا يمكن تعداد ما نُقل عن الأولياء من الكشف في كل عصرٍ ومِصرٍ، ولو أمكن جمع ما وقع لهم من المكاشفات في جميع الأشياء في كل زمانٍ ومكانٍ لاحتيجَ في ذلك إلى كتبٍ يطول عدُّها، ويتعذَّر حصرها، فكيف يحصر المكتوب فيها؟ فليس يمكن جميع ذلك، ولا يقدر أحدٌ يحصيه إلا الله تعالى.

ويكفي من ذلك ما أخبر الله ﷻ عن الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام مع كون الخضر وليًا لا نبيًا عند جمهور العلماء، وعند جميع العارفين بالله تعالى، وكذلك ما قدَّمناه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيما كُشف له من حال الحمل في بطن امرأته، وما كشف لعمر رضي الله عنه من حال سارية ومن معه من المسلمين وحال العدو، وما أخبر عنه ﷺ من كونه من المحدَّثين.

وما ورد عن السلف والخلف مما رواه خلائق في كتب الحقائق والرقائق، وصحَّت به الروايات، وأخبر به الأولياء والعلماء والثقات، فمن ذلك:

ما رواهُ القشيري عن الشيخ أبي يعقوب السوسيِّ؟ قال: جاءني مريد مكة، فقال: يا أستاذنا، غدًا أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه، وكفنِّي بالنصف الآخر.

ثم لما كان الغد وقت الظهر جاء، وطاف، ثم تباعد، ومات فغسلتهُ، ووضعتهُ في اللحد، ففتح عينيه، فقلت أحياة بعد موتٍ، فقال: أنا حيٌّ وكل محبٍّ لله حيٌّ.

وقال أبو سعيد الخرَّاز: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيرًا عليه خرقتان يسأل شيئًا فقلت في نفسي: مثل هذا كَلٌّ على الناس، فنظر إليَّ وقال: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، قال: فاستغفرت الله تعالى في نفسي، فناداني وهو الذي يقبل التوبة عن عباده.

وقال خير النَّساج: كنت جالسًا في بيتي فوقع لي أن الجنيد بالباب فنفيت عن قلبي، فوقع ثانيًا وثالثًا، فخرجت فإذا أنا بالجنيد، فقال: لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأول؟.

وقال أبو العباس بن مسروق: دخلتُ على شيخٍ من أصحابنا أعوده فوجدته على حالة رثَّة، فقلت في نفسي: من أين يرتفق هذا؟ فقال: يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيَّة؛ فإن لله ألطافًا خفيَّةً.

وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي قال: هجم أهل الشرك ببلاد الأندلس على قريةٍ من قُراها فدخلوها في غِرةٍ، فشقَّ على أهلها، وأخذوا في طريقهم أسارى عديدةً فانزعج

أهل الأندلس لذلك، وبلغ الخبر أن الأسارى يُرمى لهم الحشيش مع الخيل وهم مكتوفون فيأكلون بأفواههم كما ترعى البهائم.

قال: فبت في بعض تلك الليالي عند الشيخ أبي إسحاق بن ظريف، فوضع الطعام بيننا ثم تنفس بعد أن قال: بسم الله، ثم قال: يا محمدُ، أما بلَغكَ ما طرأ على المسلمين. فقلت: نعم. فجعل يقصُّ الخبر، ويبكي حتى علا بكاؤه، ثم قال: والله لا أكلت طعامًا ولا شربت شرابًا حتى يفرِّج الله تعالى عن المسلمين، ثم اعتزل عن الطعام، ثم جلس ساعةً فسمعته يقول: الحمد لله، ثم دنا إلى الطعام، وقال: كُلْ. فأكلت معه وعجبت منه كيف تَركهُ ثم عاد إليه بعد قَسمِهِ في ساعة! ثم إن الخبر وصل إلينا بعد ذلك أن الوقت الذي تكلم فيه الشيخ صادف أن النصارى سمعوا رجفةً عظيمةً اعتقدوا أن معسكر المسلمين دهمهم، فركبوا خيولهم، ونجوا بأنفسهم، وتركوا الغنيمة والأُسَارى، فخلَّص الله المسلمين.

وقال الشيخ أبو زيد القرطبي: سمعت في بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين مرةً كانت فداؤه من النار، فعملت ذلك لبركة الوعد، وعلَّمت منها لأهلي، وعملت منها أعمالاً ادخرتها لنفسي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شابٌّ يقال أنه يُكاشف في بعض الأوقات بالجنَّة والنَّار، وكانت الجماعة ترى له فضلاً على صغر سنه، وكان في قلبي منه شيءٌ، فاتفق أنه استدعانا بعض الإخوان إلى منـــزلِهِ فنحن نتناول الطعام والشاب معنا؛ إذ صاح صيحةً منكرةً، واجتمع في نفسه وهو يقول: يا عمُّ، هذه أمي في النار وهو يصيح بصياحٍ عظيمٍ لا يشكُّ من سمعه أنه عن أمرٍ، فلمَّا رأيتُ ما به من الانزعاج قلت في نفسي: اليوم أجري صدقه، فقلت في نفسي: إن كان الأثر حقًّا.

والذين رووه لنا صادقون أن السبعين ألفاً فداء هذه الامرأة أمِّ هذا الشاب فما استتممت الخاطر في نفسي إلى أن قال: يا عمّ، ها هي أُخرجت الحمد لله الحمد لله. فحصلت لي فائدتين: إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب، وعلمي بصدقه.

وذكر الشيخ شهاب الدين في كتابه «العوارف»:

إن الشيخ عبد القادر الكيلاني بعث إلى شخصٍ، وقال لفلانٍ: عندك طعامٌ وذهبٌ، ائتني من الذهب بكذا، ومن الطعام بكذا. فقال الرجل: كيف أتصرف في وديعةٍ عندي ولو أستفتيك ما أفتيتني في التصرف. فألزمه الشيخ بذلك، فأحسن الظن بالشيخ، وجاء إليه بالذي طلب، فلمَّا وقع التصرف منه جاءه مكتوبٌ من صاحب الوديعة وهو غائبٌ في بعض نواحي العراق أن حُملَ إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا القدر الذي عيَّنه الشيخ عبد القادر، فعاتبه الشيخ بعد ذاك على توقُّفه، وقال: ظننت بالفقراء أن إشارتهم تكون على

غير صحة وعلم.

وروي سندًا من ثلاث عن جماعة من الشيوخ في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر: أنه أرسل إليه بعض الشيوخ جماعةً من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا إلى بغداد، وقولوا للشيخ عبد القادر: يُسلِّم عليك عبد الرحمن، ويقول لك: إن له أربعين سنةً في دركات باب القدرة فما رآك تمرُّ لا داخلاً ولا خارجًا.

فقال الشيخ عبد القادر في ذلك الوقت لجماعة من أصحابه: اذهبوا إلى الشيخ عبد الرحمن، وستجدون في طريقكم جماعةً من أصحابه بعثهم إليَّ بكذا وكذا، فإذا لقيتموهم فردُّوهم معكم، فإذا أتيتموه فقولوا: يسلِّم عليك عبد القادر، ويقول لك: أنت في الدركات، ومَنْ هو في الدركات لا يرى من في الحضرة، ومَنْ هو في الحضرة لا يرى من في المخدع، وأنا في المخدع أدخل من باب وأخرج من باب من حيث لا تراني بأمارة أن أخرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي وهي خلعة الرضا، وبأمارة خروج التشريف الفلاني لك على يدي وهو تشريف الفتح، وبأمارة أن خلع عليك في الدركاتِ بمحضر اثنا عشر ألف وليٍّ لله خلعة الولاية وهي فرجيَّة خضراء طرازها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك. فانتهوا إلى نصف الطريق، فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن فردوهم، وأتوا إليه، وبلَّغوا رسالة الشيخ عبد القادر، فقال: صَدَقَ الشيخ عبد القادر سلطان الوقت وصاحب التصريف فيه.

وفي كتاب «نشر المحاسن» عن الشيخ أبي الغيث اليمني:

أنه قال له الفقراء ذات يومٍ: نشتهي اللحم.

فقال لهم: اصبروا إلى اليوم الفلاني، وكان يوم سوقٍ تأتيه القوافل فلمَّا جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطَّاعَ الطريق أخذوا القافلة، ثم جاء بعض القطَّاع الحرامية بحَبٍّ، وجاء آخر منهم بثورٍ.

فقال الشيخ للفقراء: تصرَّفوا فيه وخلُّوا رأس الثور على حاله. فتصرَّفوا، وأحضروا العيش، فدعاهم الفقراء إلى الأكل، فامتنعوا.

فقال الشيخ للفقراء: كلوا، الفقهاء ما يأكلون الحرام.

فلمَّا فرغوا من الأكل جاء إنسانٌ إلى الشيخ، وقال: يا سيدي، نذرتُ للفقراء كذا وكذا من الحبِّ فأخذه الحرامية. وجاء آخر أيضًا، وقال: نذرتُ للفقراء ثورًا فنُهب. فقال لهم الشيخ: قد وصل إلى الفقراء متاعهم.

وقال لصاحب الثور: تعرف ثورك إذا رأيت رأسه، قال: نعم.

فأمر الفقراء بإحضاره، فلما رآه قال هذا رأس ثوري بعينه، فَبقي الفقهاء يضربون يدًا على يدٍ ندمًا على ترك مرافقة الفقراء.

ومن اطِلاع الله تعالى لهم على ما يشاء في الحوادث قبل وقوعها:

ما رُوي سندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر: قال بعض أصحابه:

كنت أشتغل على سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، وكنت أسهر أكثر الليل أترقّب حاجته، فخرج من داره ليلةً، فناولتهُ إبريقًا فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة، فانفتح له الباب، فخرج وخرجت خلفه، ومشى إلى أن قرُب من باب بغداد، فانفتح له الباب، فخرج وخرجت معه ثم عاد الباب مغلقًا، ومشى غير بعيدٍ، فإذا نحن في بلدٍ لا أعرفه، فدخل فيه مكانًا شبيهًا بالرباط، وإذا فيه ستة نفرٍ فبادروا إلى السّلام عليه، والتجأت إلى ساريةٍ هناك، وسمعت من جانب ذلك المكان أنينًا فلم نلبث إلا يسيرًا حتى سكت الأنين.

ودخل رجلٌ وذهب إلى الجهة التي سمعت منها الأنين، ثم خرج يحمل شخصًا على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل شعر الشارب، وَجَلَسَ بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشهادتين، وقصَّ شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقيةً، وسمَّاهُ محمدًا، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت.

فقالوا: سمعًا وطاعةً. ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجت خلفه، ومشينا غير بعيدٍ، وإذا نحن عند باب بغداد، فانفتح كأوّل مرةٍ، ثم أتى إلى المدرسة، فانفتح بابها أيضًا، ودخل داره، فلمّا كان الغد جلستُ بين يديه أقرأ على عادتي فلم أستطع من هيبته، فقال لي: أي بنيَّ اقرأ ولا عليك.

فأقسمت له أن يبيِّن لي ما رأيت، فقال: أما البلد «فنهاوند».

وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم كان مريضًا فلمّا حَضُرتْ وفاته جئت أحضرهُ، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصًا فأبو العباس الخضر ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فرجلٌ من أهل القسطنطينية كان نصرانيًا، وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى، فأتي به، فأسلم على يدي وهو الآن منهم، وأخذ عليَّ ألا أُحدِّث بذلك أحدًا وهو حيٌّ.

وقد أخبر خلائق منهم بموتهم وموت كثيرٍ من الناس في أزمنةٍ وأمكنةٍ معيَّناتٍ وبأشياء تقع بعد موتهم، فوقع جميع ذلك على وفق ما أخبروا.

فمن ذلك ما رُوي أن الشيخ أبا الغيث اليمني وَقَفتْ بين يديه مغنيةٌ، فغُشي عليها،

ووقعت، فلمَّا أفاقت طلبت التوبة وصحبة الفقراء، وكانت من المترفات وأهل الرعونات، فقال لها الشيخ: إنَّا نذبحك أتصبرين على الذبح؟ فقالت: نعم. فأمرها أن تسقي الماء للفقراء، فمكثت ستة أشهرٍ تحمل الماء على ظهرها قد تبذَّلت وتبدَّلت عن حالها الأول، ثم قالت للشيخ: إني قد اشتقتُ لربي. فقال الشيخ: يوم الخميس تلقين ربك. فماتت يوم الخميس.

وعن الشيخ إسماعيل الحضرمي أنه قال: أنا أموت في الضَحى (بفتح الضاد المعجمة والحاء المهملة)، موضعٌ في اليمن، فمات وتقدَّمت الحكاية عن الفقير الذي قال: أنا غدًا أموت وقت الظهر.

وقال بعضهم: صحبتُ خير النسَّاجِ، فقال لي قبل موته بثمانية أيامٍ: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأُدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى هذا.

قال: فنسيته إلى يوم الجمعة، فلقيني من أخبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما ذكر.

وعن الشيخ سهل بن عبد الله التستري قال: مات شاه بن شجاع الكرماني في وقت توقيت موته.

وغير ذلك مما هو خارجٌ عن الحصر.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]: أي المتفرِّسين، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**اتَّقوا فِراسة المؤْمنِ؛ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله**[١]».

وعن القشيري: أن الجنيد وقف عليه غلامٌ نصرانيٌّ متنكرًا وهو يتكلم على الناس في الجامع، فقال: أيها الشيخ، ما معنى قول النبي ﷺ: «**اتَّقوا فراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنور الله**»؟ فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه، ثم قال: أسلم؛ فقد حانَ وقت إسلامك. فأسلم الغلام[٢].

وسُئل بعضهم عن الفراسة؟ فقال: أرواحٌ تتقلب في الملكوت، فتشرف على معاني

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٩٨)، والطبراني في الكبير (٨/١٠٢)، وفي الأوسط (٨/٢٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٢/١١٤)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص١٢٨)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٧٣)، والوافي بالوفيات للصفدي (ص١٥٥٦)، وروض الرياحين لليافعي (ص١١٣)، وروضة الحبور لابن الأطعاني (ص١١٠)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٧٩)، وتاريخ بغداد (٧/٢٤٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/٢٢٨).

الغيوب، فتنطق عن أسرار الخَلق نطق مشاهدةٍ وعِيانٍ لا نطق ظنٍّ وحسبان.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي: العالِم مَنْ نطق عن سرِّك، واطَّلع على عواقب أمرك.

وقال أيضًا: الولي يرى الأشياء من وراء حجاب الشرع.

وجميع هذه الأقوال مما رويناهم عنهم مشهورةٌ مرويَّةٌ عند أهل العلم في تصانيف مشهورةٍ كالرسالة وغيرها، وليس القصد حصر ما قاله الشيوخ في ذلك ولا ما وقع له منه، فإنَّ ذلك مما لا سبيل إلى نزف بحره التيَّار العميق الزخار، وإنما القصد التنبيه على ذلك مع أنه لا حاجة أيضًا إلى التنبيه عليه؛ فقد قام البرهان القطعي على جواز كرامات الأولياء من حيث الجملة، وهذا من جملتها، وقد تقدَّم الدليل على جواز بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها.

***

النوع السادس: طي الأرض لهم من غير حركةٍ منهم:

من ذلك ما رُوي أن بعضهم كان في جامع «طرسوس» فاشتاق إلى زيارة الحرم، فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجه وهو في الحرم.

وكذلك اجتمع جماعةٌ في بعض البلدان البعيدة في يوم عرفة، فاغتسلوا، وصلُّوا، وأحرموا، ثم سجدوا، ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى، ثم رفعوا رؤوسهم وإذا هم ينظرون الجمال سائرةً من مِنًى إلى عرفات.

وعن الشيخ سهل بن عبد الله التستري قال:

توضأتُ في يوم الجمعة، فمضيتُ إلى الجامع في أيام البداية، فوجدته قد امتلأ بالناس وهمَّ الخطيب أن يرقى المنبر، فأسأت الأدب، ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول، فجلستُ وإذا عن يميني شابٌّ حسن المظهر طيب الرائحة عليه أطمار الصوف، فلمَّا نظر إليَّ قال: كيف تجدك يا سهل؟ فقلت: بخيرٍ أصلحك الله، وبقيتُ متفكرًا في معرفته، وأنا لم أعرفه، فبينما أنا كذلك إذ أخذني حذقان بول فأكربني، فبقيت على وجلٍ خوفًا أن أتخطى رقاب الناس، وإن جلست لم يكن لي صلاةٌ، فالتفتَ إليَّ وقال: يا سهل أخذك حذقان بولٍ. فقلت: أجل. فنـــزعَ إحرامه من منكبه، فغشاني به، ثم قال: اقضِ حاجتك وأسرع تلحق الصلاة.

قال: فأغمي عليَّ، وفتحت عيني فإذا بباب مفتوحٍ، فسمعت قائلاً يقول:

لج الباب يرحمك الله. فولجت، وإذا أنا بقصرٍ مشيَّدٍ عالي البنيان، وإذا بنخلة قائمة، وإذا بجنبها مَطهرةٌ مملوءةٌ ماءٍ أحلى مِن الشهد، ومنــــزلٌ لإراقة الماء، ومنشفةٌ معلقةٌ وسواكٌ، فحللتُ لباسي، وأرقت الماء ثم اغتسلت، وتنشفت بالمنشفة، فسمعته يناديني، ويقول: إن كنت قضيت إربك فقل: نعم. فقلت:نعم. فنــــزعَ الإحرام عني، وإذا أنا جالسٌ بمكاني، ولم يشعر بي أحدٌ، فبقيت متفكرًا في نفسي وأنا أكذِّب نفسي فيما جرى، فقامت الصلاة فصلَّى الناس وصليت معهم ولم يكن لي شغلٌ إلا الفتى لا أعرفه.

فلمَّا فرغ تبعت أثره فإذا به قد دخل إلى دربٍ، فالتفتَ إليَّ، وقال: يا سَهل، كأنَّك ما أيقنت بما رأيت.

قلت: بلى. قال: لج الباب يرحمك الله. فنظرت الباب بعينه، فولجت القصر، فنظرت النخلة، والمطهرة، والحال بعينِه، والمنشفة مبلولة، فقلت: آمنت بالله.

فقال: يا سهل، مَنْ أطاع الله أطاعه كل شيءٍ، يا سهل، اطلبه بحمده. فتغرغرت عيناي بالدموع، فمسحتهما وفتحتهما فلم أرَ الفتى ولا القصر، فبقيت متحسرًا على ما فاتني منه، ثم أخذت في العبادة.

وهذه الحكاية عجيبةٌ لا يكاد يؤمن بها كثيرٌ من الناس، ولها احتمالاتٌ:

منها: أنه يحتمل أنه نُقل من مكانه لما أغمي عليه إلى حيثما شاء الله تعالى من غير شعورٍ منه، ثم أعيد كذلك إلى مكانه لطفًا من الله تعالى وكرامةً لأوليائه، والله على كل شيءٍ قديرٌ.

وعن الشيخ مفرِّج الدماميلي: أنه رآه بعض أصحابه بِعَرَفة، ورآه آخر من أصحابه في مكانه لم يفارقه في جميع ذلك اليوم، فذكر كل واحدٍ منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا، وحلف كل واحدٍ منهما بالطلاق من زوجته أنه كما ذكر، فاختصما إلى الشيخ، وذكر كل واحدٍ منهما يمينه، فأقرَّهما الشيخ على حالهما، وأبقى كل واحدٍ منهما على الزوجية.

قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور: فسألت الشيخ مفرِّجًا عن حكمه في هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر، وكان معنا في وقت سؤالي جماعةٌ فيهم رجالٌ معتبرون لهم معرفةٌ بالعلم.

فقال لنا الشيخ: قولوا: يعني تكلموا في هذه المسألة، وكان ذلك إذنًا منه بأن نتحدث في سر هذا الحكم، فتحدث كل منهم بوجه غير كافٍ، وكانت المسألة قد اتضحت لي، فأشار إليَّ الشيخ بإيضاحها، فقلت: الوليُّ إذا تحققَ في ولايته وَمُكِّن من التصور في روحانيته يُعطى من القدرة في التصور في صورٍ عديدةٍ في وقتٍ واحدٍ في جهاتٍ متعددةٍ

على حكم إرادته، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعَرَفة حقٌّ، والصورة التي رآها الآخر في مكانه في ذلك الوقت حقٌّ، وكل واحدٍ منهما صادقٌ في يمينه. فقال الشيخ مُفرِّج: هذا هو الصحيح، فإن قيل كيف يتصور تعداد الصور من شخصٍ واحدٍ؟ قلت: إن ذلك قد وقع، وشُوهِدَ ولا يمكن جحوده، وإن تحيَّر فيه العقل.

ومن ذلك: ما اشتهر عن كثيرٍ من الفقهاء وغيرهم: أن الكعبة المعظَّمة شوهدت تطوف بجماعةٍ من الأولياء في أوقاتٍ في أمكنةٍ غير مكانها، ومعلومٌ أنها في مكانها لم تفارقه في تلك الأوقات، فعُلم من هذا أن وراء طَور العقل طورًا آخر.

ومن ذلك: الشيخ قضيب البان حين شُوهد وقد صلَّى أربع ركعاتٍ في أربع صورٍ، فلمَّا أسلم الإمام ضحك في وجه الفقيه الذي بجنبه، وقال له: أي الأربعة الذي صلَّى معكم هذه الصلاة.

وقيل: إنما سُمِّي الأبدال أبدالاً؛ لأنهم إذا غابوا يبدل في مكانهم صورٌ روحانيةٌ تخلفهم، وهذا أحد القولين في سبب تسميتهم أبدالاً.

ونؤيد ما ذكرناه عن الشيخ سهل عن الولي الذي ستره بإحرامه وعن الشيخ مفرِّج وعن الشيخ قضيب البان ما روي بالإسناد الصحيح المتعدد برواية جماعةٍ من الشيوخ:

أن الشيخ عبد القادر الكيلاني حضر في مجلسه أبو المعالي محمد بن أحمد البغدادي التاجر، فأخذته حقنةٌ شديدةٌ منعته من الحركة، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ عبد القادر نظر المستغيث، فنـــزل الشيخ مرقاة من الكرسي الذي يتكلم عليه، فظهر على تلك المرقاة رأسٌ كرأس الآدمي، ثم نزل أخرى، فظهر كتفان وصدرٌ، وما زال ينـــزل مرقاةً مرقاةً حتى تكمَّلت على الكرسي صورةٌ كصورته تتكلم على الناس بصوتٍ مثل صوته، وكلامٍ مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء الله من الحاضرين، وجاء يشقُّ الناس حتى وقف عليه، وغطَّى رأسه بكمِّه.

وفي رواية: بمنديله، فإذا هو في صحراء متسعةٍ فيها نهرٌ عنده شجرةٌ، فعلَّق فيها مفاتيح كانت في كمِّه، وأزال حقنته، وتوضأ من ذلك النهر، وصلَّى ركعتين، فلمَّا سلَّم منها رفع الشيخ الغطاء عنه، فإذا هو في المجلس وأعضاؤه مبتلةٌ بالماء ولا حقنة به، والشيخ على الكرسي يتكلم كأنه لم ينـــزل منه، وتفقَّد مفاتيحه فلم يجدها معه، ثم بعد مدة جهَّز قافلةً إلى بلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يومًا، فنـــزلوا منـــزلاً في بريةٍ فيها صحراء، فذهب فيها ليزيل حقنةً به، فقال: ما أشبه هذه الصحراء بتلك الصحراء.

وذكر شأنه في ذلك اليوم فإذا هو بذلك النهر وتلك الشجرة ومفاتيحه معلقةٌ عليها،

فلمّا رجعوا أتى إلى الشيخ ليخبره بذلك فأمسك بأذنه قبل أن يخبره، وقال له: يا أبا المعالي، لا تذكرهُ لأحدٍ وأنا حيٌّ. فلازم خدمته إلى أن مات.

ورُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر عن الشيخ محمد بن الأزهر قال: مكثت مدةً أسأل الله تعالى يُريني أحدًا من رجال الغيب، فرأيتُ ليلةً في المنام أني أزور قبر الإمام أحمد بن حنبل وعند قبره رجلٍ، فوقع في نفسي أنه من رجال الغيب، فاستيقظت فرجوت أن أراه في اليقظة، فأتيت قبر الإمام أحمد في وقتي، فوجدت الرجل الذي رأيته في المنام بعينه، فخرج قدّامي، وتعجّلت في الزيارة، وتبعته إلى أن وصل إلى دجلة، فالتقى له طرفاها حتى صارت قدر خطوة الرجل، فعبرها إلى الجانب الآخر، فأقسمت عليه أن يقف ليكلّمني، فوقف، فقلت: ما مذهبك؟ فقال: حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين.

فوقع عندي أنه حَنفيُّ المذهب، وانصرفت، فقلت في نفسي: آتي الشيخ عبد القادر، وأذكر له ما رأيت، فأتيت مدرسته، وقمت على بابه، فناداني من داخل داره، وقال: يا محمد، ما في الأرض من المشرق إلى المغرب في هذا الوقت وليٌّ لله سبحانه وتعالى حنفيٌّ سواه.

وحكاياتهم في هذا كثيرةٌ، وفيما ذكرناه كفايةٌ.

***

النوع السابع: انفجار الماء لهم:

من ذلك ما روى القشيري في رسالته بإسناده فيها: أن أبا تراب النخشبي قال له بعض أصحابه في طريق مكة: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض فإذا عين ماءٍ زلالٍ، فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدحٍ، فضرب بيده الأرض فناوله قدحًا من زجاجٍ أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب، وسقانا وما زال القدح معنا إلى مكة.

وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي: أنه جاء إلى بئرٍ من آبار مِنًى بركوتةٍ يطلب ماءً وهو عطشان، فضربه بعض من كان على البئر، ورمى بركوته بعيدًا.

قال: فمضيت إليها لآخذها وأنا منكسر القلب، فوجدتها في بركة ماءٍ حلوٍ، فاستقيتُ، وشربتُ، وجئتُ بها إلى أصحابي فشربوا، وأعلمتهم بالقصة فمضوا إلى المكان؛ ليستقوا منه، فلم يجدوا ماءً ولا أثرًا لماءٍ، قلت: إنها آيةٌ.

وحُكي عن بعض الأخيار: أنه عطش في طريق الحج، فدار في الركب من أولهِ إلى

آخرهِ في طلب الماء، فلم يحصل له شيءٌ، وإذا بفقيرٍ قد ركَزَ عكازه في ساقية بركةٍ، والماء ينبع من تحت العكاز، ويجري إلى البركة، فملأ قِربَتَهُ، وأعلم الحجاج، فاستقوا منها، وتركوها وهي تطفح، وحكاياتهم من هذا النوع لا يمكن حصرها، وقصدنا التنبيه عليها والإشارة إليها.

***

النوع الثامن: كلام الجمادات والحيوانات لهم: من ذلك الحكاية المشهورة في مخاطبة شجرة الرمان لإبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، وقولها: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكل منَّا شيئًا، قالت ذلك ثلاث مرات، وكانت شجرةً قصيرةً، ورمانها حامضٌ، وتحمل في السنة مرةً، فلما أكل منها صارتْ طويلةً، ورمانها حلوًا، وتحملُ في السَّنة مرتين، فسمُّوها رمانة العابدين، ويأوي إلى ظلِّها العابدون.

قال الشبلي: اعتقدتُ وقتًا ألا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تينٍ، فمددت يدي إليها لآكل منها، فنادتني الشجرة: احفظ عليك عقدك ولا تأكل منِّي؛ فإني ليهوديٍّ.

وقال الشيخ أبو عبد الله القريشي: بينما أنا أسير على بعض السواحل إذ خاطبتني حشيشةٌ: أنا شفاء هذا المرض الذي بك، فلم أتناول منها ولم أستعملها.

وعن بعضهم: أنه قال: كلَّمني جملٌ في طريق مكة لما رأيت الجمال والمحامل عليها وقد مدت أعناقها في الليل، فقلت: سبحان من تحمَّل عنها ما هي فيه، فالتفتَ إليَّ جملٌ، وقال لي: قل: جلَّ الله، فقلت: جلَّ الله.

وعن بعضهم: أنه كان يضرب رأس حمارٍ كان تحته، فرفع الحمار رأسه، وقال: اضرب أو لا تضرب؛ فإنما تضرب على رأسك.

ولا يستنكر هذا؛ فقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح بكلام البقرة التي كلَّمت صاحبها، وقالت: «**إنَّما خُلقتُ للحرثِ**...... الحديث[1]».

وقوله ﷺ فيما أُخرج: «**آمنت بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمر**[2]»، فشهد لهما بالإيمان بذلك وهما غائبان حينئذٍ لما قال الناس: سبحان الله بقرةٌ تتكلم، وناهيك بهذا شرفًا لهما.

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٣٩)، ومسلم (٤/١٨٥٧)، والترمذي (٥/٦١٥)، وأحمد في الفضائل (١/ ١٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣/١٢٨٠)، وأحمد (٢/٢٤٥)، وابن حبان في الصحيح (١٥/٣٢٩).

وكذلك ما رُوي عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال: قيَّض الله لي طيرًا في بعض الأسفار يبيت يسامرني، فكنت أسمعه الليل كله ينطق: يا قدوس يا قدوس، فإذا أصبح صفَق بجناحيه، وقال: سبحان الرزَّاق، وطار.

وكذلك ما رُوي أن بعضهم كان يأتيه طيرٌ بمكة، ويحادثه، فلمَّا كان ذات يوم أتاه وقال له: موعدي وموعدك الشام. فاجتمع به بعد ذلك في الشام، وكذلك الحكاية المشهودة المشهورة في الطير الذي يبشِّر أبا مسلم بسلامة السريَّة، وقدومها في وقت عيَّنه له في بعض الغزوات، فقال له: مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال له الطير: أنا مُذهِب الأحزان عن قلوب المؤمنين. فقدمت السرية كما ذكر. وغير ذلك مما يخرج عن الحصر مما قد عُلم واشتهر.

النوع التاسع: إبراء العِلل ببركتهم: من ذلك ما رُوي أنه ظهر بيعقوب بن الليث علةٌ أعيت الأطباء، فقيل له: في ولايتك رجلٌ صالحٌ يُقال له: سهل بن عبد الله، فلو استحضرته لعلَّه يدعو لك. فأحضره، وسأله الدعاء، فقال: كيف يُستجاب دُعائي لك وفي سجنك محبوسون؟ فأطلق كل مَنْ كان في السجن، فقال سهل: اللَّهُمَّ كما أريته ذُلَّ المعصية فأره عزَّ الطاعة، وفرِّج عنه. فعوفي، فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبل، فقيل له: لو قبلته وفرَّقته على المساكين؟ فنظر إلى الحصى في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال: مَنْ أُعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟!

وعن السرِّي السَّقطي قال: كنت أطلب رجلاً صدِّيقًا مدةً من الأوقات، فمررتُ في بعض الجبال فإذا أنا بجماعةٍ زمنَى، وعميانًا، ومرضى، فسألت عن حالهم، فقالوا: ها هنا رجلٌ يخرج في السَّنة مرةً فيدعو لهم، فيجدون الشفاء، فقفوت أثره، وتعلقت به، وقلت: بي علةٌ باطنيةٌ فما دواؤها؟ فقال: يا سريُّ، خلِّ عني؛ فإنه غيورٌ لا يراك تُساكن غيره، فتسقط من عينه.

وكذلك الحكاية المشهورة عن البنت الزمنة التي قالت: يا ربِّ أسألك بحرمة ضيفنا أن تعافيني. فقامت تمشي في الليل، فلمَّا رأى ذلك أهلها طلبوا الضيف وكان صبيًّا حمَّالاً في السوق، بات عندهم فلم يجدوه والأبواب على حالها مغلقةٌ.

ورُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه فضل الله بن إسماعيل البغدادي التاجر فقال له: يا سيدي قال جدك ﷺ: من دُعي فليجب، وقد دعوتك إلى منـــزلي، فقال: إن أذن لي جئت، ثم أطرق مليًّا، ثم قال: نعم، فركب بغلته، وكان عنده شيخان من الشيوخ الكبار فأخذ أحدهما بركابه الأيمن والآخر بركابه الأيسر

حتى أتوا إلى داره فإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها ومدُّ سماطٍ فيه من كل حلوٍ وحامضٍ، وأُتي بسلةٍ كبيرةٍ مختومة يحملها اثنان، ووضعت في آخر السماط، وقال فضل الله: بسم الله، والشيخ مطرقٌ فما أكل أحدٌ ولا أَذِنَ في الأكل لأحدٍ وأهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، فأشار إلى الشيخين اللَّذين جاءا معه: أن قدِّما لي تلك السلة. فقاما وحملاها حتى وضعاها بين يديه، وأمرهما ففتحاها فإذا فيها ولدٌ للذي دعاهم أكمهُ مُقْعَدٌ مجذومٌ ومفلوجٌ.

فقال له الشيخ: قُمْ بإذن الله تعالى معافًى. فإذا الصبي يعدو وهو بصيرٌ ولا عاهة به، فضجَّ الحاضرون وخرج الشيخ في غلبات الناس ولم يأكل شيئًا.

قال الراوي: وهو أحد الشيخين المذكورين، فأتاه بعد ذلك جمعٌ من الرافدة بقفَّتين مخيطتين، وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين، فنـــزل من الكرسي الذي يتكلم عليه ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبيٌّ مقعدٌ وأمر بفتحها فإذا فيها صبيٌّ، فأمسك بيده، وقال له: قم بإذن الله تعالى.

فقام يعدو، ووضع يده على الأخرى، وقال: في هذه صبيٌّ لا عاهة به، وأمر بفتحها، وإذا فيها صبيٌّ فقام يمشي، فأمسك بناصيته، وقال له: اقعد. فأُقعد، فتابوا عن الرفض على يديه، ومات في المجلس يومئذ من الحاضرين ثلاثةٌ.

ورُوي أنه مات في مجلسه في بعض الأيام سبعةٌ.

ورُوي أن الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل اليمني جاءه بعض الناس وفي يده سلعةٌ، فقال له: ادعُ الله لي أن تزول عني هذه السلعة وإلا ما بقيت أحسن ظنِّي بأحدٍ من الصالحين. فقال له: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومسح على يده وربط عليها بخرقةٍ، وقال: لا تفتحها حتى تصل إلى منـــزلك. فخرج من عنده، فلمَّا كان في بعض الطريق أراد أن يتغذَّى ففتح يده ليأكل فلم ير لها أثرًا.

ولعل الشيخ أراد أن يستر هذه الكرامة بستر اليد بالخرقة؛ لئلا تظهر في الحال، وربما كان عنده في ذلك الوقت ناسٌ فرأى ظهورها بعد تراخي الوقت أهون وأقل شهرةً.

والكلام في هذا النوع واسعٌ جلُّه ولسنا إلى تتبُّعه نتعدى.

***

النوع العاشر: طاعة الأشياء لهم: من المشهور أن كثيرًا منهم كانت السباع تحرمهم، وقد ركب كثيرٌ منهم على ظهورها، وبعضهم حمل عليها زاده، وبعضهم حطبًا،

منهم الشيخ أبو الغيث اليمني حمل حطبًا على ظهر أسدٍ افترس حماره، فقال له: وعزة المعبود ما أحمل حطبي إلا على ظهرك، فخضع له، فحملَ الحطب على ظهره، وساقه إلى باب البلد ثم حطَّ عنه، وخلاه.

وعن المرأة الصالحة شعوانة: أنها رُزقت ولدًا فربّته أحسن تربيةٍ، فلما كبر ونشأ قال لها: سألتك بالله يا أماه إلا ما وهبتيني لله تعالى.

فقالت له: يا بني، إنه لا يصلح أن يهدي للملوك إلا أهل الأدب والتُقى، وأنت يا ولدي غرٌّ ما تعرف ما يُراد بك ولم يأن لك ذلك. فأمسك عنها ولم يقل لها شيئًا، فلما كان ذات يومٍ خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابةٌ، فنــزل عنها ليجمع حطبًا، فلما جمع ورجع وجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع.

وقال له: يا كلب الله وحقُّ سيدي لأحملنَّك الحطب كما تعديت على دابتي، فحمل على ظهره الحطب وهو طائعٌ لأمره حتى وصل إلى دار أمه، فقرع عليها الباب، ففتحت له، وقالت له لما رأت ذلك: يا بني أما الآن فقد صلحتَ لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله تعالى. فودَّعها، وذهب.

ورُوي أن الشيخ الكبير شاه بن شجاع الكرماني خرج للصيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتى وقع في بريةٍ مقفرةٍ وحده فإذا هو بشابٍّ راكبٍ على سبعٍ وحوله سباعٌ، فلما رأته ابتدرت نحوه، فزجرها الشاب عنه، وخرجت عجوزٌ بيدها شربة ماءٍ فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه، فشرب وقال: ما شربت شيئًا ألذَّ منه ولا أعذب، ثم غابت العجوز، فقال الشاب: هذه الدنيا وكُلها الله تعالى إلى خدمتي، فما احتجت إلى شيءٍ إلا أحضرته إليَّ حين يخطر ببالي، أما بَلَغَكَ أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خدمك فاستخدميه، ووعظه وعظًا حسنًا فكان ذلك سبب توبته وخروجه من الملك ودخوله في طريق القوم حتى كان من أمره ما كان.

ورُوي أن جماعةً من أهل العلم قصدوا زيارة بعض الشيوخ فلما أتوه وجدوه يلحن في قرآنه في الصلاة فتغيَّر اعتقادهم فيه، فلما ناموا تلك الليلة أجنبوا كلهم فخرجوا ليغتسلوا في بركة ماءٍ، فوضعوا ثيابهم ودخلوا في الماء، فجاء الأسد وجلس على ثيابهم، فلم يقدروا يخرجون، فلاقوا شدةً من شدة البرد، فجاء الشيخ وزجر الأسد، وقال له: لا تتعرض لضيفاتنا، فبصبص وذهب. ثم قال لهم الشيخ: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر، فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد.

ومن المشهور أن السباع كانت تأتي إلى سهل بن عبد الله، فكان يُدخلها بيتًا

ويضيفها ويطعمها اللحم، ثم يخليها، فكان الناس يسمون ذلك البيت بيت السباع.

قال الشيخ أبو ناصر السراج: ورأيت أهل تَستر كلهم متفقون على هذا لا ينكرونه.

وكذلك الحكاية المشهورة عن الشيخ إبراهيم الخواص مع الأسد الذي جاء يعرج فوضع يده في حجره فرآها وارمةً، فنزعها بعود، وأخرج منها قيحًا، فذهب الأسد وجاءه بعد ساعةٍ ومعه شبلان فبصبصا له وحملا إليه رغيفين، وذلك في البرية، وهذه الكرامة اشتملت على كراماتٍ كثيرةٍ: منها قصد الأسد إليه، واستئناسه به، ومدُّه يده إليه، ووضعها في حجره، والتماسه منه لقشها، وإخراج القيح منها، وعوده إليه، وإتيانه بوالديه كالمتودِّد إليه والشاكر له على جميله، وحمله إليه الرغيفين كالمُجازي له، وإحضار الخبز في موضعٍ لا يوجد فيه مع كون محضره ليس من أهل الخبز، وكذلك المِخدة التي شوهدت تروِّح على الشيخ إبراهيم بن أدهم بالنرجس وهو نائمٌ في البستان، والظبية التي كانت تأتي بعضهم فيشرب لبنها في بعض البراري، والطيور التي كانت تؤانسهم في الجبال والقِفار، وتحمل إليهم أنواع الثمار، وغير ذلك مما امتلأت باليسير منه كتب الحقيقة، وإنما نبَّهت على قطرةٍ من بحارٍ عميقة، وعلى الجملة فالدنيا كلها تتصور لهم في صورة عجوزةٍ تخدمهم، وأعظم من ذلك طواف الكعبة المعظَّمة بكثيرٍ منهم، وكل ذلك مشهورٌ مذكورٌ بالأسانيد الصحيحة.

قال اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»: ومن جملة ما اشتهر في بلاد اليمن وربما تواتر عن الشيخ الفقيه إسماعيل الحضرمي: أنه قال يومًا لخادمه وهو في سفرٍ يقول للشمس تقف له حتى يصل إلى منـــزله، وكان في مكانٍ بعيدٍ، وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: قال لكِ الفقيه إسماعيل قفي له، فوقفت له حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: ما تطلق ذلك المحبوس. فأمرها الخادم بالغروب، فغربت، وأظلم الليل في الحال.

قال: والمرجوع في هذا كله إلى أصلٍ يجب الإيمان به، وهو أن الله على كل شيءٍ قديرٌ، وليس الخارق للعوائد بمستحيلٍ في العقل كما تقدَّم، ولا ملتبس بالمعجزات والسحر للفرق بين ذلك.

ومن طاعة الجان له ما رُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه بعض أهل بغداد، وذكر له أن ابنة له اختطفت من سطح داره وهي بكرٌ عمرها ستة عشرة سنةً، فقال له الشيخ: اذهب هذه الليلة إلى خراب الكوخ واجلس عند التل الخامس وخطَّ عليك دائرةً في الأرض، وقل وأنت تخطُّها:

بسم الله على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف من الجن على

صورٍ شتى فلا يروعنَّك منظرهم، فإذا كان السحر مرَّ بك ملكهم في جحفلٍ منهم، فيسألك عن حاجتك، فقل له: قد بعثني عبد القادر إليك، واذكر له شأن ابنتك.

قال: فذهبت، وفعلت ما أمرني به فمرَّ بي منهم صورٌ مزعجة المنظر، ولا يقدر أحدٌ منهم أن يدنو من الدائرة التي أنا فيها وما زالوا يمرون زُمَرًا زُمَرًا إلى أن جاء ملكهم راكبًا فرسًا وبيَّن يديه، فوقف بإزاء الدائرة.

وقال: يا أنس، ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنـــزل عن فرسه، وقبَّل الأرض، وجلس خارج الدائرة، وجلس من معه وقال: ما شأنك؟ فذكرت قصة ابنتي، فقال لمن معه: من فعل هذا؟ فلم يعلموا من فعله، فأُتي بماردٍ وهي معه، وقيل له: هذا من مردة الصين. فقال له: ما حملك على أن اختطفت مَنْ تحت ركاب القطب.

قال: إنها وقعت في نفسي. فأمر به، فضرب عنقه، وأعطاني ابنتي، فقلت له: ما رأينا كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر. قال: نعم، إنه لينظر من داره إلى الزمرة منّا وهم بأقصى الأرض فيفرون مِنْ هيبته إلى مساكنهم، وإن الله تعالى إذا أقام قطبًا مكنَّه من الجن والإنس.

قال الإمام اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»: لا شكَّ أن الكرامات قد ظهرت في زمن الصحابة وكثرت، ولكن ظهورها فيما بعد أكثر، ثم إن كثيرًا من المنكرين لكرامات الأولياء والصالحين لو رأوهم يطيرون في الهواء لقالوا: هذا سحرٌ، وقالوا: هؤلاء شياطين، ولا شكَّ أن من حرم التوفيق فكذَّب بالحقِّ غيبًا وحدسًا كذَّب به عِيانًا وحِسًّا، كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين مخاطبًا لنبيه سيد المرسلين: **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** [الأنعام:٧] الآية.

فإن قيل: إن هذه الكرامات تشبه السحر؛ فإن سماع الإنسان الهواتف في الهواء وسماع النداء من بطنه وطي الأرض له وقلب الأعيان ونحو ذلك غير معهودٍ في الحس أنه صحيحٌ، إنما يظهر ذلك من أهل السيمياء والنارنجيَّات.

فالجواب: ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بين الكرامة والسحر أن السحر يظهر على يد الفسَّاق والزنادقة والكفَّار الذين هم على غير شريعةٍ ومتابعة، وأما الأولياء فإنما وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم السُّنَّة حتى بلغوا فيها الدِّرجة العليا فافترقا، وليس العجب ممن ينكر الكرامات من المعتزلة؛ فليس ذلك بمستنكرٍ ولا مستكثرٍ منهم؛ فقد خالفوا أهل السنة والجماعة بما هو أنكر وأكثر، وإنما العجب من قومٍ ينكرونها ينتمون إلى أهل السنة، وهم أقسامٌ: فقسمٌ منهم ينكرون على

مشايخ الصوفية ومن ينتمي إليهم، ويسيئون الظن بهم، ويطعنون فيهم، وينكرون كراماتهم، والعجب كل العجب منهم في إنكارهم على سادات ما بين أوتادٍ وأبدالٍ وصدِّيقين عارفين بالله محققين، قد مَلأوا الوجود كراماتٍ وأنوارٍ ومعارفٍ وحكمًا وأسرارًا يعدون إقبال الناس عليهم ليلاً وإدبارهم عنهم نهارًا قدْ صفُوا بواطنهم من شوائب الكدر واستوى عندهم الذهب والمدرة والمدح والذم والشدائد والنعم، بل يعدون نعمة الدنيا منعًا وبلاءً، والشدة عطاءً ورخاءً، أعرضوا في بدايتهم عمَّا سوى الله فخصُّوا في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله، فما ظنُّهم بقومٍ ضبطوا أنفاسهم مع الله، فشغلهم طول دهرهم بمراقبته.

يقول الصغير منهم: وقفت على باب قلبي عشرين سنةً ما جاز به شيءٌ لغير الله إلا رددته، أما علموا أن أعلام العلماء الصالحين الحلماء لم يزالوا قديمًا وحديثًا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبرَّكون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم ويحترمونهم.

وقد رُوي أن الإمام تقي الدين بن دقيق العيد المشهور كان يزور بعض الفقراء ويطلب منه الدعاء، ويخضع ويتذلل بين يديه حتى أنه قال في وقتٍ: لهو عندي خيرٌ من مائة فقيه، أو قال: ألف فقيه.

وكذلك الإمام النووي كان يجتمع وينتفع بالشيخ ياسين المزين ويستمع كلامه، ويقبل إشارته حتى أنه أمره بالسفر وردَّ ما كان عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليلٍ فامتثل أمره، وقبل إشارته، وسافر راجعًا إلى بلدته، فمرض، وتوفِّي بين أهله وإخوته.

وكذلك الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام كان يعتقد المشايخ ويقول بفضلهم حتى أنه سُئل عن الخضر عليه السلام أحيٌّ هو؟ فقال: ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد أنه رآه بعينه أكنتم تصدقونه؟ قالوا: أي والله نصدقه. قال: فوالله لقد أخبر عنه سبعون صدِّيقًا أنهم رأوه كل واحدٍ منهم خيرٌ من ابن دقيق العيد.

قال اليافعي: وقوله هذا يرد قول ابن الجوزي في زعمه أن الخضر ليس بحيٍّ.

قلت: وأظنه قد رجع عن هذا القول؛ فإنه قد روى بإسناده المتصل أربع روايات:

الأولى: أن الخضر عليه السلام حيٌّ، أخذ إياها عن الإمام عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رآه متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يدعو بهذا الدعاء: (اللَّهُمَّ يا مَنْ لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ...) الدعاء المشهور، وخاطبه الإمام وعرفه.

والثانية: عن الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال الراوي: لا أعلمه إلا مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام في كل عامٍ في الموسم،**

فَيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقا عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله(١)».

والثالثة: عن الإمام عليٍّ ﷺ أيضًا: أنه يجتمع يوم عرفة بعرفات جبرائيل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، وذكر أنهم يتجاوبون بنحو هذا الذكر المذكور.

والرابعة: أن عيسى وإدريس في السماء وإلياس والخضر في الأرض.

روى هذه الروايات الأربع بإسناده المتصل.

قال ابن عباس ﷺ في الكلمات التي يقولهن الخضر وإلياس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمَّنه الله تعالى من الغرق والحرق والسرق.

قال الراوي: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحيَّة والعقرب(٢).

والقسم الثاني من أقسام المنكرين: قومٌ يكذِّبون بكرامات أولياء أزمانهم، ويصدِّقون بكرامات الذين ليسوا في زمانهم.

فهؤلاء كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: والله ما هي إلا إسرائيليةٌ صدَّقوا بموسى وكذَّبوا بمحمدٍ ﷺ؛ لأنهم أدركوا زمنه.

القسم الثالث: قومٌ يُصدِّقون بأن لله تعالى أولياء لهم كراماتٌ، ولكن لا يصدِّقون بواحدٍ معينٍ من أهل زمانهم، فهؤلاء محرومون أيضًا؛ لأن من لم يسلِّم لواحدٍ معينٍ لم ينتفع بأحدٍ، ومن أنكر على الصالحين حُرِم بركتهم.

قال الشيوخ: وذلك أقل عقوبته، ويُخشى عليه سوء الخاتمة العياذ بالله تعالى انتهى.

قال الشيخ عبد الغني الشامي: وربما طعن بعض المنكرين في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية، وهذا لا يكون أبدًا بل من غَلَبَ خيره على شره فهو الكامل، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشر وكونه نصفًا أو ربعًا، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكم في زمانٍ مَنْ ترك منكم عُشرَ ما أُمر به**

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥/٥٠٤)، وابن عدي في الكامل (٢/٣٢٨).

(٢) انظر الأخبار التي وردت في أن الخضر عليه السلام كان في زمن النبي ﷺ ثم بعده إلى الآن، الزهر النضر في حال الخضر، (ص١٣١، ٢٠٨) ولا عبرة بقول المخالف لما عليه أهل الحقائق من المتصوفة.

هلكَ، ثم يأتي زمانٌ مَنْ عَمِلَ منهم بعشر ما أُمر به نجا[١]».

رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير».

فقد حكم نبينا ﷺ بالنجاة لمن عملَ بالعشر، وهي بشارةٌ عظيمةٌ لكل من سلم من الكفر والشرك إلى يوم القيامة، فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمدٍ ﷺ.

* * *

(١) رواه الترمذي (٤/٥٣٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/٤١٥)، والديلمي في مسند الفردوس (١/٣٩٣)، والطبراني في الصغير (٢/٤٢).

الباب السابع /

في عقائدهم

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجودٌ قديمٌ، واحدٌ حكيمٌ، قادرٌ عليمٌ، قاهرٌ رحيمٌ، مريدٌ سميعٌ، مجيدٌ رفيعٌ، متكلمٌ بصيرٌ، متكبرٌ قديرٌ، حيٌّ أحدٌ، باقٍ صمدٌ، وأنه عالمٌ بعلمٍ، قادرٌ بقدرةٍ، مريدٌ بإرادةٍ، سميعٌ بسمعٍ، بصيرٌ ببصرٍ، متكلمٌ بكلامٍ، حيٌّ بحياةٍ، باقٍ ببقاءٍ، وله يدان، هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص، وله الوجه، وصفاتُ ذاته مختصةٌ بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي أغيارٌ له؛ بل هي صفاتٌ له أزليةٌ، ونعوتٌ سرمديةٌ.

وأنه أحديُّ الذات، ليس يشبه شيئًا من المصنوعات، ولا يشبهه شيءٌ من المخلوقات، ليس بجسمٍ ولا جوهرٍ، ولا صفاته أعراضٌ، ولا يتُصور في الأذهان، ولا يتقدَّر في العقول، ولا له جهةٌ ومكانٌ، ولا يجري عليه وقتٌ وزمانٌ، ولا يجوز في وصفه زيادةٌ ولا نقصانٌ، ولا تخصُّه هيئةٌ ولا قدٌّ، ولا تقطعه نهايةٌ وحدٌّ، ولا يحلُّه حادثٌ، ولا يحمله على الفعل باعثٌ، ولا يجوز عليه لونٌ ولا كونٌ، ولا مضرة مددٍ ولا عونٍ، ولا يخرج عن قدرته مقدورٌ، ولا ينفكُّ عن حكمه مفطورٌ، ولا يعزب عن علمه معلومٌ، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع معلومٌ، ولا يقال له: أين ولا حيث ولا كيف، ولا يُستفتح له وجودٌ، فيقال متى كان، ولا ينتهي له بقاءٌ فيقال استوفى الأجل والزمان، حاشا وكلا، ولا يقال له لِمَ فعل ما فعل؛ إذ لا علة لأفعاله، ولا يقال ما هو؛ إذ لا جنس له، فيتميز بأمارةٍ عن إشكاله، يَرَى لا عن مقابلة، ويُرى لا عن مماثلة، ويضع لا بمباشرةٍ، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، يفعل ما يريد، ويُذل بحكمه العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أن يكون من الحادثات أراد أن يكون، وما علم أنه لا يكون فما جاز أن يكون، أراد أن لا يكون خالق اكتساب العباد خيرها وشرِّها، ومبدع ما في العالم من الأغيار والآثار قلِّها وكثرها، ومرسل المرسل إلى الأمم من غير وجوبٍ عليه، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم السلام بما لا سبيل لأحدٍ باللوم والاعتراض عليه، ومؤيِّد نبينا محمَّد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والذكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته بخلفائه، ثم حارس الحق وناصره بما يوضِّحه من حُجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الله الحنفية عن

الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نُصرة الدين بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: دلّت هذه المقالات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول بعد أن قال في أول العقيدة:

اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصولٍ صحيحة في التوحيد، وصانوا عقائدهم عن البدع، وزانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيدٍ ليس فيه تمثيلٌ ولا تعطيلٌ انتهى كلامه مختصرًا.

ومن كلام السيد الجليل ذي الشرف والمقام الجامع بين علمي الباطن والظاهر الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني:

ربُّنا الله القريب في علوِّه، المتعالي في دُنوِّه، بارئ الخلق بقدرته، ومقدِّر الأمور بحكمته، والمحيط بكل شيءٍ علمه، تمّت كلمته، وعمَّت رحمته، لا إله إلا هو.

وكذب العادون به، ومن دعا له نداءً أو اعتقد له شبيهًا أو سميعًا.

وسبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، ومنتهى علمه، وجميع ما شاء وخلق وذرأ وبرأ.

عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الملك القدوس، العزيز الحكيم، واحدٌ أحدٌ صمدٌ فردٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ندٌّ ولا مثيل.

ليس بجسمٍ فيَمَسُّ، ولا جوهرٍ فيجسُّ، ولا عرضٍ فينتفي، ولا ذي تركيبٍ فيتبعض، ولا ذي آلةٍ فيمثّل، ولا ذي تأليفٍ فيكيَّف، ولا ذي ماهيةٍ مخيَّلة فيتحدد.

هو لا طبيعةٌ من الطبائع، ولا طالعٌ من الطوالع، ولا ظلمةٌ تظهر، ولا نورٌ يزهر، حاضر الأشياء علمًا من غير ممازجة، شاهد لها اطِّلاعًا من غير مماسَّةٍ، قاهرٌ حاكمٌ، قادرٌ راحمٌ، غافرٌ ساترٌ، خالقٌ فاطرٌ، فردٌ معبودٌ، حيٌّ لا يموت.

أزليٌّ لا يفوت، أبديُّ الملكوت، سرمديُّ الجبروت، قيومٌ لا ينام، عزيزٌ لا يُضام، منيعٌ لا يُرام، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والمثل الأعلى، والجدُّ الأبقى.

لا تتصوره الأوهام، ولا تقيِّده الأفهام، ولا يُدرك بالقياس، ولا يُمثّل بالناس، ولا تكيِّفه العقول، ولا تحدُّه الأذهان، جلَّ أن يشبَّه بما صنعه، أو يضاف إلى ما اخترعه، مُحصِي الأنفاس، قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا، وكلهم آتيه

يوم القيامة فردًا، يُطعِم ولا يُطعَم، يَرزِق ولا يُرزَق، يجير ولا يُجار عليه، خلق ما ابتدع لا لاجتلاب نفعٍ، ولا لدفع ضُرٍّ، ولا لداعٍ دعاه، ولا لفكرٍ حدث.

بل إرادةٌ مجردةٌ عن تغيرات الحدثان، فهو المنفرد بالقدرة على اختراع الأعيان، وكشف الضُر، وإزالة البلوى، وتقليب الأعيان، وتغيير الأحوال، يسوق ما قُدِّر إلى ما وُقِّت، لا معين له في تدبير ملكه، حيٌّ بحياةٍ لا مكتسبة ولا معبوقة، عالمٌ بعلمٍ غير محدثٍ ولا محجوبٍ ولا متناه، قادرٌ بقدرةٍ غير محصورة.

مدبرٌ بإرادةٍ غير باديةٍ ولا متناقضةٍ، حفيظٌ لا ينسى، قيومٌ لا يسهو، رقيبٌ لا يغفل، يقبض ويبسط، ويرضى ويغضب، يغفر ويرحم، أوجد وأعدم، فاستحقَّ أن يُقال له: قادرٌ أزاح علل مخلوقاته، وأبداها كاملة الوصف.

فاستحقَّ أن يُقال له: إلهٌ لا يتجدد له علمٌ ينافي علمه في القدم، فاستحقَّ أن يقال له: عالمٌ على الحقيقة لا تشابه ذاته ولا صفاته ذاتٌ ولا صفاتٌ، فوجب أن يُقال: ليس كمثله شيءٌ، كل شيءٍ قائمٌ فقيامه بديمومية أزله، كل حيٍّ فحياته مستفادةٌ بأمره، إن ضرب العقل لعزِّه مثلاً أو جال العلم في جلاله جدلاً وقف الفهم ملأً، ودهش الفكر كللاً، ولاح التعظيم جللاً، ولم يجد التنـــزيه بدلاً، ولا عن التوحيد حولاً.

وجاءت جيوش التقديس قُبلاً، تسلك سبل التفريد ذللاً، حجب الألباب برداء كبريائه عن معرفة كنه ذاته، وحسر الأبصار بنور بقائه عن إدراك حقيقة أحديَّته، فإن نهضت غايات علوم الخلائق تقفو خبرًا، أو شخصت نهايات معارف الممالك تتلمَّح أثرًا.

تألَّق لها بارقٌ من الأزل، مبرقعًا بنقاب الكمال عن نقائص التشبيه، فلم تستطع مجاوزة سناه، ومحقت مداركها وانفعالات قواها في اتصال أوصاف القدم بنعوت الأبد اتصالاً لم يزل غير مسبوقٍ باتصالٍ ولا سائرٍ إلى انفصامٍ.

وبدت من جناب القدس الأشرف هيبته تميت العلل، وانفرادٌ يمنع التعدد.

ووجودٌ يحيل الحدَّ، وجلالٌ ينفي الكيف، وكمالٌ يُسقط المثل، ووصفٌ يُوجب الوحدة، وقدرةٌ تبسط الملك، ومجدٌ يستنفذ المحامد، وعلمٌ محيطٌ بما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرةٍ وشجرةٍ، ومسقط كل ورقةٍ، وعدد الحصى والرمال، ومثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وأعمال العباد، وآثارهم وأنفاسهم.

وهو سبحانه وتعالى بائنٌ من خلقه، ولا يخلو مكانٌ من علمه، فرجعت ليس لها علمٌ سوى التصديق بأحديته، والإقرار أنْ لا أول لقدم أزليته، ولا آخر لبقاء أبديته، ولا كيف

ولا مثل يدخلان في صمديته.

تعرَّف إلى خلقه بصفات ليوحِّدوه، وثبتوا وجوده لا يشبهوه، فالإيمان يثبتها بعلم اليقين تصديقًا، والاطِّلاع على علم حقٍّ يقينها تحقيقًا، غيبٌ لا مجال للعقل في إدراكه، وكل ما حكاه الوهم أو جلاه الفهم أو تخيله العقل أو تصوره الذهن فعظمة الله وجلاله وكبرياؤه بخلاف ذلك ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيءٍ عليمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فهذا كلامه قدَّس الله تعالى سرَّه في التنـــزيه ونفي التشبيه مع فصاحة العبارة وملاحة الاستعارة، والألفاظ الفائقة، والمعاني الرائقة، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته، وأفاض علينا من إمداداته، آمين.

وأما عقيدة الشيخ محيي الدين بن العربي المبرَّأة له عن سوء الاعتقاد، وحاشاه من ذلك.

فقال: اعلم رحمك الله تعالى يا أخي أنه ينبغي لكل مؤمنٍ أن يصرِّح بعقيدته وينادي بها على رؤوس الأشهاد، فإن كانت صحيحةً شهدوا له بها عند الله تعالى، وإن كانت غير ذلك بيَّنوا له فسادها ليتوب منها، وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله تعالى والإقرار له بالوحدانية لمَّا علم أن العالم كله سيوقفه الله بين يديه ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الأهول حتى يؤدي كل شاهدٍ شهادته وكل أمين أمانته، والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار، ولهذا يُدبر الشيطان إذا سمع الأذان وله ضراط حتى لا يسمع نداء المؤذن فلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى في سعادته، وهو لعنه الله عدوٌّ محض ليس له إلينا خيرٌ البتة، وإذا كان العدو لا بدَّ أن يشهد لك بما أشهدته على نفسك لأن ذلك المشهد الحق يعطي ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليُّك وحبيبك ومن هو على دينك، وأحرى أن تشهد أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان.

فيا إخواني ويا أحبائي رضي الله تعالى عنَّا وعنكم أشهدكم أني أُشهد الله وأُشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين ومن سمع أني أقوله قولاً جازمًا بقلبي أن الله سبحانه وتعالى إلهٌ واحدٌ ولا ثاني له، مُنـــزَّهٌ عن الصاحبة والولد.

مالكٌ لا شريك له، ملكٌ لا وزير له، صانعٌ لا مدبِّر معه، موجودٌ بذاته من غير افتقار إلى موجدٍ يوجده بدل كل موجودٍ مفتقرٌ إليه في وجوده.

فالعالَم كله موجودٌ به، هو سبحانه وتعالى موجودٌ بنفسه، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلقٌ مستمرٌ قائمٌ بنفسه، ليس بجوهرٍ فيُقدَّر له مكانٌ، ولا بعرضٍ

فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسمٍ فيكون له الجهة والتلقاء، مقدَّسٌ عن الجهات والأقطار، مرئيٌّ بالقلوب والأبصار، استوى على عرشه كما قال، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثلٌ معقولٌ، ولا دلَّت عليه العقول، لا يحدُّه زمانٌ، ولا يقلُّه مكانٌ، بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان.

وقال: أنا الواحد الحيُّ الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفته، لم يكن عليها من صفة المصنوعات، تعالى الله أن تحلَّه الحوادث أو يحلَّها، أو تكون قبله أو يكون قبلها، بل يُقال كان ولا شيء معه؛ إذ القبل والبعد من صنع الزمان الذي أبدعه، فهو القيُّوم الذي لا ينام، والقهَّار الذي لا يُرام، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، خلق العرش وجعله حدَّ الاستواء، وأنشأ الكرسيَّ وأوسعه الأرض والسماء، اخترع اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقه على يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثالٍ سبق، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناءً، وجعل هذه الأشباح المنـــزل إليها الأرواح في الأرض خلفاءً، وسخَّر لها ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه؛ فلا تتحرك ذرةٌ إلا إليه ومنه، خلق الكل من غير حاجةٍ إليه، ولا موجبٍ أوجب ذلك عليه، لكن سبق علمه فلا بدَّ أن يخلق ما خلق؛ فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيءٍ عليمٌ، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وكيف لا يعلم شيئًا خلقه إلا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير، علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حدِّ ما علمها، فلم يزل عالمًا بالأشياء، ولم يتجدد له علمٌ عند تجدُّد الأشياء، أتقن بعلمه الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات بإجماعٍ من أهل النظر الصحيح واتفاقٍ، فهو عالم الغيب والشهادة، فتعالى عمَّا يشركون، فعَّالٌ لما يريد، فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسموات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيءٍ ما أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه؛ إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حيٍّ، وكما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها، فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيانٌ، ولا ربحٌ ولا خسرانٌ، ولا عبدٌ ولا حُرٌّ، ولا بردٌ ولا حَرٌّ، ولا حياةٌ ولا موتٌ، ولا حصولٌ ولا فوتٌ، ولا نهارٌ ولا ليلٌ، ولا اعتدالٌ ولا ميلٌ، ولا بَرٌّ ولا بحرٌ، ولا شفعٌ ولا وترٌ، ولا جوهرٌ ولا عَرَضٌ، ولا صحةٌ

ولا مرضٌ، ولا فرحٌ ولا تَرحٌ، ولا رُوحٌ ولا شبحٌ، ولا ظلامٌ ولا ضياءٌ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ، ولا تركيبٌ ولا تحليلٌ، ولا كثيرٌ ولا قليلٌ، ولا غداةٌ ولا أصيلٌ، ولا بياضٌ ولا سوادٌ، ولا سُهادٌ ولا رُقادٌ، ولا ظاهرٌ ولا باطنٌ، ولا متحركٌ ولا ساكنٌ، ولا يابسٌ ولا رطبٌ، ولا قشرٌ ولا لبٌّ، ولا شيءٌ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مرادٌ للحق سبحانه وتعالى، وكيف لا يكون مرادًا له وهو أوجده، فكيف يوجد المختار ما لا يريده، ولا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينـزع الملك ممن يشاء، ويُعزُّ من يشاء، ويذلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئًا لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه؛ فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته، ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفًا بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدومٌ، ثم أوجد العالم من غير تفكُّرٍ ولا تدبُّرٍ عن جهلٍ فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل، وجلَّ وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق، وتعيين الإرادة المنـزَّهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمانٍ ومكانٍ وأكوانٍ وألوانٍ، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه.

إذ هو القائل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وأنه تعالى كما علم فأحكم، وأراد فخصَّ وقدَّر كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى سبحانه وتعالى السواد في الظلمات، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج والظلمات ولا النور هو السميع البصير، تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمتٍ متقدِّمٍ، ولا سكوتٍ متوهَّمٍ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ كسائر صفاته من علمه وقدرته وإرادته، كلَّم به موسى، سماه التنـزيل، والزبور، والتوراة، والإنجيل، والفرقان، من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ؛ فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاةٍ ولا لسانٍ.

كما أن سمعه من غير أصمخةٍ ولا آذانٍ، كما أن بصره من غير حدقةٍ ولا أجفانٍ، كما أن إرادته من غير قلبٍ ولا جنانٍ، وكما أن علمه من غير اضطرارٍ ولا نظرٍ في برهانٍ، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان؛ فسبحانه من بعيدٍ دانٍ عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الامتنان، كل من سواه فهو عن وجودٍ فائقٍ، وفضله وعدله الباسط له والقابض وأعمل

صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه، ولا مدبِّر معه فيه، إن أنعم فنعَّم فذلك فضله، وإن أبلى فعذَّب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره، فينسب إلى الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ فيتصف بالجزع لذلك والخوف.

كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرفٌ عن إرادته وأمره، فهو ملهم نفوس المكلَّفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور، لا يحكم فضله في عدله، ولا عدله في فضله.

أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منـــزلتين، فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترضٌ هناك؛ إذ لا موجود كان ثمة سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضةٌ تحت أسماء بلائه، وقبضةٌ تحت أسماء آلائه.

ولو أراد سبحانه وتعالى أن يكون العالم كله سعيدًا لكان أو شقيًّا لما كان في ذلك من شأن، لكنه سبحانه وتعالى لم يُرد فكان كما أراد، فمنهم الشقيُّ والسعيد هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم.

وقد قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩].

وفي الحديث «هي خمسٌ وهنَّ خمسون، وما يُبدَّلُ القولُ لديَّ، وما أنا بظلامٍ للعبيد، لتصرُّفِي في مُلكي، وإنفاذ مشيئتِي في ملكي، وذلك لحقيقةٍ عميت عنها البصائر، ولم تعثرْ عليها الأفكارُ ولا الضمائرُ إلا بوهب إلهيٍّ، ووجودٍ رحمانيٍّ، لمن اعتنى الله تعالى به من عباده، وسبق له ذلك في حضرة إشهاد، فعلم حين أُعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم، وأنها من دقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا موجود بذاته إلا إياه، والله خلقكم وما تعملون، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، فلله الحجَّة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين[(١)]».

وكما أشهدت الله تعالى وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده، فكذلك أشهدت الله تعالى وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه الله تعالى واختاره واجتباه من وجوده.

وذلك سيدنا ومولانا محمَّدٌ ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافَّةً بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ ﷺ ما أُنزل إليه من ربِّه، وأدَّى أمانته، ونصح أمته، ووقف في حجة الوداع على كل من حضر من الأتباع فخطب وذكر، وخوَّف، وحذَّر، ووعد

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/٢٣٦).

وواعد، وأمطر وأرعد، وما خصَّ بذلك التذكير أحدًا دون أحدٍ عن إذن الواحد الصمد، قال: هل بلَّغت؟ قالوا: بلَّغت يا رسول الله. فقال: اللَّهُمَّ اشهد.

وإني مؤمنٌ بما جاء به مما علمت ومما لم أعلم، مما جاء به وقرَّر أن الموت حقٌّ عن أجلٍ مسمًّى عند الله إذا جاء لا يُؤخَّر.

فأنا مؤمن بهذا إيمانًا لا ريب فيه، ولا شكَّ، كما آمنت وأقررت أن سؤالي في القبر حقٌّ، وعذاب القبر حقٌّ، وبعث الأجساد من القبور حقٌّ، والعرض على الله حقٌّ، والحوض حقٌّ، والميزان حقٌّ، وتطاير الصحف حقٌّ، والصراط حقٌّ، والجنَّة والنَّار حقٌّ، وفريقًا في الجنَّة وفريقًا في السعير حقٌّ، وكرب ذلك اليوم على طائفةٍ حقٌّ، وطائفةٍ أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حقٌّ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حقٌّ، وجماعة أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يُخرجون منها بالشفاعة حقٌّ، والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم حقٌّ، والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حقٌّ، وكلُّ ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى عُلم أو جُهل حقٌّ، فهذه شهادتي على نفسي أمانةٌ عند كل من وصلت إليه يؤديها إذا سُئل حيثما كان، نفعنا الله تعالى وإياكم بهذا الإيمان، وثبَّتنا عليه عند الانتقال إلى دار الحيوان، وأحلَّنا دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها من قطران، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريَّانٌ، وثَقُل له الميزان، وثبتت منه على الصراط القدمان، إنه المنعم المحسان، آمين(١).

---

(١) **قلت:** للفائدة نذكر عقيدةً شريفةً مختصرةً نافعةً على مذهب أهل السنة والجماعة من الصوفية والمتكلمين للمصنف العالم الربَّاني والوارث المحمديِّ الصمدانيِّ سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وعنَّا به وزاده علمًا به، آمين. فقال: فهذه عقيدةٌ مختصرةٌ نافعةٌ على مذهب أهل السنة والجماعة من الصوفية والمتكلمين، وضعتها بفضل الله ورحمته لإخواننا القاصرين من الفقراء والمتعبِّدين لما رأيت قصور هممهم عن مطالعة كتب أهل الكلام.

اعلـم يـا أخي: أنه ينبغي لكلِّ من نُسِبَ إليه سوء عقيدةٍ أن يظهر عقيدته لإخوانه من العلماء، وينادي لها بينهم على رؤوس الأشهاد.

ومـن فـوائد ذلك: أنهم يردُّونه إلى الصواب إن كان فيها شيءٌ مخالفٌ لأهل السنة والجماعة؛ وليرجـع عن سوء الاعتقاد فيه مَنْ كان قد ظنَّ به سوء العقيدة بكلام بعض الحسدة، فيحصل له =

=

ثواب من قدر على إزالة منكرٍ وأزاله.

والله: إني لأعرف جماعةً يطعنون في عقائد بعض العلماء الصحيحة وينسبونهم إلى التجسيم وغيره حــتى بعــد موتهم، وما منهم أحدٌ اجتمع بهم قطُّ، إنما هي إشاعةٌ من بعض حسادهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

ومــن فوائد إظهار العبد عقيدته لإخوانه أيضًا: أنهم يصيرون يشهدون له بها بين يدي الله حين يقوم الأشهاد، ويؤدي كل شخصٍ شهادته.

وتأمَّل يا أخي: قوله تعالى عن نبيه هود عليه السلام من الملك المعبود لما كذبه قومه قال: ﴿ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] كيف أشهد قومه مع كونهم مكذبين له على نفسه بالبراءة من الشرك بالله تعالى والإقرار بوحدانيته؟! لما عَلِمَ عليه السلام أن الله تعالى سيوقف العالم كله بين يديه، ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الأهوال حتى يؤدي كل شخصٍ شهادته وأمانته، فالمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار، ولهذا ورد أن الشيطان إذا سمع المؤذن يدبر وله حصاصٌ، حتى لا يسمع نداءه، فيلزمه أن يشهد له، فيكون من جملة من يسعى في سعادته، وهو لعنه الله عدوٌّ محضٌ، ليس له إلينا خيرٌ البتة، فإذا كان العدو لا بدَّ أن يشهد لك بما أشهدته على نفسك بكون ذلك المشهد الحق يعطي ذلك بحقيقته، فأحرى أن يشهد لك وليُّك وحبيبك ومن هو على دينك، وأحرى أن تشهده أنت في دار الدنيا على نفسك بالوحدانية لله تعالى، والإيمان بما جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام، كما ذكره الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في أوائل الفتوحات المكية.

إذا علمــت يــا أخي ذلك: فيقول مسطر هذه العقيدة العبد الكسير المعترف بالذنب والتقصير عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي الأنصاري، عفا الله تعالى عنه:

أشهدكم: يا إخواني، ويا أحبابي، ويا من حضرني من جميع الروحانيين، أو سمعني، رضي الله عنَّا وعــنكم: أني أشــهد الله وأشهدكم جميعًا أنّي أقول قولاً جازمًا بقلبي ومترجمًا به في لساني وآمر بــذلك جميع إخواني وأصحابي: أن الله تعالى إلهٌ واحدٌ لا ثاني معه، منــزَّهٌ عن الصاحبة والولد، مالــكٌ لا شــريك له، ملكٌ لا وزير له، فاعلٌ لا مدبِّر معه، وإني أعتقد أن حقيقته تعالى مخالفةٌ لسائر الحقائق، ومن خاض بالكلام عليها بما لا ينبغي مما لم يرد فقد عصى الله ورسوله ﷺ، وأنه تعالى موجودٌ بذاته من غير افتقارٍ إلى موجدٍ يوجده، بل كل موجودٍ مفتقرٌ إليه تعالى في وجوده، فالعــالم كله موجودٌ به، وهو تعالى موجودٌ بنفسه لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلــقٌ مستمرٌ، قائمٌ بنفسه، ليس بجوهرٍ فيقدر له المكان، ولا بعرضٍ فيستحيل عليه البقاء، ولا بجســمٍ فــيقدر له الجملة والتلقاء، مقدسٌ عن الجهات والأقطار، مرئيٌّ في الدنيا بالقلوب، وفي الآخــرة بالأبــصار، وأنه تعالى استوى بصفته الرحمانية على عرشه بالمعنى الذي أراده، كما أن

=

=

العـــرش ومـــا حواه به استوى، وأما ذاته العلية فمنـــزهةٌ عن هذا الاستواء، كما صرَّح به الشيخ صفيُّ الدين بن منصور رضي الله عنه.

واعلم: أنه ما وقف في معنى الاستواء إلا من لم يعتقد أن حقيقته تعالى مخالفةٌ لسائر الحقائق، وإلا فلو اعتقد ذلك ما توقف عقله قطُّ في معنى الاستواء.

وقد فسر الشيخ الإمام الكامل أبو طاهر القزويني رحمه الله تعالى الاستواء هنا: باستتمام الخلق. فقال: معنى قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤ وغيرها]: أي استتم خلقه تعالى على العرش، ولم يبلغنا في كتاب ولا سنَّة أن الله تعالى خلق خارج العرش شيئًا؛ لأن العرش اسمٌ لمجموع جميع الكائنات، فلا يزال الخلق دنيا وأخرى داخل العرش لا خارجه، وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص: ١٤]: أي استتم شبابه، وقال تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩]: أي استتم الزرع وقوي، وإذا احتملت الآية وجهًا سالمًا من الإشكال وجب المسير إليه على أن العرش محدثٌ بالإجماع، وصفة الاستواء قديمةٌ، وقد كان تعالى موصوفًا بالاستواء قبل خلق العرش، وبالنـــزول إلى السماء الدنيا كل ليلة قبل خلق السماء، فما كنت تحمل النـــزول والاستواء عليه قبل خلق العرش والسماء فاحمله عليه الآن، ونهاية ما قالوه في نفي التشبيه أنه تعالى استوى على العرش، كما يقال: استوى بِشرٌ على العراق، فكان غاية أمرهم أنهم انتقلوا عن التشبيه بمحدث ما، إلى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة، فما بلغ تنـــزيههم في ذلك ما بلغ قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

قال الشيخ أبو طاهر بعد تفسيره الاستواء باستتمام الخلق: هذا وكم ناظرٍ في كلامي يبادر إلى ملامـــي، ويقـــول: إنك ابتدعت للآية تفسيرًا مخالفًا لقول جماهير السلف والخلف، وفي مخالفتهم خـــرق الإجماع، وإني أعذره في ذلك؛ فإن الفطام عن المعهود شديدٌ، والنـــزول عمَّا تلقاه الفتى عـــن أباه وشيوخه صعبٌ، حقًا كان أو باطلاً، وأقول: إن هذا المحمل الذي حملنا الآية عليه محملٌ صحيحٌ واضحٌ، وإن سمَّاه بعضهم بدعةً، فكم من بدعة مستحسنة انتهى.

وقال الشيخ محيي الدين في الباب السبعين وثلاثمائة من «الفتوحات المكية» ما نصُّه:

اعلم أنه لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بدَّ للسلطان من مكانٍ يكون فيه حتى يقصده عبيده في الحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان أصلاً اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشًا، ثم ذكر أنه استوى عليه، حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج كل ذلك رحمةً منه بعباده، وتنـــزُّلاً لعقولهم، ولولا ذلك لبقي العبد حائرًا، لا يدري إلى أين يتوجَّه بقلبه، وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهةٍ؛ فلا يقبل إلا ما كان في جهةٍ، فَتَتبعُ الشرع في ذلك العرف، وقد نسب الحق تعالى الفوقية لنفسه من سماءٍ وعرشٍ؛ إحاطةً بجميع الجهات بقوله: «ينـــزلُ ربُّنا إلى سماءِ الدنيا».

وبقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ونحو ذلك، فالعبد مع علمه بأنه تعالى

=

=

لا يتقيَّد بالجهات لا يشهد ربَّه إلا متعاليًا، فيغلب وهمه على عقله، وقد مات الأوَّلون والآخرون بحسرة أن يعرفوه تعالى، كما يعرف هو تعالى نفسه، فلم يقدروا، وكان ذلك أبلغ في التعظيم.

وإنما بسطت لك هذا المحل: لأن آية الاستواء من معضلات المسائل، فاعلم ذلك، وأنه تعالى لا يحويه مكانٌ، ولا يحدُّه زمانٌ بل كان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، وأنه تعالى لا تحلُّه الحوادث ولا يحلُّها، ولا تكون قبله، ولا يكون قبلها؛ فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، ومقام الواحد يتعالى أن يحلَّ فيه شيءٌ، أو يحلَّ هو في شيءٍ، فليس في مخلوقٍ من خالقه شيءٌ، ولا يجوز ذلك عليه.

وقال الشيخ محيي الدين في باب الأسرار: مَنْ قال بحلوله في الصور فهو أعمى البصيرة والبصر؛ لأنه تعالى لا مثل له معقولٌ، ولا دلَّت عليه العقول، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا كان تعالى ليس كمثله شيءٌ فمن المحال أن يضبط أوصافه تعالى اصطلاحٌ؛ لأن ما شهده منه عبدٌ ما هو غير ما يشهده منه عبدٌ آخر جملةً واحدةً؛ ولذلك كان لا يقدر عارفٌ قطُّ أن يوصل إلى عارفٍ آخر ما شهده من ربِّه أبدًا؛ لأن كلَّ واحدٍ شهد من لا مثل له، ولا يكون التوصيل إلا بالأمثال، وكما لا يجتمع الدليل مع المدلول أبدًا كذلك لا يجتمع الحق مع عبده في رتبةٍ أبدًا، أعني بالجامع نسبة المعنى إلى كل واحدٍ على حدٍّ نسبته إلى الآخر، لا إطلاق الألفاظ من اجتماع العبد مع ربِّه في الوجود، فافهم.

وأنــه تعالى أنشأ الكرسي، وأوسعه الأرض والسماء، وخلق اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتبًا في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، وأنه تعالى أبدع العالم كله على غير مثالٍ سبق، وخلق الخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمنًا، وجعل هذه الأشباح المنــزلة إليها الأرواح في الأرض خلفًا، وسخَّر لها ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، فلا تتحرَّك ذرةٌ إلا إليه وعنه، وأنه تعالى خلق الكل من غير حاجةٍ إليه، ولا موجبٍ وجب ذلك عليه؛ لكن علمه سبق، فلا بدَّ أن يخلــق ما خلق، فــ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائــدة: ١٢٠]، وأنه تعالى أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا، يعلم السر وأخفــى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئًا خلقه، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

وأنــه تعــالى عَلِمَ الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حدِّ ما علمها، فلم يزل عالمًا بالأشياء، لم يتجدد له علمٌ عند تجدد الأشياء، علِمَ الكليات على الإطلاق كما علِمَ الجزئيات بإجمــاعٍ مــن أهــل النظر الصحيح، واتفاق عالم الغيب والشهادة، ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠]، وأن الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والســموات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيءٍ حتى أراده، كما أنه لم يُردْهُ سبحانه حتى

=

=

علمه؛ إذ يستحيل أن يريد تعالى ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حيٍّ، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذاتٍ موصوفةٍ بها، فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيانٌ، ولا ربحٌ ولا خُسرانٌ، ولا عبدٌ ولا حرٌّ، ولا بَردٌ ولا حَرٌّ، ولا حياةٌ ولا موتٌ، ولا حصولٌ ولا فَوْتٌ، ولا نهارٌ ولا ليلٌ، ولا اعتدالٌ ولا ميلٌ، ولا بَرٌّ ولا بحرٌ، ولا شَفْعٌ ولا وِتْرٌ، ولا جَوْهَرٌ ولا عَرَضٌ، ولا صحَّةٌ ولا مرضٌ، ولا فرحٌ ولا تَرَحٌ، ولا روحٌ ولا شبحٌ، ولا ظلامٌ ولا ضياءٌ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ، ولا تركيبٌ ولا تحليلٌ، ولا كثيرٌ ولا قليلٌ، ولا غداةٌ ولا أصيلٌ، ولا بياضٌ ولا سوادٌ، ولا رُقادٌ ولا سُهادٌ، ولا ظاهرٌ ولا باطنٌ، ولا متحركٌ ولا ساكنٌ، ولا يابسٌ ولا رطبٌ، ولا قشرٌ ولا لبٌّ، ولا شيءٌ من جميع المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مرادٌ للحق تعالى، وكيف لا يكون مرادًا له وهو أوجده! فكيف يوجد المختار ما لا يريد! لا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يريدوا أشياء لم يرد الله أن يريدوها ما أرادوها، أو أن يفعلوا شيئًا لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه، ولا استطاعوا ذلك، ولا أقدرهم عليه، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته، ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفًا بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدومٌ، ثم أنه تعالى أوجد العالم من غير تفكُّرٍ ولا تدبُّرٍ عن جهلٍ، فيعطيه التفكُّر والتدبُّر علم ما جهل، جلَّ وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق، وتعين الإرادة المنزهة الأزلية، القاضية على العالم بما أوجده عليه: من زمانٍ، ومكانٍ، وألوانٍ، فلا مؤيِّد في الوجود على الحقيقة سواه؛ إذ هو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

وأنه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصَّ وقدَّر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرَّك أو سكن أو نطق في الورى، من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعد؛ فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب؛ فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى سبحانه وتعالى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور، ولا الجدران، وهو السميع البصير، وأنه تعالى تكلَّم لا عن صمتٍ متقدِّمٍ ولا سكونٍ متوهَّمٍ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ، كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلَّم به موسى عليه السلام، وسماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل من غير تشبيه، ولا تكييف؛ إذ كلامه سبحانه وتعالى من غير لهاةٍ ولا لسانٍ، كما أن سمعه من غير صمخةٍ ولا آذانٍ، كما أن بصره تعالى من غير حدقةٍ ولا أجفانٍ، كما أن إرادته تعالى من غير قلبٍ ولا جنانٍ، كما أن علمه تعالى من غير اضطرارٍ ولا نظرٍ في برهانٍ، كما أن حياته تعالى من غير بخار تجويف قلبٍ حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان، فسبحانه سبحانه من بعيدٍ دانٍ! عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الامتنان، كل ما سواه فهو عن جوده فائضٌ، وفضله وعدله الباسط له

=

=

والقــابض، وأنه تعالى أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه، ولا مدبِّــر معــه فيه، إن أنعم فنعَّمَ فذلك فضله، وإن أبلى وعذَّب فذلك عدله، لم يتصرف في مُلك الغيرِ، فينسب إليه الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ، فيتصف بالجزع لذلك والخوف، مــن كــل ما سواه تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم نفس المكلَّفين الــتقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذ بها من شاء، هذا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله.

قلــت: قال الشيخ محيي الدين: قول أبي القاسم بن قسي (لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله) هو كلامٌ محملٌ، فلا أدري أقال ذلك عن كشفٍ، أو عن اعتبارٍ وفكرٍ، وهو من وجهٍ ينافي قوله تعالى: «سبقت رحمتي غضبي»، ومن الوجه الآخر لا ينافيه؛ لأن الحقائق تعطي أن الفضل لا يحكم في العدل، وأن العدل لا يحكم في الفضل؛ فإنه ليس كلٌ من النعتين محلاً لحكم الآخر، وأن محــل حكـــم الصفة إنما هو في المفضول عليه أو المعدول فيه، وإنا قد علمنا من الله أنه يتفضَّل بالمغفـــرة على طائفةٍ من عباده قد عملوا الشرَّ، ولم يقم عليهم ميزان العدل، ولا أخذهم بعدله، وإنما حكم فيهم بفضله، ولا يقال في مثل هذا: أنه حكَم فضله في عدله.

قـــال: وهـــو الذي يليق بكلام أبي القاسم رحمه الله، فهو إنباءٌ عن حقيقةٍ كما هو الأمر عليه في نفسه، والله أعلم، ذكر ذلك في الباب الأحد والثلاثمائة من الفتوحات المكية.

وأنـــه تعالى أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منـــزلتين، فقال: «هؤلاء للجنّة ولا أُبالِي، وهؤلاء للـــنَّار ولا أُبالِـــي»، ولم يعتـــرض عليه معترضٌ هناك؛ إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه، فالكل تحت تـــصريف أسمائه، فقبضةٌ تحت أسماء بلائه، وقبضةٌ تحت أسماء آلائه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالَم كله سعيدًا أو شقيًّا لما كان في ذلك من شأنٍ؛ لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الـــسعيد والشقي هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل الى تبدُّل ما حكم عليه العدل، ثم قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩]، لتصرُّفي في ملكي، وإنفاذ مشيئتي في خلقي، وذلـــك لحقـــيقةٍ عَمِيَت عنها البصائر، ولم تعثر عليها الأفكار والضمائر إلا بوهبٍ إلهيٍّ ووجودٍ رحمانيٍّ لمن اعتنى الله به من عباده، وسبق له ذلك في حضرة إشهادِه، فعَلِمَ حين أُعلِم أن الألوهية أعطـــت هذا التقسيم، وأنها من رقائق القديم، فسبحان من لا فاعل حقيقةً في الوجود سواه! ولا موجـــود بذاته إلا إياه! ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبـــياء:٢٣]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعـــام:١٤٩]، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩].

وأنه تعالى له أسماءٌ وصفاتٌ توقيفية، فلا نسميه إلا بما سَمَّى به نفسه على ألسنة رسله، ولا نشتقُّ لـــه تعالى أسماءً من نحو ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥]، ولا من نحو ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[التوبة:

=

=

٧٩]، ولا من نحو ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤]، ولا من نحو ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، وكذلك لا يقال: إنه تعالى مصدر الأشياء، وإن كان لـه وجهٌ ما إلى الصحة، ولا قديم كذلك، ولا أزلي، وإن كان بمعنى اسمه الأول، وكذلك لا يقال: إنه تعالى ذو حياة تصاحبه، وإنما يقال: تعالى حيٌّ؛ لأن من خلق الحياة لا يُوصف بها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، ومنع بعضهم أن يقال عن أسمائه تعالى: إنها صفات؛ لعدم ورود لفظ الصفات، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ما قال: (ولله الصفات الحسنى).

وذكر الشيخ محيي الدين ﷺ في باب الزكاة من الفتوحات: أن اسم المؤمن إن لُقِّبَ به العبد كان صفةً، وإن سُمِّيَ به الحق كان اسمًا؛ لأنه إذا كان اسمًا لم يعلل، وإذا كان صفةً علل انتهى؛ فليتأمل.

وكذلك منع بعضهم إطلاق لفظ الاختراع عليه سبحانه وتعالى، فلا يقال: اخترع العالم إلا بوجه ما؛ وذلك لأن العالم كله كان ثابتًا في علمه قبل الاختراع، ولو لم يكن ثابتًا في علمه لم يخرج إلى الوجود على حدٍّ ما لم يعلمه الحق تعالى، وذلك محالٌ.

وذكر الشيخ محيي الدين ﷺ: أن العلم تابعٌ للمعلوم، لا المعلوم تابعٌ للعلم، فليتأمَّل. وكذلك منع بعضهم من إطلاق لفظ العارف عليه تعالى وإن كان هو بمعنى العالِم عند بعضهم؛ لأنك لو سألت عن العلم: ما هو؟ لأجابك المسئول بما يجيبك به إذا سألت عن المعرفة، وبالعكس.

وكذلك منع بعضهم إطلاق لفظ الجواز عليه تعالى؛ فلا يقال: يجوز أن يغفر تعالى لفلانٍ، ويجوز ألا يغفر له، ونحو ذلك؛ لافتقار ذلك إلى المرجِّح لأحد الجائزين، هكذا قال بعضهم.

والحق: أنه لا مانع من ذلك؛ لأن العين المغفور لها من كونها عاصيةً تقبل المغفرة وتقبل عدمها، فإن غفر لها فبالمرجح، وهو إرادة الله تعالى، وإن لم يغفر لها فبهذا المرجح أيضًا، وهو إرادة الله، ويستقيم الكلام، وقد بسطنا الكلام على ذلك في عقائد أهل الخصوصية، والله أعلم.

وكما شهد الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيد الله تعالى كذلك أشهده وأشهد ملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بالإيمان ممن اصطفاه الله واختاره واجتباه من وجوده، فذلك سيدنا ومولانا محمدٌ رسول الله ﷺ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافةً، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ ﷺ ما أُنزل إليه من ربِّه، وأدَّى أمانته، ونصح أمته، ووقف في حجَّة الوداع على كل من حضر من الأتباع، فخطب وذَكَّر، وخوَّف وحذَّر، ووعد وأوعد، وما خَصَّ بذلك التذكير أحدًا دون أحد عن إذن الواحد الصمد، ثم قال ﷺ: «اللَّهُمَّ بَلَّغْتُ. فقالوا كلهم: بلَّغتَ يا رسول الله. فقال: اللَّهُمَّ اشهدْ».

وأشهدكم: أني مؤمنٌ بما جاء به رسول الله ﷺ عن الله تعالى: من أحكام القرآن، وقصصه، ومن

=

=

مواعظه، وغير ذلك، وبما شرعه ﷺ بإذنٍ من ربِّه مما عَلِمتُ، ومما لم أعلم، فمما جاء به وقرر: أن الموت عن أجلٍ مسمًّى عند الله، إذا جاء لا يُؤخَّر، فأنا مؤمنٌ بهذا إيمانًا لا ريب فيه، ولا شكٌّ، كما آمنت وأقررت أن سؤال منكرٍ ونكيرٍ حقٌّ، وعذاب القبر حقٌّ، وبعث الأجساد من القبور حقٌّ، والعرض على الله تعالى حقٌّ، والحوض حقٌّ، والميزان حقٌّ، وتطاير الصحف حقٌّ، والصراط حقٌّ، والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وفريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السعير حقٌّ، وأن شفاعة أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين حقٌّ، وأن جماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حقٌّ، وأن التأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم حقٌّ، والتأبيد للكافرين والمشركين والمنافقين والمتكبرين في العذاب الأليم حقٌّ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من الله عُلِمَ أو جُهِلَ حقٌّ.

فهذه شهادتي على نفسي، أمانةٌ عند كل من وصلت إليه، يؤديها إذا سُئِلَها حيثما كان، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان، وثبَّتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان، وأحلَّنا دار الكرامة والرضوان، وأحال بيننا وبين أعمال دار: (سرابيل أهلها من قطران)، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالإيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريَّانٌ، وثَقُل له الميزان، وثبت منه على الصراط القدمان، إنه المنعم المنَّان، آمين، آمين، اللَّهُمَّ آمين.

خاتمة: ينبغي الاطِّلاع عليها؛ لتعلقها بالعقائد، ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى، وإنما وضعوا ذلك إرداعًا للخصوم، الذين جحدوا الإله، أو الصفات أو بعضها، أو الرسالة، أو رسالة محمَّدٍ ﷺ بخصوصها، أو حدوث العالم، أو الإعادة في هذه الأجساد بعد الموت، أو الحشر أو النشر، ونحو ذلك مما لا يصدر إلا من الكفَّار المكذبين بالكتب والرسل، فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة عليهم؛ ليرجعوا إلى طريق الإيمان بذلك لا غير، وإنما لم يبادر إلى قتلهم بالسيف رحمةً لهم، ورجاءً لرجوعهم إلى الحق، فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها إلى دين الإسلام.

ومعلوم: أن الراجع بالبرهان أصحُّ من الراجع بالسيف؛ إذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق، وصاحب البرهان ليس كذلك، فلهذا وضعوا علم الجَوهر والعَرَض، وبسطوا الكلام في ذلك، ويكفي في المصر واحدٌ من هؤلاء، ثم لا يخفى أن الشخص إذا كان مؤمنًا بالقرآن قاطعًا بأنه كلام الله ﷻ فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويلٍ ولا عدولٍ إلى الأدلة العقلية بمفردها؛ إذ القرآن دليلٌ قطعيٌّ سمعيٌّ عقليٌّ، فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزَّهٌ عن أن يشبه شيئًا من المخلوقات، أو يشبهه شيءٌ منها بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، ونحو ذلك، وأثبت رؤيته في الآخرة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

=

=

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، ونفي الإجابة بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وأثبت كونه قادرًا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة:١٢٠]، وأثبت كونه عالمًا بقوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وأثبت كونه مُريدًا بقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

وأثبت قوله سيعًا لخلقه بقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]، وأثبت كونه بصيرًا بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وبقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤]، ونحو ذلك.

وأثبت كونه متكلمًا بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وأثبت كونه حيًّا بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وأثبت إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩].

وأثبت رسالة سيدنا ومولانا محمَّد ﷺ بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وأثبت أنه آخر الأنبياء بعثًا بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وأثبت أن كل ما سوى الله خلقٌ له بقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وأثبت الجنّ بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأثبت أن الجن يدخلون الجنة بقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].وأثبت حشر الأجساد بقوله: ﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات:٩]، إلى أمثال ذلك مما تحتاج إليه العقائد: من القضاء والقدر، والحشر والنشر، والميزان والحوض، والصراط والحساب والصحف، والجنة والنار، وكل ما لا بدَّ للمؤمن أن يعتقده، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكذلك أثبت المعجزة لنبينا محمَّد ﷺ بكتابه المبين بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، فإن القرآن كله معجزةٌ له ﷺ، فلا ينبغي لعاقلٍ أن ينسى حدود ربه، والاشتغال بأحكامها التي أُمر أن يستغرق فيها عمره كله، لا أن يشتغل بردِّ خصومٍ لم يوجد لهم عينٌ، ودفع شُبَه يمكن ألا تكون، وبتقدير وقوعها، فسيف الشريعة أقطعُ وأردعُ، «أُمرتُ أنْ أُقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، وحتَّى يؤمنوا بي، وبما جئتُ به»، ولم يدفعنا ﷺ لمخاصمتهم إذا حضروا، إنما هو الجهاد والسيف إن عاندوا في الحق، فكيف بخصمٍ مُتوَهَّمٍ يقطع الإنسان زمانه بمجادلته! وما رأينا له عينًا، ولا قال لنا شيئًا، وإنما نحن في ذلك نتكلم مع أنفسنا، ويُتخيَّل لنا

=

=

أننا نتكلَّم مع غيرنا، فعُلِم أن السلف الصالح رضي الله عنهم ما وضعوا كتب الكلام إلا ردعًا للخصوم الذين كانوا في عصرهم، فالله تعالى ينفعهم بقصدهم، وقد قدَّمنا لك أن علم الكلام مع شرفه يكفي منهم في البلد واحدٌ مثل الطبيب، بخلاف الاشتغال بالأحكام الشرعية؛ فإن الإنسان يموت بعد أن عمَّرَ عُمر نوح عليه السلام وهو يتعلَّم، ولا يقع للشريعة على قرار.

وكان سيدي عليٌّ الخوَّاص رضي الله عنه يقول: عليك بالاشتغال بالعلوم الشرعية؛ فإنك مطالبٌ بأن تكون جميع حركاتك وسكناتك محررةً على الكتاب والسنة، ولا يصحُّ ذلك إلا بمعرفة جميع أبواب الشريعة، فلكل حركةٍ وسكونٍ علمٌ يخصُّه انتهى.

ففي علم الشريعة غُنيةٌ عن علم الكلام، ولو مات الإنسان وهو لا يعرف الكلام على الجَوهر والعَرَض لم يسأله الله عز وجل عن ذلك يوم القيامة، وإنما يسأله عمَّا توجَّه عليه من الحدود والأحكام، فنسأل الله تعالى من فضله أن يشغلنا بما هو الأولى في كل وقتٍ، آمين.

وأوصيك يا أخي: إذا نظرت في عقائد أحدٍ من علماء الإسلام من الصوفية والمتكلمين المبنية على الأدلة الدقيقة ورأيت فيها مسألةً ذكرها فيلسوفٌ أو متكلِّمٌ من الأكابر أو صاحب نظرٍ أن تبادر إلى القول بأن هذا من مذهب الفلاسفة، وأن صاحب هذا القول فيلسوفٌ فلسفيٌّ، لكون ذلك الفيلسوف ذكرها واعتقدها، لو أن ذلك العالِم نقلها من الفلاسفة فإنه لا دين له، فلا تفعل يا أخي ذلك؛ فإن هذا قول من لا تحصيل له، إذ ليس كل ما علمه الفيلسوف يكون باطلاً، فقد تكون تلك المسألة مما عنده من الحق، ولا سيما إن كان الشارع ﷺ صرَّح بها، أو أحدٌ من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المجتهدين، فقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبًا كثيرةً مشحونةً بالحِكَم والتبري من الشهوات، ومكائد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر، فإن كنت يا أخي ليس لك غوصٌ في الحقائق فتثبَّت وأثبت قول الفيلسوف حقًا في تلك المسألة؛ لكون رسول الله ﷺ قالها، أو واحدٌ من العلماء.

وأما قولك: (إن ذلك العالِم سمعها من فيلسوف، أو طالعها في كتبهم) فهو جهلٌ وكذبٌ.

أما الكذب فقولك: (إن هذا العالم سمعها من الفلاسفة أو طالعها في كتبهم)، وأنت لم تشاهد ذلك منه، ولا أقيمت عندك بذلك بينةٌ عادلةٌ خاليةٌ من الحظوظ، متورعةٌ عن الخوض في أعراض المسلمين بغير علمٍ.

وأما الجهل: فكونك لم تفرِّق في تلك المسألة بين الحق والباطل، فقد خرجت يا أخي باعتراضك على هذا العالِم عن العلم والصدق، وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان، ونقص العقل والدين، وفساد النظر، والانحراف عن طريق أهل الحق، فخُذْ يا أخي ما أتاك الفيلسوف به من العلم، واهتدِ على نفسك قليلاً، وفرِّغ له قلبك؛ حتى يبرز لك معناه، أحسن من أن تقول يوم القيامة:

﴿يَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٧].

=

=

وقــد ذكــر الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ في فتوحاته في الباب السادس والعشرين ومائتين ما نصُّه:

اعلم يا أخي أن ما ثَمَّ علمٌ من العلوم إلا ويجوز أن يُنَال به العلم اليقيني من طريق الكشف والوجود، ولهذا كان أفلاطون معدودًا عندنا من العلماء بتوحيد الله ﷻ؛ لأنه خرج بنظره مخرج الكشف، فهو نادرٌ في الحكماء الأقدمين، وما كرهه من كرهه من أهل الإسلام إلا لنسبته إلى الفلسفة؛ لجهلهم بمدلول تلك اللفظة، والحكماء على الحقيقة هم العلماء بالله وبأحكامه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، والحكمة هي علم النبوة، قال تعالى في حقِّ داود ﵇: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٥١]، والفيلسوف معناه محبُّ الحكمة، لأن (سوفا) باللسان اليوناني هي الحكمة، وكل عاقلٍ بلا شكٍّ يحب الحكمة، غير أن أهل الأفكار خطأهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم، سواء كان فيلسوفيًا أو معتزليًا أو أشعريًا، أو من كان من أصناف أهل النظر، فما ذُمَّت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم، وإنما هو لما أخطأوا فيه من العلم الإلهي مما يعارض ما جاءت به الرسل.

قــال الــشيخ محيي الدين ﷺ في كتاب «لواقح الأنوار»: ولقد عَملتُ على الاطِّلاع على السبب الــذي مــن أجله دخل الغلط على الفلاسفة، فرأيت أن الغلط إنما جاءهم من التأويل؛ فإنهم لا يأخذون إلا عن إدريس ﵇، وهو معصومٌ بلا شكٍّ في علمه بالله ﷻ، فدخل عليهم الغلط من قِــبَل أنفسهم، لا من قِبَل إدريس ﵇، فإن علماءهم صاروا بعد رفع إدريس ﵇ يؤولون كل شيءٍ بلغهم من آيات الصفات وغيرها، فاختلفوا في معناه، كما اختلف علماء الإسلام في تأويل كلام شريعتهم، فأحلَّ هذا ما حرَّمه الآخر على قدر فهمه.

وأطال في ذلك، ثم قال: وبالجملة فليس عند الفلاسفة معرفة طريق العلم بالله تعالى، ولا بما يؤول إلى الطريق؛ وذلك لأنهم منَّا بالضدِّ، فإنا سلكنا الطريق على الوجه الشرعي، من الفقر والإفلاس وتفريغ المحل، وهم سلكوا بالفكر، والفكر يستدعي متفكرًا فيه، والتفكُّر لا يصحُّ في جانب الحق، وإنما يصحُّ في الكون، فما برحوا من الوقوف مع نفوسهم، ولو أنهم كانوا طلبوا علم الحكمة من الله تعالى لأصابوا.

قال: وأما ما عدا الفلاسفة من أهل النظر من المسلمين: كالمعتزلة والأشاعرة فإن الإسلام سيفٌ لهــم، وحكــمٌ عليهم، فإنهم شرعوا في الذبِّ عنه بحسب ما فهموا منه، فهم مصيبون بالأصالة، مخطــئون في بعــض الفروع، بما يتأولونه من طريق الفكر والأدلة العقلية، وقالوا: إن حملنا بعض ألفــاظ الــشارع علــى ظاهرها في حق الله تعالى كان كفرًا، فلذلك أخذوا في التأويل مع إثبات الأصــل، فما فاتهم إلا كمال الإيمان بما أنزل الله تعالى، لا أصل الإيمان؛ لأنهم لولا إيمانهم به ما اعتنوا بتأويله.

وأطــال في ذلــك، ثم قــال: ومن أعجب ما طرأ في هذا العالَم من الغلط كون العبد يقلِّد فكره

=

=

ونظـــره، وهما محدثٌ مثله، ولا يقلِّد ربه فيما يخبر به عن نفسه من الصفات التي تحيلُها العقول، وغاب عنه أنه لا لوم على العبد، إلا لو كان قد وصفَ بها الحق تعالى من قِبَل نفسه، فإن العبد ما وصف بها الحق تعالى إلا تبعًا للحق تعالى.

ومعلـــوم: أنـــه يجب على العبد الإيمان بذلك، حتى قال بعض المحققين: إن من أخذ إيمانه تقليدًا جـــزمًا للشارع كان أعلم وأوثق ممن يأخذ إيمانه من الأدلة العقلية لما يتطرق إليها إذا كان قاطعًا صادقًا قوي الفهم من الحيرة والدخل في أدلته، وإيراد الشبه عليها، فلا يثبت لـــه قدمٌ، ولا ساقٌ يعتمد عليها، فيخاف عليه سوء العقيدة.

قـــال: وتأمَّـــل في كلام العقلاء كلهم تجدهم إذا نظروا واستوفوا في نظرهم الدليل وعثروا على وجهـــة إعطـــائهم ذلك العلم بالمدلول، ثم إنك تراهم في زمانٍ آخر يقوم لهم خصمٌ من طائفة أخـــرى، كمعتزليٍ أو أشعريٍّ بأمرٍ آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به ويقدح فيه، فيرون أن ذلـــك الأول كان خطأً، وأنهم ما استوفوا أركان دليلهم، وأنهم أخلوا بالميزان في ذلك، وأين هـــذا ممـــن هو في علمه على بصيرةٍ! ولذلك كان هذا لا يقطع لهم قطُّ في ضروريات العقول، فالبصيرة للعلماء بالله كالضروريات للعقول.

قال: ومثل هذا العلم هو الذي ينبغي لصاحبه أن يفرح به، وأما غيره فلا؛ إذ كل علمٍ نتج من العقل فهو مدخولٌ يقبل الشبهة، كما يدل على ذلك اختلاف المقالات في الله ﷻ، من أهل الأفكار، واتفاق المقالات فيه تعالى مِن كل مَن جاء من عند الله تعالى: من رسولٍ، ونبيٍّ، ووليٍّ، فلم يختلف اثنان منهم قطُّ في شيءٍ من ذلك، بل كلهم يصدق بعضهم بعضًا، عكس ما عليه المتكلمون بأفكارهم، فدليل الأشعريِّ يُورث شبهةً عند المعتزليِّ، ودليلُ المعتزليِّ يُورث شبهةً عند الأشعريِّ، وما من مذهبٍ إلا ويدخله الاختلاف، ويتَّصفون كلهم باسم الأشاعرة، وترى أبا المعالي يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه القاضي، والقاضي يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الأستاذ، والأستاذ يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ، والكل يدعون أنهم أشعريةٌ، وكذلك القول في المعتزلة والفلاسفة، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]، مع كون كل طائفة يجمعها مقامٌ واحدٌ واسمٌ واحدٌ، وهم مختلفون في ذلك المذهب الذي جمعهم، فعين أدلتهم كلهم عين شبهاتهم، فأين الحق! وأين الثقة!.

وقال في ذلك الشيخ محيي الدين ﷺ في الباب السابع والثمانين وثلاثمائة من الفتوحات المكية:

وقـــد علمت يا أخي أن أهلَ الظن لا يُعذَرون في مواطن وجوب العلم، وأن التقليد لمعصومٍ فيما أخـــبر بـــه ملحقٌ بالعلم، وأقوى من علم النظر، كما يدل لذلك شهادتنا على الأمم السابقة أن أنبـــياءها بلغـــتها دعوة الحق تعالى، ونحن ما كنَّا في زمان التبليغ، ولكننا صدَّقنا الحق تعالى فيما أخـــبرنا به في كتابه عن نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقوم لوطٍ، وأصحاب الأيكة، وقوم موسى، ومن هذا المعـــنى شهادة خزيمة بتصديق رسول الله ﷺ في قصة بيع الجمل من الأعرابي، وقال له رسول الله

=

=
ﷺ: «بِمَ تشهدُ يا خزيمةُ، فقال: بتصديقك يا رسول الله»، وهذا لا يكون إلا ممن هو في إيمانه على يقينٍ، لا على ظنٍّ، فإن من شرط وجوب الاعتقاد في أمرٍ وجود نصٍّ متواترٍ فيه، أو كشفٍ محقَّقٍ، ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به إن تعلق حكمه بأحكام الدنيا، ولكن إن تعلق حكمه بأحكام الآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين، وليقل: إن كان هذا عن رسول الله ﷺ في نفس الأمر كما وصل إليَّ فأنا مؤمنٌ به، وبكل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ، وعن الله مما علمتُ منه ومما لم أعلم؛ إذ لا يكون دليلاً في العقائد إلا ما قطع به، فإن كان من النقل فما ثبت بالتواتر، وإن كان بالعقل فما ثبت بالدليل العقليِّ، ما لم يعارضه نصٌّ متواترٌ لا يمكن الجمع بينهما، وهناك يعتقد النص، ويترك دليل العقل، والسبب في ذلك أن الإيمان بالأمور الواردة على لسان الشارع ﷺ لا يلزم منها أن يكون الأمر الوارد في تقسيمٍ على صورة ما يعطيه مقام الإيمان، وحينئذٍ يعلم العاقل أن الله تعالى قد أراد من المكلَّف أن يؤمن بما جاء به هذا النصُّ المتواتر، الذي أفاد أن رسول الله ﷺ قاله، وإذا خالف دليل العقل فينبغي للعبد أن يدوم على إيمانه، من حيث ما هو علمٌ، ويعلم أن الله لم يرد بوجود هذا النصِّ أن يعلق الإيمان بذلك المعلوم؛ لأنه يزول عن علمه، ويؤمن بهذا النص على مراد الله فيه.

وفي مواقف الإمام محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله: يقول له ربُّنا:

(وعزتي وجلالي، ما أنا عين ما عرفوه، وأما أنا عين ما جهلوه)، فإذا كان الأمر يرجع آخره إلى عدم معرفة كنه الذات فيجب على العبد أن يعلم أن جميع ما وصف به الحق نفسه من صفات الأفعال وغيرها من خلقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ، ومنعٍ وعطاءٍ، ومكرٍ وكيدٍ واستهزاءٍ، وفصلٍ وقضاءٍ، وضحكٍ وفرحٍ، وتعجُّبٍ وتبشبشٍ، وقدمٍ ويدٍ، ويدينٍ وأيدٍ بالفطرة الإسلامية إما بتلقين الوالد المتشرِّع أو بالإلهام، وهم من معرفة الحق وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر القرآن، وهم على صوابٍ ما لم يتطرَّق أحدهم إلى التأويل، فإن تطرق خرج عن حكم العامة، والتحق بأهل النظر والتأويل، وهو على حسب تأويله، وعليه يلقى الله تعالى، فإما مصيبٌ وإما مخطئٌ بالنظر إلى ظاهر ما جاء به الشارع ﷺ، واعلم ذلك؛ فإنه نفيسٌ، وتأمَّلْ هذه الخاتمة، وأمعنِ النظر فيها، والله يتولى هداك، وهو يتولى الصالحين، والحمد لله ربِّ العالمين.

الباب الثامن /

في بيان طريقتهم

اعلم يا أخي وفقني الله تعالى وإيَّاك لسلوك هذه الطريقة أن مما جاء في الطريقة وأهلها من مفهوم آيات الكتاب العزيز منطوقها سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٦٣]، إلى آخر الآيات الكريمات.

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧].

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] الآيات.

﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣].

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١].

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨].

﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ [القصص: ٨٠]. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]،

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى:٣٦].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [المائدة:٢٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد:٢١].

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء:٩٠].

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١].

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس:٢٤].

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد:٣٦].

﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨].

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات:٤٠].

﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩].

فهذه الآيات الكريمات وغيرها نادبةٌ إلى الجدِّ والتشمير والأخذ بالعزائم والإقبال

بالكلية على الله تعالى، وهي طريقتهم.

ومن السنة:

قوله ﷺ: «**الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلون**[١]» الحديث المخرَّج في الصحيحين.

وقوله ﷺ: «**لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصًا وتروح بطانًا**[٢]» حديث الترمذي الحسن.

وقوله ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**[٣]» حديث مسلم.

وقوله ﷺ: «**ثَمَّ رجلٌ يعتزل فِي شِعبٍ منَ الشِّعابِ يعبدُ ربَّه**[٤]» حديث له تصحيحان.

وقوله ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**[٥]» حديث البخاري: أي تتخذها وطنًا، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

وقوله ﷺ: «**يدخلُ الفقراءُ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بخمسمائة عامٍ**[٦]» حديث الترمذي الحسن الصحيح.

وقوله ﷺ: «**سبعةٌ يُظلُّهم الله فِي ظِلِّهِ**[٧]» إلى آخر الحديث. الصحيحين.

وقوله ﷺ: «**الكيِّسُ مَنْ دَانَ نفسه وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَنْ أتبعَ نفسَه**

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٩٦)، ومسلم (١/١٩٩)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٧٨)، وأبو عوانة في مسنده (١/٨٦).

(٢) رواه الترمذي (٤/٥٧٣)، وأحمد (١/٣٠)، وابن ماجه (٢/١٣٩٤).

(٣) رواه مسلم (٤/١٢٩١)، والبيهقي في الشعب (٧/٣٣١)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٥١٢).

(٤) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٢/٩٢).

(٥) رواه البخاري (٥/٢٣٥٨)، والترمذي (٤/٥٦٧)، وأحمد (٢/٢٤)، وابن ماجه (٢/١٣٧٨).

(٦) رواه الترمذي (٤/٥٧٨)، وأحمد (٢/٥١٢)، والدارمي (٢/٤٣٧)، والديلمي في الفردوس (٥/٥٠٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٣٠١).

(٧) رواه البخاري (١/٢٣٤)، ومسلم (٢/٧١٥)، والترمذي (٤/٥٩٨)، والنسائي في الكبرى (٣/٤٦١).

هواها وتَمَنَّى على الله[١]» حديث الترمذي الحسن.

وقوله ﷺ حاكيًا عن الله ﷻ: «**وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به وبصرَه الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألَني لأُعطيَنَّه، وإنِ استعاذني أو استعاذَ بِي روي بالنون والباء لأُعِيذَنَّه**» حديث البخاري.

وأوله: «**إنَّ الله تعالى يقول: مَنْ عادَى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب: أعلمته أنِّي محاربٌ له[٢]**».

وقوله ﷺ: «إنَّ الأكثرين هم الأقلُّون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه[٣]» حديث الصحيحين.

وكذلك حديث البخاري: «خرج رسولُ الله ﷺ من الدنيا ولم يشبعْ من خبز الشعير[٤]».

وقوله ﷺ: «**مَنْ خافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أَدْلَجَ بلغَ المنـــزلَ، ألا إنَّ سلعةَ الله غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ الله الجنَّةُ[٥]**» رواه الترمذي الحسن، وأدلج معناه: سار من أول الليل، والمراد السهر في إطاعة الله تعالى.

وقوله ﷺ: «**المتحابُّون في جلالِي لهم منابرُ من نورٍ يغبطُهم النبيون والشهداءُ[٦]**» حديث الترمذي الحسن الصحيح.

وقوله ﷺ: «الرجلُ عَلَى دينِ خليلِهِ فلينظرْ أحدُكم مَنْ يُخَالِلْ[٧]» حديث الترمذي الحسن.

---

(١) رواه الترمذي (٤/٦٣٨)، وأحمد (٤/١٢٤)، وابن ماجه (٢/١٤٢٣)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢/٨٤١)، ومسلم (٢/٦٨٧)، وأحمد في المسند (٥/١٨١).

(٤) رواه البخاري (٥/٢٠٦٦)، والبيهقي في الشعب (٥/٣٠).

(٥) رواه الترمذي (٤/٦٣٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١١١)، وأبو نعيم (٤/١٨٠).

(٦) رواه الترمذي (٤/٥٩٧)، وأحمد (٥/٢٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/١٣١).

(٧) رواه أبو داود (٤/٢٥٩)، والترمذي (٤/٥٨٩)، وأحمد (٢/٣٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٨).

وقوله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيه[١]» حديث الترمذي الحسن وابن ماجه.

وقوله ﷺ: «إنَّ الله تعالَى لا ينظرُ إلى أجسامِكُمْ ولا إلَى صُوَرِكُمْ ولَكِنْ ينظرُ إلَى قُلُوبِكُم وأَعْمَالِكُمْ[٢]» حديث الصحيحين.

وقوله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا فِي غنمٍ بأفسدَ لهما مِنْ حِرْصِ المرءِ عَلَى المالِ والشرفِ لِدِيْنِه[٣]» حديث الترمذي الحسن الصحيح.

وقوله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكْ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وابْكِ عَلَى خَطِيْئَتِكَ[٤]» حديث الترمذي الحسن.

وقوله ﷺ: «كُلُ كلامِ ابنِ آدمَ عَلَيْهِ لا لَهُ إلا أمرًا بمعروفٍ أو نَهْيًا عن منكرٍ وذكر الله تعالى[٥]» حديث الترمذي وابن ماجه.

وقوله ﷺ: «مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ[٦]» حديث الصحيحين.

وقوله ﷺ: «وقفتُ على بابِ الجنَّةِ فكان عامَّةُ مَنْ دخلها المساكين وأصحابُ الْجَدِّ بفتح الجيم يعنِي الأغنياء محبوسون[٧]» حديث الصحيحين.

وقوله ﷺ لما سُئِل عن الإحسان: «أنْ تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه

---

(١) رواه الترمذي (٥٥٨/٤)، وابن ماجه (١٣١٥/٢)، ومالك في الموطأ (٩٠٣/٢).

(٢) رواه مسلم (١٩٨٦/٤)، وأحمد (٢٨٤/٢)، وابن حبان في الصحيح (١١٩/٢).

(٣) رواه الترمذي (٥٨٨/٤)، وأحمد (٤٥٦/٣)، والدارمي في السنن (٣٩٤/٢).

(٤) رواه الترمذي (٦٠٥/٤)، وأحمد في المسند (١٥٨/٤)، وفي الزهد (٣٠/١)، والطبراني في الكبير (٢٧٠/١٧).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٣/٢٣)، والقضاعي في الشهاب (٢٠٢/١)، وذكره المنذري في الترغيب (٣٤٥/٣)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٣٤/١)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٠/٢٢).

(٦) رواه البخاري (٢٢٤٠/٥)، ومسلم (٦٨/١)، وأبو داود (٣٣٩/٤)، والترمذي (٦٥٩/٤)، وأحمد (١٧٤/٢).

(٧) رواه البخاري (١٩٩٤/٥)، ومسلم (٢٠٩٦/٤)، وأحمد (٢٠٥/٥)، وابن حبان في الصحيح (٤٦٧/٢).

يراك[١]» حديث مسلم.

وقوله ﷺ: «سبق المفرِّدون، ثم فسَّرهم بالذاكرين الله كثيرًا والذاكرات[٢]» حديث مسلم.

وقوله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى؟ قال ذكر الله[٣]» حديث الترمذي وحديث المستدرك على الصحيحين.

قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد.

فهذه الأحاديث الصحيحة وغيرها من الأحاديث الصحيحة الواردة في الأخذ بالعزائم والإقبال على الله سبحانه وتعالى لا تنحصر، وهي طريقتهم.

ومنها حديث التجافي عن دار الغرور، حديث دعائه حب الله ورسوله إلى ما ترون لما رأى على مصعب بن عمير إهاب كبش.

وتقريره ﷺ لأبي بكر الصديق لما جاءه بماله كله لما شهد فيه من قوة اليقين، والثقة بربِّ العالمين ما ورد في سيرة أويس وغيره من السلف الصالحين.

وقوله ﷺ في الحديث المتقدم: (سبق المفردون) اختلف فيهم أئمة اللغة، فقال ابن الأعرابي: يُقال: فرَّد الرجل بتشديد الراء إذا تفقَّه واعتزل الناس وخلا بنفسه وحده مراعًا لأمر ربِّه ونهيه.

وقال ابن قتيبة: هم الذين هلك أقرانهم، وبقواهم يذكرون الله تعالى.

وقال الأزهري: هم المتخلُّون عن النَّاس لذكر الله تعالى، لا يخلطون به غيره.

وقيل غير ذلك، وقد فسَّره رسول الله ﷺ بالذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

قال الشيوخ: لا يصل أحدٌ إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، وأنشد بعضهم شعرًا:

---

(١) رواه البخاري (١/٢٧)، ومسلم (١/٣٧)، وأبو داود (٤/٢٢٣)، والترمذي (٥/٦)، والنسائي في الكبرى (٣/٢٤٦).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٦٢)، والترمذي (٥/٥٧٧)، وأحمد (٢/٣٢٣)، والبيهقي في الشعب (١/٣٩٠).

(٣) رواه الترمذي (٥/٤٥٩)، وأحمد (٥/٢٣٩)، ومالك في الموطأ (١/٢١١)، وابن المبارك في الزهد (١/٣٩٨).

تَشَاغَلَ قَومٌ بِدُنْياهم وقومٌ تخلُّوا لِمَولاهُمْ
فألزَمَهُم بَابَ مَرضَاتِهِ وعَنْ سَائِرِ الخَلْقِ أَغْنَاهُمْ

وقال آخر:

أنستُ بِوِحْدَتي ولزمتُ بيتِي فَطَابَ الأُنْسُ لي وصفا السرورُ
وأدَّبَني الزمانُ فلا أبالِي هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ
ولستُ بقائلٍ ما عشت يومًا أسار الجنديُّ أم ركِب الأميرُ

وقال بعضهم: لو خرج مني نَفسٌ بغير ذكر الله لذبحت نفسي.

وقال بعضهم: ذكرت الله ثلاثين سنةً، فكنت أسمع الذكر عشر سنين من لساني، وعشر سنين من قلبي، وعشر سنين من الكون.

وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدقَّاق: الذكر منشور الولاية، فمن وُفّق للذكر فقد أُعطى المنشور، ومن سُلب الذكر فقد عُزل.

[من مقامات الطريق إلى الله]

ومن مقامات هذا الطريق:

التوبة، والورع، والزهد، والصبر، والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا، فهذه عشرةٌ من المقامات اقتصر بعضهم على ذكرها، وبعضهم عدَّ منها سبعين مقامًا، وبعضهم قال: هي ألف مقامٍ، والمراد بهذه المقامات اتِّصاف السالكين في طريقة الحقيقة بها، ومن ذلك العزلة، والصمت، والمراقبة، والتقوى، والحزن، والمحاسبة، والتواضع، والخشوع، والخضوع، والجوع، وترك الشهوات، ومجاهدة النفس بأنواع المخالفات بحملها على الطّاعات، وترك المنهيات، وعمارة الأوقات بحضور القلب، وحفظ الأنفاس والخطرات، والقناعة، والفتوة، والإيثار، والجود، والسَّخاء، واليقين، والصِّدق، والإخلاص، وحسن الخلق، والأدب، والاستقامة، والغيرة في الدين، والتصوُّف، والعبادة، والعبودية، والافتقار، والتوحيد، وحسن الاستماع، والإرادة، والتفويض، والتسليم، وترك الاختيار، وحسن الطاعة، وحسن النيَّة، وحسن الظن، والإحسان، ورؤية المنَّة، والاحتساب، والخشية، والحرية، وسلامة الصدر، وحسن الصحبة، والشفقة على المسلمين، والدعاء لهم، والنصيحة.

فهذه وغيرها مما تحلو به من محاسن الصفات التي هي عُدَّة السفر المُعينة عليه واهبةُ

سلوك هذه الطريقة الموصلة بتوفيق الله الكريم إليه، ومما تخلُو عنه من مساوئ الصفات التي هي في سلوك هذا الطريق قاطعات السالكين شديدات التعويق الحقد، والحسد، والرياء، والسمعة، والعُجب، والخيلاء، والكبر، والغشُّ، والغلُّ، وخوف الفقر، وسخط المقدور، وطلب العلوة، والرئاسة، والمحمدة، وحبُّ الجاه في الدنيا، والغضب، والحمية، والأنفة، والعداوة، والطمع، والبخل، والجبر، والشُّحُّ، والرَّغبة، والرَّهبة من قبل المخلوق والأشر والبطر[١]، وتعظيم الأغنياء، والاستهانة بالفقراء، وحبُّ الدنيا، والفخر، والمباهاة، والتنافس فيها، والإعراض عن الحق استكبارًا، والخوف فيما لا يعني، وكثرة الكلام والقلق، واختبار الأحوال، والتذلل للمخلوقين، والتملُّق، والمداهنة[٢]، والمدح، والذم، والتزيُّن لهم، وحبُّ المدح بما لا يفعل، والاشتغال بعيوب الناس، ونسيان المنعم، وخلوُّ القلب من الحزن، والانقياد للهوى والمشاركة له في تدبير أمور الله، والاقتدار في أمر الله، والاتّكال على الطاعة، والمكر، والخيانة، والمخادعة، والحرص، وطول الأمل، والتبختر، وعزة النفس حيث تحمد الذلّة، والمغالبة لأمر الله، والأنس بالخلق، والسكون إليهم، والثقة بهم، والخوف منهم، والطيش، والعجلة، وقلة الحياء، وقلة الرحمة، والأمن من مكر الله، والغيبة، والنميمة، والكذب، والتصنُّع، والنفاق، وخشية الإملاق.

وغيرها من الأوصاف الرذائل المبعدة عن الله تعالى وعن نيل الفضائل.

ومن أراد معرفتها وأسبابها وعلاجاتها فعليه بكتاب «**الطريقة المحمدية**»[٣]؛ فإنه كتابٌ يشفي الغليل، ويوضِّح مرض العليل، فهم جميع ذلك عرفوا علم علاجه، فعالجوه حتى تطهَّروا بتوفيق الله منه، وعرفوا علم التحلِّي بالصفات الحميدات المتقدمات فتحلُوا بها، وزكُوا بذلك، فشكروا الله بما مَنَّ به عليهم حيث قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً**﴾ [النور: ٢١].

وعرفوا علم الخواص وعلم الأحوال التي سيأتي ذكرها.

وعلم عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة والطهارة والصلاة والصوم، وجميع ما يحتاج إليه العبد في معاملة الله تعالى، ومعاملة الخلق في الحجِّ والجهاد والزكاة والعقود من البيوع وغيرها، والحلال والحرام والمكروه والواجب والمندوب والمباح والصحيح والباطل،

---

(١) البطر: هو الذي يجعل ما جعله الله حقًا باطلاً.

(٢) المداهنة: هي بذل الدين لصلاح الدنيا، وهي مذمومة محرمة.

(٣) وهو مطبوع عدة طبعات وعليه شرح للشيخ عبد الغني النابلسي.

وكثيرٌ منهم عرفوا جميع أنواع العلوم الشرعية فلما تحلّوا بالمحاسن وتخلّوا بالمساوئ وعملوا بما علموا علّمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم وعجائب الأسرار، وجواهر المعارف، ويواقيت الحِكم، ونوّر قلوبهم بأنوار مشاهدات الجمال، وكشف لهم الغطاء، فانكشف لهم من العالم العلوي والسفلي ما أطلعهم الله عليه من علم الحال والماضي والمثال.

فأخبروا بما جاز لهم كشفه من علم الغيوب.

ونطقوا بما جاز النطق به مما في ضمائر القلوب.

وعاينوا الآخرة ونعيمها وعذابها وثوابها وعقابها.

وعرفوا العلم الأعظم والمقصود الأهم، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته علم مشاهدةٍ وعِيانٍ، لا علم نظرٍ واستدلالٍ.

وأطلعهم على ما شاء من الأسرار، فسُمُّوا علماء الحقيقة وعلماء الباطن، لما أعلمهم الولي بحقائق بواطن الأمور.

وأودع قلوبهم أسرارًا من كل مصونٍ لديهم مستورٍ، قال فيه عند استخبار السائل قائلهم:

ومستخبرٌ عن سِتر ليلى رددتُه فأصبح من ليلى بغير يقينِ

يقولون: أخبرنا؛ فأنت أمينها وما أنا إذ أخبرتهم بأمينِ

وفاضت عليهم من فيض فضله العظيم أحوالٌ سنيّاتٌ مشتملاتٌ على عظائم المواهب والشوق، والهيبة، والأنس، والحياء، والقرب، والاتصال، والغيبة، والحضور، والشكر، والذوق، والشرب، والري، والتجلّي، والمحاضرة، والمكاشفة، والمشاهدة، واللوائح، واللوامع، والطوالع، والبواد، والهجوم، والتلوين، والتمكين، والقبض، والبسط، والغناء، والبقاء، وعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

وهذه الأحوال والمقامات المتقدم ذكرها لها شرحٌ عند أهلها العالمين بحقائقها ودقائقها، العاملين بها، السالكين لطرائقها، المتصفين بها، والمصنفين فيها، الواردين إلى مواردها العذبة، الصادرين بالرِّي عنها، الداعين إليها مَنْ توسَّموا فيه الفلاح، والمعتمدين في السلوك عليها، والجانين منها زواكي فواكه جنات الوصل.

فالحاصل: أن الحقيقة موافقة الشريعة، ليس بينهما مخالفةٌ قطعًا؛ إذ الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقةٌ هي عزائم الشريعة، فمن سَلَكَ تلك الطريقة وصل إلى

الحقيقة، والحقيقة نهاية عزائم الشريعة، ونهاية الشيء غير مخالف له[(١)].

فالحقيقة غير مخالفة للشريعة، فيا ليت شعري! ما الذي ينكره كل أعمى البصيرة عديم السعادة على هؤلاء القوم الأصفياء السادة؟ أينكر عليهم التحلي بمحاسن الصفات والتخلي عن مساوئها وطهارة القلب وجلائه من الصدى، أم مخالفة النفس الأمَّارة بالسوء وتزكيتها ونهيها عن الهوى، أم الجد والاجتهاد ومواصلة الأوراد واستغراق الأوقات بالذكر ومراقبة المولى وحضور القلب ونفي الغفلة عنه ومذموم الخطرات أم الإقبال على الله والإعراض عمَّا سواه من جميع المخلوقات، أم العمل بعزائم الشريعة المشتملة على مقامات اليقين التي هي عندهم التوبة عن الغفلة والورع عن كل ما لا يقرِّب من الله والزهد فيما سوى الله، والصبر: انتظار الفرج من المولى، والسكون تحت موارد القضاء، والفقر، والاستغناء بالله ومحو الحاجة إلى ما سوى الله، والشكر مشاهدة المنَّة، ودؤوب الطاعة بالظاهر والباطن لله.

وعدم الاستعانة بنعم الله على معاصي الله تعالى، والخوف: خوف الهجر والقلي، وألا يخاف غير المولى، والرجاء: إتيان القلوب لرؤية كرم المولى مع عدم أمن مَكره تعالى، والتوكُّل: ترك الحركة والتدبير اكتفاءً بعلم اللطيف الخبير في جميع الأشياء، كالميت بين الغاسل كيف يشاء، والرضا: سرور القلب بِمرِّ القضاء، أينكر عليهم هذه المقامات المذكورات؟ أم الأحوال الفائضة عليهم من فيض الفضل والمواهب السنِّيات، كالمحبة لله، والشوق إلى الله، والأنس بالله، والهيبة لله، والحياء من الله، وغيرها من مواهب الله تعالى الذي ليس لفضله منتهًى؟

أينكر عليهم هذه المذكورات؟ أم ينكر المكاشفات وسائر الكرامات ومشاهدة الجمال؟ أم القرب من الحضرة القدسية وشرب راح المحبَّة في كؤوس الوصال؟

فليس ينكر شيئًا من جميع المذكورات إلا محروم النوال، بعيدٌ عن طرق الخير، جامدٌ غير ذائقٍ، ولا معتقدٌ مصدِّقٌ بما خُصَّ به الرجال، ولا متأسِّفٌ عن ضياع عمرٍ بغير نصيبٍ من الراح التي فيها قال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدَّس الله تعالى روحه:

---

(١) سئل الجنيد قدَّس الله سرَّه عن الحقيقة؟ فقال: أذكره ثم أَدَعُ هذا وهذا.

وقال: ما بلغ أحدٌ درجة الحقيقة إلا وجب عليه التقيُّد بحقوق العبودية وحقيقتها، وصار مطالبًا بآداب كثيرة، لم يطالب الله بها غيره.

وقال قدَّس الله سرَّه: أبت الحقائق أن تَدَعَ في القلوب مقالةً للتأويلات.

وقال: سمعت سريًّا يقول وقد وصف أهل الحقائق: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

هنيئًا لأهل الدَّير كم سكروا بِها   وما شربوا منها ولكنَّهم هَمُّوا
على نفسه فليبكِ من ضاع عمرُه   وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

وإنما قلت: إن الحقيقة هي نهاية عزائم الشريعة لأن الشريعة الغرَّاء لها طريقان: عزائم، ورخص، فأما الثاني: فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكُون بأن ذلك حقٌّ، والعمل به جائزٌ؛ لطفًا من الله بعباده، ورحمةً لهم في التخفيف ورفع الحرج، أمَّا من حيث تحمُّلهم فلهم العمل طريقٌ في شواهق جبال عزائم الشريعة الغرَّاء يسلكون فيها إلى الله تعالى بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته، فمنهم من يقيم سبعين سنةً، ومنهم من يقطعها بتوفيق الله تعالى بسنةٍ، وبعضهم في شهرٍ، وبعضهم في جمعةٍ، وبعضهم في يومٍ، وبعضهم في ساعةٍ، على حسب معونة الله الكريم، وتقدير العزيز العليم، وفي صعوبتها قال قائلهم:

على مِثل حدِّ السيف نسري إلى العلا   فمن زاغ لا أرض تَقِلُّه ولا سما
فمَنْ فاز بالتوفيق بالله صانهُ   ولولا جميلُ اللطف والله ما نجا

وكلا الطريقين منهجٌ في الشريعة مسلوكٌ، له أهلٌ ليس هو عندهم بمتروك، جاء بكليهما الكتاب والسنة، وانقسمت في سلوكهما الأمة، وكان الشيخ محمد المغربي الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلُّوا، وإيَّاك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلُّوا، وكفى شرفًا بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾؟ [الكهف:٦٦]، وهذا أعظم دليلٍ على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة، وكلٌّ عن مقامه يتكلم.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: إذا لم يكن للفقيه علمٌ بأحوال القوم واصطلاحاتهم فهو جافٍ.

وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في «**الفتوحات**» وغيرها أن طريق الوصول إلى علم القوم الإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف:٩٦]، أي: أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت.

وقال قدَّس الله روحه في مراسلةٍ أرسلها إلى الإمام فخر الدين الرازي:

وينبغي لك يا أخي ألا تطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاتك، وينتقل معك حيث انتقلت، وليس ذلك إلا لعلمٍ بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة.

فإن علمك بالطبِّ مثلاً إنما تحتاج إليه في عالم الأسقام، فإذا انتقلت إلى عالمٍ ما فيه سقمٌ ولا مرضٌ مَنْ تداوي بذلك العلم؟.

وقد علمت يا أخي أنه لا ينبغي للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى البرزخ دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط: العلم بالله تعالى، والعلم بمواطن الآخرة انتهى.

فعليك يا أخي بمجاهدة نفسك وسلوك هذا الطريق والإقبال على الله تعالى بأنواع العبادات؛ ليتنوَّر قلبك.

فترى الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها.

وترى الآخرة وما أعدَّ الله تعالى من النعيم المقيم لأوليائه فيها[1].

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لطاعته، ويديمنا على لزوم خدمته، ويعصمنا من القواطع عنه بمنِّه وكرمه، آمين.

* * *

(١) حُكي عن الجنيد قدَّس الله سرَّه أنه قال: اتفق أهل العلم على أن أصولهم خمس خلالٍ: صيام النهار، وقيام الليل، وإخلاص العمل، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية، والتوكُّل على الله في كل حالٍ.

ويقول الجنيد: فتح كل بابٍ وكل علمٍ نفيسٍ بذل المجهود.

وقال: العلم يوجب لك استعماله، فإن لم تستعمله في مراتبه كان عليك لا لك.

الباب التاسع /

في بيان علم التصوف

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: اعلم يا أخي أن علم التصوف عبارةٌ عن علمٍ انقدح من قلوب الأولياء حين استنارت بالكتاب والسنة، فكل من عمل بها انقدح له من ذلك علومٌ وآدابٌ وأسرارٌ وحقائقُ تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها.

فالتصوف: إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من العلل وحفظ النفس، كما أن علم المعاني والبيان زبدة علم النحو، فمن جعل علم التصوف علمًا مستقلاً صدق، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق، كما أن من جعل علم المعاني والبيان علمًا مستقلاً صدق، ومن جعله من جملة علم النحو صدق، لكن لا يشرف على ذوق أن علم التصوف تفرَّع من عين الشريعة إلا من تبحَّر في علم الشريعة حتى بلغ الغاية، وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح المتصدر في طريق الله تعالى إلا من تبحَّر في الشريعة وعلم منطوقاتها ومفهوماتها وخاصِّها وعامِّها وناسخها ومنسوخها في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك، فكل صوفيٍّ فقيهٌ، ولا عكس، وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم.

وكان الإمام القشيري يقول: لم يكن عصرٌ في مدة الإسلام وفيه شيخٌ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد امتثلوا لذلك الشيخ، وتواضعوا له، وتبرَّكوا به، ولولا مزيَّته وخصوصيته للقوم لكان الأمر بالعكس[1].

---

(١) يقول الجنيد: مبنى التصوف على أخلاق ثمانيةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغربة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمدٍ ﷺ وعليهم أجمعين.

وقال الجنيد أيضًا: التصوف ذكرٌ مع اجتماعٍ، ووجدٌ مع استماعٍ، وعملٌ مع اتِّباع.

وقال: إنما هذا الاسم (يعني التصوف) نعتٌ أقيم العبد فيه. فقال أبو بكر الملاعقي: يا سيدي، نعتٌ للعبد أم نعتٌ للحق؟ فقال الجنيد: نعتٌ للحق حقيقةً، ونعتٌ للعبد رسمًا.

وقال: الصوفي كالأرض، يُطرح عليها كل قبيحٍ، ولا يخرج منها إلا كل مليحٍ.

وقال: الصوفي كالأرض يطؤها البَرُّ والفاجر، وكالسحاب يظلُّ كل شيءٍ، وكالمطر يسقي

=

=

كل شيء.

سُئل الجنيد عن التصوف؟ فقال: هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به.

سُئل أيضًا عن التصوف؟ فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وقال: التصوف هو عُنوةٌ لا صُلح فيها.

وقال: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.

وسُئل الجنيد عن التصوف؟ فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة.

وقال: التصوف حفظ الأوقات، وهو ألا يطالع العبد غير حدِّه، ولا يوافق غير ربِّه، ولا يقارن غير وقته.

وسُئل ما التصوف؟ قال: لحوق السر بالحق، ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب؛ لقوة الروح والقيام مع الحق.

وقال: الصوفية هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

قال الجنيد: إذا رأيت الصوفي يُعنَى بظاهره فاعلم أن باطنه خرابٌ.

وقال الجنيد: لكل أمة صفوةٌ، وصفوة هذه الأمة الصوفية.

وقيل للجنيد مرةً: ما بال أصحابك يأكلون كثيرًا؟ فقال: لأنهم يجوعون كثيرًا. قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوةٍ؟ فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزنا ويأكلون الحلال. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيءٍ في القرآن يُطرب في الدنيا، القرآن حقٌّ نزل من عند حقٍّ، لا يليق بصفات الخلق، كل حرفٍ منه على الخلق واجبٌ، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله ﷻ، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين. قيل له: فما بالهم محرومون من أموال الناس؟ فقال: لأن الله تعالى لا يرضى لهم ما في أيدي الناس، لئلا يميلوا إلى الخلق، فيقطعوا عن الحق تعالى، فأفرد القصد منهم إليه؛ اعتناءً بهم.

وسُئل الجنيد بن محمد قدَّس الله سرَّه عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثرة الله في خلقه، يخفيها إذا أحب، ويظهرها إذا أحب.

وقال: إذا أراد الله تعالى بالعبد خيرًا أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء.

وسُئل قدَّس الله سرَّه عن التصوف ما هو؟ فقال: اجتناب كل خلقٍ دنيٍّ، واستعمال كل خلق سَنيٍّ، وأن تعمل لله، ثم لا ترى أنك عملت.

قيل لبعض المتكلمين: قد ذكرت الطوائف، وعارضتهم، ولم تذكر الصوفية! فقال: لم أعرف

=

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: ويكفينا مدحًا للقوم إذعان الإمام الشافعي لشيبان الراعي حين طلب الإمام أحمد سؤاله عمَّن نسي صلاةً لا يدري أي صلاةٍ هي، وإذعان الإمام أحمد لشيبان كذلك حين قال شيبان: هذا رجلٌ غفل عن الله تعالى فجزاؤه أن يُؤدَّب.

وكذلك إذعان الإمام أحمد لأبي حمزة البغدادي الصوفي، واعتقاده فيه حتى كان يرسل له دقائق المسائل ويقول: ما تقول في هذا يا صوفي؟ فشيء يقف في فهمه الإمام أحمد يعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم.

وكذلك إذعان أبي العباس بن سريج للجنيد حين حضره، وقال: لا أدري ما يقول ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطلٍ.

وكذلك إذعان الإمام أبي عمران للشبلي حين امتحنه في مسائل من الحيض وأفاده سبع مقالاتٍ لم تكن عند أبي عمران.

وحكى الشيخ قطب الدين أن الإمام أحمد كان يحثُ ولده على الاجتماع بصوفية زمانه، ويقول: إنهم قد بلغوا في الإخلاص مقامًا لم نبلغه انتهى.

وقال الإمام اليافعي: ويكفي شرفًا لهذا العلم ولأهله قوله تعالى في حق الخضر عليه السلام: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾** [الكهف:٦٥]، وقوله تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام: **﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾** [الكهف:٦٦]، وقوله تعالى حاكيًا عنه أيضًا عليه السلام: **﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾** [الكهف:٦٩]، مع كون الخضر عليه السلام اختلف في نبوته وموسى عليه السلام من المرسلين أولي العزم أفضل منه بلا

= لهم علمًا ولا قولاً، ولا ما راموه؟ قيل: بل هم السادة، وذكروا له الجنيد، ثم أتو الجنيد فسألوه عن التصوف؟ فقال: هو إفراد القديم عن الحدث، والخروج عن الوطن، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل، وأن يكون المرء زاهدًا فيما عند الله، راغبًا فيما لله عنده، فإذا كان كذلك حَظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا والله علمٌ حَسنٌ، فلو أعدته حتى نكتبه. قال: كلا، مر إلى المكان الذي منه بدأ النسيان، وذكر فصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إن كان رجلٌ يهدم ما يثبت بالعقل بكلمة من كلامه فهذا؛ فإن كلامه لا يحتمل المعارضة.

قال الجنيد: الصوفية أهل غيبٍ، لا يدخل فيهم غيرهم. وانظر: كتابنا الإمام الجنيد (ص٢٤٠) طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

خلاف، ومع هذا رحل إليه والتمس منه الصحبة والتعليم، فأطلعه على علومٍ غامضاتٍ، وأمورٍ عجيباتٍ، في ضمنها آياتٌ باهراتٌ وكراماتٌ ظاهراتٌ.

ويكفينا شرفًا أيضًا ما ورد في فضل أويس القرني وكونه أفضل التابعين في بعض روايات صحيح مسلم مع ما في التابعين من العلماء الكبار، وهو بشغله بالله ووله بمحبته ينسبه إلى الجنون الأشرار، وقد نوَّه بشرفه وفضله رسول الله ﷺ في الأخبار المشهورة في جميع الأمصار.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن علم التصوف هو كما قال الإمام الغزالي: تجريد القلب لله تعالى، واعتقاد ما سواه.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: ولذلك سُمِّي الصوفي به أخذًا من الصفاء لتصفية القلوب. كما قيل:

وليس يشهرُ بالصوفيِّ غير فتًى ... صافا فصُوفِي حتَّى سُمِّي الصوفيُّ

فإذا عرفت المقصود من التصوف فراقبْ الله تعالى في جميع حالاتك، وذلك بأن تبدأ بفعل الفرائض، وترك المحرمات عليك كبيرها وصغيرها، ثم بفعل النوافل، وترك المكروهات، وليكن اهتمامك بترك المنهيِّ أشدَّ من اهتمامك بفعل المأمور؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**مَا نَهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا به ما استطعتم**[(١)]».

وأنت في المباح بالخيار بين الفعل والترك، وإن نويت به الطاعة، كالأكل للقوة على العبادة، فحسنٌ تُثاب عليه، واعتقد أنك مقصرٌ فيما أتيت، وأنك لم توفِّ من حقِّ الله ما عليك مثقال ذرة، واعتقد أنك لست بخيرٍ من أحد؛ فإنك لا تدري ما الخاتمة لك وله، وسلِّم لأمر الله تعالى وقضائه معتقدًا أنه لا يكون إلا ما يريد هو لا ما تريد أنت ولو حرصت.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: «**استعنْ بالله ولا تعجزنْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا كان كذا، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**[(٢)]».

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٠/٤)، والبيهقي في الكبرى (٢١٥/١)، والطبراني في الأوسط (٣٢٩/٨).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٢/٤)، والنسائي في الكبرى (١٥٩/٦)، وابن ماجه (٣١/١)، والبيهقي في =

وإيَّاك أن تراقب أحوال الناس وتراعيهم فينسدَّ عليك أبوابٌ كثيرةٌ من الخير إلا بما ورد به الشرع من المداراة والقول السالم من الإثم والبشر والصفح.

واستحضرْ في نفسك ثلاثة أصولٍ تُعينك على ما تقدَّم من الوصايا:

الأول: أنه لا نفع ولا ضرر إلا منه سبحانه وتعالى، وأنه قدَّر لك رزقًا ونفعًا وشدةً وضررًا في الأزل واصلاً إليك لا محالة، وإن جرى على يد شخصٍ فبتقديره تعالى.

فإذا استحضرت هذا الأصل هان عليك مراعاة الناس؛ إذ لا معنى لها حينئذ.

الثاني: أنك عبدٌ مرقوقٌ لا تصرُّف لك في نفسك، وأن مولاك ومالكك له التصرف فيك كيف يشاء كما هو شأن المالك في مملوكه، وأنه يقبح عليك أن تكره ما يفعله بك مولاك الذي هو أشفق وأرحم بك من نفسك ووالدتك، وإنه أحكم الحاكمين، وإنه لم يرد بذلك إلا إصلاحك ونفعك من التكفير لخطاياك والترفيع لدرجاتك.

فإذا استحضرت هذا الأصل هان عليك التسليم للقضاء.

الثالث: أن الدنيا فانيةٌ وأن الآخرة باقيةٌ وأنك في الدنيا مسافرٌ، ولا بدَّ أن ينتهي سفرك وتصل إلى دارك، فتتقي بها وتنال الراحة واللذات والاجتماع بالأحباب الذين سبقوك في السفر، فاحتمل مشقَّات السفر الذي ينقطع عن قريبٍ بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى شدائد المعيشة ونحوها، واجتهدْ في عمارة دارك التي هي مسكنك بالحقيقة وإصلاحها وتزيينها بالإكثار من العبادات في هذا الأمد القصير لتمتَّع بها دهرًا طويلاً بلا نَصب، فإذا استحضرت هذا الأصل هانت عليك المراقبة السابقة، والمؤمن الكامل من كمُلتْ فيه شعب الإيمان، وهي بضعٌ وستون أو بضعٌ وسبعون، رواه الشيخان هكذا على الشكِّ.

ورواه أصحاب السنن الثلاثة بلفظ: (بضعٌ وسبعون) بلا شكٍّ.

وأبو عوانة في صحيحه بلفظ: (ستٌّ وسبعون أو سبعٌ وسبعون).

والترمذي بلفظ: (أربعٌ وستون)، وذلك الإيمان بالله تعالى وصفاته، وحدوث ما دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر، والإيمان باليوم الآخر، ومحبة الله تعالى، والحب فيه، والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ومنه الصلاة على النبي ﷺ، واتِّباع سنته، والإخلاص، ومنه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر،

=

الكبرى (١٠/٨٩).

والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، ومنه اليقين، والحياء، والتوكُل، والرحمة، والتواضع، ومنه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكِبر والعُجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب، والنطق بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر، ومنه الاستغفار، واجتناب اللّغو، والتطهُّر حسًّا وحكمًا، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والزكاة كذلك، وفكُّ الرقاب، والجود، ومنه الطعام، والضيافة، والصيام فرضًا ونفلاً، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والحج والعمرة فرضًا ونفلاً، والطواف، والفرار بالدِّين، ومنه الهجرة من دار الكفر والفسق، والوفاء بالنذر، والتحرِّي في الأيمان بحفظها، والحلف بما يجوز الحلف به، وأداء الكفَّارات، والتعفُّف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد، والقيام بالأمر مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ومنه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر والتقوى، ومنه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنها الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، ومنه جمع المال من حلِّه، وإنفاق المال من حلِّه، ومنه ترك التبذير والترف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكفُّ الضرر عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه شعب الإيمان التي أرادها النبي ﷺ، وكل أمرٍ ونهيٍ من أوامر الله تعالى ونواهيه فهو مندرجٌ في هذه الأعداد، هكذا ذكره الجلال السيوطي رحمه الله تعالى [(١)].

---

(١) فائدة: قلت في كتابنا شرح شعب الإيمان لابن كثير: قال الإمام النووي: قوله (**الإيمان بضع وسبعون شعبة**) هكذا رواه عن أبي عامر العقدي، عن سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

وفي رواية زهير، عن جرير بن سهيل، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: «**بضعة وسبعون أو بضع وستون**».

كذا وقع في مسلم من رواية سهيل: بضع وسبعون أو بضع وستون على الشك.

ورواه البخاري في أول الكتاب من رواية العقدي: بضع وستون بلا شك.

ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما من رواية سهيل: بضع وسبعون بلا شك.

ورواه الترمذي من طريق آخر، وقال فيه: أربعة وستون بابًا.

واختلف العلماء في الراجحة من الروايتين، فقال القاضي عياض: الصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة بضع وستون.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: هذا الشك الواقع في رواية سهيل هو من سهيل كذا
=

=

قال الحافظ البيهقي رحمه الله، وقد روى عن سهيل: بضع وسبعون من غير شك، وأما سليمان بن بلال، فإنه رواه عن عمرو بن دينار على القطع من غير شك، وهي الرواية الصحيحة أخرجها في الصحيحين، غير أنها فيما عندنا من كتاب مسلم: بضع وسبعون، وفيما عندنا من كتاب البخاري: بضع وستون، وقد نقلت كل واحدة عن كل واحد من الكتابين، ولا إشكال في أن كل واحدة منهما رواية معروفة في طرق روايات هذا الحديث، واختلفوا في الترجيح، قال: والأشبه بالإتقان والاحتياط ترجيح رواية الأقل، ومنهم من رجح رواية الأكثر، وإياها اختار الحليمي، فإن الحكم لمن حفظ الزيادة جازمًا بها.

قال الشيخ ابن الصلاح: ثم إن الكلام في تعيين هذه الشعب يطول، وقد صنفت في ذلك مصنفات، ومن أغرزها فوائد كتاب «مناهج الإيمان» لأبي عبد الله الحليمي إمام الشافعين ببخارى، وكان من رفعاء أئمة المسلمين، وحذا حذوه الحافظ البيهقي في كتابه الجليل الحفيل: «شعب الإيمان».

وقوله: بضع أو بضعة، بكسر الباء، وحكي الفتح لغة، وهو عدد مبهم ما بين الثلاث إلى تسع كما جزم به القزاز.

وقال ابن سيده: على العشر، وقال الخليل: البضع: سبع، وقيل: ما بين اثنين إلى عشرة وما بين اثني عشر إلى عشرين.

والقول الذي عليه القزاز هو ما اتفق عليه المفسرون لما في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

والشعبة: هي القطعة، والمراد الخصلة أو الجزء.

وقد أشار في الحديث إلى أن خصال الإيمان منها ما هو قول باللسان.

ومنها: ما هو عمل بالجوارح.

ومنها: ما هو قائم بالقلب، ولم يزد في شيء من هذه الروايات هذه الخصال.

وقال ابن رجب رحمه الله: وفي قوله: (أعلاها..) ما يستدل به من يقول: إن هذه الكلمة أفضل الكلام مطلقًا، وإنها أفضل من كلمة الحمد، وفي ذلك اختلاف ذكره ابن عبد البر وغيره.

فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح، أو القلوب، أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، وهذا قول الجمهور الأعظم منهم.

وحينئذ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثرة، بل في غيره منحصرة قيل: يمكن أن يُجاب عن هذه بأجوبة:

أحدها: أن يقال: إن عدد خصال الإيمان عند قول النبي ﷺ كان منحصرًا في هذا العدد، ثم حدثت الزيادة فيه بعد ذلك حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي ﷺ، وفي هذا نظر!.

والثاني: أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعون نوعًا، وإن كانت أفراد كل نوع

=

=

تتعدد تعددًا كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر.
وهذا أشبه، وإن كان الوقوف على ذلك يعسر أو يتعذر.
والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد لا على وجه الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].
والمراد تكثير التعداد من غير حصوله هذا في العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكثير العدد وتضعيفه.
وهذا ذكر بعض أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظرٌ!.
والرابع: أن هذا البضع وسبعين هو أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها.
وقال القاضي عياض: تكلف جماعةٌ حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم يكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان اهـ.
وقال الحافظ: ولم يتفق من عدِّ الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره، وهو أن الشعب تتفرَّع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.
فأعمال القلب: فيه المعتقدات والنيّات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة:
الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاده حدوث ما دونه، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، وصحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سننه، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء، والنفاق والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعُجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.
وأعمال اللسان: تشتمل على سبع خصال:

- التلفظ بالتوحيد.
- وتلاوة القرآن العظيم.
- وتعلم العلم وتعليمه.
- والدعاء.
- والذكر.
- والاستغفار.
- واجتناب اللغو.

وأعمال البدن: وتشتمل على ثمانٍ وثلاثين خصلة.

=

=

منها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة:

التطهير حسًّا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والحج والعمرة كذلك والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدِّين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلّق بالاتباع: وهي ستُّ خصالٍ:

التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خَصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله اعلم .

الباب العاشر / في رتبة المشيخة وبيان الشيخ والمريد وبيان سنيَّة المبايعة وكيفيتها

قال الإمام شهاب الدين السهروردي في كتابه «العوارف»:

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسُ محمَّد بيده إن شئتم لأقسمنَّ لكم أن أحبَّ عباد الله إلى الله تعالى الذين يُحبِّبون الله تعالى إلىً عباده، ويُحبِّبون عبادَ الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة**[1]».

وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الشيخ يُحبِّب الله إلى عباده حقيقةً، ويُحبِّب عبادَ الله إلى الله، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى.

فأما وجه كون الشيخ يُحبِّب عباد الله إلى الله أن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ، ومن صحَّ اقتداؤه واتِّباعه أحبَّه الله، قال الله تعالى: ﴿**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١].

ووجه كونه يُحبِّب الله إلى عباده أنه يسلك بالمريد طريق التزكية، وإذا تزكَّت النفس انجلت مرآة القلب، وانعكس فيه أنوار العظمة الإلهية، ولاح فيه جمال التوحيد، وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة جلال القدم، ورؤية الكمال الأزليِّ، فأحبَّ العبد ربَّه تعالى لا محالة، وذلك ميراث التزكية، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾ [الشمس:٩]، وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى، وأيضًا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها، ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها، فينكشف للبصيرة حقيقة الدارين، وحاصل المنـــزلتين، فيحبُّ العبد الباقي ويزهد في الفاني، فيظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية.

فالشيخ جندٌ من جنود الله تعالى، يرشد به المريدين، ويهدي به الضالين.

قال عبد الله بن بشر صاحب رسول الله ﷺ: كان يقال: إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر فإن لم يكن فيهم من يُهاب لله ﷻ فقد خطر الأمر؛ فعلى المشايخ وقار لله تعالى، وبهم يتأدَّب المريدون ظاهرًا وباطنًا.

وقال الشيخ قاسم الخاني في كتاب «السير والسلوك»:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٣/٧)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٨١/١).

اعلم أن مَنْ يتصدَّى للإرشاد لا بدَّ أن يكون عالمًا لما يحتاج إليه المريدون من الفقه وعقائد أهل السنة والجماعة، وإن لم يكن متبحِّرًا في العلم، بل يكون له اطِّلاعٌ بقدر ما يزيل به الشبهة التي تُعرض على المريد في البداية.

وأن يكون عالمًا بكمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدوائها وكيفية حفظ صحّتها واعتدالها.

وأن يكون رؤوفًا رحيمًا بالناس، وعلى المريدين بالخصوص، وأن يكون ناصحًا، فينظر في حال المريد بعدما يصحبه مدةً فإن رآه قابلاً للسلوك سلكه، وحسَّن له الطريق، وأعانه على ترك الأسباب بكل ما أمكنه الإعانة به من المال وغيره، وإن رآه غير قابلٍ نصحه، وقال له: ارجع إلى حرفتك إن كان له حرفةٌ أو إلى تعاطي شيءٍ من الأسباب إن لم يكن له حرفةٌ فإن الله لا يحبُّ العبد البطَّال.

والمريد القابل للسلوك من عادى نفسه فأتعبها بالجوع والعطش والسهر والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام، وكلما آذاه أحدٌ من الخلق إخوانه أقام الحجة على نفسه لا على أخيه الذي آذاه، ويقول: إن نفسي لو لم تكن خبيثةً لما سلَّط الله عليَّ الإخوان بالإيذاء.

وإذا تشاكوا إلى الشيخ يقول: والله إني أنا الظالم على أخي. فمتى كان السالك على هذه الصفات ظاهرًا وباطنًا فهو قابلٌ للسلوك، وإن وُجد فيه أوصافٌ ذميمةٌ، ومتى كان المريد مصدِّقًا وراضيًا عن نفسه ينتصر لها إذا آذاها أحدٌ من إخوانه فلا يفلح ولا يشمُّ رائحة الطريق، فمثل هذا المريد يجب على الشيخ أن يقول له: اذهب إلى صنعتك؛ لأن أساس هذا الطريق عدم الرضا عن النفس ومعاداتها.

فإذا بنى السالك على غير هذا الأساس انهدم كل ما بناه، ولا يلزم من هذا أن القابل لا يصدر منه شيءٌ من القبائح، بل يقع منه بعضها؛ لأنه ليس كاملاً بل طالبٌ للكمال، وطالبه قد يصدر منه بعض القبائح؛ فمرادنا من هذا الكلام أنه إن صدر منه مكروهٌ لا يرضى به ويلوم نفسه ويقيم الحجة عليها، ولا ينتصر لها بوجهٍ من الوجوه ظاهرًا وباطنًا، وكذلك يأمر الشيخ المريد بالاحتراف والصنعة إذا رآه لا يقدر على الرياضات والمجاهدات، فإذا لم يأمره فقد غشَّه، والشيخ لا يكون غشاشًا.

قال ﷺ: «مَنْ غشَّنَا فليسَ مِنَّا»(١)، إلا إذا احتاج الشيخ لخادمٍ يخدم الفقراء فلا بأس

---

(١) رواه مسلم (١/٩٩)، وابن ماجه (٢/٧٤٩)، والطبراني في الأوسط (٤/٢٨١)، وابن حبان في الصحيح (٢/٣٦).

أن يقيمه الشيخ خادمًا وإن كان لا يقدر على الرياضات، لكن يجب على الشيخ أن يُعْلِمه أنه ليس من سالكي طريق المقربين، وأن طريق المقربين لا يكون إلا بالرياضات والمجاهدات.

[من علامات المريد القابل]

ومن علامات المريد القابل: أن يكون ساخطًا على نفسه، إن سَبَّ فلا يُسِبَّ إلا نفسه، وإن تألَّم فلا يتألم إلا عليها، وإن غضب لا يغضب إلا عليها، ومن لم يكن كذلك فليس هو من سالكي طريق المقربين.

ومن علامات المريد القابل: أن يكون حزين القلب، منكَّس الرأس كمن أصابته مصيبةٌ، والحق أن مصيبة السالك أعظم المصائب؛ لأنه ببركة السلوك وتلاوة الأسماء والأوراد عرف ما انطوت عليه نفسه من الخبائث والرذائل والقبائح، وعرف أنه مع بقاء هذه الخبائث لا يصل إلى مطلوبه.

حُكي عن عتبة الغلام وكان من الرجال: أنه زها يومًا من الأيام، فقال له شيخ ذلك الزمان وهو الجنيد: تزهو يا عتبة الغلام. فقال: لا أزهو يا أستاذ فقد أصبح لي ربًّا وأصبحت له عبدًا. فقال له الشيخ: يا بني، إن الفرح مذمومٌ، ولو كان بالله تعالى، وإن الله تعالى يحبُّ القلب الحزين؛ قال ﷺ: «**إنَّ الله يُحبُّ كُلَّ قلبٍ حزينٍ**[1]».

ومن علامات المريد القابل: أن يكون معاديًا لنفسه، طالبًا من الله تعالى تزكية النفس في سرِّه وعلانيته، ويعلم أنها عدوُّه، وأن مرضها خطرٌ؛ فيسعى على خلاصه، وإذا صدر منه شيءٌ مما يضره في الطريق حكاه للشيخ ولا يكتم منه شيئًا.

ومن علامات المرشد: أن يكون ستارًا لكل ما أظهره عليه المريد، وأن يكون غنيَّ النفس، حسن الخلق، لا يغضب إلا لله.

وأن يكون قد استوى عنده جميع المآكل: حسنها، وخسيسها، وكذلك استوى عنده جميع الملابس، فلا يكون عنده فرقٌ بين الصوف وغيره من الملابس الحسنة.

وأن يكون أكبر همه تسليك السالكين لا جمعهم حواليه؛ لينصرف وجوه الخلق نحوه بسببه، فإن مثل هذا الشيخ يفرش سجادته على متن جهنم.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٣٥١)، والطبراني في معجم الشاميين (٢/٣٥١)، والديلمي في الفردوس (١/١٥٦)، والبيهقي في الشعب (١/٥١٥).

وأن يكون في جميع أحواله في الحالة الوسطى من الجوع والشبع والنوم والسهر، أعني بين الإفراط والتفريط كما قال ﷺ: «**أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأُفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّجُ النساء**[1]».

فأشار ﷺ إلى أن الحالة الوسطى شيءٌ حسنٌ، وأنها حالة الأتقياء الكُمَّل، ولا شكَّ أن الحالة الوسطى لا يقدر على الاتصاف بها إلا الكُمَّل من الرجال.

وكذلك كان من يتَّصف بها صالحًا للإرشاد، فإذا لم يكن متَّصفًا بها فلا يقدر عليه؛ لأنه لا ينبغي أن يكون جلاله ممزوجًا بجماله وغضبه ممزوجًا بحلمه وقهره ممزوجًا بلطفه، يسقط من عين الرضا، ويرضى من عين السخط، وذلك لقيامه بالله، إن سخط فسخطه بالله، وإن رضي فرضاؤه بالله، فيجب على المريد أن ينظر أولاً في حال نفسه هل فيه أوصاف المريد القابل، وينظر ثانيًا في أحوال الشيخ هل هو متَّصفٌ بما ذكر من الأوصاف، فإن رأى نفسه وشيخه كذلك فيجب عليه السلوك والخلاص من سجن الطبيعة، والترقِّي إلى أكمل الصفات، ولا يبالي إن طالت المدة؛ فإنه لا بدَّ من الوصول، حتى إنه إذا وجد في نفسه أوصاف المريد القابل وما وجد الشيخ فيسلك هو وحده، ولكن يجب عليه إذا فقد الشيخ تمسُّك بالشريعة الغرَّاء، ومطالعة أحاديث النبي ﷺ وأخلاقه وأوصافه؛ لأن الشيطان لا يغفل عن المريد لحظةً ولا ساعةً، ويدخل عليه من أبوابٍ كثيرةٍ، فيأتيه وهو في النفس الأمَّارة فيقول ما لك؟.

وهذا الطريق هذا طريقٌ قد مات أهله وما بقي إلا العبارات، وأنت في زمانٍ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وإذا أردت السلوك فعلى يد من تسلك.

أين أصحاب الكرامات؟ أين أصحاب الأحوال؟ كلهم ماتوا.

فكن مستمدًا منهم، وقف مع ظاهر الشرع، فإن صفى لمريد لهذا الكلام، وبردت همَّته وانحلَّ غرضه، وأعرض عن السلوك جاء اللعين بعد ذلك، وقال: إن الله تعالى يحب أن تُؤتى رخصه كما يكره أن تُؤتى معصيته، وأن الله تعالى يحب أن تقبل رخصته كما يحب العبد مغفرة ربه، وأن الله تعالى يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه، فلا تشدد على نفسك.

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، فإن

---

(١) رواه البخاري (٥/١٩٤٩)، وابن حبان في الصحيح (١/١٨٥)، والطبراني في الكبير (٩/٢٥)، وفي الأوسط (٥/٢٢١).

صغى المريد لهذا الكلام وتتبع الرخص في أقوال الأئمة تناول الشبهات التي بين الحلال والحرام، ومن تناول الشبهات وفعلها فقد حام حول الحرام، أو قرب منه، ومن شأن الشبهات أنها تظلم القلب، ومن أظلم القلب وقع في الحرام، وهلك مع الهالكين؛ لأن من أكل الحرام وداوم عليه وملأ بطنه منه لا يخطر بباله فعل الحرام، فإذا تكلَّم تكلَّم بالغيبة والنميمة وكسر الخواطر، وغير ذلك مما يكون سببًا لارتكاب الحرام.

وإذا تحرَّك فيتحرك بالحرام، وإذا مشى فمشيته للحرام، وهذا غاية مطلب الشيطان؛ لأنه قد أيس من أن يدخل أمة محمَّد ﷺ، وما أيس من أن يخرج المؤمن من كمال الإيمان؛ فإن مع المعاصي وأكل الحرام لا يكون الإنسان كافرًا بل مؤمنٌ، لكنه ليس كامل الإيمان، ويأتي الشيطان للمريدين من أبواب كثيرةٍ وهم في النفس الأمارة، ويسعى على قطعهم، فإن عصمهم الله تعالى ردوا بأن قالوا هذا شأن العاجزين الحمقاء البطَّالين، وحسن الظن بعباد الله تعالى أولى، وسلكوا حتى وصلوا إلى المقام الثاني، وصارت نفوسهم لوَّامةً أتاهم الشيطان من أبوابٍ كثيرةٍ ليقطعهم عن طريق الحق.

منها: أن يحسِّن لهم ما يصنعون من الأعمال ويزيِّنه لهم، فيُدخل عليهم العُجب، فإذا دخل عليهم العُجب بنفوسهم وأعمالهم غرَّهم وقال لهم: المقصود من الطريق العمل، وأنتم قد حصلتم عليه فلا حاجة لكم إلى العلم ولا نصيحة العلماء؛ لأن العالم الذي ينصحكم ينصح نفسه، وهل يعمل العالم معشار ما تعملون، فإن تمكن منهم استعظموا أنفسهم واستحقروا الناس، وساءت أخلاقهم، وساء ظنُّهم بالغير، وصاروا لا يقبلون من عالمٍ نصيحةً، بل يتعبَّدون على مقتضى عقولهم، فيهلكون في بحار الجهل.

لأن من اعتقد كمال نفسه فهو جاهلٌ؛ قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، ودسائس الشيطان كثيرةٌ، فمن قدر عليه بإفساد عمله أفسده عليه، ومن لا يقدر على إفساد عمله دخل عليه بعملٍ أفضل من عملٍ وحسَّنه له مع أنه لا يقدر عليه، لكنه يهوِّنه عليه ويقرِّبه له حتى يباشر العمل الثاني، وينقطع بسببه عن العمل الأول، ولا يقدر على إتمام العمل الثاني، ويُحرم العملين، وهذا مراد الشيطان من ابن آدم.

ومنها: أن يقول لأصحاب النفس اللوامة: أنتم مقتدون والناس يعتقدون بكم فلا بأس أن تحسِّنوا أعمالكم ليقتدوا بكم وتحصِّلوا الثواب، فإذا أحسنوا أعمالهم بهذه النية صارت معلولةً، وهذا إن عجز عن أن يجعلها رياءً وسمعةً.

ومنها: أن يقول للعابد: اخفِ عبادتك؛ فإن الله يحب العمل الخفيَّ، فيحبك الله تعالى، ويحببك إلى الناس أيضًا؛ لأنهم يطَّلعون على إخلاصك، فإن تبعه وأخفى عمله بنيَّة

محبَّة الخلق وقع في الرياء من حيث لا يشعر، فإن عصمَهم الله تعالى وترفَعوا إلى المقام الثالث وهو الذي تسمى النفس فيه الملهمة دخل من أبوابٍ تناسبها؛ لأنهم قد بلغوا بعض درجات العرفان وقطعوا بعض العقبان ولم يغترُّوا بما زُيِّن لهم، فيأتي إليهم، فيقول لهم:

قد تحققتم وعلمتم أن لا موجود في الحقيقة إلاّ الله تعالى، وأنه هو المبدئ والمعيد، وإليه كل شيءٍ يعود، ولا يتحرك متحركٌ إلا بقدرته، وقد جفَّ القلم وأهل النار للنار وأهل الجنة للجنة، وهذا الأمر لا يعلمه إلا مثالكم، فلِم تتعبون بالأعمال الشاقة؟ فدعوا الأعمال للمحجوبين المقلدين، ولا تشتغلوا بها، واشتغلوا بالمشاهدة والمراقبة، فإن زلَّت أقدامهم وما اطَّلعوا أنها دسيسةٌ شيطانيةٌ تركوا الأعمال الصالحة، فإذا تركوها وأظلمت قلوبهم من حيث لا يعلمون جاءهم وتمكن منهم بسبب ظلمة قلوبهم، وقال: افعلوا ما شئتم؛ فإن الله سبحانه وتعالى حقيقتكم، وأنتم هو وهو أنتم، وهو لا يُسأل عمَّا يفعل وأنتم لا تسألون، وهؤلاء هم الحلولية المنتمون إلى السادة الصوفية وليسوا منهم، وإنما هم جاهلون، فحينئذٍ تسبل عليهم الحجب الظلمانية ولا يرونها، فيزنون ويشربون الخمر ويأكلون الحرام من أي وجهٍ كان من سرقة أو غير ذلك، ولا يخافون من الله تعالى؛ لسوء اعتقادهم وعدم معرفتهم بالله تعالى، ولا يزال الشيطان يلعب بهم حتى يتخذونه وليًّا من دون الله، والعياذ بالله هذا حالهم.

وأما المريدون وجه الله تعالى والمحبُّون له المخلصون اتبعوا أفعال نبينا ﷺ وأقواله وسائر الشريعة حتى يأتي الموت، فهؤلاء كلما خطر ببالهم خاطرٌ قاسوه بأفعاله ﷺ وأقواله، فإن وافق عملهم به عملوه، وإلا ردُّوه.

وقالوا: إنه من الشيطان، وقد علموا أن النبي ﷺ انتقل بالوفاة ولم يترك شيئًا من الفرائض والنوافل.

ولا يسمع هذا من السلف الصالح فتحققوا أن كل خاطرٍ لا يوافق الشريعة فهو زندقةٌ وكفرٌ وضلالٌ، فاستقاموا على الطريقة، فيترقون من هذه المقامات الكثيرة إلى المقامات العليا، فانكشف لهم عن سرِّ الشريعة، فرأوه بحرًا لا ساحل له، وهو مخزونٌ من ظاهر الشريعة.

ومن لم يكن متابعًا لظاهر الشريعة لا ينكشف له، ويقع في الزندقة والعياذ بالله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فهذه الآية الكريمة تكفي المستبصر في التزام الوقوف على باب الشريعة حتى ينتقل إلى الدار الآخرة.

فمن تمسَّك بالشريعة يصل إلى أسرارها، وهذه الأسرار يعرفها أهلها بسبب تنوير باطنهم واتِّباعهم الشريعة، ولا تلتبس عليهم.

فإن أراد الشيطان تلبُّسها عليهم فلا يقدر؛ لأنه ليس له عليهم سلطانٌ، وقد جاء للشيخ عبد القادر الكيلاني قدسَّ الله سرَّه وهو في البادية، فقال له: يا عبد القادر، أنا الله وقد أبحت لك المحرمات؛ فاصنع ما شئت. فقال: كذبت؛ إنك شيطانٌ، إن الله لا يأمر بالفحشاء.

فانظر ما أعظم وما أسلم من تمسَّك بها انتهى.

قلت: ولذلك قال الجنيد قدَّس الله سرَّه:

علمنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة ردًّا على توهُّم خروجه عنها في ذلك الزمن أو غيره.

وقال أيضًا: الطرق كلها مسدودةٌ إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ[١].

وقال أيضًا: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا ومذهبنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة[٢].

وقال السرِّي رضي الله عنه: التصوف اسمٌ لثلاث معانٍ، وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلَّم بباطنٍ في علمٍ ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى[٣].

وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه **لبعض أصحابه**: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهَّر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصودًا مشهورًا بالزهد، فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد، ولم يسلِّم عليه، وقال: هذا رجلٌ غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدَّعيه؟!

---

(١) انظر: طبقات الصوفية (ص١٥٩)، والرسالة (١٠٦/١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٦٣/٢)، والاستقامة لابن تيمية (ص٩٧)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٤٦).

(٢) انظر: اللمع (ص١٤٤)، والرسالة (١٠٧/١)، وتاريخ بغداد (٢٤٣/٧)، وسير أعلام النبلاء (٦٧/١٤)، ومدارج السالكين لابن قيم (١١٩/٣)، وكتابنا الجنيد (ص١٦٠).

(٣) انظر: طبقات الصوفية (ص١٥٩)، والرسالة (١٠٦/١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٦٣/٢)، والاستقامة لابن تيمية (ص٩٧)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٤٦).

وقال أيضًا: لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتى تربع في الهوى فلا تغترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

وقال ذو النون المصري ﷺ: من علامات محبِّ الله تعالى متابعة حبيبه محمَّدٍ ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنَّته.

وقال بشر الحافي ﷺ: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا بشر، هل تدري بِمَ رفعك الله تعالى من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله. قال: باتِّباعك لسنتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك إخوانك، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلَّغك منازل الأبرار.

وقال أبو سعيد الخرَّاز ﷺ: كل باطنٍ يخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ[1].

وقال محمد بن الفضل ﷺ: ذهب الإسلام من أربعةٍ لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلَّمون بما يعملون، والناس من التعلم يمنعون.

فانظر أيُّها العاقل الطالب للحق إن هؤلاء عظماء ومشايخ علماء الطريقة، وكبراء أرباب السلوك والحقيقة، كلهم يعظِّمون الشريعة الشريفة، ويبنون علومهم الباطنة على السيرة الأحمدية والملة الحنيفية؛ إذ هي سبب وصلتهم إلى الله ﷻ في كل لحظةٍ، وأما المبالغة فهي سنَّةٌ من سنن رسول الله ﷺ.

خرَّج الإمام السهروردي في كتابه «العوارف» عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيث كنَّا، ولا نخاف في الله لومة لائمٍ. ورواه البزار أيضًا.

فينبغي لكل طالب الآخرة أن يقصد شيخًا عالمًا عاملاً بحسن ظنٍّ وعقيدةٍ يحكِّمه في نفسه لمصالح دينه، يرشده ويهديه ويعرِّفه طرق المواجيد، ويبصِّره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو وغير ذلك، فيسلِّم نفسه إليه، ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيبايعه، ويلبِّسه الخرقة إظهارًا للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم، ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى ورسوله، وإحياءً لسنة المبايعة مع رسول الله ﷺ؛ ففي الخرقة معنى المبايعة، والخرقة عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو المحبة، وبالصحبة يرجَى للمريد كل خيرٍ.

---

(١) انظر: كتابنا الإمام الجنيد (ص١٣).

روي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: من لم يكن له إمامٌ فإمامه الشيطان.

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي عليٍّ الدقَّاق أنه قال: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارسٍ فإنها تورق ولا تثمر وهو كما قال، ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: وسمعت كثيرًا من المشايخ يقولون:

من لم ير مفلحًا لا يفلح، ولنا في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ؛ فأصحاب رسول الله ﷺ تلقَّوا العلم والآداب من رسول الله ﷺ.

كما روي عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: علَّمنا رسول الله ﷺ حتى الخِراءة[(١)].

فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدَّب بآدابه يسري من باطن الشيخ حالٌ إلى باطن المريد، كسراجٍ يقتبس من سراجٍ، وهكذا إلى حضرة المصطفى ﷺ، فيفيض من روحانيته ﷺ نفحاتٌ على هذا المريد، ويعود عليه منه ﷺ مددٌ عظيمٌ، وكلام الشيخ يلقح باطن المريد، ويكون مقال الشيخ مستودعٌ نفائي الحالة، وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال، ولا يكون هذا إلا لمريدٍ صادقٍ حصر نفسه مع الشيخ، وانسلخ من إرادة نفسه، ويفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه، ويحذر الاعتراض على الشيوخ ظاهرًا وباطنًا؛ فإنه السُّمُّ القاتل للمريدين.

وقلَّ أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح، وليذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى عليه السلام؟ ثم لما كشف له معناها بان لموسى عليه السلام وجه الصواب في ذلك.

فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرفٍ أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيانٌ وبرهانٌ للصحة، ويد الشيخ في المبايعة تنوب مناب يد رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾** [الفتح: ١٠].

وليأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء؛ فالشيخ للمريد صورةٌ يستشفُّ المريد من

(١) رواه مسلم (١/٢٢٣)، وأبو داود (١/٣)، والترمذي (١/٢٤)، والنسائي في الكبرى (١/٧٢).

وراء هذه الصورة المطالبات الإلهية والمراضي النبوية.

وليعتقد المريد أن الشيخ بابٌ فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه، منه يدخل، وإليه يرجع، ولينـــزل بالشيخ سوانحه ومهامَّه الدينية والدنيوية.

وليعتقد أن الشيخ ينـــزل بالله الكريم ما ينـــزل المريد به، ويرجع في ذلك إلى الله تعالى للمريد، كما يرجع المريد إليه، وللشيخ بابٌ مفتوحٌ من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة، فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه، وهو أمانة الله تعالى عنده.

ويستغيث إلى الله تعالى لحوائج المريد كما يستغيث لحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه، واعلم أن للمريد مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام، فأوان الارتضاع لزوم الصحبة، والشيخ يعلم وقت ذلك؛ فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه؛ قال الله تعالى تأديبًا للأمة: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢]، وأي أمرٍ جامعٍ أعظم من أمر الدين، فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن له أوان الفطام، وأنه يقدر أن يستقلَّ بنفسه، واستقلاله بنفسه، أن ينفتح له باب الفهم من الله تعالى، فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهام بالله تعالى والفهم من الله تعالى وتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه، ومتى فارق الشيخ قبل أوان الفطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية، وهذا التلزُّم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقي.

[كيفية المبايعة وصفة العهد عند البعض]

وأما كيفية المبايعة وأخذ العهد على المريد: فليأمره بأن يغتسل، ثم يصلي ركعتين، ثم يقول: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من جميع الذنوب ثلاثًا.

قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: حدثني أبو بكر الصديق ﷺ وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رجلٍ يُذنبُ ذنبًا ثُمَّ يقوم فيتطهَّر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غَفَرَ له، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥] [1]»، رواه النسائي والترمذي.

ثم يقرأ الشيخ سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٢٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٥)، وأحمد في المسند (١/٢)، وابن ماجه (١/٤٤٦)، وابن المبارك في الزهد (١/٣٨٥).

المُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]، وخواتيمها.

ثم يقرأ قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾** [الفتح:١٠].

ثم يمسك بيده اليمنى يد المريد ويلقّنه أُشهد الله تعالى وملائكته ورسله والحاضرين من خلقه أنّي تائبٌ إلى الله تعالى من جميع الذنوب والخطايا، راغبٌ إلى الله تعالى في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، مجتهدٌ على طاعته، منيبٌ إليه، مواظبٌ على خدمة الفقراء والمساكين، وذلك بحسب الطاقة، والله على ما نقول وكيل، ثم يقرأ الشيخ قوله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** [إبراهيم:٢٧].

ثم يقول: العهد عهد الله سبحانه وتعالى.

واليد يد رسول الله ﷺ، ثم يغمض عينيه، ويُحضر قلبه ويلقّنه كلمة التوحيد.

فإذا قالها صحيحةً يأمره بالإكثار منها ويدعو له بالخير.

ثم يقول: اللّهُمَّ اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مُضلِّين، سلما لأوليائك، وحربًا لأعدائك، نحبُّ بحبِّك من أحبَّك، ونعادي بعداوتك من خالفك.

اللّهُمَّ وفّقنا لما تحبه وترضاه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا والحمد لله ربِّ العالمين، ويقرأ من كان حاضرًا الفاتحة.

وقد بايعنا والدنا المرحوم ولقّننا الذكر، وأجازنا، وألبسنا خرقة الخلافة في طريق شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلاني.

كما بايعه الشيخ الكامل العارف بالله تعالى الشيخ إسماعيل البرزنجي القرداغي.

وهكذا إلى حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني.

وهكذا إلى حضرة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وهو من حضرة نبينا محمَّد المصطفى ﷺ وقد أُهملت بل أُميتت هذه السنة الشريفة في هذا الحين، وبطلت سيرة الصالحين؛ وذلك لعدم الاهتمام بالدين.

قال نبينا ﷺ: «**إنَّ هذا الدينَ بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، فطُوبَى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد النَّاس من بعدي من سنَّتي**[1]» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْيَى سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فإنَّه لَهُ مِنْ الأجرِ مِثْلَ أجورِ**

(١) رواه الترمذي (١٨/٥)، وأحمد (٣٨٩/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٣/٧).

مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقصَ مِنْ أجورِهِمْ شيئًا[(١)]» رواه الترمذي والبيهقي.

وقال ﷺ: «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فسادِ أُمَّتِي فَلَهُ أجرُ مائةِ شهيدٍ[(٢)]» رواه النسائي.

وعن أنس ﷺ أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ إنْ قدرتَ أنْ تُصبحَ وتُمسي وليسَ فِي قلبِكَ غِشٌّ لأحد فافعلْ، ثم قال: يا بُنَيَّ وذلك من سنَّتِي، ومَنْ أحيى سنَّتِي فقد أحبَّنِي، ومن أحبَّنِي كانَ معي في الجنَّة[(٣)]» رواه الترمذي والبيهقي.

اللَّهُمَّ أحينا على سُنَّته، وتوفَّنا على ملَّته، واجعلْنا من أهل شفاعته، واحشرنا في زمرته، آمين يا ربَّ العالمين.

***

(١) رواه الترمذي (٥/٤٥)، وابن ماجه (١/٧٦)، والطبراني في الكبير (١٧/١٦).

(٢) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٢/١١٨)، والديلمي في الفردوس (٤/١٩٨)، وابن عدي في الكامل (٢/٣٢٧).

(٣) رواه الترمذي (٥/٤٦)، والطبراني في الأوسط (٦/١٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٦/٣٠٩).

الباب الحادي عشر/في حقوق المسلم، وحقوق الأقارب والرحم، وحقوق الوالدين والولد

والمملوك، وحقوق الإخوة والصحبة والعالم والأستاذ والزوج والزوجة، وفضيلة الألفة والأخوة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء:٣٦]: أي صنمًا أو غيره، أو شيئًا من الإشراك جليًا أو خفيًا، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾: أي أحسنوا بهما إحسانًا، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾، وبصاحب القرابة، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: الذي قرب جواره، وقيل: الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسبٍ أو دينٍ، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد الذي لا قرابة له.

وعنه ﷺ: «الجيران ثلاثةٌ: فجارٌ له ثلاثة حقوقٍ: حقُّ الجوار، وحقُّ القرابة، وحقُّ الإسلام. وجارٌ له حقَّان: حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقٌّ واحدٌ: حقُّ الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب [1]»، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾: الرفيق في أمرٍ حسنٍ كتعلُّمٍ وتصرُّفٍ وصناعةٍ وسفرٍ؛ فإنه صحبك وحصل بجنبك، وقيل: المرأة.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر أو الضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: العبيد والإماء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً﴾: متكبرًا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه، ولا يلتفت إليهم، ﴿فَخُوراً﴾ يتفاخر عليهم، كذا ذكره البيضاوي.

وقال الغزالي في «الإحياء»: اعلم أن الإنسان إمَّا أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذَّر عيشه إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بدٌّ من تعلُّم آداب المخالطة؛ فكل مخالطٍ ففي مخالطته أدبٌ، والأدب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة.

أما القرابة وهي أخصُّها، أو أخوة الإسلام وهي أعمُّها، وينطوي معنى الأخوة على الصداقة والصحبة.

أما الجوار أو صحبة السفر أو المكتب أو الدرس أو الصداقة أو الإخوة، ولكل واحدٍ

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٥/١٧١).

من هذه الروابط درجاتٌ، فللقرابة حقٌّ، ولكن حق الرحم المحرم أوكد، وللمحرم حقٌّ ولكن حق الوالدين أوكد.

وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه أو بعده، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى أن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن؛ لاختصاصه بحق الجوار في البلد، وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكُّد المعرفة.

فأما حقوق المسلم فهي أن تسلِّم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمِّته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرَّ قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحبُّ له ما تحبُّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، ورد جميع ذلك في أخبارٍ وآثارٍ.

وقد روى أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أربعٌ مِنْ حقِّ المسلمين عليك: أن تُعين محسنَهم، وأن تستغفرَ لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحبَّ تائبهم**[1]».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] قال: «يدعو صالحهم لطالحهم، وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال:

اللَّهُمَّ باركْ له فيما قسمت له من الخير، وثبته عليه وما نفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: اللَّهُمَّ اهده، واغفرْ له، وتُبْ عليه».

ومنها: أن يحب لكافتهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

قال النعمان بن بشير ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمَثَل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ منه تداعى سائره بالسهر والحمى**[2]».

وروى أبو موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**[3]».

ومنها: ألا يؤذي أحدًا من المسلمين بفعلٍ ولا قولٍ.

قال ﷺ: «**المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانِهِ ويدِهِ**[4]».

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣٧٢/١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٣٨/٥)، والبيهقي في الشعب (١٠٢/٦).

(٣) رواه البخاري (١٨٢/١)، ومسلم (١٩٩٩/٤)، والترمذي (٣٢٥/٤)، والنسائي (٤١/٢).

(٤) رواه البخاري (١٣/١)، ومسلم (٦٦/١)، والترمذي (١٧/٥).

وقال ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يشيرَ إلى أخيه بنظرةٍ تؤذيه**[١]».

وقال ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّعَ مسلمًا**[٢]».

وقال ﷺ: «**إنَّ الله يكره أذى المؤمنين**[٣]».

وقال مجاهد ﷺ: يُسلَّط على أهل النَّار الجرب، فيحتكُّون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادى: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيُقال: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين.

ومنها: أن يتواضع لكل مسلمٍ ولا يتكبَّر عليه، فإن الله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ؛ قال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ: أن تواضعوا؛ حتَّى لا يفخرُ أحدٌ على أحدٍ**[٤]».

ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩].

وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته[٥]».

ومنها: ألا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعضٍ، ولا بليغ بعضهم من بعضهم.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخلُ الجنَّة قتَّاتٌ**[٦]».

قال الخليل بن أحمد ﷺ: «من نَمَّ لك نَمَّ عليك، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك».

ومنها: ألا يزيد في الهجرة لمن يعرفه على ثلاثة أيامٍ مهما غضب عليه.

قال أبو أيوب الأنصاري ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوق ثلاثٍ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرُهم الذي يبدأُ بالسلام**[٧]».

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤٠/١).

(٢) رواه أبو داود (٣٠١/٤)، والترمذي (٤٦٢/٤)، وأحمد (٣٦٢/٥).

(٣) رواه الترمذي (١٢٨/٥)، والطبراني في الأوسط (٢١٨/٢).

(٤) رواه مسلم (٢١٩٨/٤)، وابن ماجه (١٣٩٩/٢).

(٥) رواه النسائي (٥٣١/١)، وابن حبان في الصحيح (٣٣٤/١٤).

(٦) رواه البخاري (٢٢٥٠/٥)، ومسلم (١٠١/١)، والترمذي (٣٧٥/٤)، والنسائي (٤٩٦/٦).

(٧) رواه البخاري (٢٣٠٢/٥)، ومسلم (١٩٨٤/٤)، والترمذي (٣٢٧/٤).

وقال ﷺ: «مَنْ أقالَ مسلمًا عثرَتَه أقاله الله تعالى يوم القيامة[(١)]».

ومنها: أن يُحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميِّز بين الأهل وغيرهم.

روى علي بن الحسين عن أبيه عن جدِّه رضوان الله عليهم أجمعين قال: قال رسول الله ﷺ: «اصنعِ المعروفَ في أهلِهِ وفِي غيرِ أهلِهِ، فإنْ أصبتَ أهلَه فهو أهلُه، وإنْ لَمْ تُصِبْ أهلَه فأنتَ مِنْ أهلِهِ[(٢)]».

وعنه أيضًا عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «رأسُ العقلِ بعدَ الدينِ التودُّدُ إلَى النَّاسِ، واصطناعُ المعروفِ إلَى كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ[(٣)]».

ومنها: ألا يدخل على أحدٍ منهم إلا بإذنه، بل يستأذن ثلاثًا، فإن لم يأذن انصرف؛ قال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «الاستئذانُ ثلاثٌ: فالأولى: يستنصتون، والثانية: يستصلحون، والثالثة: يأذنون أو يردُّون[(٤)]».

ومنها: ألا يخالق الجميع إلا بخلقٍ حسنٍ، ويعامله بحسن طريقته؛ فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأميِّ بالفقه والغيِّ بالبيان آذى وتأذَّى.

ومنها: أن يوقِّر المشايخ، ويرحم الصبيان؛ قال جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ:

«ليس منَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كبيرنا ولَمْ يرحَمْ صغيرنا[(٥)]».

ومن تمام توقير المشايخ ألا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن.

قال جابر ﷺ: قَدِمَ وفد جهينة على رسول الله ﷺ، فقام غلام ليتكلم فقال رسول الله ﷺ: «مه، فأين الكبيرُ[(٦)]».

وفي الخبر: ما أكرم شابٌّ شيخًا إلا قَيَّض الله تعالى له في سنِّه مَنْ يوقِّره ويُكرمه.

وفيه إشارةٌ لدوام الحياة؛ فليتنبَّه لها، فلا يوفَّق لتوقير الشيوخ إلا مَنْ قُضِي له بطول العمر، والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ؛ كان يَقدم من السفر فيلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر أصحابه

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦/٢٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٥).

(٢) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢/٣٥).

(٣) رواه القضاعي في الشهاب (١/١٤٧)، والبيهقي في الشعب (٦/٢٥٦)، والرافعي في التدوين (١/١٤٨).

(٤) ذكره الزرقاني في شرحه (٤/٤٦٨)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥/٢٦٠).

(٥) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٤١٤).

(٦) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/١٣٨).

فيحملوا بعضهم، فربَّما تفاخر الصبيان بعد ذلك.

فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم.

ومنها: أن يكون مع كافة الخلق مستبشرًا طَلِقَ الوجه رفيقًا.

قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون على مَنْ حُرِّمت النَّار؟ قالوا: الله ورسوله أعلمُ. قال: على الهيِّنِ الليِّنِ السهلِ القريب**[١]».

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ، فإنْ لَمْ تجدوا فبكلمة طيِّبة**[٢]».

وقال أنس ﷺ: «**عرضت لرسول الله ﷺ امرأةٌ، وقالت: لي معك حاجةٌ، وكان معه ناسٌ من أصحابه، فقال: اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك. ففعلت، فجلس إليها حتى قضى حاجتها**[٣]» .

ومنها: ألا يَعِدَ مسلمًا بوعدٍ إلا ويوفِّي به؛ قال رسول الله ﷺ: «**العدَة عطيَّةٌ**[٤]».

وقال ﷺ: «**العدَةُ دَيْنٌ**[٥]».

وقال ﷺ: «**آيةُ المنافقِ ثلاثٌ وإنْ صامَ وصلَّى وزعم أنَّه مسلمٌ: إذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلفَ، وإذا أؤتمنَ خانَ**[٦]».

ومنها: أن يُنصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يُؤتى إليه.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يستكملُ العبدُ الإيمانَ حتَّى يكونَ فيه ثلاثُ خصالٍ: الإنفاقُ من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذلُ السلام**[٧]».

وقال ﷺ: «**مَنْ سرَّه أنْ يُزحزحَ عنِ النَّارِ ويدخلَ الجنَّةَ فلتأتيه منيَّته وهو يشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسولُ الله، وليأتِ إلى النَّاس ما يُحبُّ أنْ يُؤتَى**[٨]».

ومنها: أن يزيد في توقير مَنْ تدلُّ هيئته وثيابه على علوِّ منزلته، فيُنزل الناس

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦/٢٧٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣/١٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٢٤١)، ومسلم (٢/٧٠٤)، وابن حبان في الصحيح (٧/٤٣).

(٣) رواه أبو داود (٤/٢٥٧)، وأحمد (٣/١١٩).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٠٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٦٦).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٤/٢٣)، والديلمي في الفردوس (٣/٨٢).

(٦) رواه أبو يعلى في المسند (١١/٤٠٦)، وابن منده في الإيمان (٢/٦٠٦).

(٧) رواه القضاعي في الشهاب (٢/٦٥).

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/١٢٢)، وذكره ابن كثير في التفسير (١/٤٣٦) بنحوه.

منازلهم.

روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفرٍ فنـــزلت منـــزلاً فوضعت طعامها فجاء سائلٌ، فقالت عائشة رضي الله عنها: ناولوا هذا المسكين قرصًا. ثم مرَّ رجلٌ على دابَّة، فقالت: ادعوه إلى الطعام. فقيل لها: تعطين المسكين وتدعين هذا الغني. فقالت: إن الله ﷻ قد أنزل الناس منازل لا بدَّ لنا من أن نُنـــزلهم تلك المنازل، هذا المسكين يرضى بقرص، وقبيحٌ بنا أن نعطي هذا الغنّي على هذه الهيئة قرصًا.

ويُروى أنه ﷺ: «دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غفر المجلسَ وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانًا فقعد على الباب، فلفَّ رسول الله ﷺ رداءه، فألقاه إليه، وقال له: اجلس على هذا. فأخذه جرير، ووضعه على وجهه، وجعل يقبِّله ويبكي، ثم لفَّه، فرمى به إلى النبي ﷺ.

وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني. فنظر النبي ﷺ إلى أصحابه ثم قال: **«إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه، كذلك كلُ مَنْ له عليه حقٌ قديمٌ فليُكرمْه[1]»**.

روي أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته جاءت إليه فبسط ردائه، ثم قال لها: مرحبًا بأمي، ثم أجلسها على الرداء، ثم قال لها: **«اشفعي تُشفَّعِي وسلي تُعْطَيْ[2]»**

ومنها: أن يُصلح ذات البَيْن بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلاً.

قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبرُكم بأفضلَ مِنْ درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاحُ ذات البَيْن، وفساد ذات البين هي الحالقةُ[3]»**.

وقال ﷺ: **«ليسَ بكذَّابٍ مَنْ أصلحَ بين اثنين، فقال خيرًا أو نَمَى خيرًا[4]»**.

وهذا يدل على وجوب الإصلاح؛ لأن ترك الكذب واجبٌ ولا يسقط الواجب إلا بواجبٍ آكدَ منه.

ومنها: أن يستر عورات المسلمين كلهم.

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (١٦٨/٨)، وابن ماجه في السنن (١٢٢٣/٢).

(٢) ذكره ابن حجر في مكارم الأخلاق (٧٣/١).

(٣) رواه أبو داود (٢٨٠/٤)، والديلمي في الفردوس (١٣١/١).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٥/٣)، والقضاعي في الشهاب (٢١٠/٢).

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَتَرَ عَلَى مسلم سَتَرَهُ الله فِي الدنيَا والآخرةِ[(١)]».

ومنها: أن يتَّقي مواضع التهم صيانةً لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة؛ فإنهم إذا عصوا الله بذكره فكان هو السبب فيه كان شريكًا.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

وقد روى أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ: كلَّم إحدى نسائه، فمرَّ به رجلٌ فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: يا فلان، هذه زوجتي صفية. فقال: يا رسول الله من كنت أظن به، فإني لم أظن فيك. فقال: «إنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدمَ مَجْرَى الدَّمِ[(٢)]».

وفي رواية: «إنِّي خشيتُ أنْ يقذفَ فِي قلوبِكم شيئًا. وكانا رجلين، فقال: على رَسْلِكُمَا إنَّها صفية[(٣)]». وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان.

ومنها: أن يشفع لكل من له حاجةٌ من المسلمين عند من له منـــزلةٌ، ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر.

قال رسول الله ﷺ: «إنِّي أُوْتَى فأُسألُ، وتطلبُ إليَّ الحاجةُ وأنتم عندي، فاشفعوا لتؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيِّه ما أحبَّ[(٤)]».

وقال ﷺ: «اشفعوا إليَّ تؤجروا؛ إنِّي أريدُ الأمرَ كما تشفعوا إليَّ، فأؤخِّره فتؤجروا[(٥)]».

وقال ﷺ: «مَا مِنْ صدقة أفضلُ مِنْ صدقة اللِّسان. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: الشفاعةُ يُحقنُ بها الدَّمُ، وتُجرُّ بها المنفعةُ، ويُدفع بها المكروه عن أحدٍ[(٦)]».

ومنها: أن يبدأ كل مسلمٍ بالسلام قبل الكلام.

---

(١) رواه أبو داود (٤/٢٨٧)، والترمذي (٤/٣٤)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (٥/٢٨٠).

(٢) رواه البخاري (٢/٧١٧)، ومسلم (٤/١٧١٢)، والنسائي في الكبرى (٢/٢٦٣)، وابن ماجه (١/ ٥٦٦).

(٣) رواه البخاري (٣/١١٩٥)، ومسلم (٤/١٧١٢)، وأبو داود (٤/٢٩٨)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٣)، وابن ماجه (١/٥٦٦).

(٤) رواه ابن حبان في الصحيح (٢/٢٨٩).

(٥) رواه الديلمي في الفردوس (١/٨٢) بنحوه.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في العلل (٢/٢٩١)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٧٣).

قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنَّة حتَّى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، ألا أدلُّكم على عملٍ إذا عملتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم**[١]».

في صحيحي البخاري ومسلم: «**أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: تُطعم الطعامَ، وتُقرئ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ وعلى مَنْ لا تعرفُ**[٢]».

وكان أنس ﷺ يمُرّ على الصبيان فيسلِّم عليهم، وروي عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك.

ورَوَىَ عبد الحميد بن بهرام ﷺ: أنه ﷺ مرَّ في المسجد يومًا وعصبةٌ من النساء قعودٌ فأومأ بيده بالتسليم، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية[٣].

وقال ﷺ: «**إذا انتهى أحدُكم إلى مجلسٍ فليسلِّمْ؛ فإنْ بدا له أن يجلسَ فليجلسْ، ثم إذا قامَ فليسلِّمْ؛ فليست الأولى بأحقَّ مِنَ الآخرةِ**[٤]» .

قال الإمام النووي في كتاب «الأذكار والمصافحة»: سُنَّةٌ مجمعٌ عليها عند التلاقي.

قال الإمام عمر بن الخطاب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان فسلَّمَ كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهم مائة رحمةٍ: للبادئ تسعون، وللمصافح عشرةٌ**[٥]».

قال الحسن رحمه الله[٦]: المصافحة تُزيد في الوُدِّ.

وأمَّا اعتقاده في الناس من المصافحة بعد صلاة الصبح والعصر فلا أصل له في الشرع على هذا الوجه، ولكن لا بأس به.

أما المعانقة وتقبيل الوجه لغير الطفل ولغير القادم من سفرٍ ونحوه فمكروهان، وكذا

---

(١) رواه مسلم (٧٤/١)، والترمذي (٥٢/٥)، والبيهقي في الكبرى (٢٣٢/١٠).

(٢) رواه البخاري (١٣/١)، ومسلم (٦٥/١)، وأبو داود (٣٥٠/٤)، والبيهقي في شعبه (٤٢٥/٦).

(٣) رواه الترمذي (٥٨/٥)، وأحمد (٤٥٧/٦)، والطبراني في الكبير (١٧٧/٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٦٠/١).

(٤) رواه الترمذي (٦٢/٥)، والنسائي في الكبرى (٩٢/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٢/١).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٢٥٣/٦)، والديلمي في الفردوس (٣٢٥/١)، والبزار في مسنده (١/ ٤٣٧).

(٦) انظر: طبقات المحدثين لأبي الشيخ (٥٠٧/٣)، وتاريخ ابن معين (٣٣٩/٣)، وتاريخ بغداد (٦/ ٣٥٨).

الانحناء عند السلام مكروهٌ في كل حالٍ لكل أحد.

عن أنس ﷺ قال: «قال رجلٌ: يا رسولَ الله الرجل منَّا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبِّله؟ قال: لا. قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم[1]».

وأما إكرام الداخل بالقيام قال النووي ﷺ: فالذي نختاره أنه مستحبٌّ لمن كانت فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ من علمٍ، أو صلاحٍ، أو شرفٍ، أو ولايةٍ مصحوبةٍ بصيانةٍ، أو له ولادةٌ أو رحمٌ مع مَنْ قاربه، ويكون هذا القيام للبِرِّ والإكرام والاحترام ونحوَ ذلك، لا للرياء والإعظام، وتقبيل يد غيره إن كان لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وصيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يُكره، بل يُستحبُ، وإن كان لِغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند أهل الدنيا أو نحو ذلك فهو مكروهٌ.

والأخذ بالركاب في توقير العلماء وردَ به الأثر، فَعَلَ ذلك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، وأخذ عمر بن الخطاب يعزز زيد بن ثابت حتى رفعه، وقال: هكذا فافعلوا. رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ومنها: أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر، ويردَّ عنه ويناضل دونه وينصره، فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام.

روى أبو الدرداء: أن رجلاً نال من رجلٍ عند رسول الله ﷺ، فردَّ عنه رجلٌ، فقال النبي ﷺ: «مَنْ ردَّ عنْ عِرضِ أخيه كانَ له حجابًا مِنَ النَّار[2]».

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مسلمٍ يردُّ عن أخيه إلا كانَ حقًا على الله تعالى أن يردَّ عنه نارَ جهنمَ يوم القيامة[3]».

ومنها: تشميت العاطس؛ قال رسول الله ﷺ: «في العاطس: يقول الحمد لله على كل حالٍ، ويقول الذي يشمِّته: يرحمك الله، ويردُّ العاطسُ: يهديكم الله ويُصلحُ بالكم[4]».

ومنها: أنه إذا بُلي بذي خلقٍ سيِّءٍ فينبغي له أن يجامله ويتَّقيه.

---

(١) رواه الترمذي (٧٥/٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥٠٠/٥).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (١٦٨/٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١٠٠/١).

(٣) رواه أحمد (٤٤٩/٦)، والدارقطني في العلل (٢٢٥/٦)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤٣٧/٣).

(٤) رواه النسائي في الكبرى (٦١/٦)، وأحمد (٤١٩/٥)، والبيهقي في الشعب (٢٧/٧).

قال أبو الدرداء ﷺ: إنَّا لنضحك في وجوه أقوامٍ وإن قلوبنا لتبغضهم، وهذا معنى المداراة.

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢]: أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة.

وفي الخبر: «ما وقى المرءُ عِرضَهُ فهو له صدقةٌ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «استأذن رجلٌ على رسول الله ﷺ، فقال: ائذنوا له، فبئس رجلِ العشيرة. فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منــزلةً، فلما خرج قلت له: لمّا دخل قلت الذي قلت، ثم ألنت له القول.

فقال: يا عائشة، إن شرَّ الناس عند الله منــزلةً يوم القيامة من أكرمه الناس اتقاء فُحْشِهِ[(١)]».

وقال محمد بن الحنفية ﷺ: ليس بحكيمٍ من لم يعاشر بالمعروف مَنْ لا يجد بدًّا من معاشرته حتى يجعل الله تعالى لهُ فرجًا.

ومنها: أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين، ويُحسن إلى الأيتام؛ كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أحيِنِي مسكينًا، واحشرنِي فِي زُمرةِ المساكين**[(٢)]».

وقال موسى ﷺ: «**إلهي أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبُهم**[(٣)]».

وكان سليمان ﷺ في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينًا جلس إليه، وقال: مسكينٌ جالس مسكينًا[(٤)].

وأما اليتيم فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ ضمَّ يتمًا من أبوين مسلمَين حتّى يستغني فقد وجبت له الجنَّة البتة**[(٥)]».

وقال ﷺ: «**أنا وكافلُ اليتيمِ كهاتين، وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى**[(٦)]».

وقال ﷺ: «**مَنْ وَضَعَ يدَه على رأسِ يتيمٍ ترحُمًا كانت له بكل شعرةٍ تَمرُّ يده**

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده (١/٢٠٥) بنحوه.

(٢) رواه الترمذي (٤/٥٧٧)، وابن ماجه (٢/١٣٨١)، والبخاري في الكنى(١/٧٥).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٦٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/٧٥).

(٤) ذكره النووي في تهذيب الأسماء (١/٢٢٤).

(٥) رواه أحمد (٤/٣٤٤)، وابن المبارك في الزهد (١/٢٣٠)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢٠).

(٦) رواه أحمد (٥/٣٣٣)، والقضاعي في الشهاب (١/٢١٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٤٦٩).

عليها حسنةً[١]».

ومنها: النصيحة لكل مسلمٍ، وإدخال السرور على قلبه.

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكمْ حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه[٢]».

وقال ﷺ: «مَنْ قضى حاجةً لأخيه فكأنَّما خَدَمَ الله تعالى عُمره[٣]».

وقال ﷺ: «مَنْ فرَّج عن مغمومٍ أو أغاثَ ملهوفًا غَفَرَ الله له ثلاثًا وسبعين مغفرةً[٤]».

وقال ﷺ: «انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا. فقيل: كيف أنصره ظالمًا يا رسول الله؟ قال: تمنعه من الظلم[٥]».

وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يهتمَّ للمسلمين فليسَ منهم[٦]».

وقال معروف الكرخي رضي الله عنه: «مَنْ قال: اللَّهُمَّ أصلحْ أمَّةَ محمَّدٍ، اللَّهُمَّ ارحمْ أمَّةَ محمَّدٍ، اللَّهُمَّ فرِّجْ عن أمَّة محمَّدٍ كل يومٍ ثلاث مراتٍ كتبه الله تعالى من الأبدال».

ومنها: أن يعود مَرضاهم والمعرفة والإسلام في إثبات هذا الحق ونيل فضله.

وأدب العائد: خفَّة الجلسة، وقلة السؤال، وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية، وغضُّ البصر عن عَوَرات الموضع، وعند الاستئذان ألا يقابل الباب، ويدقُّ برفقٍ.

قال رسول الله ﷺ: «تمامُ عيادة المريض أن يضعَ أحدُكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو، وتمامُ تحيَّاتكم المصافحة[٧]».

قال رسول الله ﷺ: «إذا عاد الرجلُ المريضَ خاضَ في الرحمةِ، فإذا قعدَ عنده قرَّت فيه[٨]».

ويُستحبُّ للعليل أن يقول: «أعوذُ بعزَّة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأُحاذر».

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا اشتكى أحدُكم بطنه فليسأل امرأته شيئًا من

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/٢٢٩).

(٢) رواه البخاري (١/١٤)، والترمذي (٤/٦٦٧)، وأحمد (٣/٨٩).

(٣) رواه البخاري (٨/٤٣)، والديلمي في الفردوس (٣/٥٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/٢٥٥).

(٤) رواه الخطيب في تاريخ الخطيب (٦/٤١)، وذكره الذهبي في الميزان (٤/٣٢).

(٥) رواه البخاري (٦/٢٥٥٠)، والترمذي (٤/٥٢٣)، وأحمد (٣/٢٠١).

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٢٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/٣٥٢).

(٧) رواه أحمد (٥/٢٥٩)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤/٢٩٧).

(٨) رواه ابن عدي في الكامل (٤/٤١)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٢٧٣).

صداقها، فيشتري به عسلاً، فيشربه بماء السماء، فيجمع له الهناء والشفاء والبَرَاء المبارك».

وجملة آداب المريض: حسن الصبر، وقلة الشكوى والضجر، والفزع إلى الدعاء، والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عيادةُ المريضِ كفواق ناقةٍ**[١]».

وقال طاووس ﷺ: أفضل العيادة أخفُها.

ومنها: أن يتبع جنائزهم.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شيَّعَ جنازةً فله قيراطٌ، فإنْ وقفَ حتَّى تُدفنَ فله قيراطان**[٢]».

وفي الخبر: القيراط مثل جبل أُحد.

والمقصود من التشييع: أداء حق المسلمين والاعتبار.

وآداب تشييع الجنازة: دوام الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتذكر في الموت، والاستعداد له.

ومنها: أن يزور قبورهم، والمقصود الدعاء والاعتبار: ترقيق القلب.

ومنها: أن يعزِّي مُصابهم؛ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَزَّى مُصابًا فله مثل أجره**[٣]».

وأدب المعزِّي: خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسُّم.

فهذه جملٌ تنبِّه على آداب المعاشرة مع عموم المسلمين.

ومنها: الرفق بالولد، رأى الأقرع بن حابس ﷺ النبي ﷺ وهو يقبِّل ولده الحسن، فقال: إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم.

فقال النبي ﷺ: «**مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**[٤]».

ودخل الحسن وهو ﷺ على منبره، فنــزل فحمله، وقرأ قوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [الأنفال:٢٨].

وقال عبد الله بن شدَّاد ﷺ: بينما رسول الله ﷺ يصلِّي بالناس إذ جاءه الحسين فركب

---

(١) رواه البخاري (٢١٣٩/٥)، والترمذي (٢٩٩/٣) بنحوه.

(٢) رواه مسلم (٦٥٢/٢)، والنسائي في الكبرى (٦٤٥/١).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٥/٣)، والبيهقي في الكبرى (٥٩/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٤/٧).

(٤) رواه البخاري (٢٢٣٥/٥)، ومسلم (١٨٠٨/٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠٠/٧).

عنقه وهو ساجدٌ، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمرٌ، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ. فقال: إن ابني قد ارتجلني، فكرهت أن أعجِّله حتى يقضي حاجته.

وقال رسول الله ﷺ: «**حقُّ كبيرِ الإخوةِ على صغيرهم كحقِّ الوالد على ولده**(١)».

وقال ﷺ: «**إذا استصعبَ على أحدكم دابَّته أو ساء خلق زوجته أو أحدٌ من أهل بيته فليؤذِّنْ فِي أُذنه**(٢)».

وأما المملوك فهو أيضًا يقتضي حقوقًا في المعاشرة لا بدَّ من مراعاتها؛ فقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: «**اتَّقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم ممَّا تأكلون، واكسوهم مِمَّا تلبسون، ولا تكلِّفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فامسكوا، وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذِّبوا خلق الله؛ فإن الله تعالى ملككم إيَّاهم، ولو شاء لملَّكهم إيَّاكم**(٣)».

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فَصَمَتَ عنه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**اعفُ عنه كلَّ يومٍ سبعين مرةً**(٤)».

وأمَّا حقوق الأخوة والصحبة: فاعلم أن عقد الأخوة رابطةٌ بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين، فكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح فكذا أدب عقد الأخوة فلأخيك عليك حقٌّ في المال، وفي النفس واللسان، وفي القلب بالعقد، والدعاء، وبالإخلاص، والوفاء، والتخفيف، وترك التكليف وذلك بجمعه ثمان حقوق:

الحق الأول: بالمال، قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الأخوين مَثَلُ اليدين: تغسل إحداهما الأخرى، وإنما شبهتهما باليدين لا باليد في الرجل لأنهما يتعاونان على غرضٍ واحدٍ**(٥)».

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦/ ٢١٠)، والديلمي في الفردوس (٢/ ١٣٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (٨/ ٣٦)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٥٠٦)، ومالك في المدونة (٧/ ٢٢٠).

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٣٤١)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٠).

(٥) رواه السلمي في آداب الصحبة (١٢٨) بنحوه.

وكذلك الإخوان إنما تتم أخوتهم إذا توافقوا في مقصد واحد، فهما من وجه واحد كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السرَّاء والضرَّاء والمشاركة في المال والجاه.

جاء رجلٌ إلى أبي هريرة ﷺ فقال: إني أريد أن أواخيك في الله. فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرِّفني. قال: ألا تكون أحقَّ بدينارك ودرهمك مني. قال: لم أبلغ هذه المنـــزلة بعد. قال: فاذهب عني.

وروي أنه ﷺ دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين: أحدهما معوَّجٌ، والآخر مستقيمٌ، فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال: يا رسول الله كنت أحقَّ بالمستقيم مني. فقال: «**مَا مِنْ صاحبٍ يصحبُ صاحبًا ولو ساعةً مِنْ نَهَارٍ إلا سُئل عن صحبته هل أقام فيها حقَّ الله أو أضاعه**[1]».

الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال، وكان في السلف من يتفقَّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنةً يقوم بحاجاتهم، ويتردد إليهم كل يوم.

وذُكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يلتفت يمينًا وشمالاً بين يدي النبي ﷺ، فسأله؟ فقال: أحببت فلانًا فأنا أطلبه فلا أراه. فقال ﷺ: «**إذا أحببت أحدًا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منـــزله، فإن كان مريضًا عُدته، وإن كان مشغولاً أعنته**[2]».

وفي رواية: «عن اسم جده وعشيرته».

وفي الأثر: ما زار رجلٌ أخاه في الله شوقًا إلى لقائه إلا ناداه ملكٌ من خلفه: طبت وطابت لك الجنة.

وقال الحسن ﷺ: من شيَّع أخًا في الله بعث الله له ملائكةً من تحت عرشه يشيِّعونه إلى الجنة.

الحق الثالث: على اللسان بالسكوت مرةً وبالنطق أخرى.

أمَّا السكوت: فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته، بل يتجاهل عنها ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به؛ فلا يماريه ولا ينافيه، وأن يسكت عن التجسس عليه والسؤال عمَّا يكتمه من أحواله، وإذا رآه في حاجة أو في طريقٍ لم يفاتحه بذكر غرضه؛ فربَّما يُثقل عليه أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وأنْ يسكت عن أسراره التي بثَّها

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٦٠).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٧٧).

إليه؛ فلا يَبُثها إلى غيره ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخُبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن قدح غيره فيه؛ فإن الذي يَسبُّك من بلَّغك.

قال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكرهه[1].

والتأذِّي يحصل أولاً من المبلِّغ ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه؛ لأن السرور يحصل من المبلِّغ أولاً، ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد، وبالجملة فيسكت عن كل كلامٍ يكرهه جملةً وتفصيلاً، إلا إذا وجب عليه النطق في أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ ولم يجد رخصةً فهناك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسانٌ إليه في التحقيق، وإن كان يظن أنه إساءةٌ في الظاهر، أمَّا ذكر مساوئه وعيوبه ومساوئ أهله فهو من الغيبة وذلك حرامٌ في حقِّ كل مسلمٍ.

الحق الرابع: على اللسان بالنطق فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكان تقتضي أيضًا النطق بالمحابِّ، بل هو أخصُّ بالأخوة، فعليه أن يتودَّد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله التي يجب أن يتفقده فيها كالسؤال عن عارضٍ إن عرض له، وإظهار شغل القلب بسببه واستبطائه عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها، فمعنى الأخوة المساهمة في السرَّاء والضرَّاء.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُخبرْه**[2]».

وإنما أمر بالإخبار؛ لأن ذلك يوجب زيادة الحب؛ فإنه إن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة، وإذا عرفت أيضًا أنه يحبك زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد بين المتحابِّين ويتضاعف.

والتحابُّ بين المؤمنين مطلوبٌ في الشرع ومحبوبٌ في الدين؛ ولذلك علَّم رسول الله ﷺ فيه الطريق فقال: «**تهادُوا تحابُّوا**[3]».

من ذلك أن يدعوه بأحبِّ أسمائه إليه في غيبته وحضوره، ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أفعاله عند من يريد هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبَّة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله، وخلقه،

---

(١) رواه أحمد (٣/١٣٣)، والبيهقي في الشعب (٥/١٩٢).

(٢) رواه النسائي (٦/٥٩)، والحاكم في المستدرك (٤/١٨٩).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦/٤٧٩)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٢٧١).

وهيئته، وشعره، وتصنيفه، وجميع ما يَفرح به، وذلك من غير كذبٍ وإفراطٍ، ولكن تحسين ما يقبل التحسين.

الحق الخامس: العفو عن الزَّلات والهفوات، هفوة الصديق لا تخلو إمّا أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصيره في الأخوة.

أما ما يكون في الدِّين من ارتكاب معصيةٍ والإصرار عليها فعليك التلطف بما يقيم أَوَدَهُ، ويجمع شمله ويعيده إلى الورع ولإصلاح حاله، فإن لم تقدر وبقي مصرًا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودَّته أو مقاطعته.

فذهب أبو ذرٍّ ﷺ إلى الانقطاع، فقال: إذا انقلب أخوك عمَّا كان عليه فابغضه من حيث أحببته، ورأى ذلك من مقتضى الحبِّ في الله والبغض في الله.

وأمّا أبو الدرداء ﷺ فقال: إذا تغيَّر أخوك وحال عمَّا كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك؛ فإن أخاك يتعوَّج مرةً ويستقيم أخرى.

وقال النخعي ﷺ: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه؛ فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا.

وقال أيضًا: لا تحدِّث الناس بزلة العالم، قال: العالم يزل الزلَّة ثم يتركها.

وفي الخبر: اتقوا زلَّة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته.

وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ وقد سُئل عن أخٍ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه، فقال: ما فعل أخي؟ فقال: ذاك أخو الشيطان.، قال: مه. قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فأذنّي. فكتب معه عند خروجه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر: ١،٢،٣]، ثم عاتبه تحت ذلك وعزله، فلما قرأ الكتاب بكى، وقال: صدق الله، ونصحني عمر.

وأما الثاني: وهو التقصير في الأخوة فقد قيل:

خُـذْ مِـنْ خليلكَ مَا صفا ... دون الـذي فـيه الكـدرْ
فالعمـرُ أقـصرُ مـن ... معاتبة الخليل على الغِيَـرْ

وقال آخر:

ولـستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمه ... علـى شعْثٍ أي الرجال الْمُهَذَّبُ

ومهما اعتذر إليك أخوك صادقًا كان أو كاذبًا فاقبل عذره؛ قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ سريعُ الغضبِ سريعُ الرضا**[١]».

وقال ﷺ: «**مَن اعتذرَ إليه أخوه فلمْ يقبلْ عذرَه فعليه إثْمُ صاحبِ الحقِّ**[٢]».

الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبُّه لنفسه ولأهله ولكل ما يتعلّق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك.

وعلى التحقيق فقد قال النبي ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ لأخيه بظاهر الغيب قال الملك: ولك بمثل ذلك**[٣]».

وفي لفظ آخر: «**يقول الله تعالى: بك أبدأ يا عبدي**[٤]».

وفي الحديث: «**يُستجابُ للرجل فِي أخيه ما لا يُستجاب له في نفسه**[٥]».

وفي الحديث: «**دعوةُ الأخِ لأخيه فِي الغيب لا تُردُّ**[٦]».

ويقال: مَنْ بلغه موت أخيه فترحَّم عليه واستغفر له كُتب له كأنه شَهِدَ جنازته.

الحق السابع: الوفاء والإخلاص.

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب والإقامة إلى الموتِ معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحبَّ إنما يُراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل، وضاع السعي؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: «**ورجلان تحابًا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرقا عليه**[٧]».

قال بعضهم: قليلٌ من الوفاء بعد الوفاة خيرٌ من كثيره في حال الحياة، ولذلك روي أنه ﷺ: أكرم عجوزًا دخلت عليه، فقيل له في ذلك؟ فقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة[٨].

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٢٣)، (٢/٣٨٦).

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٥/١٦١).

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/١٣٧).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٨٧) بنحوه.

(٧) رواه البخاري (٢/٥١٧)، وانظر: منيل العبد مناه فيمن يظلهم الله للشيخ ابن ماء العينين (ص ١٤٣) تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

(٨) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/١٤)، وذكره الحسيني في البيان والتعريف (١/٢٣٣).

وإن كرم العهد من الدين، فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقربائه والمتعلقين به ومراعاتهم، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان؛ فإنه لا يحسد متعاونين على برٍّ كما يجد المتآخين في الله والمتحابّين فيه؛ فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال تعالى مخبرًا عن يوسف: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف:١٠٠].

ويُقال: ما تآخى اثنان في الله ففرِّق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وكان بشر الحافي ﷺ يقول: إذا قصَّر العبد في طاعة الله سَلَبه الله من يؤنسه؛ وذلك أن الإخوان مسلاةٌ للقلوب، وعونٌ على الدين.

ولذلك قال ابن المبارك: ألذُّ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية، والمودة الدائمة هي التي تكون في الله، وما يكون لغرضٍ يزول بزوال الغرض، ومن ثمرات المودة في الله ألا تكون في حسدٍ في دين ودنيا.

ومن الوفاء ألا يتغير حاله في التواصل مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته، وعظم جاهه، والارتفاع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤمٌ، قيل فيه:

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا ... مَنْ كانَ يألفهم في المنـــزلِ الحسنِ

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني لا تصحب من الناس إلا مَنْ إذا افتقرت إليه قَرُب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت منـــزلته لم يرتفع عليك.

ومن الوفاء ألا تسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيِّما من يظهر أولاً أنه محبٌّ لصديقه كيلا يُتَّهم، ثم يلقي الكلام عرضًا.

ومن الوفاء ألا يصادق عدو صديقه.

قال الإمام الشافعي ﷺ: إذا أطاع عدوك صديقك فقد اشتركا في عداوتك.

الحق الثامن: التخفيف، وترك التكليف، وذلك بألا يكلِّف أخاه ما يشقُّ عليه، بل يروِّح سرَّه عن مهماته وحاجاته، ويرفهه بألا يحمِّله شيئًا من أعبائه، ولا يستمد منه من جاه ومال، ولا يكلِّفه التواضع له، والتفقد والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى؛ تبرُّكًا بدعائه واستئناسًا للقائه، واستعانةً به على دينه، وتقرُّبًا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه، وتحمُّل مؤنته.

وقد قيل: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفَّت مؤنته دامت مودَّته.

وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: إن الله تعالى لَعَنَ المتكلِّفين.

وقال رسول الله ﷺ: «أَنَا والأتقياءُ مِنْ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التكليفِ[(١)]».

ولا يتم التخفيف وترك التكليف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه، ويُحسن الظن بهم ويسيء بنفسه، فإذا رآهم خيرًا من نفسه فعند ذلك يكون خيرًا منهم.

وأما حق العالم على الجاهل والأستاذ على التلميذ فقد قال في الخلاصة: قال الزند: ومتى سألت الإمام الخير الحريَّ عن حق العالم على الجاهل والأستاذ على التلميذ قال: كلاهما واحدٌ، وهو ألا يفتتح الكلام قبله، ولا يجلس مكانه وإن غاب عنه، ولا يردَّ عليه كلامه، ولا يتقدم عليه في مشيه.

وفي تعليم المتعلم: ومن توقير المعلم ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يُكثر الكلام عنده، ولا يسأل شيئًا عند ملالته، ويراعي الوقت، ولا يدقَّ الباب بل يصبر حتى يخرج، فالحاصل أنه يطلب رضاه، ويجتنب سخطه، ويمتثل أمره في غير معصية الله تعالى، وقد صرَّحوا في الفتاوى بكراهة أن يقول الرجل لمن فوقه في العلم: حان وقت الصلاة، أو قوموا نُصلي أو نحوهما؛ لأنه ترك أدبٍ وتوقيرٍ.

وأمَّا حق الزوج على زوجته فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أنْ يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ الزوجةَ أنْ تسجدَ لزوجِها[(٢)]».

وعنه ﷺ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «مِنْ حقِّ الزوجِ أن لو سال من منخراه دمًا وقيحًا فلحسته بلسانها ما أدَّت حقَّه[(٣)]».

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «حقُّ الزوجِ على زوجته ألا تصوم تطوُّعًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يُقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكةُ السماء وملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب حتَّى ترجعَ[(٤)]» .

واعلم أن على المرأة أن تطيع زوجها في الاستمتاع متى شاء إلا أن تكون حائضًا أو نفساء، فلا تُمكِّنه من الاستمتاع تحت الإزار، وعليها خدمته داخل البيت من الطبخ والكنس والغسل والخبز ولو لم تفعل أثمت، ولكن لا تُجبر عليها قضاءً، كذا في الطريقة.

وأما حق الزوجة على زوجها فعن حكيم بن معاوية ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٣٧).

(٢) رواه الترمذي (٣/٤٦٥)، والبيهقي في الكبرى (٧/٢٩٢).

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٣٠٧).

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٣٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٨).

حق زوجة أحدنا عليه؟.

قال: «أنْ تطعمْها إذا طَعِمتَ وتكسوها إذا اكتسيتَ ولا تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت[١]».

قال الفقيه أبو الليث ﷺ: حق المرأة على الزوج خمسةٌ:

أن يخدمها من وراء الستر، ولا يدعها أن تخرج من الستر؛ فإنها عورةٌ، وخروجها إثمٌ وتركٌ للمروءة، وأن يعلِّمها ما تحتاج إليه من الأحكام: كالوضوء، والصلاة، والصوم، وما لا بدَّ، وأن يطعمها من الحلال، وألا يظلمها، وأن يتحمل تطاولها نصيحةً لها.

وأمَّا فضيلة الأُلفة والأخوة في الله فاعلم أن الألفة ثمرة حُسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحابُّ، والتآلف، والتوافق، وسوء الخلق يُثمر التباغض، والتحاسد، والتدابر، ومهما كان المثمِّر محمودًا كانت الثمرة محمودةً، وحسن الخلق لا تخفى في الدِّين فضيلته، وهو الذي مدح الله تعالى به نبيَّه محمدًا ﷺ إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وقال ﷺ: «أكثرُ ما يُدخلُ الجنَّة تقوى الله وحسنُ الخلق[٢]».

وقال أسامة بن شريك ﷺ: قلنا: يا رسول الله ما خير ما أُعطي الإنسان؟ فقال: «حُسن الخلق[٣]».

وقال ﷺ: «بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق[٤]».

وقال ﷺ: «أثقلُ شيءٍ في الميزان الخلقُ الحسنُ[٥]».

وقال ﷺ: «ما حَسَّن الله خَلقَ امرئٍ وخُلقه فتطعمه النَّار[٦]».

وقال ﷺ: «يا أبا هريرة عليك بحسنِ الخلق. قال أبو هريرة: وما حسنُ الخلق؟ قال: تصلُ مَنْ قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتُعطي مَنْ حرمك[٧]».

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٧/٣٠٥)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٣)، وقد ذكر في الأصل (إذا كسوت).

(٢) رواه أحمد (٢/٤٤٢١)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/١٨٢).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٧١)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٢/٢٧٦).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (١٠/١٩١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/١٩٢).

(٥) رواه ابن حبان في الصحيح (٢/٢٣٠)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/١٢٢).

(٦) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٥/٣٦٣).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٥٦٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٣٥).

ولا يخفى أن ثمرة حسن الخلق الألفة وانقطاع الوحشة، ومهما طاب المثمِّر طابت الثمرة، فكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيَّما إذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى، وفي قول الله تعالى من الآيات، والأخبار، والآثار ما فيه كفايةٌ ومقنعٌ.

قال الله سبحانه وتعالى مظهرًا عظيم منَّته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران:١٠٣]: أي بالألفة، ثم ذمَّ التفرقة، وزجر عنها فقال عزَّ من قائل:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال رسول الله ﷺ: «أقربُكم منِّي مجلسًا أحاسنُكم أخلاقًا الموطؤون أكنافهم الذين يألفون ويؤلفون(١)».

وقال ﷺ: «المؤمنُ إلفٌ مألوفٌ، ولا خيرَ فيمَن لا يألفُ ولا يُؤلفُ(٢)».

وقال ﷺ في الثناء على الأخوة في الدِّين: «مَنْ أراد الله به خيرًا رزقه خليلاً صالحًا إنْ نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه(٣)».

وقال ﷺ: «مَثَلُ الأخوين إذا التقيا مَثَلُ اليدين تغسلُ إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قطُّ إلا أفاد أحدهما من صاحبه خيرًا(٤)».

وقال ﷺ في الترغيب في الأخوة في الله: «مَنْ آخى أخًا في الله رفعه الله درجةً في الجنَّة لا ينالها بشيءٍ من عمله(٥)».

وقال ﷺ: «ما تحابَّ اثنان في الله إلا كان أحبُّهما إلى الله أشدَّهما حبًّا لصاحبه(٦)».

ويقال: إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقامًا من الآخر رُفع معه إلى مقامه.

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١٨١/١) بنحوه.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٩٠/٢).

(٣) رواه ابن حبان في الصحيح (٣٤٥/١٠)، والبيهقي في الكبرى (١١١/١٠) بنحوه.

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (١٣٢/٤).

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير (٤١٢/٥).

(٦) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٢٠/٥)، وذكره المنذري في الترغيب (٩/٤).

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى قال: حقَّت محبَّتِي للذين يتزاورون من أجلي، وحقَّت محبَّتِي للذين يتحابُّون من أجلي، وحقَّت محبَّتِي للذين يتناصرون من أجلي[١]».

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي اليوم أظلُّهم في ظلّيَّ يومَ لا ظلَّ إلا ظلّي[٢]».

وقال ﷺ: «ما زارَ رجلٌ رجلاً في الله شوقًا إليه ورغبةً في لقائه إلا ناداه مَلَكٌ من خلفه: طبتَ وطاب ممشاك، وطابت لك الجنَّةُ[٣]».

وقال ﷺ: «إن رجلاً زار أخًا في الله فأرصد الله له مَلَكًا فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أن أزور أخي فلانًا في الله. فقال: لحاجةٍ لك عنده؟ فقال: لا. قال: لقرابةٍ بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة له عندك تربُّها؟ قالَ: لا. قال: فبمَ؟ قال: أحببته في اللهِ؟ قال: إن الله أرسلني إليك يخبرك أنه يحبُّك بحبِّك إياه، وقد أوجب لك الجنة[٤]».

وقال ﷺ: «أوثقُ عُرَى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغضُ في الله[٥]».

فبهذا يجب أن يكون للرجل أعداءٌ يبغضهم في الله، كما يكون له أصدقاءٌ وإخوانٌ يحبهم في الله.

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تجعلْ لفاجرٍ عليَّ مِنَّةً فترزقه منّي محبَّةً[٦]».

وقال عيسى عليه السلام: «تحبَّبوا إلى الله ببغضِ أهل المعاصي، وتقرَّبوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم. قالوا: يا روح الله فمَن نجالس؟ قال: جالسوا مَن تذكِّركم الله تعالى رؤيته، ومَنْ يزيدكم في عملكم كلامه، ومَنْ يرغِّبكم في الآخرة علمُه[٧]».

ويُروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى: هل عملت لي عملاً قطُّ؟ قال: إلهي صليت لك وصمت وتصدَّقت وزكَّيت. فقال الله تعالى: إن الصلاة لك برهانٌ والصوم لك جُنَّةٌ، والصدقة ظلٌّ، والزكاة نورٌ، فأي عملٍ يا موسى عملته لي؟ قال موسى عليه السلام: إلهي دُلَّني

(١) رواه البيهقي في الشعب (٤٨٥/٦)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١١/٤) بنحوه.
(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤٧/١)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٤٢٨/١٧).
(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤٧/١) بنحوه.
(٤) ذكره القرطبي في التفسير (٣٥١/٥) بنحوه.
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٢/٦)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٧٣/٦).
(٦) رواه الديلمي في الفردوس (٤٩٣/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٥٨/٦) بنحوه.
(٧) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢١/١).

على عملٍ هو لك. قال: يا موسى هل واليت لي وليًّا أو عاديت لي عدوًّا؟ فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحبُّ في الله والبغضُ في الله.

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود ما لي أراك منتبذًا وحدانًا. قال: إلهي قليت الخلق من أجلك. قال: يا دواد كن يقظانًا وارتد لنفسك أخدانًا فإن كل خدنٍ لا يوافقك على إمرتي فلا تصحبه؛ فإنه عدوٌّ لك، ويفتني قلبك، ويباعدك مني.

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إلى الله الذين يألفون ويُؤلفون، وإنَّ أبغضَكم إلى الله المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الإخوان**[1]».

وقال ﷺ: «**إنَّ لله مَلكًا نصفه من النَّار ونصفه من الثلج يقول: اللَّهُمَّ كما أَلَّفت بين الثلج والنار أَلِّف بين عبادك الصالحين**[2]».

وقال ﷺ: «**ما أحدث أحدٌ أخًا في الله إلا أحدث الله له درجةً في الجنَّة**[3]».

وقال ﷺ: «**المتحابُّون في الله على عمودٍ من ياقوتة حمراء، على رأس العمود سبعون ألف غرفة يُشرفون على أهل الجنَّة حتَّى يضيءَ حسنُهم لأهل الجنَّة كما تضيءُ الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنَّة: انطلقُوا بنا ننظر المتحابِّين في الله يضيءُ حسنُهم لأهل الجنَّة كما تضيءُ الشمسُ لأهل الدنيا عليهم ثيابٌ سندسٌ خُضْرٌ مكتوبٌ على جِبَاهِهم المتحابُّون في الله**[4]».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه: عليكم بالإخوان؛ فإنهم عُدَّةٌ في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿**فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي علقًا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حقدٌ لأهل طاعة الله تعالى، ولا بغضٌ لأهل معصيته ما نفعني ذلك شيئًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلاً أقام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنةً لبعثه الله يوم القيامة مع من أحبَّ.

---

(١) رواه الخطيب في التاريخ (١/٣٨٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٢١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٧٤٩).

(٣) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١/١٠٥).

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٧٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٨٠).

وقال الحسن البصري ﵁: مصارمة الفاسق قربانٌ إلى الله ﷻ.

وقال عمر بن الخطاب ﵁: إذا أصاب أحدكم ودًّا من أخيه فليتمسكْ به، فقلَّما يصيب ذلك.

وقال مجاهد ﵁: المتحابُّون في الله إذا التقوا أو كتب بعضهم إلى بعضٍ تحاتت عنهم الخطايا كما يتحاتُّ ورق الشجر في الشتاء إذا يبُس.

وقال الفضيل ﵁: نظر الرجل إلى أخيه على المودة والرحمة عبادةٌ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

***

الباب الثاني عشر /

في ذكر الله سبحانه وتعالى

قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٣٥].

قال الإمام النووي ؓ في كتاب «الأذكار»: اعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها السالك، وقد اختلف في ذلك فقال الإمام الواحدي: قال ابن عباس ؓ: المراد يذكرون الله في إدبار الصلوات وغدوًا وعشيًا وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا وراح من منـــزله ذكر الله تعالى.

وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

وقال عطاء: من صلَّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخلٌ في قول الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «سبق المفرِّدون، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات[1]».

وفي حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجلُ أهلَه من الليل فصليا أو صلَّى ركعتين جميعًا كُتِبا في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرت[2]» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

وسُئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟ فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهارًا، كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

قال النووي ؓ: ينبغي لمن بلغه شيءٌ من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرةً؛ ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقًا، بل يأتي بما تيسَّر منه.

لقول النبي ﷺ في الحديث المتَّفق على صحته: «وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما

---

(١) رواه مسلم (٢٠٦٢/٤)، والترمذي (٥٧٧/٥)، وأحمد (٣٢٣/٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٣/٢)، وذكره المنذري في الترغيب (٢٤٢/١).

استطعتم[(١)]».

وكما يُستحب الذكر يُستحب الجلوس في حِلَق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، ويكفي في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياضِ الجنَّة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حِلَق الذكر؛ فإن لله تعالى سياراتٍ من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم**[(٢)]».

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ: «**لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالى إلا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده**[(٣)]».

ثم اعلم أن الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصروا على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب؛ خوفًا من أن يُظنَّ به الرياء، بل يذكر بهما جميعًا، ويقصد به وجه الله تعالى.

قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: ترك العمل لأجل الناس رياءٌ، والعمل لأجل الناس شركٌ، والإخلاص أن يعافيك منهما، ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والاحتراز عن تطرق ظنونهم الباطلة لانسدَّ عليه أكثر أبواب الخير، وضيَّع على نفسه شيئًا عظيمًا من مهمات الدين، وليس هذا طريق العارفين.

واعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرةٍ في التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير ونحوها، بل كل عاملٍ لله تعالى بطاعةٍ فهو ذاكرٌ الله تعالى، كذا قال الإمام سعيد بن جبير وغيره من العلماء.

قال عطاء رضي الله عنه: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام.

وقال مشايخ الصوفية: المراد بذكر الله تعالى هو أن يذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى، وعليه جمهور أهل الطريق، وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحْدِث والجنب والحائض والنفساء، ويستوي في ذلك التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك، ولكن قراءة القرآن حرامٌ على الجنب

---

(١) رواه مسلم (٩٧٥/٢)، وابن حبان في الصحيح (٢٠٢/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٢٥/٤).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٦٨/٦)، واللالكائي في الاعتقاد (١٣٨/١).

(٣) رواه مسلم (٢٠٧٤/٤)، وأبو داود (٧١/٢)، والترمذي (٤٥٩/٥).

والحائض والنفساء قليلاً أو كثيرًا، إلا على قصد الذكر، فلهم أن يقولوا: بسم الله والحمد لله، وأمثال ذلك إذا لم يقصدوا القرآن، ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير لفظٍ، ثم اعلم بأنه ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات.

فإن كان جالسًا في موضعٍ استقبل القبلة، وجلس متذللاً متخشّعًا بسكينةٍ ووقارٍ مطرقًا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولا كراهة في حقه، ولكن إن كان بغير عذرٍ كان تاركًا للأفضل، والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانَ رسولُ الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائضٌ فيقرأُ القرآن[(١)]»، رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «ورأسُه فِي حجري[(٢)]».

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعةٌ على السرير[(٣)].

وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خاليًا نظيفًا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور سبحانه وتعالى؛ ولهذا مدح الذكر في المناسبات والمواضع الشريفة.

وجاء عن الإمام أبي ميسرة ﷺ قال: لا يُذكر الله تعالى إلا في مكانٍ طيبٍ، وينبغي أيضًا أن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغيُّرٌ أزاله بالسواك[(٤)].

واعلم أن الذكر محبوبٌ في جميع الأحوال، إلا في أحوالٍ ورد الشرع باستثنائها، فمنها أنه يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة.

وفي حالة الجماع.

وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب.

وفي القيام في الصلاة، بل تشتغل بالقراءة.

وفي حالة النعاس.

---

(١) رواه البخاري (١/١١٤)، وأحمد (٦/١٥٨).

(٢) رواه البخاري (٦/٢٧٤٤)، وأبو عوانة في مسنده (١/٢٦١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٤١).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/١٠٨)، وابن سعد في الطبقات (٦/١٠٧).

ولا يكره في الطريق، ولا في الحمَّام، والمراد من الذكر حضور القلب.

فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبَّر ما يذكر، ويتعقَّل معناه؛ فالتدبُّر في الذكر مطلوبٌ كما هو مطلوبٌ في القراءة؛ لاشتراكهما في المعنى المقصود، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله: لا إله إلا الله؛ لما فيه من التدبُّر، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورةٌ.

وينبغي لمن كانت له وظيفةٌ من الذكر في وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ أو عقب صلاةٍ أو حالةٍ من الأحوال ففاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها، ولا يصلها إلا إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرِّضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نامَ عن حزبه أو عن شيءٍ منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنّما قرأه من الليل**[1]».

***

فصل في فضل الذكر

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الأحزاب:٤١،٤٢].

وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**﴾ [البقرة:٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منه**[2]».

وقال ﷺ: «ألا أخبرُكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم

---

(١) رواه مسلم (١/٥١٥)، وأبو داود (٢/٣٤)، والترمذي (٢/٤٧٤)، والنسائي في الكبرى (١/٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦/٢٦٩٤)، ومسلم (٤/٢٠٦٧)، والترمذي (٥/٥٨١)، والنسائي في الكبرى (٤/٤١٢)، وابن ماجه (٢/١٢٥٥).

ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله[(١)]».

وقال ﷺ: «**ما صدقةٌ أفضلَ من ذكرِ الله**[(٢)]».

وقال ﷺ: «**مَثَل الذي يذكرُ ربَّه والذي لا يذكرُ ربَّه مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ**[(٣)]».

وقال ﷺ: «ما عملُ آدميٍّ أنجى له من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله. قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع عنقه. قاله ثلاث مرات[(٤)]».

وقال ﷺ: «**لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسِّمها وآخر يذكر الله، كان الذاكر الله أفضلَ**[(٥)]».

وقال ﷺ: «**إذا مررتم برياضِ الجنَّة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وما رياضُ الجنَّة؟ قال: حِلَق الذكر**[(٦)]».

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى: سيُعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم، فقيل: من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد**[(٧)]».

وقال ﷺ: «ما مِنْ آدميٍّ إلا ولقلبه بيتان، في أحدهما الملك، وفي الآخر الشيطان، فإذا ذكر الله خَنِسَ، وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له[(٨)]».

وقال ﷺ: «**ذاكرُ الله في الغافلين بمنـــزلة الصابر في الفارِّين**[(٩)]».

وقال ﷺ: «**إنَّ الجبلَ لينادي الجبل باسمه: أي فلان هل مَرَّ بك أحدٌ ذكر الله؟ فإذا قال نعم استبشر**[(١٠)]».

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٥٩)، وأحمد (٥/١٩٥)، ومالك في الموطأ (١/٢١١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٢٥٠)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٢٣٨).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٥٣)، ومسلم (١/٥٣٩)، والبيهقي في الشعب (١/٤٠١).

(٤) رواه أبو داود (٢/٣٢٥)، والترمذي (٣/١٣٠)، وأحمد (١/٢٢٤)، وابن ماجه (١/٥٥٠).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٦/١١٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٤).

(٦) رواه الترمذي (٥/٥٣٢)، وأحمد (٣/١٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦/١٥٥).

(٧) رواه أحمد (٣/٦٨)، وابن حبان في الصحيح (٣/٩٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٣١٣).

(٨) رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٢٢) بنحوه.

(٩) رواه الطبراني في الكبير (١٠/١٦)، وفي الأوسط (١/٩٠)، والديلمي في الفردوس (٢/٢٤٢).

(١٠) رواه أبو الشيخ في العظمة (٥/١٧١٧)، والطبراني في الكبير (٩/١٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٠٢).

وقال ﷺ: «إنَّ خِيارَ عبادِ الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله[١]».

وقال ﷺ: «ليسَ يتحسرُ أهلُ الجنَّة إلا على ساعةٍ مرَّت بهم ولم يذكروا الله فيها[٢]».

وقال ﷺ: «أكثروا ذكر الله حتَّى يقولوا مجنون[٣]».

وقال رسول الله ﷺ: «المستهترون: أي المشتغلون في ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا[٤]».

وقال ﷺ: «ليذكرنَّ الله قومٌ في الدنيا على الفُرش الممهدة يدخلهم الجنان العلى[٥]».

وقال رسول الله ﷺ : «إنَّ الذين لا تزال ألسنتُهم رطبةً من ذكر الله يدخلون الجنَّة وهم يضحكون[٦]».

وقال رجلٌ: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأنبئني بشيءٍ أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله[٧]».

قيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صُرع كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّ الإنسان.

قال الشيخ أبو علي الدقاق ؓ:

---

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده المنتخب (١/٤٢٠)، والبزار في مسنده (٨/٢٨٣)، وابن المبارك في الزهد (١/٤٦٠) بنحوه.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٤٠٨)، والطبراني في الكبير (٢٠/٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٩٢).

(٣) رواه ابن حبان في الصحيح (٣/٩٩)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/٣٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٧).

(٤) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٨/٤٤٩)، والديلمي في الفردوس (٢/٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (١/٣٩٠).

(٥) رواه ابن حبان في الصحيح (٢/١٢٤)، وكما في الموارد (١/٥٧٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٥٢٧).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/١٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٩)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٤٤٥).

(٧) رواه الترمذي (٥/٤٥٨)، وابن ماجه (٢/١٢٤٦)، وابن حبان في الصحيح (٣/٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٢).

الذكر منشور الولاية، فمن وُفق للذكر فقد أُعطي منشور الولاية، ومن سُلب الذكر فقد عُزل.

وقال سهل بن عبد الله التُستري ﷺ: ما من يومٍ إلا والجليل جلَّ جلاله ينادي: عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني، وأدعوك إليَّ وتذهب إلى غيري، وأُذهب عنك البلايا وأنت معتكفٌ على الخطايا، يا ابن آدم ما تقول إذا جئتني.

وقال الإمام القشيري: الذكر قويٌّ في طريق الحق ﷻ، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحدٌ إلى الله إلا بدوام الذكر.

وسُئل الشيخ أبو عثمان فقيل له: نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوةً، فقال: احمدوا الله على أن زيَّن جارحةً من جوارحكم بطاعته.

ومن حكايات الذاكرين ما حُكي عن أبي محمد الحريري قال: كان بين أصحابنا رجلٌ يُكثر أن يقول: الله الله، فوقع يومًا على رأسه جِذعٌ فانشجَّ رأسه ووقع الدم، فانكتب على الأرض الله الله.

وحُكي عن حامد الأسود قال: كنت مع إبراهيم الخوَّاص في سفرٍ فجئنا إلى موضعٍ فيه حياتٌ كثيرةٌ فوضع ركوته، وجلس وجلست، فلما برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات، فصحتُ بالشيخ فقال: اذكر الله. فذكرت، فرجعتْ، ثم عادت، فصحت به، فقال مثل ذلك، فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة، فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه، فسقطت من وطاته حيةٌ عظيمةٌ قد تطوَّقت به، فقلت: ما أحسست بها؟ فقال: لا. ومنذ زمانٍ ما رأيت أطيب من البارحة.

وعن ذي النون المصري ﷺ قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذ أنا بعابدٍ قد خرج من بعض تلك الكهوف، فلما نظر إلَيَّ تستَّر عنيٍّ بين تلك الأشجار.

ثم قال: أعوذ بك يا سيدي ممن يشغلني عنك، يا مأوى العارفين، وحبيب التوابين، ومعيذ الصادقين، وغاية أمل المحبين، ثم صاح: واغمَّاه من طول البكاء، واكرباه من طول المكث في الدنيا، سبحان من أذاق العارفين حلاوة الانقطاع إليه! فلا شيء عندهم ألذُّ من ذكره والخلوة بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس، فناديت: أيها العابد، قف لي، فوقف لي وهو يقول: اللَّهُمَّ اقطع عن قلبي كل علاقةٍ متعلقةٍ بغيرك، واجعل شغلي بك دون خلقك، فسلمت عليه، وسألته أن يدعو لي، فقال: خففَ الله عليك مؤن نصب السير إليه وأدَّاك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقةٌ مع غيره، وأوصلك إلى مقام الأحباب، وكشف لك عن جمال جلاله الحجاب، قال: ثم سعى بين يدي كالهارب

من السبع. وحكايات الذاكرين كثيرةٌ، وقد اقتصرت على هذه الألفاظ اليسيرة[١].

فصل

في فضل شيءٍ من أذكار مطلقةٍ ومخصوصةٍ

قال ﷺ: «**أفضلُ الذكرِ لا إله إلا الله**[٢]» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**[٣]».

وهذا الحديث آخر شيءٍ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم.

عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرُك بأحبِّ الكلامِ إلى الله؟ إنَّ أحبَّ الكلامِ إلى الله تعالى: سبحان الله وبحمده**[٤]».

وفيه أيضًا عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأت**[٥]».

وفيه أيضًا عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسةٌ، فقال: ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربعَ كلماتٍ ثلاث مراتٍ لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهنَّ: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورِضا نفسه وزِنة عرشه ومداد كلماته**[٦]».

وفيه أيضًا قال ﷺ: «**لأنْ أقولُ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**[٧]».

---

(١) وانظر: المصباح في أذكار المساء والصباح للمنبجي، ومعادن الجواهر في فضل الذكر والذاكر لابن الرسام، والأنوار مختصر الأذكار للقسطلاني، وبتحقيقنا، وكتابنا الفتح الحسن لعلو الهمم وحصول النعم.

(٢) رواه الترمذي (٥/٤٦٢)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٦)، وابن ماجه (٢/١٢٤٩).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٥٢)، ومسلم (٤/٢٠٧٢)، والترمذي (٥/٥١٢).

(٤) رواه مسلم (٤/٢٠٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٥٤).

(٥) رواه مسلم (٣/١٦٨٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٢١١)، والبيهقي في الشعب (١/٤٢٣).

(٦) رواه مسلم (٤/٢٠٩٠)، وأبو داود (٢/٨١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/٢٢٥).

(٧) رواه البخاري (٤/١٥٣١)، ومسلم (٤/٢٠٧٢)، والترمذي (٥/٥٧٧).

وفي صحيح البخاري ومسلم قال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ عشر مراتٍ كان كمن أعتق أربعة أنفسٍ من ولد إسماعيل**[١]».

وفيها أيضًا قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائة مرةٍ كانت له عدل عشر رقابٍ، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت لهِ حرزًا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه[٢]».

وفيها أيضًا قال ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرةٍ حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**[٣]».

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «أيعجزُ أحدُكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائلٌ من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنةٍ؟ قال: يسبِّح مائة تسبيحة فيُكتب له ألف حسنةٍ أو يُحط عنه ألف خطيئة[٤]».

وقال: أيضًا قال ﷺ: «**يصبحُ على كل سلامى من أحدكم صدقةٌ، فكلُ تسبيحة صدقةٌ، وكلُ تحميدة صدقةٌ، وكلُ تهليلة صدقةٌ، وكلُ تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويجزئ من ذلك ركعتان من الضحى**[٥]».

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلُّك على كنــز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: قل لا حول ولا قوَّة إلا بالله**[٦]».

وفي سنن أبي داود قال ﷺ: «مَنْ قالَ رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد رسولاً وجبت له الجنَّة[٧]».

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٧١)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٥)، والطبراني في الكبير (٤/١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٥١)، وذكره المنذري في الترغيب (١/٢٥٤)، وابن حجر في فتح الباري (١١/٢٠٢).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٥٢)، ومسلم (١/٤١٨)، والترمذي (٢/٣٤١).

(٤) رواه الترمذي (٥/٥١٠).

(٥) رواه مسلم (١/٤٩٨)، وأبو داود (٢/٢٧)، وأحمد (٥/١٦٧).

(٦) رواه مسلم (٤/٢٠٧٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٩٧)، وابن ماجه (٢/١٢٥٦).

(٧) رواه أبو داود (٢/٨٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤)، والبيهقي في الشعب (٤/٢٧).

وفي كتاب الترمذي قال ﷺ: «لقيتُ إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد اقرئ أمّتك منّي السلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيبةُ التربة عذبةُ الماء، وأنها قيعانٌ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[١]».

وفيه أيضًا قال ﷺ: «مَنْ قالَ سبحان الله وبحمده غُرست له نخلةٌ في الجنَّة[٢]».

وفي صحيحي البخاري ومسلم:

«كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللّٰهُمَّ أحيا وباسمك أموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور[٣]».

وفي كتاب ابن السني قال ﷺ:

«ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر[٤]».

وفيه أيضًا قال ﷺ: «من لبس ثوبًا فقال: الحمد الله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول منّي ولا قوة غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه[٥]».

وفي سنن أبي داود والترمذي: «كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً، ثم يقول: اللّٰهُمَّ لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنع له[٦]».

وفي صحيح البخاري: «أنه ﷺ كسا أم خالد خميصة، وقال: ابلي واخلقي مرتين[٧]».

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥١٠)، والطبراني في الكبير (١٠/١٧٣)، وفي الأوسط (٤/٢٧١)، وفي الصغير (١/٣٢٦).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥١١)، وأحمد (٥/٣٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٥٦)، والبزار في مسنده (٦/٤٣٦).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٦/١٨٧)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٤٤٧)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/٦٤).

(٤) رواه أحمد (٥/٤١٤)، والطبراني في الأوسط (٨/٣٨٢)، وفي مسند الشاميين (٢/٣٤٩).

(٥) رواه أبو داود (٤/٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/١٥١)، والدارمي في السنن (٢/٣٧٨).

(٦) رواه أبو داود (٤/٤١)، والترمذي (٤/٢٣٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٨٥).

(٧) رواه البخاري (٣/١١١٧)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/١٨١).

وفي كتاب ابن السني قال ﷺ: «سترُ ما بين أعين الجنِّ وعورات بني آدم أن يقول الرجلُ المسلمُ إذا أراد أن يطرح ثيابه: بسم الله الذي لا إله إلا هو[(١)]».

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم قال ﷺ: «مَن قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله يقال: هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ وتنحَّى عنه الشيطانُ[(٢)]».

وفي رواية أبي داود: «فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي[(٣)]».

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «إذا دخل الرجلُ بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل ولم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتكم المبيت والعشاء[(٤)]».

وفي صحيحي البخاري ومسلم: «كان رسول الله ﷺ يقول عند دخول الخلاء: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من الْخُبث والخبائث[(٥)]».

وقال ﷺ: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله[(٦)]»، رواه الترمذي.

قلت: فينبغي أن يجمع بينهما: ويقول إذا خرج: غفرانك، الحمد لله الذي أخرج عني الأذى وعافاني؛ فقد ثبت في الصحيح في سنن أبي داود والترمذي أن النبي ﷺ كان يقول: غفرانك[(٧)]، وفي سنن أبي داود وغيره أنه ﷺ قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله

---

(١) رواه الترمذي (٢/٥٠٣)، وابن ماجه (١/١٠٩)، والطبراني في الأوسط (٣/٦٨).

(٢) رواه أبو داود (٤/٣٢٥)، والترمذي (٥/٤٩٠)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٧٢).

(٣) رواه أبو داود (٤/٣٢٥).

(٤) رواه مسلم (٣/١٥٩٨)، وأبو داود (٣/٣٤٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٥٢)، وأحمد في المسند (٣/٣٤٦).

(٥) رواه البخاري (١/٦٦)، ومسلم (١/٢٨٣)، وأبو داود (١/٢)، والترمذي (١/١٠)، والنسائي في الكبرى (١/٦٧).

(٦) رواه مسلم (١/٢٨٣)، والترمذي (٢/٥٠٣)، وابن ماجه (١/١٠٩).

(٧) رواه أبو داود (١/٨)، والترمذي (١/١٢)، وأحمد (٦/١٥٥)، والحاكم في المستدرك (١/٢٦١)، وابن الجارود في المنتقى (١/٢٣).

عليه[(١)]».

وقال ﷺ: «من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء[(٢)]»، رواه مسلم والترمذي.

وزاد فيه: «اللَّهُمَّ اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهِّرين[(٣)]».

وروي: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[(٤)]»، رواه النسائي في كتاب «عمل اليوم والليلة».

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ بوضوء فتوضأ، فسمعته يدعو يقول: «اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي، ووسِّع عليَّ في داري وبارِكْ لي في رزقي»، فقلت: يا نبي الله سمعتك تدعو بكذا وكذا. قال: «وهل تركن من شيء[(٥)]».

وترجم ابن السني لهذا الحديث باب ما يقول بين ظهراني وضوئه.

أما النسائي فأدخله في باب ما يقول بعد فراغه من وضوئه وكلاهما يُحتمل.

وفي كتاب ابن السني: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: بسم الله اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وإذا خرج قال: بسم الله اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد[(٦)]».

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «إذا دخل أحدُكم المسجد فَليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليقل: اللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللَّهُمَّ إني أسألك من فضلك[(٧)]».

وفي سنن أبي داود: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال ﷺ: فإذا قال ذلك قال

(١) رواه أبو داود (١/٢٥)، والترمذي (١/٣٨)، وأحمد (٣/٤١)، وابن ماجه (١/١٣٩).
(٢) رواه مسلم (١/٢١٠)، والترمذي (١/٧٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/١١٣).
(٣) رواه الترمذي (١/٧٨)، والنسائي في الصغرى (١/٩٤).
(٤) رواه الترمذي (٥/٤٩٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١/٣٢٠).
(٥) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٤)، وأحمد (٤/٣٩٩)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/٢٥٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٠٩).
(٦) رواه الترمذي (٢/١٢٧)، والدولابي في الذرية الطاهرة (١/١٠٦).
(٧) رواه مسلم (١/٤٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/٣٢٥).

الشيطان: **حُفظ منّي سائر اليوم**[١]».

وفي صحيح البخاري: «**قال رسول الله ﷺ: لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهداء يوم القيامة**[٢]».

وفي صحيح مسلم قال ﷺ:

«إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلما يقول ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنه من صلّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منــــزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلةَ حلَّت له الشفاعةُ[٣]».

وفيه أيضًا قال ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذِّن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًّا وبمحمَّدٍ رسولاً وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبه**[٤]».

وفي رواية: «**من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد**[٥]» رواه مسلم في صحيحه.

وفي صحيح البخاري قال ﷺ: «**مَنْ قال حين يسمعُ النداء اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوة التامَّة والصلاة القائمة آت محمَّدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه اللَّهُمَّ مقامًا محمودًا الذي وعدته حلَّت له شفاعتي**[٦]».

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن السني وغيرهم قال رسول الله ﷺ: «**لا يُرَدُّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة**[٧]».

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي بكر الصديق ﷺ قال لرسول الله ﷺ: «**علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: قل اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر**

---

(١) رواه أبو داود (١/١٢٧)، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (١/٢٢١)، والنسائي في الكبرى (١/٢٠٨)، وأحمد في المسند (٣/٣٥)، ومالك في الموطأ (١/٦٩).

(٣) رواه مسلم (١/٢٨٨)، وأبو داود (١/١٤٤)، والترمذي (٥/٥٨٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١/٥١٠)، وابن ماجه (١/٢٣٨).

(٤) رواه مسلم (١/٢٩٠)، والدارمي في السنن (١/٢٩٤)، والطبراني في الكبير (١٩/٣٢١).

(٥) رواه مسلم (١/٢٩٠)، وأبو داود (١/١٤٥)، وأحمد (١/١٨١)، وابن ماجه (١/٢٣٨).

(٦) رواه البخاري (١/٢٢٢)، وأبو داود (١/١٤٦)، والترمذي (١/٤١٣).

(٧) رواه أبو داود (١/١٤٤)، والنسائي في الصغرى (١/٢١١)، والبيهقي في الكبرى (١/٤١٠).

الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم[١]».

وفي صحيح مسلم عن عليٍّ ﷺ وكرَّم وجهه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت[٢]».

وفي صحيحي البخاري ومسلم قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدُكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنَّمَ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجَّال[٣]».

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «من سبَّح الله في دُبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحَمَّد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[٤]».

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي قال رسول الله ﷺ: «خَصلتان أو خلَّتان لا يحافظ عليهما عبدٌ مسلمٌ إلا دخل الجنة، هما يسيرٌ، ومَنْ يعمل بهما قليلٌ: يسبِّح الله تعالى دُبر كل صلاة عشرًا، ويحمِّد الله عشرًا، ويكبِّر الله عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة بالميزان[٥]».

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، وإذا أخذ مضجعه يسبِّحه ويكبِّره ويحمِّده مائة[٦]».

وفي رواية: «يكبِّر أربعًا وثلاثين، ويحمِّد ثلاثًا وثلاثين، ويسبِّح ثلاثًا وثلاثين، فتلك مائةٌ باللسان، وألفٌ في الميزان، فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟ قالوا:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦/١)، ومسلم (٢٠٧٨/٤)، والترمذي (٥٤٣/٥)، وأحمد (٣/١).

(٢) رواه مسلم (٥٣٥/١)، والترمذي (٤٨٥/٥)، والنسائي في الصغرى (٢٤٣/١).

(٣) رواه البخاري (٢٨٦/١)، ومسلم (٤١٢/١)، وأبو داود (٢٥٨/١)، والنسائي في السنن الصغرى (٢٨٩/١)، والدارمي في السنن (٣٥٧/١)، وأبو نعيم في الحلية (٧٩/٦).

(٤) رواه مسلم (٤١٨/١)، والنسائي في الصغرى (٢٩٢/١)، وأحمد (٣٧١/٢).

(٥) رواه أبو داود (٣١٦/٦)، وذكره المنذري في الترغيب (٢٣٣/١).

(٦) رواه أبو داود (٣١٦/٤)، والترمذي (٤٧٨/٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٢٠٦/٦)، وابن ماجه (٢٩٩/١)، والخطيب في التاريخ (٢٧١/٧).

يا رسول الله كيف هما يسيرٌ ومن يعمل بهما قليلٌ؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان في منامه فينوِّمه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكِّره حاجةً قبل أن يقولها[1]».

وروى الواحدي والبغوي بسنديهما إلى جعفر الصادق وعن أبيه محمد الباقر عن أبيه عليٍّ زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] إلى قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٧] معلقاتٌ، ما بينهن وبين الله حجابٌ، قُلن: يا ربِّ أتهبطنا إلى الأرض وإلى من يعصيك؟ قال الله ﷻ: بي حلفت لا يقرأكنَّ أحدٌ دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولأسكننَّه حظيرة القدس، ولأنظرنَّ إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرةً، ولقضيتُ له كل يوم سبعين حاجةً أدناها المغفرة، ولأعذته من كل عدوٍّ وحاسدٍ ونصرتُه[2]».

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة[3].

وفي رواية أبي داود: بالمعوذات[4].

قال النووي: فينبغي أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن معاذ ﷺ: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة اللَّهُمَّ أعِنيِّ على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**[5]».

وفي كتاب ابن السني عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من

---

(١) رواه أبو نعيم في مسند أبي حنيفة (١٤٣/١).

(٢) رواه ابن حبان في المجروحين (٢٢٣/١).

(٣) رواه الترمذي (١٧١/٥)، والنسائي في الكبرى (٢٢٢/٦).

(٤) رواه أبو داود (٨٦/٢).

(٥) رواه أبو داود (٨٦/٢)، والنسائي في الكبرى (٣٢/٦)، وأحمد في المسند (٢٤٤/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤١/١).

صلاته يقول: «سبحان ربِّك ربِّ العزة عمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين[١]».

وفيه أيضًا قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء[٢]».

وفي كتاب الترمذي وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قديرٌ عشر مراتٍ كُتب له عشر حسنات، ومُحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرز من الشيطان، ولم يتبع لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله[٣]».

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ، وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيحٌ.

وفي سنن أبي داود عن مسلم بن حارث التميمي ﷺ: «أن رسول الله ﷺ أسر إليه فقال: إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللَّهُمَّ أجرني من النار سبع مرات؛ فإنك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كُتب لك جوار منها، وإذا صليت الصبح فقل كذلك؛ فإنك إن مت من يومك كُتب لك جوار منها[٤]».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأتِ أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ قال مثلما قال أو زاد عليه[٥]». وفي سنن أبي داود: «سبحان الله العظيم وبحمده».

وفي سنن أبي داود والترمذي وسنن النسائي وغيرهم بالأحاديث الصحيحة عن عبد الله بن خبيب ﷺ قال: «خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ فأدركناه

---

(١) رواه الترمذي (٦/٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٣٦٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٢/٧٧)، والترمذي (٥/٥١٧)، والنسائي في الصغرى (١/٢٨٧)، وأحمد في المسند (٦/١٨).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٧)، وفي عمل اليوم (١/١٩٦)، والبزار في المسند (٩/٤٣٨).

(٤) رواه أبو داود (٤/٣٢٠).

(٥) رواه مسلم (٤/٢٠٧١)، والترمذي (٥/٥١٣)، والنسائي في الكبرى (٦/١٤٦)، وأحمد في المسند (٢/٣٧١).

فقال: قل. فلم أقل شيئًا، ثم قال: قل. فلم أقل شيئًا، ثم قال: قل. قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك عن كل شيء[(١)]».

قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي صحيح مسلم: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرُّك[(٢)]».

وفي سنن أبي داود والترمذي عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضرُّه شيء[(٣)]».

قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، هذا لفظ الترمذي.

وفي رواية أبي داود: «ولم تصبه فجاءةٌ وبلاءٌ».

وذكر عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: علَّمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب اللَّهُمَّ هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، اغفر لي.

وفي كتاب ابن السنيِّ كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاة المغرب يدخل فيصلي ركعتين، ثم يقول فيما يدعو: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك وطاعتك[(٤)]».

وفي كتاب الترمذي قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على أثر المغرب بعث الله له مسلَّحةً يتكفَّلونه من الشيطان حتى يصبح، وكَتب الله له بها عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات،

---

(١) رواه أبو داود (٤/٣٢١)، والترمذي (٥/٥٦٧)، والضياء المقدسي في المختارة (٩/٢٨٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/٣٣).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨١)، والنسائي في الكبرى (٦/١٥٢)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٣٨٩).

(٣) رواه الترمذي (٥/٤٦٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١/٢٩١)، وابن ماجه (٢/١٢٧٣).

(٤) رواه الترمذي (٥/٥٧٣)، وأحمد (٦/٣٠١) بنحوه.

وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات[١]»، وقد رواه النسائي في كتابه أيضًا.

***

فصل

في فضل القرآن العظيم وسور منه وآيات

قال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا القرآن؛ فإنَّه يأتي شفيعًا يوم القيامة[٢]**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**يقول الله سبحانه وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السَّائلين[٣]**» رواه الترمذي.

قال الإمام النووي في الأذكار: اعلم أن قراءة القرآن آكد الأذكار، وينبغي المداومة عليها فلا يخلى عنها يومًا وليلة، ويحصل له أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة.

وقد روينا في كتاب ابن السنِّي عن أنس ﷺ: «**أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ في يوم وليلة خمسين آية لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجّه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية يُكتب له قنطارٌ من الأجر[٤]**».

وفي رواية: «**مَنْ قرأ أربعين آية بدل خمسين**»، وفي رواية: «**عشرين آية**».

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قَرَأ عشر آيات لم يُكتب من الغافلين[٥]**».

وجاء في الباب أحاديث كثيرةٌ بنحو هذا، وروينا أحاديث كثيرة في قراءة سورة في اليوم والليلة منها: يس، وتبارك الذي بيده الملك، والواقعة، والدخان.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ قرأ يس في يوم وليلة ابتغى بها وجه**

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٤٤)، والنسائي في الكبرى (٦/١٤٩)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٣٨٥).

(٢) رواه مسلم (١/٥٥٣)، والروياني في مسنده (٢/٣١٥).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٣/٢٥٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/١٥٠)، والبيهقي في الشعب (٢/٣٥٣).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٠٢)، والدارمي في السنن (٢/٥٥٧).

(٥) رواه أبو داود (٢/٥٧)، والنسائي في الصغرى (١/٤٧٩)، وسعيد بن منصور في السنن (١/١٢٩).

الله غُفر له[(١)]».

وفي رواية له: «مَنْ قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفورًا له[(٢)]».

وفي رواية عن ابن مسعود ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبْه فاقةٌ[(٣)]».

وعن جابر ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنـــزيل الكتاب، وتبارك الملك[(٤)]».

عن أبي هريرة ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال:

«من قرأ في ليلة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كانت كعدل ثلث القرآن[(٥)]».

وفي رواية: «من قرأ آية الكرسي وأول ﴿حم﴾ غافر عُصم ذلك اليوم من كل سوء[(٦)]».

والأحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرةٌ انتهى.

وفي كتاب الترمذي وابن السنِّي قال رسول الله ﷺ:

«ما مِنْ مسلم يأوي إلى فراشه، فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى حين يأخذ مضجعه إلا وكَّل الله ﷻ به مَلَكًا لا يدع شيئًا يقربه ويؤذيه حتى يهبَّ متى هبَّ[(٧)]».

وفي سنن أبي داود والترمذي عن نوفل الأشجعي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نَمْ على خاتمتها؛ فإنَّها براءةٌ من الشرك[(٨)]».

وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن النبي ﷺ قال: «ألا أدلُّكم على كلمة تُنجيكم من

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (١/٢٥٥)، وابن عدي في الكامل (١/٤١٦).
(٢) رواه الترمذي (٥/١٦٣)، والدارمي في السنن (٢/٥٥٠)، والطبراني في الكبير (٨/٢٦٤).
(٣) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٩١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٠١).
(٤) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/٤٣١، ٤٣٢).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ذكره الذهبي في الميزان (٤/٢٦٣)، وابن كثير في تفسيره (٤/٧٠).
(٧) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٠٣)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٤٧٢).
(٨) رواه أبو داود (٤/٣١٣)، والترمذي (٥/٤٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٠٠).

الإشراك بالله ﷻ تقرأون قل يا أيها الكافرون عند منامكم[١]».

وفي صحيح البخاري ومسلم قال رسول الله ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه**[٢]».

واختلف العلماء في معنى (كفتاه) فقيل: كفتاه من الآفات في ليلته، وقيل: كفتاه من قيام ليلته.

قال النووي ؓ: ويجوز أن يراد الأمران.

وقال: عن عائشة رضي الله عنها: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده**[٣]».

وفيما عنها رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[٤]».

وروى الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود بإسناده عن عليٍّ ؓ أنه قال: «**ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة**[٥]».

قال النووي: إسناده صحيحٌ.

وقال رسول الله ﷺ: «**من قرأ الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**[٦]» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروى الدارمي والبيهقي: «**أن من قرأها ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق**[٧]».

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٩٦)، والديلمي في الفردوس (١/١٣٦).

(٢) رواه البخاري (٤/١٩٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/٢٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٢٩)، وابن ماجه في السنن (٢/١٢٧٥).

(٤) رواه البخاري (٤/١٩١٦)، والترمذي (٥/٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (٥/٢٠١).

(٥) رواه ابن أبي داود في المصاحف.

(٦) رواه البيهقي في الكبرى (٣/٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٩).

(٧) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/٣٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٢٩٧).

وروى الدارمي أن النبي ﷺ قال: «**اقرءوا سورة هود يوم الجمعة**[١]».

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة غُفر له**[٢]».

وفي تفسير الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتَّى تجب الشمس**[٣]».

وروى الطبراني أنه قال رسول الله ﷺ: «**من قرأها يوم جمعةٍ غربت الشمس بذنوبه**[٤]».

وروى الأصبهاني أنه قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة يس ليلة الجمعة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**[٥]».

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: فينبغي المواظبة على قراءة هذه السور المذكورة سواء عقلنا سِرًّ تخصيصها بليلة الجمعة ويومها أو لم نعقل، ولو أن العقول تحتمل سرَّ ذلك لأوضحناه للناس، ولكن من الأدب كتم ما كتم الشارع وإظهار ما أظهر من إضاءة النور والمغفرة، والله عليمٌ حكيمٌ.

وروى الحافظ المنذري في جزء جمعه في غفران ما تقدَّم من الذنوب وما تأخَّر من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، والمعوذتين سبعًا سبعًا، غَفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأُعطي من الأجر بعدد كل من آمن بالله ورسوله**[٦]».

وروى ابن السني من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ سبع مراتٍ أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى**[٧]».

---

(١) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٤٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٢/٦٧).
(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١١/١٠٥).
(٣) رواه الدارمي في السنن (٢/٥٤٤) بنحوه، وذكره القرطبي في التفسير (٤/٢).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) ذكره القرطبي في التفسير (١٥/٣) بنحوه.
(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٠٤) بنحوه.
(٧) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٠٣).

فائدة

قال أبو طالب المكّي: ويستحبُّ أن يقول بعد صلاة الجمعة:

(يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد، يا رحيم يا ودود، أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك)، فيقال: من واظب على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب انتهى.

قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف بل ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ[(١)]» رواه الترمذي.

وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقال ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران[(٢)]» رواه البخاري ومسلم.

* * *

فصل

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

والأحاديث في فضلها أكثر من أن تحصر، ولكن نشير إلى أحرف من ذلك تنبيهًا على ما سواها، وتبريكًا للكتاب بذكرها[(٣)].

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صلّى عليَّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشرًا[(٤)]».

وفيه أيضًا عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صلّى عليَّ واحدةً صلّى الله عليه عشرًا[(٥)]».

وفي كتاب الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه الترمذي (١٧٥/٥)، والبيهقي في الشعب (٣٤٢/٢).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٢/٤)، ومسلم (٥٤٩/١).

(٣) شرّفنا الله بتحقيق كتاب محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار للأبشيهي، وهو أعظم وأوسع كتاب عرفناه في نوعه.

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٢٠٩/٢)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٢٣٢/٢).

(٥) رواه مسلم (٣٠٦/١)، وابن حبان (١٨٧/٣)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٣٧/٢).

«أولَى النَّاس بي يوم القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً[١]».

وفي سنن أبي داود والنسائي والترمذي عن أوس بن أوس ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليَّ. فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ؟ قال: فإن الله تعالى حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء[٢]».

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلُوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغنِي حيثُ كنتم[٣]».

وفيه أيضًا عنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«ما مِنْ أحدٍ يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتَّى أردَّ عليه السلام[٤]».

وفي كتاب الترمذي عنه أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ[٥]».

وفي كتاب أبو المديني عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذُكرتُ عنده فليصلِّ عليَّ فإنَّه مَنْ صلىَّ عليَّ مرةً صلَّى الله عليه عشرًا[٦]».

وقال الإمام الترمذي: يُروى عن بعض أهل العلم قال: «إذا صلَّى الرجل على النبيِّ ﷺ مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس».

وروى البيهقي بإسنادٍ حسنٍ قال رسول الله ﷺ: «إنَّ صلاة أمَّتي تُعرضُ عليَّ في كل يوم جمعةٍ، فمَنْ كان أكثرهم عليَّ صلاةً كان أقربَهم منِّي منــزلةً[٧]».

وروى الطبراني قال رسول الله ﷺ: «من قال: جزى الله عنَّا محمَّدًا بـما هو أهله أتعب سبعين كاتبًا ألف صباحٍ[٨]».

وروى الترمذي عن أُبي بن كعب ﷺ قال: قلت: «يا رسول الله إني أكثر الصلاة

---

(١) رواه الترمذي (٢/٣٥٤)، والبيهقي في الشعب (٢/١٢).

(٢) رواه أبو داود في السنن (٢/٨٨).

(٣) رواه أبو داود (١/٦٢٢).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (٥/٢٤٥)، وأحمد (٢/٥٢٧).

(٥) رواه الترمذي (٥/٥٥٠)، وابن حبان (٣/١٨٩)، وذكره ابن كثير في التفسير (٣/٣٦).

(٦) رواه النسائي (٦/٢١)، والطبراني في الأوسط (٥/١٦٢).

(٧) رواه البيهقي في الشعب (٣/١١٠)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٢٨).

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٠٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٣).

عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك، قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك، قلت: أجعل لك صلواتي كلها؟ قال: إذًا تُكفى همك ويكفَّر لك ذنبُك[(١)]».

فصل

في فضل الاستغفار

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجًا، ومن كل همٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**[(٢)]» رواه أبو داود وابن ماجه.

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طُوبَى لمن وُجد في صحيفته استغفارٌ كثيرٌ**[(٣)]».

وفي سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**ربِّ اغفرْ لي وتُبْ عليَّ إنَّك أنت التوابُ الرحيمُ**[(٤)]».

قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي سننهم أيضًا عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه غُفرت ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف**[(٥)]».

قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ومسلم.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرةً**[(٦)]».

---

(١) رواه الترمذي (٤/٦٣٦)، رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٧) بنحوه.
(٢) رواه أبو داود في السنن (٢/٨٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٥١).
(٣) رواه ابن ماجه (٢/١٢٥٤)، والبيهقي في الشعب (١/٤٤٠).
(٤) رواه الطبري (٣٠/٣٣٥)، وابن حبان (٣/٢٠٦)، وأحمد (٢/٢١).
(٥) رواه الترمذي (٥/٥٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٣).
(٦) رواه البخاري (٥/٢٣٢٤)، والطبراني (٨/٣٢٩).

وفي صحيح مسلم عن الأغر الصحابي المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّه ليغانُ على قلبِي، وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**(١)».

وفي كتاب الترمذي عن أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد النجوم، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا**(٢)».

وفي كتاب ابن السني عن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: «**من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غَفَرَ الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**(٣)».

وفي صحيح البخاري عن شدَّاد بن أوس ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيِّدُ الاستغفار** أن يقول العبد: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها في النهار موقنًا بها فمات في يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات في ليلته قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة(٤)».

وفي كتاب أبي داود والترمذي عن مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أضرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرةً**(٥)».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فَيَغفر لهم**(٦)».

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٧٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٦٩١/١)، والبيهقي في الكبرى (٥٢/٧).
(٢) رواه الترمذي (٤٧٠/٥)، وأحمد (١٠/٣)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣٥/١).
(٣) رواه ابن السني (ص١٢٣).
(٤) رواه البخاري (٢٣٢٣/٥)، والترمذي (٤٦٧/٥)، وابن ماجه (١٢٧٤/٢).
(٥) رواه البيهقي في الشعب (١٦/٤).
(٦) رواه مسلم (٢١٠٦/٤)، وأحمد (٣٠٩/٢)، والبيهقي في الشعب (٤١٠/٥).

الباب الثالث عشر /
في السماع

وقد اختُلف فيه اختلافًا كثيرًا، ونحن بعون الله تعالى نفصل الأمر الفصل فنقول:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٧،١٨].

قيل: في قوله تعالى: (أَحْسَنَهُ: أي أهداه وأرشده).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

قال الإمام الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتابه «العوارف»: هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان، وإنه لمحكومٌ لصاحبه بالهداية واللبِّ، وهذا سماعٌ ترد حرارته على برد اليقين، فتفيض العين بالدمع؛ لأنه تارةً يثير حزنًا، والحزن حار، وتارةً يثير شوقًا والشوق حار، وتارةً يثير ندمًا والندم حار، فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين، أبكى وأدمع؛ لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدمتا عصرتا ماءً، فإذا ألمَّ السماع بالقلب تارةً يخفُّ الماء به، فيظهر أثره في الجسد وتقشعر منه الجلود.

قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣]، وتارةً يعظم وقعه، ويتصوَّب أثره إلى فوق نحو الدماغ، كالمخبر للعقل بعظم وقع المتجدد الحادث، فتدفق منه العين بالدمع، وتارةً يتصوَّب أثره إلى الروح، فتموج منه الروح موجًا يكاد يضيق عنه نطاق القلب، فيكون من ذلك الصياح والاضطراب، وهذه كلها أحوالٌ يجدها أربابها من أصحاب الحال، وقد يحكيها بدلائل هوى النفس راكب المحال.

رُوي أن عمر ﷺ كان ربَّما قرأ بآية في ورده فتخنقه العَبرة، فيسقط، ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يُعاد ويحسب مريضًا؛ فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم[١].

ويروي زيد بن أسلم قال: قرأ أُبي بن كعب عند رسول الله ﷺ فرقُّوا، فقال رسول الله ﷺ: «اغتنموا الدعاءَ عندَ الرِّقة؛ فإنَّها رحمةٌ[٢]».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٩٥).

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (١/٤٠٢)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٦٨).

وروت أم كلثوم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا اقشعرَّ جلدُ المرء من خشية الله تعالى تحاتت عنه الذنوب كما يتحاتُ عن الشجرة اليابسة ورقُها**[١]».

وورد أيضًا: «**إذا اقشعرَّ الجلدُ من خشية الله تعالى حرَّمه الله تعالى على النَّار**[٢]»، فهذه جملةٌ لا تُنكر ولا اختلاف فيها، إنما الاختلاف في سماع الأشعار بالألحان.

وأما ما كان من القصائد في ذكر الله الجنَّة والنَّار والتشويق إلى دار القرار، ووصف نعم الملك الجبار، ومدح النبي المختار، وذكر العبادات والترغيب في الخيرات، فلا سبيل إلى الإنكار، ومن ذلك القبيل قصائد الغزاة والحجَّاج في وصف الغزو والحج، فيما يثير كامن العزم من الغازي، وساكن الشوق من الحاج.

وأما ما كان فيه من ذكر القدود والخدود ووصف النساء فلا يليق بأهل الديانات والاجتماع لمثل ذلك، وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمر الحق من تلون أحوال المريدين، ودخول الآفات على الطالبين، فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات، أو تجدد عنده عزمٌ لما هو آت، فكيف يُنكر سماعه؟ وقد قيل: أن بعض الواجدين كان يقتات السماع ويتقوَّى به على الطي والوصال، ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع، فإذا استمع العبد إلى بيتٍ من الشعر وقلبه حاضرٌ فيه، وسمع الحادي يقول مثلاً:

وأمَّا مِنْ هَوَىَ ليلى وحبِّي زيارتها فإنِّي لا أتوبُ

فطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات في أمر الحق إلى الممات، يكون في سماعه هذا ذاكرًا لله تعالى انتهى.

قال الشيخ عبد الغني الشامي في كتابه «كشف النور»: وأما إنشاد الأشعار الذي تكلَّم بها العارفون، كأشعار الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، والشيخ الأكبر ابن العربي، وعفيف الدين التلمساني، والشيخ عبد الهادي السودي، ونحوهم من السادات الصوفية رضي الله تعالى عنهم، وقدَّس أسرارهم، فهي من جملة المهيِّجة القلبية إلى الحضرة الإلهية، فكل من كان يفهم الحقائق ويجوز له استماعها وإنشادها وكل من ألهته وأوقعته في الطرب النفساني ولم ينتفع منها بواردٍ يرد على قلبه فلا يجوز له سماعها؛ لأن سماعه حينئذٍ مجرد لهو وبطالة، كما قال الشاعر:

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٤٩١/١)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١١٧/٤).

(٢) لم أقف عليه.

ولقَدْ أسمعتُ لو ناديتُ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ويجب علينا ألا نسيء الظنون في أحدٍ من العالمين، إلا المجاهر بكفره، والمتهتك بفسقه إذا أخبر عن نفسه، أو أطلعنا عليه من فلتات كلامه، وتحققنا عدم فهمه، وعدم تحققه بربِّه، والجميع محمولون عندنا على الكمال.

ولكن هذا مقدار الواجب علينا من البيان، ويجب على كل مسلمٍ ألا يخون نفسه ويغالطها، فإن وجد لها قوةً على المعرفة والانتفاع بحضور الذكر المشتمل على السماع والوجد والإنشاد فليحضر، وإلا فاشتغاله بطلب العلوم النافعة أولى له وأحقُّ، كما قال القائل:

إذا لم تَستَطِعْ شَيئًا فدعْه وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

وقال في كتابه «أنوار السلوك»: وأما أهل الطريقة المحمدية من الصوفية الكاملين في كل زمانٍ فقد أحدثوا أيضًا أنواعًا من الذكر والخلوات والرياضات وعقد مجالس التوحيد، واتخذوا المريدين، وأمروهم بما لم يعهد عند أهل القسم الأول من علماءِ ظواهرٍ، رفعوا أصواتهم بالذكر، واضطربوا، وتواجدوا، ورقصوا بالشوق والحب الإلهي عند ذكر الله تعالى، وإنشاد القصائد الإلهية، والأبيات من الشعر في معاني التوحيد والتغزلات المتوجهة عند أهلها للمعاني الإلهية.

وإن كان ذلك كله لم يكن في زمان النبي ﷺ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولكنه شيءٌ حسنٌ فيه كمال الإقبال على حضرة الله تعالى، وكمال الانهماك في التوجيه إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميع ما يفعلونه في حال خشوعهم من الأمور الخارقة للعادة مما فيه نفعٌ للمسلمين من شفاء مريض، أو إقامة مقعدٍ أو ردُّ جاهل منكر عليهم، أو دفع ظالم، أو متعدٍّ عليهم، أو جلب نفع لأحدٍ من المسلمين بأي طريقٍ كان، بعد أن يكون الغرض صحيحًا شرعيًّا، والمقصد حسنًا في الشريعة، فلا حرج في الوسائل إلى تحصيل ذلك، ولو لم يكن عين ذلك معهودًا عند السلف الماضيين، وأمَّا جميع ما ذكره الفقهاء في كتب الفقه وغيرها من كتب المواعظ والحكم من تعرُّضهم للصوفية، وطعنهم عليهم، وقولهم بمنع الصوفية من الرقص والتواجد والدوران ونحو ذلك، فإن مرادهم صوفيةٌ مخصوصةٌ عُرفوا بفساد الأحوال، وخُبث النيَّات، وقبح الطويَّات، وانطووا على مخالفاتٍ ظاهرةٍ ومعاصٍ قبيحةٍ من شرب خمر، وزنا، وسرقة، وأكل المال بالباطل، وأذية المسلمين، وفساد عقائد، وجهل فظيع، وقد استتروا في الظاهر بهذا الصنيع الذي غرضهم به التوصُّل إلى مفاسد أخر قد انطووا عليها،

واشتملوا على الرياء والسمعة والتكبُّر والحسد لبعضهم بعضًا، فنبَّه الفقهاء على ما صار شعارًا لهم في ذلك الزمان، وقبحوا عليهم ما استتروا به من حسن الحال بحسب الظاهر ليتمكَّنوا من تنفير الأمة عنهم، وعن الالتحاق بهم، وهذا مما يجب علينا بيانه في حق الفقهاء المتقدمين؛ حتى لا ننسبهم الى الطعن في أولياء الله تعالى على أحد منهم، وإنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى انتهى.

ولنذكر فتوى شيخ الإسلام بركة الأنام خير الدين الرملي الحنفي؛ فإن فيها من الكلام ما هو غاية القصد وكفاية المرام وصورتها.

سُئل من دمشق الشيخ إبراهيم الضمادي فيما اعتاده السادة الصوفية من حلق الذكر والجهر به في المساجد من جماعة ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم، وينشدون القصائد الصوفية الصادرة من ذوي المعارف الإلهية كالقادرية والسعدية والطاوغية وغيرهم ممن سلَّمت لهم الفقهاء الملة المحمدية، ويقولون: يا شيخ عبد القادر يا شيخ أحمد يا رفاعي شيءٌ لله يا عبد القادر ونحو ذلك ويحصل لهم في أثناء الذكر وجدٌ عظيمٌ، وحالٌ يقعد ويقيم، فيرفعون أصواتهم بالذكر فيطويهم الحال، وينشرهم المقال، ولا يخلو ذلك من حضور أناسٍ عوامٍ يحصل منهم اللحن عند الهُيام، وقصدهم ذكر المهيمن العلاَّم يدخلون حِلق الذكر بنيةٍ صالحةٍ، ورغبةٍ واضحةٍ وثَمَّ من يعترض على ذلك، ويقول: لفظ شيء لله كفرقانة هالك، وكذلك الإنشاد ورفع الصوت والرقص يعدُّه من غاية النقص قائلاً: جميع ما يُفعل من ذلك لا يجوز في مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك، وينكر كرامات الأولياء بعد الممات، ويشنِّع غاية التشنيع على فاعله بالكلمات المؤلمات، فهل اعتراضه موافقٌ للحكم الشرعي ومطابقٌ لما يقتضيه الشأن المرعيُّ، أفتونا بالنقل الصحيح عن العلماء ذوي الألباب ولكم الأجر والثواب من رب الأرباب؟

أجاب: الحمد لله وحده اللَّهُمَّ يا من لا هادي لنا سواك أنطقنا بما فيه رضاك، اعلم أولاً أن من القواعد المشهورة التي في كتب الأئمة مقرَّرةٌ مذكورةٌ أن الأمور بمقاصدها والشيء الواحد يتصف بالْحِلِ والحرمة باعتبار ما قصد له وهي مأخوذةٌ من الحديث الذي رواه الشيخان: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات[1]»، وعليه مدار غالب أحكام الإسلام كما نصَّ عليه العلماء الكرام، فإذا تقرر لك ذلك وعلمت ما هنالك فاعلم تلوه أن ولي الله الشيخ العلامة والحبر الفهَّامة جلال الدين المحلي ذكر في شرح جمع الجوامع قوله: ونرى أن طريق

---

(١) رواه البخاري (١/٣)، وأبو داود (٢/٢٦٢).

الشيخ أبي القاسم الجنيد سيِّد الصوفية علمًا وعملاً وصحبه طريقٌ مقوَّمٌ فإنه حالٌ عن البدع دائرٌ على التسليم والتفويض والتبرِّي من النفس.

ومن كلامه المبارك: الطريق إلى الله تعالى مسدودٌ على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ.

وقال: رأيت في المنام أنِّي أتكلم على الناس فوقف على ملك.

وقال: ما أقرب ما تقرب به المقرَّبون إلى الله تعالى، فقلت: عملٌ خفيٌّ بميزانٍ وَفِيٍّ، فذهب وهو يقول: كلامٌ موفق والله، ولا التفات إلى من رماهم في جملة الصوفية بالزندقة عند الخليفة السلطان حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور شيخه، وبسط لهم النفع، فتقدَّم من آخرهم أبو الحسن النوري السيَّاف، فقال له: لِمَ تقدمت؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة، فبُهت، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردُّهم إلى القاضي، فسأل النوريَّ عن مسائل فقهيَّة فأجابه عنها، ثم قال: وبعد، فإن لله عبادًا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله إلى آخر كلامه. فبكى القاضي وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زنادقةً فما على وجه الأرض مسلمٌ. فخلَّى سبيلهم رحمهم الله تعالى، ونفعنا بهم[1].

ثم قُتل من الصوفية المحبِّين الحلاَّج في سنة تسع وثلاثمائة في سني الخليفة المذكور هو أبو جعفر المقتدر انتهى.

وفي شرح الجامع الصغير للمناوي في قوله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ قومًا حَشَرَه الله في زمرتِهم**[2]»، قال: **مَنْ أحبَّ أولياء الرحمن فهو معهم في الْجِنان، ومَنْ أحبَّ حزبَ الشيطان فهو معهم في النِّيران**.

وفيه بشارةٌ عظيمةٌ لمن أحبَّ الصوفية أو تشبَّه بهم، وأنه يكون مع تفريطه في القيام بما هو عليه في الجنَّة.

ومن تشبَّه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إيَّاهم، ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبُّه روحه لما تنبَّهت له أرواحهم؛ لأن محبَّة الله تعالى محبَّة أمره وما يقرِّب إليه، ومن تقرَّب منهم يكون بجاذب الروح، لكن المتشبه تعوَّق بظلمه النفس، والصوفي خلص من ذلك انتهى.

---

(١) انظر: الرسالة للقشيري (٢/٧٢٦)، والإحياء للغزالي (٤/٥٠٨)، والحبور (ص١١٣) بتحقيقنا، وكتابنا في الجنيد (ص٢٨٧).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨١).

وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفسٍ جاهلة غبيَّة، فترجع إلى ما هو المسئول عنه.

وأما حلق الذكر والجهر به، وإنشاد القصائد فقد جاء في الحديث ما اقتضى بطلب الجهر نحو: «**وإنْ ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منه**[(١)]» رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ورواه أحمد بنحوه بإسنادٍ صحيحٍ، وزاد في آخره: «**والله أسرع**[(٢)]».

قال قتادة: والذكر في الملإ لا يكون إلا عن جهرٍ، وكذا حلق الذكر، وطواف الملائكة بها، وما ورد فيها من الأحاديث، فإن ذلك إنما يكون في الجهر بالذكر.

وهناك أحاديث اقتضت طلب الإسرار، والجمع بينهما بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

كما جمع بين الآية الطالبة للجهر بالقراءة والطالبة للإسرار بها، ولا يعارض ذلك خير الذكر الخفي؛ لأنه حيث خيف الرياء أو تأذِّي المصلين، أو النيام، وإلا فالجهر أولى، وذكر بعض أهل العلم أنه أفضل حيث خلا مما ذُكر؛ لأنه أكثر عملاً، ولتعدي فائدته إلى السامعين، ويوقظ قلب الذاكر، فيجمع همته إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد النشاط، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ**﴾ [الأعراف:٢٠٥]، أجيب عنها بأنها مكيةٌ كآية الإسرار، ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا**﴾ [الإسراء:١١٠] نزلت لئلا يسمعها المشركون فيسبُّون القرآن، ومن أنزله، فأمر به سدًّا للذريعة، كما نهى عن سبِّ الأصنام لذلك، وقد زال.

وبعض شيوخ مالك وابن جرير وغيرهما حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن تعظيمًا له يدل عليه اتصالها بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف:٢٠٤].

قالت السادة الصوفية: الأمر بالآية خاصٌّ به ﷺ.

وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الردية فمأمورٌ بالجهر؛ لأنه أشدُّ في دفعها، يؤيده حديث البزار: «**مَنْ صلَّى منكم بالليل فليجهرْ بقراءته؛ فإن الملائكة تصلي وتسمع لقراءته، وإنَّ مؤمني الجنِّ الذين يكونون معه في الهواء وجيرانه معه في مسكنه**

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٦٩٤)، ومسلم (٤/٢٠٦٧).

(٢) رواه أحمد (٢/٣٥٤).

يصلون بصلاته، ويستمعون قراءته، وتُطرد بجهره عن داره والدور التي حوله فسّاق الجن ومردة الشياطين[١]».

وتفسير الاعتداء في قوله تعالى: ﴿**لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف:٥٥] بالجهر في الدعاء مردودٌ بأن الراجح من تفسيره التجاوز عن المأمور به، أو الاختراع فيما لا أصل له في الشرع، والتوفيق بين ما ورد في الجهر والإسرار بنحو ما قرر واجبٌ.

قال: فإن قلت: ما صرِّح في الخانيَّة بأن رفع الصوت بالذكر حرامٌ؛ لقوله ﷺ لمن رفع صوته بالذكر: «**إنك لا تدعو أصمًّا ولا غائبًا**[٢]».

وقوله ﷺ: «**خيرُ الذكر الخفيُّ**[٣]»؛ لأنه أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الخضوع، فمحمولٌ على الجهر الفاحش المضرِّ.

وفي البزازية ناقلاً عن الفتاوى: أن الذكر في المسجد لا يُمنع للاحتراز عن الدخول تحت قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا**﴾ [البقرة:١١٤].

وصنع ابن مسعود رضي الله عنه: يعني إخراجه جماعة من المسجد سمعهم يهللون ويصلون عليه ﷺ جهرًا يخالف قولكم.

قال: قلت: الإخراج من المسجد لو نُسب إليه بطريق الحقيقة يجوز أن يكون غير جائزٍ لغرضٍ يلحقه، فكذا غير الجائز يجوز أن يجوز لغرض؛ كما ترك الرسول ﷺ الأفضل تعليمًا للجواز.

ثم قال: وما رُوي في الصحيح أنه ﷺ قال لرافعي صوتهم بالتكبير: «**أربعُوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائبًا**[٤]» إلخ، يحتمل أنه لم يكن في الرفع مصلحةٌ؛ فقد رُوي في غزاة: ولعل رفع الصوت يجر بلاءً، والحرب خدعةٌ، وأما رفع الصوت بالذكر فجائزٌ انتهى ملخصًا.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣/١٠٩١)، ومسلم (٤/٢٠٧٧)، وأبو داود (٢/٨٧)، والنسائي (٤/٣٩٨)، وأحمد (٤/٣٩٤) بنحوه.

(٣) رواه أحمد (١/١٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٣/٩١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٨٥).

(٤) رواه البخاري (٣/١٠٩١)، ومسلم (٤/٢٠٧٧)، وأبو داود (٢/٨٧)، والنسائي (٤/٣٩٨)، وأحمد (٤/٣٩٤)

وفي المسألة للعلماء كلامٌ يتحمل مجلدًا، ومع النظر إلى ما تقدَّم لنا في صدر الجواب في هذا السؤال يتحقق ما فيه الصواب، فنكتفي به، والله الموفِّق.

وأما إنشاد الأشعار ففي دلائل الإعجاز لعبد القاهر السني الأشعري ما فيه الكفاية، ولو لم يكن إلا حديث كعب ﷺ وقصيدته المعروفة، وإشارته ﷺ: (**أن اسمعوا**).

وكان ﷺ يكون مع أصحابه مكان المائدة يتحلَّقون حلقةً دون حلقة، فيلتفت إلى هؤلاءِ وإلى هؤلاءِ، والأخبار فيما يشهد لهذا كثيرةٌ، والأثر به مستفيضٌ.

وقول العلماء: إنما الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ، وقبيحه قبيحٌ، فما جاز على النثر جاز عليه.

وأما قولهم: يا شيخ عبد القادر شيء لله فهو نداءٌ، وإذا أُضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكرامًا لله تعالى، فما الموجب لحرمته؟ ولا يجوز الاغترار بما في قيد الشرائد ونظم الفرائد، ومن قال: شيء لله بعض يكفر إلخ، إذ لا وجه لذلك، وكيف ذلك مع قولهم: لا يخرج المؤمن من الإيمان إلا جحود ما أدخله، وقولهم: الكفر شيءٌ عظيمٌ، فلا يكفر المسلم إذا اختُلف فيه، ولو بروايةٍ ضعيفةٍ، ومعاذ الله تعالى أن يوجد الكفر بذلك.

وقد قال شارحه: ينبغي أن يرجَّح فيها عدم التكفير، ووجه التكفير بأنه طلب شيء لله تعالى، وهو جلَّ وعلا غنيٌّ عن كل شيء، والكل محتاجون إليه، وهذا لا يختلج في خاطر أحد؛ فإن ذكره تعالى للتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ [الأنفال: ٤١]، ومثله كثيرٌ.

وأما الرقص ففيه للفقهاء كلامٌ، منهم من منعه، ومنهم من لم يمنع، حيث وجد لذة المشهود، وغلب عليه الوجد، واستدلوا إنما وقع لجعفر بن أبي طالب ﷺ لما قال له رسول الله ﷺ: «**أنت أشبهُ النَّاس بي خُلُقًا وخَلْقًا**[١]»، فحجل: أي مشى على رجلٍ واحدةٍ.

وفي رواية: «**رقص من لذةِ هذا الخطاب**[٢]»، ولم ينكر عليه ﷺ رقصه، وجُعل ذلك أصلاً لجواز رقص الصوفية عندما يجدونه من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع، وفي التاتارخانية ما يدل على جوازه للمغلوب الذي حركاته كحركات المرتعش، وبهذا

(١) رواه ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢/ ٧١٠)، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٢٦٩).

(٢) لم أقف عليه.

أفتى البلقيني وبرهان الدين الأنباسي، وبمثله أجاب بعض أئمة الحنفية والمالكية، وكل ذلك إذا خلصت النيَّة، وكانوا صادقين في الوجد، مغلوبين في القيام، والحركة عند شدة الهيام، والشيء قد يتصف تارة بالحلال، وتارة بالحرام، باختلاف القصد والمرام، وبتقرير جميع ما قالوه يطول الكلام.

وأما إنكار كرامات الأولياء على الإطلاق فالجواب ما قاله اللقاني في «**هداية المريد**»: ومن يكذِّب بكرامات الأولياء فلا بحث معه؛ لأنه مكذِّبٌ بما أثبتته السنة انتهى.

ومسألة كرامات الأولياء في الكتب مشهورةٌ، مستطرةٌ، مقرَّرةٌ، مذكورةٌ، وفي هذا القدر كفايةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ، ثم رأيت بعد مدة من إفتاء هذا سؤالاً رُفع للشيخ أبي الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام المالكي الدمشقي الدار شيخ الإسلام، وفيه من الكلام ما هو غاية القصد والمرام، فأحببت ذكره هنا، وصورته: ما قول سادتنا العلماء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، أيَّد الله بهم الدين، وقمع بهم الجهلة المفسدين، ونفع بعلومهم المسلمين، في رجلٍ يزعم أنه حنفي المذهب، حضر مجلس حاكم شرعيٍّ، وادَّعى على جماعة الصوفية أنهم يذكرون الله قيامًا، ويرقصون ويغنُّون؟

فأجاب الجماعة المذكورون بأنهم جماعة الصوفية، وذلك جائزٌ عندهم، فطلب الحاكم المومَئ إليه فتوى من أحد من السادة الشافعية، فأحضر إلى مجلسه رجلٌ شافعيٌّ من أهل العلم والإفتاء، فأخبر الحاكم بجواز ذلك في مذهب الشافعي، وقال: يُستثنى من ذلك الرقص الذي يشبه حركات المخنَّثين؛ فإن ذلك حرامٌ، وإن كان الإنشاد المشتمل على تنـــزيه الربِّ وتقديسه ومدح الرسول ﷺ والترغيب في الجنة والترهيب من النار وما يحصل به الشوق المطلوب شرعًا فكل ذلك جائزٌ، فأجاب الشخص المنكر المذكور بقوله: هذا الذي ذكرته باطلٌ، وقد كفرت بهذه الفتوى، وطلقت زوجتك، فهل ما قاله المنكر صحيحٌ أو باطلٌ، وهل هو مصيبٌ في إنكاره أو مخطئ؟ وماذا يترتب عليه في تكفيره لهذا الرجل المفتي الشافعي من الأحكام الشرعية؟ وهل يصير بمقالته هذه وإنكاره قادحًا في كثير من أئمة الدين كالشافعي ومالك ونحوهما؟ وطاعنًا على السلف الصالح، ومكفِّرًا لكل من قال بجواز ذلك من المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والصوفية وغيرهم؟ وهل لولاة الأمور وعلماء المسلمين وصلحائهم مناقشة هذا المنكر على ما قاله، ومقابلته على ما تفوَّه به من تكفير الرجل العالم المذكور وتطليقه زوجته؟ وما للحاكم السابق في ذلك؟

أفتونا مأجورين، وتثابون على ذلك الثواب الجزيل.

أجاب: الحمد لله اللَّهُمَّ توفيقًا للقلوب ما صدر من هذا المنكر المذكور، والمجاذف المغرور من تحريم المباح، وتكفير أهل العلم والصلاح أمرٌ شنيعٌ، وقولٌ فظيعٌ، لا يصدر مثله من عاقلٍ، ولا يتفوَّه به لبيبٌ فاضلٌ؛ لخروجه في ذلك عن القواعد العلمية، وعدم رجوعه إلى الضوابط الفقهية؛ إذ من شرط إنكار المنكر معرفة مذهب المنكر عليه؛ لاحتمال أن يكون ذلك الفعل جائزًا لديه، فيصير الإنكار حينئذ مُنكَرًا، والقائم به مزورًا، فلا يسوَّغ الإنكار في الفروع المختلف فيها إلا مع اتحاد المذهبين في فروع الفقه الأصليين، والمعرفة التامة بالحكم الشرعي في تلك الجزئية، وما يندرج تحته من قواعد كلية؛ ليكون المنكر على بصيرة، والمنكر عليه في وجوب الامتثال على وتيرة.

قال جلَّ وعلا: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء:٣٦]، فلا يقدم على النكير إلا عالِمٌ نحريرٌ، متسعٌ في الرواية والاطلاع، عارفٌ بالخلاف ومراتب الإجماع، لا سيما في مسألة السماع؛ فإنها دقيقة المقرَى، بعيدة المرمى، واسعة المجال، شاسعة المثال، قد اضطرب فيها أقوال السَّلف، واختلف في تقريرها أئمة الخلف، حتى عدَّها بعض العلماء من المسائل التي إلى الآن لم تُحرر، وإن كثُر البحث فيها وتحرَّر.

وكثير من العلماء جنح إلى عدم الترجيح، ومال إلى التوقف دون تقوية ولا تصحيح، فكيف يُقطع بالتحريم؟ أم كيف يعدل من حسن النظر والتسليم؟ وكيف يكفر من قال بالجواز والإباحة في مسألة أجال كل عالمٍ فيها قداحه، ووقف بالتأمل دون الباحة؟ فالكافر من كفر بمثل ذلك، ولم يسلك من التحقيق أقوم المسالك، فإن من كفَّر مسلمًا فقد كفر، كما ورد في الأثر، ومن حرَّم الحلال فقد وقع في الضلال، واستوجب العقوبة والنَّكال؛ إذ ليس في القدر المذكور من السماع ما يَحرُم بنصٍّ ولا إجماعٍ.

وإنما الخلاف في غير ما عيَّن، والنـــزاع في سوى ما بيَّن، وقد قال بجواز السماع من الصحابة والتابعين خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ.

وقال أقضى القضاة الماوردي: اختلف أهل العلم في الغناء، فأباحه قومٌ، وحظَّره آخرون، وكرهه مالك والشافعي وأبو حنيفة في أصحِّ ما نُقل عنهم انتهى كلامه.

وقال صاحب «تشنيف الأسماع في أحكام السماع»: لم يرد عن أبي حنيفة في الغناء نصٌّ صريحٌ، وإنما استنبط بعض أصحابه القول بالمنع من مفهوم كلامه في قوله: ولا يحضر الوليمة وفيها لهوٌ انتهى.

ونقل صاحب «النهاية في شرح الهداية» من الأئمة الحنفية إباحة الغناء إذا كان يتغنى ليستفيد به نظم القوافي، ويصير فصيح اللسان.

قال: وقال بعضهم: إذا كان يتغنَّى لدفع الوحشة عن نفسه فلا بأس به، وبه أخذ شمس الأئمة، واستدل عليه بأن أنسَ بن مالك كان يتغنَّى في بيته، ولا يفعل ذلك تلهيًا.

ثم قال: ومن يقول بالكراهة مطلقًا يحمل حديث أنس على الأشعار المباحة.

وجزم صاحب البدائع من الأئمة الحنفية بما ذكره شمس الأئمة، وعلله بأن السماع يرقِّق القلب، وهو ظاهر كلام صاحب الذخيرة من الحنفية.

وذهب طائفةٌ من الشافعية والمالكية إلى التفرقة بين القليل والكثير، فأجازوا القليل، ومنعوا من الكثير، كما نقله الرافعي وغيره.

وذهبت طائفةٌ إلى التفرقة بين الرجال والنساء، فجزموا بتحريمه من النساء الأجانب، وأجروا الخلاف فيما سوى ذلك.

وأما سماع السادة الصوفية فبمعزلٍ عن هذا الاختلال، بل ومرتفعٌ عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب، كما صرَّح به غير واحدٍ من المحققين، سُئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن السماع الذي يعمل في هذا الزمان في مجالس الذكر؟ فأجاب بما صورته: سماع يحرِّك الأحوال السنيَّة المذكِّرة بالآخرة مندوبٌ إليه.

وقال في قواعد الكبرى عند ذكر السماع: من كان عنده مباحٌ كعشق زوجته وأمته فسماعه لا بأس به، ومن يدعوه إلى محرَّمٍ فسماعه محرَّمٌ، ومن قال: لا أجد في نفسي شيئًا من الأقسام فالسماع مكروهٌ في حقه وليس محرَّمًا انتهى.

فمن جزم بالتحريم والتكفير فقد أخطأ فيما قال، ووقع في الكفر والضلال، واستحقَّ العقوبة والنَّكال، نسأل الله تعالى العِصمة والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق، بمنِّه وكرمه انتهى، والله أعلم.

* * *

الباب الرابع عشر / في ذكر مناقب بعض أكابر هذه الأمَّة المحمديَّة

ولنتبرَّك أولاً بذكر بعض فضائل نبيِّنا، وحبيبنا وشفيعنا، وذخيرتنا عند ربِّنا: أبي القاسم محمَّدٍ ﷺ، ولنبدأ أولاً ببيان نسبه الزكيِّ.

فنقول وبالله التوفيق: هو سيِّد المرسلين، وحبيب ربِّ العالمين، وخير الخلائق أجمعين، سيدنا ومولانا، وقرة عيوننا، وحبيب قلوبنا، محمَّدٌ رسول الله ﷺ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، شعر:

لــه النسبُ العالي فليسَ كمثله حــبيبٌ نــسيبٌ محــسِنٌ متكــرِّمٌ

أخرج مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفانِي من بني هاشم**[1]»، وأمه آمنة بنت وهب بن زهرة بن كلاب، تلتقي مع أبيه ﷺ في كلاب.

وصرَّح بعض العلماء أن أول واجب على الأبوين أن عليهما أن يعلِّموا صبيانهم أن نبيهم ﷺ وُلد بمكة، ودُفن بالمدينة، بل قيل إنكار ذلك كفرٌ؛ لاستلزامه إنكار وجوده ﷺ.

بيان مولده الشريف: واختلفوا في عام ولادته، فالأكثرون أنه عام الفيل، بل حُكي الاتفاق عليه، والمشهور أنه وُلد بعد بخمسين يومًا.

والصواب: أنه بمكة بالشعب، والمشهور أنه بالمسجد المشهور الآن بالمولد، وكان بعد طلوع فجر يوم الإثنين، ثاني عشر شهر ربيع الأول على المشهور، وقيل: ثامنه، وانتصر له كثيرون، قيل: وهو قول أكثر المحدثين، ووافق مولده بالشهور الشمسية ليسان، وما أحسن ما قيل في حقه:

يقــولُ لــنا ليسانُ الحالِ منه وقــولُ الحــق يعــذب للــسَّميع

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٢/٤)، والترمذي (٥٨٣/٥)، وأحمد (١٠٧/٤).

فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيعٌ في ربيعٍ في ربيع

واختُلف في مدة حمله ﷺ هل هي تسعة أشهر أو عشرة أو ثمانية أو سبعة؟ أقوالٌ، واتفق جمهور أهل السِّير والتواريخ على أنه ﷺ وُلدَ معذورًا مسرورًا: أي مختونًا مقطوع السرَّة.

ونقل الزركشي في شرح البُردة عن ابن عباس رضي الله عنه لمَّا وُلد النبي ﷺ قال في أذنيه رضوان خازن الجنان: أبشرْ يا محمد فما بقي لنبي علمٌ إلا وقد أُعطيته؛ فأنت أكثرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا.

وفي شواهد النبوة:

أنه ﷺ لما وقع على الأرض رفع رأسه، وقال بلسانٍ فصيحٍ: (لا إله إلا الله، وأني محمد رسول الله).

وبين مولده وهبوط آدم عليه السلام ستة آلاف وسبعة وأربعون سنة من مولده عامًا بيان رسالته المُعظمة، وأرسله الله تعالى إلى كافة الخلق أجمعين على رأس أربعين سنة من مولده، يوم الإثنين بسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل: الثامن عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل.

وقيل: أول ربيع الأول، فجاء جبريل عليه السلام بالنبوة المعظَّمة وهو بغار حراء، وكان يتعبَّد فيه منفردًا عن الناس، فقال له: «اقرأ. فقال: لا أدري، ما أنا بقارئ، فغطه: أي عصره، وضمَّه جبرائيل عليه السلام حتى بَلَغَ منه الجهد: أي غايته، ثم قال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، فغطه كذلك ثم أعاد وأعاد فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]، حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥] [(١)]».

والمروي في الصحيح أن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أول ما نَزَلَ من القرآن، فَرَجَعَ النبي ﷺ إلى مكة يرجف فؤاده خاشيًا أن يصعب على أحد انقياده، حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال: «زمِّلوني زمِّلوني: أي غطّوني بالثياب، ولفوني بها، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع: أي الفزع، ثم قال لخديجة: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرَّحم، وتُصدِق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق»، ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي، وهو ممن قد تنصَّر من العرب، وعرف الإنجيل،

(١) رواه البخاري (٤/١)، ومسلم (١٤٠/١)، وأحمد (٢٣٢/٦).

فقالت له: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى يا ليتني كنت فيها: أي في أيام نبوتك جزعًا: أي شابًا قويًا؛ لأبالغ في نصرتك؛ إذ يخرجك قومك، قال: «أو مخرجي هم»؟ قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ بما جئت قطُّ إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا: أي قويًا بالغًا.

بيان فترة الوحي:

ثم فتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ، وتكرَّر ذهابه إلى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه، فيبرز له جبرائيل عليه السلام ويقول له: يا محمد إنك رسول الله حقًا. فيسكن جأشه، وفتر الوحي ثلاث سنين فيما جزم به ابن إسحاق ليذهب عنه ما وجده من الروَّع وليزيد شوقه إلى العود[(١)].

قال رسول الله ﷺ في حديث فترة الوحي: «**بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعبت منه، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾** [المزمل:١]، **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾** [المدثر:١،٢،٣]، **ثم حمي الوحي، وتتابع، وتواصل خير الله وتسامع**[(٢)]».

فأوَّل من آمن به من الرجال: أبو بكر الصديق، ومن الصبيان: عليُّ بن أبي طالب، ومن النساء: خديجة بنت خويلد، ومن الموالي: زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال الحبشي.

فأقام بمكة أربعين سنة نبيًا، وثلاث عشرة نبيًا ورسولاً، فأول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، ثم افترض الله تعالى من قيام الليل ما ذكره أوَّل السورة من المزمِّل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصَّلوات الخمس ليلة الإسراء بروحه وجسده يقظةً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

بيان المعراج:

ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سموات، ثم رأى ربَّه سبحانه وتعالى بعين رأسه على الأصحِّ، وأوحى إليه ما أوحى، فسمع كلامه تقدَّس وتعالى.

وكان ذلك بعد البعث بأكثر من سبع سنين، ثم لمَّا أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيِّه وإنجاز موعده له أسلم على يديه عدةٌ من الأنصار، ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله

---

(١) رواه البخاري (٤/١)، ومسلم (١٤١/١)، والترمذي (٤٢٨/٥).

(٢) رواه البخاري (٥/١)، ومسلم (١٤٣/١).

الإسلام بها.

بيان الهجرة:

ثم أذن له بالهجرة إلى المدينة، فخرج من مكة يوم الخميس ومعه أبو بكر الصدِّيق، فاختبآ في غار ثور (جبل بأسفل مكة) ثلاث ليال، ثم خرجا من الغار ليلة الإثنين، فَقدما المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وأقام ﷺ بقباء أربعًا وعشرين ليلةً، وأسَّس مسجدها، ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة، فأدركته في الطريق فصلاها في المسجد المشهور، ثم توجَّه على راحلته بعدها للمدينة وأرخى زمامها، فناداه أهل كل دار إليهم للقوة والمنعة، وهو يقول: «**خلُّوا سبيلها؛ فإنَّها مأمورةٌ**[1]»، فسارت تنظر يمينًا وشمالاً إلى أن بركت بمحل باب المسجد، ثم ثارت وهو ﷺ عليها إلى أن بركت بباب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت وبركت مبرَكها الأوَّل، وألقت عنقها إلى الأرض، وصوَّتت من غير أن تفتح فاها، فنــزل ﷺ عنها، وقال: «**هذا المنـــزلُ إن شاء الله تعالى**[2]».

واحتمل أبو أيوب ﷺ رحله وأدخله بيته، فأقام عنده سبعة أشهر، ثم اشترى ﷺ محل مسجده الشريف من بني النجار أخوال جدِّه عبد المطلب بعشرة دنانير، أدَّاها أبو بكر الصدِّيق من ماله، ثم بناه وسقَّفه بالجريد، وجعل عُمُدَه خشب النخل.

وكان ﷺ ينقل اللَّبِن معهم في بنائه، وجعل طوله مائة ذراع وعرضه نحو ذلك، وبنى بيوتًا إلى جنبيه باللَّبِن، ثم تحوَّل إليها من دار أبي أيوب، واسمه خالد، ولإكرام نبي الله ﷺ أكرمه الله تعالى حتى بعد وفاته، فجعل قبره الشريف معظَّمًا مبجَّلاً محترمًا، كقبور الأنبياء عليهم السلام، وهو مدفونٌ في القسطنطينية ﷺ.

وإذا ســخَّر الإلــهُ أناسًــا   لـــسعيد فـــإنَّهم ســـعداءُ

بيان الجهاد:

ثم أَذنَ له ﷺ في القتال بقوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج: ٣٩]، بعد أن نهاه عنه في نيف وسبعين آية، فبعث ﷺ من شوال على رأس ثمانية أشهر البعوث والسَّرايا، واستمر على مجاهدة الأعداء وتبليغ الأحكام والأنباء حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وامتلأت صدورهم من سراج الله نورًا وهَّاجًا، وكمَّل الكامل أمته، وأتمَّ الله تعالى عليه وعليهم نعمته، فأتاه اليقين بعد أن أقام في

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١/٢٣٧).

(٢) رواه مسلم (٤/١٧٤١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/٣٩٦)، وابن سعد في الطبقات (٢/١٢١).

المدينة عشر سنين، فتوفاه الله تعالى على رأس الستين، واختلفوا في عمره المبارك، والأصح أنه ثلاثٌ وستون سنة ﷺ تسليمًا.

بيان صفته ﷺ:

وكان ﷺ أزهر اللون، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، واسع الجبين، أزجُّ الحاجبين، أدعج العينين، سهل الخدَّين، أفلج الثنيتين، إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه، وكان عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، رحب الراحة، سبط الكفَّين، طويل الزندين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، ربعة القدِّ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحدٌ من الناس يُنسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، ولربما اكتنفه الرَّجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نُسبا إلى الطول، ونُسب هو إلى الربعة.

ويقول: «**جُعل الخيرُ كلُّه فِي الربعة**[1]»، معتدل الخلق، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، سيِّد ضحكه التبسُّم، والمشي الهوينا، ونومه الإغفاء، من رآه بداهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ أجود الناس، وأكثرهم إحسانًا، وأصدقهم لهجةً ولسانًا، وأفصحهم كلامًا، وأوضحهم بيانًا.

فلو أسمعوا يعقوب نَظم جواهر ... بمبسمه قال الملاح بذا تغلو
فيوسف بدرٌ حاز شطر جماله ... وأحمد شمس الحسن فهو له أصلُ

قال أبو هريرة ﷺ: «**ما رأيت شيئًا أحسن من وجه رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه**[2]»، ونعته عمُّه أبو طالب فقال:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ[3]

وكان ﷺ رَجل الشعر حسنه، ليس بالسبط ولا الجعد القطط، وكان إذا مشَّطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل.

وقيل: كان شَعره يضرب منكبيه، وأكثر الرواية: أنه كان شَعره إلى شحمتي أذنيه، وربما جعله غدائر أربعًا تخرج كل أذنٍ من بين غديرتين، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ، وكان شبيه في الرأس واللحية سبعة عشر على ذلك.

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/٣٥٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٣/٢٤٣).

(٢) رواه أحمد (٢/٣٨٠)، وابن المبارك في الزهد (١/٢٨٨)، وابن عدي في الكامل (٤/١٥٤).

(٣) رواه البخاري (١/٣٤٢)، وابن ماجه (١/٤٠٥).

وكان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأنورهم،لم يصفه واصفٌ إلا شبَّهه بالشمس أو بالقمر ليلة البدر.

وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا يقولون هو كما وصفه أبو بكر الصديق ﷺ حيث يقول:

أمـينٌ مـصطفى للخير يدعو كـضوءِ الـبدرِ زائلـه الظـلامُ

وكان ﷺ واسع الجبهة، أزجُ الحاجبين سابغهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة، وكانت عيناه نجلاوين، أدعجهما، وكان في عينيه تمزُّجٌ من الحمرة، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها، وكان أقنى العِرنين: أي مستوي الأنف، وكان مفلج الأسنان: أي متفرقها، وكان إذا افترَّ ضاحكًا افترَّ عن مثل ثني البرق إذا تلألأ، وكان من أحسن عباد الله شَفتين، وألطفهم ختم فم، وكان سهل الخدين صلبهما، ليس بالطويل الوجه، ولا المكلثم[(١)]، كثُ اللِّحية، وكان يعفي لحيته، ويأخذ من شاربيه، وكان أحسن عباد الله عنقًا، لا يُنسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر للشمس والرياح منه فكأنه إبريق فضة مشربًا ذهبًا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب، وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضًا كالمرايا في استوائه، وكالقمر في بياضه، موصول ما بين لبَّته وسرَّته بشعرٍ منقادٍ كالقضيب، ولم يكن في صدره ولا في بطنه شعرٌ غيره، وكانت له عكنٌ[(٢)] ثلاث يغطي الإزار منها واحدًا ويُظهر اثنان، وكان عظيم المنكبين والمرفقين والوركين، وكان ﷺ واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوة، وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات، كأنها من عُرف فرس، وكان ﷺ عبل[(٣)] العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب اللحيتين، سائل الأطراف، كأن أصابعه قضبان الفضة، كفُه ألين من الخزِ[(٤)]، كأن كفيه كفُ عطَّار، طيبًا مسَّها بطيبٍ أولم يمسُّها، يصافحها المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع رأسه على يد الصبي فيُعرفُ من بين الصبيان بريحها على رأسه، وكان ﷺ عبل ما تحت الإزار من الفخذين والساق، وكان معتدل الخلق في السمنة، بدنٌ في آخر عمره، وكان لحمه

---

(١) المكلثم: هو المدور الوجه.

(٢) العكن: هو الطي الذي في البطن من السمن.

(٣) عبل الذراعين: عريضهما.

(٤) الخز: الحرير.

متماسكًا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن.

قال الشيخ محمد اللحساني: يجب عليك أن تعتقد أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى أوجد خلق بدنه الشريف على وجهٍ لم يظهر قبله ولا بعده في آدميٍّ مثله، وسر ذلك أن محاسن الذوات دليلٌ على ما بطن فيها من بدائع الأخلاق وجلائل الصفات، ونبينا ﷺ قد بلغ الغاية التي لم يصل إليها غيره في كل من ذينك.

ومن ثَمَّ قال البوصيري:

فهو الذي تَمَّ معناه وصورتُه ... ثم اصطفاه حبيبًا باري النَّسمِ

منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهرُ الحسن فيه غيرُ منقسمِ

فبيَّن رحمه الله تعالى أن حقيقة الحسن الكامل كمنت فيه وحده، ولم تنقسم بينه وبين غيره؛ لأنه الذي تَمَّ معناه دون غيره، فلو شُورك لم يتمُّ معناه انتهى كلامه.

وما أحسن قول بعض أصحابه الكرام: لم يظهر لنا تمام حسنه وإلا لما أطاقت أعيننا النظر إليه ﷺ.

وثبت في الصحيح أن إبطه الشريف كان نظيفًا طيب الرائحة، ولم يكن له رائحةٌ كريهةٌ.

وذكر في «الشفاء» أنه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوَّط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله، وفاحت لذلك رائحةٌ طيبةٌ انتهى.

وصحَّ عن بركة أم أيمن مولاته قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل وأراق بوله في فخارةٍ في جانب البيت، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها، وأنا لا أشعر، فلما أصبح قال: «**يا أم أيمن، قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة**؟ فقلت: والله شربت ما فيها، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: **أما والله لا تتجعين بطنك أبدًا**[1]».

قال العلاَّمة ابن حجر المكي: وبهذا استدلَّ جمعٌ من أئمتنا المتقدمين وغيرهم على طهارة فضلاته، وهو المختار وفاقًا لجمع من المتأخرين، فقد تكاثرت الأدلَّة عليه، وعدَّه الأئمة من خصائصه ﷺ انتهى.

وكان ﷺ لا يخيِّب سائله ولا يجيبه بـ(لا)، ولا يبيت في بيته درهمٌ ولا دينارٌ، فإن فضل شيءٌ ولم يجد من يأخذه وجاء الليل لم يبرز إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وكان يبيت الليالي المتتابعة وأهله

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥/٨٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٧١).

طواءً[١]، وربما كان خبزهما الشعير، وآتاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها.

وروى الطبراني أنه كان رسول الله ﷺ هو وجبرائيل على الصفا، فقال: يا جبرائيل، والذي بعثك بالحق رسولاً ما أمسى لآل محمد سفةٌ من دقيقٍ، ولا كفٌ من سويقٍ، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع قدةً من السماء أفزعته، فقال النبي ﷺ: «أمر الله القيامة أن تقوم، قال: لا، ولكن إسرافيل نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وإني أعرض عليك أن أُسيِّر معك جبال تِهامة زمرُّدًا وياقوتًا وذهبًا وفضةً، فإن شئت نبيًّا وملكًا، وإن شئت نبيًّا وعبدًا، فأومأ إليه جبرائيل عليه السلام أن تواضع فقال: بل نبيًّا وعبدًا، ثلاثًا[٢]».

ولا شك أنه ﷺ العبد هو الأجلُ الأجمل الأكمل الأفضل.

قال في «الجوهر الثمين»: ومما اختُصَّ به ﷺ أن التسمِّي به ميمونٌ ونافعٌ في الدنيا والآخرة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يوقفُ عبدان بين يدي الله تعالى، فيؤمر بهما إلى الجنة، فيقولان: ربَّنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً قطُّ تجازينا به الجنة؟ فيقول الله تعالى: ادخلا الجنة فإنّي آليت على نفسي ألا يدخل النَّار مَنْ اسمه أحمد ومحمَّد**[٣]».

وروى أبو نعيم أنه قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: وعزَّتي وجلالِي لا عذبت أحدًا تسمَّى باسمك في النَّار**[٤]».

وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**ما مِنْ مائدةٍ وُضعت فحضر عليها مَنْ اسمه أحمد ومحمد إلا قدَّس الله ذلك المنـــزل كل يومٍ مرتينِ**[٥]»، رواه أبو منصور الديلمي.

ولا يخفى أنه يجب تنـــزيه الأنبياء عليهم السلام عن الكذب فيما أخبروا به، وأنهم معصومون من ذلك في حالتي الرِّضا والسخط، والجِدِّ والمزح، والصحة والمرض، اتفق السلف الخلف على ذلك، وأجمعوا عليه، فيجب تصديقه ﷺ في كل ما أخبر به من أمور

---

(١) طواء: جوعى.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٨٨)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٩٨).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤٥٣) بنحوه.

(٤) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٦٨).

(٥) رواه الديلمي في الفردوس (٤/٤٣).

الدنيا والآخرة، كما بادرت الصحابة إلى تصديقه في جميع أحواله وأخباره، في أيٍّ باب كانت، وعن أيِّ شيءٍ وقعت، من غير توقُّف منهم، ولا تردُّد في شيءٍ، وأن أفعال الأنبياء عليهم السلام لا تكون محرَّمة ولا مكروهة، ولا خلاف الأولى؛ لأن كمال شرفهم وعلوَّ قدرهم يأبى أن يقع منهم ما نهوا عنه ولو نهيًا غير جازمٍ.

قال اللقاني في «**العمدة**»: نعم، قد يقع منهم في بعض الأحيان ما يكون في حقِّنا مكروهًا، أو خلاف الأولى؛ لبيان الجواز، وهو في حقهم أفضل؛ لتضمُّنه القيام بواجب؛ إذ بيان الشريعة واجبٌ عليه.

قال النووي نقلاً عن العلماء في وضوئه ﷺ مرَّةً مرَّةً ومرتين وثلاثًا: إن ذلك كان أفضل في ذلك في حقه من التثليث لبيان المشروع: أي مع اقتداء الحال، البيان بالفعل أبلغ من البيان بالقول انتهى بيان كلامه وأخلاقه ﷺ.

وكان ﷺ أفصح الناس منطقًا، وأحلاهم كلامًا، ويقول: «**أنا أفصحُ العرب**[١]»، وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمَّد ﷺ.

وكان نزر[٢] الكلام، سمح المقالة، إذا نطق ليس بمهذارٍ، وكان كلامه كخرزات نُظمنَ.

قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا، كان كلامه نزارًا، وأنتم تنثرون الكلام نثرًا**[٣]».

وكان أوجز الناس كلامًا، وبذاك جاءه جبريل عليه السلام، وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، كأنه يتبع بعضه بعضًا، بين كلامه توقُّفٌ يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت، أحسن الناس نغمةً.

وكان طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر.

وكان ﷺ أكثر الناس تبسُّمًا وضحكًا في وجوه أصحابه، وتعجبًا مما تحدثوا به، وخلطًا لنفسه بهم، ولربَّما ضحك حتى تبدو نواجذه، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداءً به، وتوقيرًا له، ولقد جاء أعرابيٌّ وهو متغير اللون، ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله، فقالوا: «لا تفعل يا أعرابي، فإنا ننكر لونه، فقال: دعوني؛ فوالذي بعثه بالحق نبيًّا لا أدعه

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/٥٦٢)، (١/٢٣٢).

(٢) أي قليل الكلام.

(٣) رواه النسائي (٦/١٠٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢٠٧).

حتى يتبسم، فقال: يا رسول الله، بلغنا أن المسيخ (يعني الدجّال) يأتي النّاس بالثريد، وقد أُهلكوا جوعًا، أفترى لي بأبي وأمي أن أكفَّ عن ثريده تعففًا وتنــزهًا حتى أُهلك هزالاً، أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعًا آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**لا بل يغنيك الله بما أغنى به المؤمنين**[١]».

بيان أكله ﷺ:

وكان ﷺ يأكل ما وجد.

وكان أحبُّ الطعام إليه ما كان على ضعف، والضعف ما كثُرت عليه الأيدي، وكان يأكل مما يليه، ويأكل بأصابعه الثلاثة، وربَّما استعان بالرابعة، ولما يكن يأكل بإصبعين، ويقول: «**إنَّ ذلك أكلةُ الشيطان**[٢]».

وجاءه عثمان بن عفان ﷺ بفالوذج[٣] فأكل منه، وقال: «**ما هذا يا أبا عبد الله**»، قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار، ثم نغليه، ثم نأخذ مخ الحيطة إذا طُبخت فنلقيه على السمن والعسل في البرمة، ثم نسوِّطه حتى ينضج، فيأتي كما ترى، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الطعامَ طيِّبٌ**[٤]».

وكان ﷺ أحبُّ الطعام إليه اللحم، ويقول: «**هو يزيد في السمع، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يومٍ لفعل**[٥]».

وكان يأكل الثريد باللحم والقرع.

وكان يحبُّ القرع، ويقول: «**إنَّها شجرةُ أخي يُونُس**[٦]».

ويقول: «**يا عائشة إذا طبختم قدرًا فأكثروا فيه الدباء؛ فإنّه يشد قلب الحزين**[٧]».

وكان يأكل لحم الطير الذي يُصاد، وكان لا يتبعه ولا يصيده، ويحب أن يُصاد له ويُؤتى به فيأكله.

وكان لا يأكل من الشاه سبعًا: الذكر، والأنثيين، والمثانة، والمرارة، والغدد، والحيا،

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٢٦٠)، ومسلم (٤/٢١٥١) بنحوه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/١٢٦).

(٣) نوع من أنواع الحلوى.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٧٤)، والمناوي في فيض القدير (٤/١٢٤) بنحوه.

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٢٠٧).

(٧) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٢٠٧).

والدم، ويكره ذلك.

وكان لا يأكل الثوم والبصل ولا الكراث، ولا ذمّ طعامًا قطُّ، لكن إن أعجبه أكله، وإن كرهه تركه.

بيان لباسه ﷺ:

وكان يلبس من الثياب ما وجد إزارًا، ورداءً، وجلبابًا.

وكان يعجبه الثياب الْخُضر.

وكان أكثر لباسه البياض، ويقول: «**ألبسوها أحياءكم، وكفّنوا فيها موتاكم**[1]».

وكانت ثيابه كلها مشمَّرةً فوق الكعبين.

وكان له ثوبان لجمعته خاصَّةً سوى ثيابه في غير الجمعة.

وكان ﷺ يتختَّم، وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكّر به الشيء.

وكان يختم به على الكتب.

وكانت له عمامةٌ تُسمَّى السحاب، فوهبها من عليٍّ ﷺ، فربَّما طلع عليٌّ فيها، فيقول رسول الله ﷺ: «**أتاكم عليٌّ في السحاب**[2]».

وكان ﷺ من خُلقه يُسمّي دوابه وسلاحه ومتاعه.

وكان له مطهرًا من فخارٍ يتوضأ فيها، ويشرب فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يُدفعون عنه، فإذا وجدوا في المطهرة ماءً شربوا منه، ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة.

بيان حلمه وعفوه ﷺ:

وكان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة.

وكان ﷺ في حربٍ فرأوا في المسلمين غرَّةً، فجاء رجلٌ حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: «مَنْ يمنعك مني؟ فقال: الله، قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فقال: لا، غير أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فخلّى سبيله، فجاء أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس[3]».

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/٢٣٢).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٦/٣٩٠).

(٣) رواه أحمد (٣/٣٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٧/١٣٨)، والحاكم في المستدرك (٣/٣١).

وكان ﷺ رقيق البشرة، لطيف الظاهر والباطن، يُعرف في وجهه غضبه ورضاه.

وكان إذا اشتدَّ وجهه أكثر من مسِّ لحيته الكريمة.

وكان لا يشافه أحدًا بما يكرهه، دخل عليه رجلٌ وعليه جبَّةٌ صفراء، فكرهها فلم يقل له شيئًا حتى خرج، فقال لبعض القوم: «**لو قلتم لهذا أن يدعَ هذه الصفرة**[1]».

وبال أعرابيٌّ في المسجد بحضرته فهمَّ به الصحابة، فقال ﷺ: «**لا تزرموه**: أي لا تقطعوا عليه البول، ثم قال: **إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من القذر والبول والخلاء**[2]»، وفي رواية: «**قرِّبوا ولا تنفِّروا**[3]».

وجاءه أعرابيٌّ يطلب منه شيئًا، فأعطاه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**أحسنت إليك**»، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم: «**أن كفُّوا**»، ثم قام ودخل منـــزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئًا، ثم قال: «**أحسنت إليك**»، قال: فجزاك الله عن أهل وعشيرة خيرًا، فقال له النبي ﷺ: «**إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيءٌ من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك**». قال: نعم. فلمَّا كان الغداة والعشي جاء فقال النبي ﷺ: «**إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزعم أنه رضي أكذلك؟**» فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله عن أهلٍ وعشيرة خيرًا، فقال ﷺ: «**إنَّ مثلي ومثل هذا الأعرابي كمَثَل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتَّبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي فإنِّي أرفق بها وأعلم، فتوجَّه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قشام الأرض فردَّها هونًا هونًا حتى جاءت واستناخت، وشدَّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإنِّي لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**[4]».

بيان جوده وسخائه ﷺ:

وكان ﷺ أجود الناس وأسخاهم.

وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئًا، وما سُئل شيئًا قط على الإسلام إلا أعطاه.

---

(١) رواه أحمد (١٥٤/٣)، وأبو يعلى في المسند (٢٦٤/٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣٦/١)، وأحمد (١٩١/٣)، وابن حبان في الصحيح (٢٤٦/٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦/٩)، وابن كثير في التفسير (٤٠٥/٢).

وإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنمًا سدَّت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه، وقال: أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءَ من لا يخشى الفاقة[1].

وما سُئِل شيئًا قط فقال له: لا، وحُمِل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصيرٍ، ثم قام إليها فقسَّمها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها.

ولمَّا قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخُطفت رداؤه، فوقف رسول الله ﷺ، وقال: «**أعطوني ردائي، لو كان عندي عدد العضاة نعمًا لقسَّمتها بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذَّابًا ولا جبانًا**[2]»، فحاشاه من ذلك ﷺ لبيان كرمه، وشجاعته ﷺ، وكان ﷺ أكرم الناس وأشجعهم.

قال عليٌّ ﷺ: «**لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربُنا إلى العدوِّ، وكان من أشدِّ النَّاس يومئذ بأسًا**[3]».

وقال أيضًا ﷺ: «**كنَّا إذا احمرَّ البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه**[4]».

وقيل: «كان ﷺ **قليلَ الكلام، قليلَ الحديث، فإذا أمر النَّاس بالقتال تشمَّر، وكان من أشدِّ الناس بأسًا، وكان الشجاعُ هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو**[5]».

وقال عمران بن الحصين ﷺ: «**ما لقي رسول الله ﷺ كتيبةً إلا وكان أوَّلَ مَنْ يضربُ**[6]».

وقال: «كان قويَّ البطش، ولما غشيه المشركون يوم أُحد نزل عن بغلته فجعل يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، فما رُئي يومئذٍ أحدٌ كان أشدَّ منه ﷺ[7].

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٦/٤)، والبيهقي في الكبرى (١٩/٧).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٨/٣)، وأحمد (٨٢/٤).

(٣) رواه أحمد (٨٦/١)، وابن أبي شيبة (٤٢٦/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢/٩).

(٤) رواه أحمد (١٥٦/١)، وأبو يعلى في المسند (٢٥٨/١).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٢٩/٤).

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (١٧٢/٥).

(٧) رواه الطبري (١٠٣/١٠)، وابن أبي شيبة (٤١٦/٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/٦).

بيان تواضعه مع علو منصبه ﷺ:

وكان ﷺ أشدَّ الناس تواضعًا في علوِّ منصبه، فكان يركب الحِمار موكفًا عليه قطيفة، وكان مع ذلك يستردف، وركب مرةً حمارًا عريًّا، وأمر أبا هريرة ؓ أن يركب معه، وكان فيه ثقلٌ، فوثب ليركب فلم يقدر، فأمسك به ﷺ فوقعا جميعًا، ثم ثانيًا كذلك، ثم أمره ثالثًا فقال: «**والذي بعثك بالحق لأركبنَّك ثالثًا**[(١)]».

وكان ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويخصف النعل، ويرقِّع الثوب.

وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجاتهم.

وكان أصحابه رضي الله عنهم أجمعين لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يمر على الصبيان فيسلِّم عليهم، وأُتي برجلٍ فأرعد من هيبته، فقال له: «**هوِّن عليك، فلستُ بِمَلِكٍ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد**[(٢)]».

وكان ﷺ يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم كأنه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، حتى طلبوا إليه ﷺ أن يجلس مجلسًا يعرفه الغريب، فبنوا له دكانًا من طينٍ فكان يجلس عليه[(٣)].

وكان لا يدعوه أحدٌ من أصحابه وغيرهم إلا وقال: لبيك.

وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعامٍ أو شرابٍ تحدَّث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدَّث معهم رفقًا بهم وتواضعًا لهم.

وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانًا، ويذكرون أشياءً من أمر الجاهلية، ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا، ولا يزجرهم إلا عن حرامٍ.

وكان لا تفارقه قارورة الدهن في سفره، والمكحلة، والمرآة، والمشط، والمقراض، والسواك، والخيوط، والإبرة فيخيط ثيابه، ويخصف نعله، وكان يستاك بالأراك، ويستاك في الليل ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام لورده، وعند الخروج لصلاة الصبح ﷺ.

بيان مزحه وتلطفه ﷺ:

وكان ﷺ يمزح فلا يقول إلا حقًّا، جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، احملني على

---

(١) رواه أحمد في المسند (٩٤/٢) بنحوه.

(٢) رواه ابن ماجه (١١٠١/٢)، والطبراني في الأوسط (٦٤/٢)، والحاكم في المستدرك (٥٠٦/٢).

(٣) رواه أبو داود (٢٢٥/٤)، والنسائي (٥٢٨/٦).

جملٍ، فقال: «**أحملك على ولد الناقة**»، قالت: لا يطيقني، قال: «**لا أحملك إلا على ولد الناقة**»، قالت: لا يطيقني، قال: «**لا أحملك إلا على ولد الناقة**»، فقال لها الناس: وهل الجمل إلا ولد الناقة؟! (١).

وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريضٌ، وهو يدعوك، فقال لها: «**لعلَّ زوجك الذي في عينيه بياضٌ**(٢)».

ودخل يومًا على عائشة رضي الله عنها، وهي تلعب بلعبها، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» فقالت: بناتي. قال: «**فما هذا الذي أرى في وسطهن؟**» قالت: فرس. قال: «**ما هذا الذي عليه؟**» قالت: جناحان. فقال لها: «**فرسٌ وله جناحان!**» قالت: أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيلٌ لها أجنحة! فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وطلبت إليه فابتدرته واعتنقته، فقال: «**ما لكِ يا حميراء؟!**» فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ادعُ الله أن يغفر لي ما تقدَّم وما تأخَّر، فرفع يديه الكريمتين حتى رأت بياض إبطيه، وقال: «**اللَّهُمَّ اغفرْ لعائشة بنت أبي بكر مغفرةً ظاهرةً وباطنةً، لا تغادرْ ذنبًا، ولا تكتبْ بعدها خطيئةً ولا إثمًا، ثم قال: أما والذي بعثني بالحق نبيًّا ما خصصتك بها من بين أمتي، وإنها لصلاتي لأمتي في الليل والنهار، فيمن مضى منهم وفيمن بقي، ومن هو آتٍ إلى يوم القيامة، فأنا أدعو لهم، والملائكة يؤمِّنون على دعائي**(٣)».

ﷺ وجزاه عنَّا خير الجزاء، وأكمل الجزاء، وأشرف الجزاء.

بيان معجزاته الباهرة ﷺ:

انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه وتكثيره، وتكثير الطعام ببركته ودعائه، وكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة. وإجابتها دعوته لما قال له الأعرابي: ومن يشهد لك؟ والشجرة التي جاءت إليه ﷺ حتى قضى حاجته خلفها، وحنين الجذع إليه ﷺ، وتسبيح الطعام الذي يأكل منه، وتسبيح الحصى في كفه، وتسليم الأشجار والأحجار عليه ﷺ، وكلام الضبِّ والذئب والجمل.

ومن ذلك ما رُوي: «أن أعرابيًّا صاد ضبًّا فجاء والنبي ﷺ بين أصحابه، فقال الأعرابي: من هذا؟ قالوا: نبي الله، قال: واللاتِ والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/٢٢٤).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/١٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/١٣) بنحوه.

الضبُّ، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**يا ضبُّ**»، فأجابه بلسانٍ بيِّنٍ: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «**فمن أنا؟**».

قال: أنت رسول ربِّ العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدَّقك، وخاب من كذَّبك. فأسلم الأعرابي[(١)]».

ورُوي أن «**ذئبًا أخذ ظبيًا، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب، فعجب من رآه من الكفَّار، فقال الذئب: أعجب من هذا أن محمدًا بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنَّة وتدعونه إلى النار**[(٢)]».

يُروى أن بعيرًا جاء إلى النبي ﷺ فوضع مشفره في الأرض، وبرك بين يديه، فسئل النبي ﷺ عن شأنه؟ فأخبر أن أهله أرادوا ذبحه[(٣)].

وفي روايةٍ: أن النبي ﷺ قال لهم: «**إنَّه يشتكي كثرةَ العمل وقلةَ العلف**[(٤)]».

وفي رواية: «**إنَّه شكا إلَيَّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاقِّ العمل من صغره، فقالوا: نعم**[(٥)]».

ورُوي: أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة.

ورُوي: أن النبي ﷺ كان في صحراء فنادته ظبيةٌ: يا رسول الله، قال: «**ما حاجتك؟**» قالت: صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: «**أتفعلين؟**» قالت: نعم، فأطلقها، فذهبت، ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: «**نعم، تطلق هذه الظبية فأطلقها**[(٦)]».

وحديث الناقة التي شهدت عند النبي ﷺ أن صاحبها ما سرقها وأنها مِلكه[(٧)].

وحديث الحمار الذي أصابه فقال: اسمي يزيد بن شهاب، فسمَّاه النبي ﷺ يعفورًا[(٨)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦/١٢٧)، وفي الصغير (٢/١٥٤).

(٢) رواه أحمد (٣/٨٣) بنحوه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد (٤/١٧٣)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/١٤٤).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/٣٣١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٩٥).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٦٧٦).

(٨) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/٥٩).

«والعنـز التي أتت رسول الله ﷺ في عسكره وقد أصابهم العطش، فحلبها، فأروى الجند[(١)]»

«وأصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد حتى وقعت على جبينه، فردَّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه[(٢)]».

وعن حبيب بن يزيد ﷺ «أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يُبصر بهما شيئًا، فنفث رسول الله ﷺ فيهما، فأبصر[(٣)]».

وتفل في عين عليٍّ ﷺ يوم خيبر وكان رمدًا فصار بارئًا.

ودعا بالاستسقاء فسقوا، ثم شكوا إليه المطر فدعا وارتفع، فدعا لجماعة بالبركة فظهرت عليهم البركات، وربحوا في التجارات منهم عبد الله بن جعفر، والمقداد، وعروة بن أبي الجعد، فقال: كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا[(٤)].

وقال البخاري في حديثه: فكان لو اشترى التراب ربح فيه، ودعا على كسرى حين مزَّق كتابه أن يُمزَّق ملكه فلم يبق له باقيةٌ[(٥)].

ودعا على عتبة بن أبي لهب، وقال: «اللَّهُمَّ سلِّط عليه كلبًا من كلابك[(٦)]»، فأكله الأسد.

وقال لرجل يأكل بشماله: «كُلْ بيمينك، فقال: لا أستطيع، فقال: لا استطعت، فما استطاع أن يرفعها بعد ذلك إلى فيه[(٧)]».

ومعجزاته ﷺ كثيرةٌ، وأعظمها القرآن الباقي على تعاقب الأزمان، وليس لنبي معجزة باقية سواه؛ إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب، وجزيرة العرب حينئذٍ مملوءةٌ بالآلاف منهم، وكفصاحة صنعتهم، وبها منافستهم ومباهاتهم، وكان ﷺ ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكُّوا فيه، وقال لهم: ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٧٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٣٤).

(٣) رواه الطبراني (٤/٢٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٩٨).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (٦/١١٢)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٢٠٣) بنحوه.

(٥) رواه البيهقي في الكبرى (٩/١٨١)، وابن سعد في الطبقات (١/٢٦٠).

(٦) رواه البيهقي في الكبرى (٥/٢١١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٥٤).

(٧) رواه مسلم (٣/١٥٩٩)، وابن حبان (١٤/٤٤٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/٢٧٧).

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:٨٨]، وقال ذلك تعجيزًا لهم، وعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرَّضوا أنفسهم للقتل ونسائهم وذرياتهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا، ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه.

ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقًا وغربًا قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وقد انقرض اليوم أكثر من اثني عشر مائة سنة فلم يقدر أحدٌ على معارضته، فأعظمْ بغباوة من ينظر في أحواله ﷺ وأقواله وأفعاله وأخلاقه ومعجزاته الباهرة واستمرار شرعه الشريف إلى هذا الآن وانتشاره في أقطار العالم وإذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه والعياذ بالله سبحانه وتعالى، وما أعظم توفيق من آمن به وصدَّقه وتبعه، والحمد لله والشكر والمنَّة العظيمة لله سبحانه وتعالى علينا أن جَعَلَنَا من أمته، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا للاقتداء بسنته ويميتنا على ملته، ويحشرنا في زمرته بمنِّه وكرمه، آمين.

واعلم أن من يشاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إيَّاهم إلى طاعته مع ما يُحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريبٌ ولا شكٌ في أن ذلك لم يكن مكتسبًا بحيلة تقوم بها القوى البشرية، بل لا يُتصور ذلك إلا باستمداد من تأييد سماويٍّ، وقوة إلهية، وإن ذلك كله لا يُتصور لكذَّاب، وحاشاه من ذلك، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه، حتى أن العربي القحَّ[1] كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذَّاب، فكان يُشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف من شاهد أخلاقه، ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده، وقد أوردنا بعض أخلاقه الكريمة لتعرف محاسن الأخلاق؟ وليُتنبَّه لصدقه ﷺ، وعلوِّ منصبه، ومكانته العظيمة عند الله تعالى إذا أتاه الله جميع ذلك، وهو رجلٌ أميٌّ لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب، ولم يسافر قطُّ في طلب علم، ولم يزل بين أظهر الجهَّال من الأعراب يتيمًا، فمن أين حصل له من محاسن الأخلاق والآراء، ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم؟ فضلاً عن معرفة الله تعالى، وملائكته، وكتبه، وغير ذلك من خواصِّ النبوة لولا صريح الوحي، ومن أين لقوة البشر

(١) القح: هو الخالص في اللؤم أو الكرم.

الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفايةٌ.

قال العلاَّمة ابن حجر المكي: ومما يتعين على كل مكلَّف أن يعتقد أن كمالات نبينا ﷺ لا تُحصى، وأحواله وصفاته وشمائله لا تُستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قطُّ في مخلوقٍ، وأن فضله على الكمَّل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم لبعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره، وحكمه وأحكامه، وأن المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا إلا إلى أقلِّ من كُلٍّ لا حدَّ لنهايته، وغيضٍ من فيض لا وصول إلى غايته، ومن ثم كان أبلغ بيت في الهمزية للبوصيري مطلعها قوله:

كـيفَ ترقَـى رقيُّك الأنبياءُ ... يـا سمـاءً مـا طاولـتها سماءُ

وفي بردة المديح أيضًا قوله:

فـإنَّ فضلَ رسول الله ليس له ... حـدٌّ فيُعـرب عـنه ناطـقٌ بفـمِ

ثم يليه قوله:

دَعْ ما ادَّعته النصارى في نبيهم ... واحْكُمْ بِما شئتَ مَدْحًا فيه واحتكمِ

ثم يليه قوله:

فمبلغُ العلـمِ فـيهِ أنَّه بشرٌ ... وأنَّـه خـيرُ خلـقِ اللهِ كلِّهـمِ

فَاقَ النبيين في خَلقٍ وفي خُلقٍ ... ولم يدانـوه في علـمٍ ولا كـرمِ

فالمادحون له ﷺ مقصِّرون عمَّا هنالك، قاصرون عن أداء كل ما يتعين لذلك، كيف وآي الكتاب مفصحةٌ عن علاه بما يبهر العقول، ومصرِّحةٌ من صفاته بما لا يستطلع إليه الوصول:

مَاذَا عَسَى الشعراءُ اليوم تمدحُه ... من بعد ما مدحتْ حم تنـزيل

فعُلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولو كان المُلِمُّ بساحل بحرها مقصِّرًا عن حصر بعض فخرها ولقد جنح لمحبِّيه أن ينشدوا فيه:

وعلـى تفـنن واصفيه بحسنهِ ... يفنَـى الـزمان وفيه ما لم يُوصفِ

والله ﷺ لخليقٌ بقول القائل:

فَمَـا بلغـتْ كـفٌّ في متناولٍ ... مـن المجدِ إلا والذي نَالَ أطولُ

ولا بلغ المهدون في القول مدحه ... ولو حذَّقوا إلا الذي فيك أفضلُ

ولابن خطيب الأندلسي:

مدحتك آياتُ الكتاب فما عسى يثني على علياك نظمُ مديحي

وإذا كتابُ الله أثنى مفصحًا كان القصور قصارَ كلُّ فصيحِ

وقد رؤي العارف المحقق السراج بن الفارض السعدي ﷺ في النوم، فقيل له: لِمَ لا مدحت النبي ﷺ: أي بالتصريح؟ وإلا نظمه في الحقيقة إما في الحضرة الإلهية أو فيه ﷺ، فقال:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مقصِّرًا وإنْ بالغ المثني عليه وأكثرَ

إذ الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدارُ ما يمدح الورى

قال البدر الزركشي: ولهذا لم تتعاطَ فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه ﷺ، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته، والأوصاف وإن كمُلت دون وصفه، وكل علوٍّ في حقه تقصيرٌ، فيضيق على البليغ النطق، فلا يبلغ إلا أقلَّ من كثير.

وقال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، يعني محمدًا ﷺ.

قال الزمخشري: في هذا الاتهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى؛ لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمميَّز الذي لا يُلتبس، ومن تلك الدرجات أن آياته ومعجزاته أكبر وأبهر؛ إذ ما من معجزةٍ لنبي قبله إلا وله ﷺ مثلها، أو أبهر منها، كما بيَّنته الأئمة، وزاد عليهم بمعجزاتٍ لم يقع نظيرها لأحدٍ منهم، وناهيك بكتابه القرآن الكريم؛ فإنه لا تتناهى معجزاته، ولا تنقضي آياته، وإن أُمته أزكى وأكثر، وخير وأطهر من بقية الأمم، بنص: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وخيرية الأمم تستلزم خيرية بنيها، فأفضلية دينها؛ إذ لا شك أن خيرتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم، وأن صفاته ﷺ أعلى وأجلُّ، وذاته أفضل وأكمل، كما يصرح به قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ لأنه تعالى وصف الأنبياء عليهم السلام بالأوصاف الحميدة، فاجتمع فيه ما تفرَّق فيهم.

وفي حديث الشفاعة العظمى، وانتهائها إليه بعد تنصُّل كل منها، واعترافه بأنه ليس

أهلاً للتصريح بذلك أيضًا، وكذا الحديث الصحيح: «**أنا سيِّدُ ولد آدم**[(١)]».

وفي روايةٍ «**أنا أكرمُهم على ربِّي**[(٢)]».

وفي حديث الترمذي: «**أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ولا من بني آدم فمن سواه إلا تحت لوائي**[(٣)]».

فهو صريحٌ في دخول آدم كحديث البخاري وغيره: «**أنا سيِّدُ الناس يوم القيامة**[(٤)]».

وحديث: «**أنا سيِّدُ العالمين**[(٥)]»، صححه الحاكم.

وبذلك يُعلم أفضليته على الملائكة؛ لأن آدم أفضل منهم بنص الآية.

ويؤيده الحديث الآتي على الأثر: «**ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري**[(٦)]».

وحديث الترمذي الحسن: «**وأنا أكرم الأولين والآخرين**[(٧)]»، وهذا صريحٌ في شمول الأنبياء والملائكة جميعهم.

وحديث: «**قال آدم: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا غفرت لي**[(٨)]» الحديث.

وفيها أنه تعالى قال: «يا آدم كيف عرفته ولم أخلقه؟ قال: يا رب لمَّا خلقتني بيدك إلى قدرتك الباهرة ونفخت فيَّ من روحك إلى سرك العجيب الذي لا يعلم حقيقته أحدٌ غيرك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، قال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحبُّ الخلق إليَّ، وإذا سألتني بحق محمد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك[(٩)]»، صححه الحاكم.

وصح عن ابن عباس رضي الله عنه له حكم الرفع: «**ولولا محمدٌ ما خلقتُ آدم، ولولا محمدٌ**

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٢/٤)، والبيهقي في الشعب (١٨١/٢)، وابن أبي شيبة (٣٥١/٦).

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (١٦٧/٣) بنحوه.

(٣) رواه ابن حبان في الصحيح (٣٩٨/١٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٨) بنحوه.

(٤) رواه البخاري (١٧٤٥/٤)، ومسلم (١٨٦/١)، والحاكم في المستدرك (٨٣/١).

(٥) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٣٥/١).

(٦) رواه الترمذي (٥٨٥/٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤١/٣).

(٧) رواه الترمذي (٥٨٧/٥)، وذكره ابن كثير في التفسير (٥٦١/١).

(٨) رواه الطبراني في الأوسط (٣١٣/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٣/٨).

(٩) رواه الحاكم في المستدرك (٦٧٢/٢).

ما خلقت الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن[(١)]».

وفي روايات أُخر: «لولاه ما خلقت السماء والأرض، ولا الطول والعرض، ولا وُضع ثوابٌ ولا عقابٌ، ولا خلقت جنَّةً ولا نارًا، ولا شمسًا ولا قمرًا[(٢)]».

وصح: «أنا أوَّلُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة فألبس الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحدٌ من الملائكة يقوم ذلك المقام غيري[(٣)]».

وفي رواية ذكرها السراج البلقيني في فتاويه أنه تعالى قال له: «قد مننتُ عليك بسبع أشياء: أولها: أني لم أخلق في السماوات والأرض أكرم عليَّ منك[(٤)]».

وفي أخرى ذكرها أيضًا: أن جبريل ﷺ قال له: «أبشرْ فإنَّك خير خلقه، وصفوته من البشر، حباك الله بما لم يحبِ به أحدًا من خلقه، لا مَلَكاً مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلاً[(٥)]» الحديث.

وصحَّ عن بحيرا الراهب، وهو من علماء أهل الكتاب الذي لا يقولون شيئًا إلا عنه: «هذا سيد العالمين[(٦)]».

وصحَّ أيضًا عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل إمام أهل الكتاب بشهادته ﷺ أنه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أمورًا منها:

«وإنَّ أكرم خلق الله على الله أبو القاسم ﷺ، قال: قلت يرحمك الله فأين الملائكة؟ فضحك، وقال: يا ابن أخي هل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلقٌ كخلق السماوات والأرض، والرياح والسحاب، والجبال وسائر الخلق التي لا تعصي الله شيئًا، وإن أكرم الخلق على الله أبو القاسم ﷺ[(٧)]».

وبيَّن السراج البلقيني أن هذا له حكم المرفوع، وهو كذلك، فإنه من أجلاء الصحابة، فلا يقولوه إلا عنه ﷺ، أو عمَّا صحَّ من التوراة.

---

(١) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١٩٩/٤)، وابن حجر في لسان الميزان (٣٥٩/٣) بنحوه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الترمذي (٥٨٥/٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤١/٣) بنحوه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٣/٦)، والبيهقي في الكبرى (٢٨٥/٦) بنحوه.

(٥) رواه الطبري (٨٨/٢١)، وأبو نعيم في الحلية (٩٠/٨) بنحوه.

(٦) رواه الترمذي (٥٩٠/٥)، والحاكم في المستدرك (٦٧٢/٢).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٦١٢/٤).

ثم قال: ولا يظن بأحدٍ من أئمة المسلمين أنه يتوقف في أفضلية نبيِّنا على جميع الملائكة، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام، وأطال في الحط والرد على من توقف في ذلك، وزعم أن هذا ليس ما كُلِّفنا بمعرفته.

ثم قال: وهذا الزعم باطلٌ؛ فإن هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلَّف، والبيان بسوق أدلتها وإيضاحها على كل من تأهل لذلك.

وقد صحَّ في الحديث المشهور: «**ثلاثةٌ مَنْ كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما**[1]».

فتأمل قوله: «فما سواهما» تجده ظاهرًا، بل صريحًا في كل ما ذكرناه انتهى.

قال المحقق ابن حجر في شرح الهمزية: ما عليه عامة العلماء جواز التفضيل بين الأنبياء، وأما قوله تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾ [البقرة:١٣٦]، فهو باعتبار الإيمان، وبما أنزل إليهم، وأما الأحاديث الصحيحة: «**لا تفضِّلوني على الأنبياء**[2]».

«**لا تفضِّلوا بين الأنبياء**[3]».

«**لا تخيروا بين الأنبياء**[4]».

فهي إما قبل علمه بالتفضيل، وأنه أفضلهم، وإما محمولةٌ على التواضع لتصريحه بالتفضيل، أو على تفضيلٍ يؤدي إلى تنقيصٍ، أو إلى خفضٍ من مقام أحدهم، أو على التفضيل في ذات النبوة، أو الرسالة، فإنهم كلهم مشتركون في ذلك، لا يتفاوتون فيه، إنما يتفاوتون في زيادة الأحوال، والمعارف، والخصوصيات، والكرامات، وزعم حملها على التفضيل بآرائنا ليس في محله؛ لأن تفضيل ذلك بالرأي المحض مجمعٌ على منعه، وبالدليل عليه لا وجه لمنعه.

وأما الحديثان الصحيحان: «**ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى**[5]».

«**من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى فقد كذب**[6]»، فحكمة التخصيص فيهما

---

(١) رواه البخاري (١٤/١)، وأحمد (٢٤٨/٣)، وابن حبان في الصحيح (٤٧٤/١).

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٣٠٥/١)، (٢٤٦/٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٦/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤٢/٣).

(٤) رواه البخاري (٨٥٠/٢)، ومسلم (١٨٤٥/٤)، والديلمي في الفردوس (١٩/٥).

(٥) رواه البخاري (١٦٨١/٤)، والترمذي (٤٣٣/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٨/٧).

(٦) رواه البخاري (١٨٠٨/٤)، والترمذي (٣٧٣/٥).

بيونس تفي توهُّم التفاوت بينهما في القرب من الحق؛ لاختلاف محلهم الصوري برفع نبينا ﷺ إلى قاب قوسين، ونزول يونس عليه السلام إلى قعر البحر: أي لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري تفاوتًا في القرب والبعد من الله تعالى، بل نسبة كلٍّ إليه واحدة، وإن تفاوت مكانهما لتعاليه سبحانه وتعالى عن الجهة والمكان، فهو نهيٌ عن تفضيل مقيَّد بالمكان لا مطلقًا انتهى.

فالحاصل: يجب علينا أن نعتقد أن أفضل الخلق على الإطلاق الرئيس الأعظم، والمتبوع المقدَّم، والحبيب الأكرم المكرم نبينا محمد ﷺ: أي هو أكثر المخلوقات العلوية والسفلية من بشرٍ وجنٍّ وملك، في الدنيا والآخرة ثوابًا، وأطهرهم عنصرًا، وأرفعهم مقامًا، وأشرفهم رتبةً عند الله تعالى، وأكرمهم لديه، وأعزُّهم عليه ﷺ.

قال الجلال السيوطي: وأفضل الخلق بعد نبينا جدُّه خليل الله إبراهيم عليه السلام، نقل بعضهم الإجماع على ذلك.

وفي الصحيح: «**خيرُ البرية إبراهيمُ**[1]».

خُصَّ منه نبينا ﷺ، فبقي على عمومه، فموسى وعيسى ونوح عليهم السلام الثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، ولم أقف على نقل أيهم أفضل. ثم بعد الخمس سائر الأنبياء أفضل من غيرهم على تفاوت درجاتهم، ثم الملائكة بعدهم أفضل من باقي البشر، وأفضلهم جبرائيل عليه السلام، وكما ورد في الحديث رواه الطبراني انتهى.

قال الجوهري في «الجوهر السمين»: وقد ورد أن إسرافيل عليه السلام أقرب الملائكة إلى الله تعالى، وجبرائيل وغيره يأخذون عنه، وهو يأخذ عن الله تعالى، وأخرج الطبراني حديثًا طويلاً فيه: «**إن إسرافيل هو ملك الله الذي يليه**[2]».

وذكر البوني في تفسيره: أن الروح رئيس الملائكة، وأن جبرائيل وإسرافيل وسائر الملائكة يستمدون منه انتهى.

والله أعلم، ولقد تبرَّكنا وتشرَّفنا بما ذكرناه من فضائل نبيِّنا محمد سيد الأنام عليه أفضل الصلاة و السلام، فلنمسك عنان القلم عن هذا الكلام؛ فلا سبيل إلى نزف بحره التيار العميق الزخَّار، فقد قال بعض الأخيار:

ولـــو أنَّ ينبوع المياه محابرُ   وكـــلُّ نبات في البسيطة أقلامُ

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٦٤).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨/٣٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٨٠) بنحوه.

ولــو أنَّ ما بين الثريا إلى الثرى قراطيسُ والكُتَّابَ قبطٌ وإسلامُ

ولنختم ذلك بالصلاة عليه ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]: أي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]: اعتنوا أنتم أيضًا؛ لأنكم أولى بذلكم، وقولوا: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد، وسلِّموا تسليمًا، وقولوا: السَّلام عليك أيُّها النبي كذا ذكره البيضاوي.

وأخرج البغوي بسنده عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً[1]».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه عشرًا[2]».

وعن أبي طلحة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «أنه جاء ذات يومٍ والبشرى تُرى في وجهه. فقال: إنه جاءني جبرائيل فقال: أما يرضيك يا محمد ألا يصلي عليك أحدٌ من أمتك إلا صليتُ عليه عشرًا، ولا يسلِّم عليك أحدٌ إلا سلَّمتُ عليه عشرًا[3]».

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ﷺ عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً صلَّت عليه الملائكةُ ما صلَّى عليَّ، فليقللْ العبد من ذلك أو ليُكثر[4]».

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله ﷻ ملائكةً سيَّاحين يُبلغونِّي عن أمتي السلام[5]».

اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ باركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ وترحَّم على محمد وعلى آل محمد، كما ترحَّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ وتحنَّن على محمد وعلى آل محمد، كما تحنَّنت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ وسلِّم على محمد وعلى آل

---

(١) رواه الترمذي (٢/٣٥٤)، والبيهقي في الشعب (٢/٢١٢).

(٢) رواه مسلم (١/٣٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣/١١٠).

(٣) رواه النسائي (١/٣٨٠)، والطبراني في الكبير (٥/١٠٢) بنحوه.

(٤) رواه ابن ماجه (١/٢٩٤)، وذكره ابن رجب في الأحاديث المختارة (٨/١٨٩).

(٥) رواه النسائي (١/٣٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٥٦).

محمد كما سلَّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وأهله وصحبه وآل بيته الطيبين الطاهرين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين وجميع عباد الله الصالحين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد صلاةً ترضيك وترضيه وترضى بها عنَّا يا أرحم الراحمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

***

سيدنا الإمام أبو بكر الصدِّيق ﷺ[١]

اسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي، وأمه بنت عم أبيه، تكنَّى بأم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وكان اسمه ﷺ في الجاهلية عبد الكعبة، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله ولقَّبه عَتيقًا لجمال وجهه، وسُمِّي صدِّيقًا لتصديقه خبر الإسراء، وكان ﷺ أبيض اللون، نحيفًا، خفيف العارضين، أحنى، لا يتمسك إزاره، معروف الوجه، غائر العينين، ناتي الجبهة، عاري الأشاجع، هكذا وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها.

وهو أوَّل من أسلم بعد خديجة عند الأكثرين، وحكاه الشعبي عن ابن عباس ﷺ وعن عمرو بن عتبة قال: «**أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو نازلٌ بعكاظ، فقلت: يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر؟ فقال: حرٌّ وعبدٌ: أبو بكر، وبلال قال: فأسلمت عند ذلك**[٢]».

---

(١) انظر: تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق لابن بلبان، وبشائر آل الصديق للعبدري، بتحقيقنا، وتحفة أهل التصديق ببعض فضائل الصديق للمحلي، والروض الأنيق في فضائل الصديق لابن زنجويه، مخطوط بحوزتنا صورة منه، وفضائل الخلفاء الأربعة لأبي نعيم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٦٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٢١٥).

وعن أبي نصرة رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعليٍّ رضي الله عنهما: «**أنا أسلمت قبلك**[(١)]» في حديث ذكرهُ، فلم ينكر عليٌّ رضي الله عنه ذلك.

وهو أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ، وكان مؤنسه في الغار، ورفيقه في الغار، ورفيقه يوم الهجرة إلى المدينة، وأول من جمع القرآن بين اللوحين.

رُوي أن رجلاً من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ قال في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر: والله ما كان لرسول الله ﷺ من موطن إلا وعليٌّ معه، فقال القاسم بن محمد: يا أخي لا تحلف، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠] [(٢)]».

وأسلم أبوه أبو قحافة عثمان يوم الفتح، وعاش إلى خلافة ابنه أبي بكر، ومات أبو بكر قبله فَوَرِثَ منه السدس، وردَّه على ولد أبي بكر، وتُوفي أبو قحافة في خلافة عمر سنة أربع عشرة من الهجرة، وله سبعٌ وتسعون، وكان أبو بكر رضي الله عنه رئيسًا من رؤساء قريش، وأسلم على يديه الزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وطلحة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وعن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال: «**أسلم أبو بكر وله أربعون ألفًا أنفقها كلها على رسول الله ﷺ وفي سبيل الله تعالى**[(٣)]».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**اجعلوا إمامَكم خيرَكم؛ فإنَّ رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده**[(٤)]».

قال ابن عبد البر: من الدليل الواضح على ذلك ما رويناه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «أتت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ وسألته عن شيء، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك (تعني الموت) فقال لها ﷺ: «**إن لم تجديني فائتِي أبا بكر**[(٥)]».

قال الإمام الشافعي: «وفي هذا الحديث دليلٌ واضحٌ على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦٥).

(٢) رواه الطبري في الرياض النضرة (٢/٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٧/١٢) بنحوه.

(٤) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٢/١٣١).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٣٨)، وابن حبان (١٥/٣٤).

أبو بكر».

وكان أبو بكر ﷺ يقول: «**أنا خليفةُ رسول الله**[١]».

وكذلك كان يُدعى خليفة رسول الله.

وعن ابن مُليكة قال: قال رجلٌ لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: «**لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله، وأنا راضٍ بذلك**[٢]».

وعن عليٍّ ﷺ أنه قال: «**خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر**[٣]».

وكان يقول: «**سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ يعفو الله فيها عمَّن كان فيها**[٤]».

وكان يقول: «**لا يفضِّلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلا جلدتُه حدَّ المفتري**[٥]».

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبُويع أبو بكر بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ثم بُويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم.

وقيل تخلَّف عليّ، والزبير، وطلحة، وخالد بن سعيد بن العاص، ثم بايعوه بعد.

وقيل: إن عليًّا لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة رضي الله عنها لاشتغاله بها؛ لأنها حزنت حزنًا شديدًا على النبي ﷺ، ثم لم يترك سامعًا مطيعًا له يثني عليه ويفضِّله رضي الله عنهم أجمعين.

ومكث أبو بكر في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ.

وكان هو القائم بقتال أهل الرِّدة، وظهر من فضل رأيه من ذلك وشدته مع لينه ما لم يحتسب، وفي أيامه فتحت اليمامة.

وقُتل مسيلمة الكذاب يوم الحديقة، وقُتل الأسود العنسي صاحب صنعاء.

وبعث عمر بن الخطاب فحجَّ بالناس سنة إحدى عشرة.

وحجَّ هو بالناس سنة اثنتي عشرة، وبعث الجيوش إلى الشام، وكانت وقعة أجنادين في

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٠)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٩٧١).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٩٧٢)، والقرطبي في التفسير (١٤/ ٣٥٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥١)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٨٥).

(٤) رواه أحمد (١/ ١٣٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٧٧).

(٥) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٩٧٣).

جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة من الهجرة، قبل موت أبي بكر بشهرٍ.

ولما مرض مرضه الذي تُوفِّي فيه أمر عمر أن يصلي بالناس، وأوصى أن تغسِّله زوجته أسماء بنت عُميس، فلمَّا توفي حُمل على السرير الذي كان ينام عليه رسول الله ﷺ، وكان من خشب ساج منسوج بالليف.

وتُوفي ﷺ يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشرة.

وكان آخر كلامه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وكان عمره ثلاثًا وستين سنة وثلاثة أشهر وإحدى عشر يومًا، وصلَّى عليه عمر بن الخطاب، ونزل في قبره عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، ودُفن ليلاً مع النبي ﷺ.

واستخلف على المسلمين عمر بن الخطاب.

وكان نقش خاتمه: نعم القادر الله، وكان ﷺ ممن حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية، واختُلف في السبب الذي مات فيه، فذكر الواقدي: أنه اغتسل في يومٍ باردٍ فحُمَّ ومرض خمسة عشر يومًا.

وقال ابن بكَّار: كان به ضربٌ من السُّلِّ.

وعن سلام بن أبي مطيع: أنه يتيم.

ولما توفي وقف عليه عليُّ بن أبي طالب ﷺ فقال: «جللتَ يا صدِّيقُ عن بكائي، وعظمتْ لدى السماء مصيبتُك، نعم، وهدَّت القوى ذريتك[١]».

ومن كلامه ﷺ: «إن أكيسَ الكَيس التقوى، وأحمقَ الْحُمق الفجورُ، وأصدقَ الصدق الأمانةُ، وأكذبَ الكذب الخيانةُ[٢]».

وكان إذا أكل طعامًا فيه شبهةٌ ثم عَلِمَ استقاء من بطنه ويقول: «اللَّهُمَّ لا تؤاخذني بما شربت العروق وخالط الأمعاء[٣]».

وكان يقول لمن يعظه: «يا أخي إن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، وهو آتيك[٤]».

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٦/٣٥٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/١٨٣).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٧).

وكان يقول: «إن العبد إذا دخله العُجب بشيءٍ من زينةٍ مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة[١]».

وكان يقول: «معشر المسلمين استحيوا من الله، فوالله الذي نفسي بيده إني لأظلُّ حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنّعًا استحياءً من ربّي[٢]».

وكان يقول: «ليتني شجرةً تُعضد ثم تُؤكلُ[٣]».

وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد[٤]».

وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه، فيقال له: هلا أمرتنا؟ فيقول: «إنّ حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئًا[٥]».

وكان يقول: «إنّ هذا الأمرَ لا يصلحُ آخره إلا بما يصلح أوله، ولا يحتمله إلا أفضلُكم مقدرةً، وأملكُكم لنفسه[٦]».

وكان يقول للصحابة: «وُلّيتُ أمركم ولست بخيركم، فإن رأيتموني استقمت فأعينوني، وإن رأيتموني زِغت فقوّموني[٧]».

وغلب عليه الخوف فكان يُشمُّ من فيه رائحة الكبد المشوي.

ومناقبه أكثر من أن تُحصر، قال رسول الله ﷺ: «إنّ من آمن الناس عليَّ في صحبته أبا بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته ألا لا تبقَين في المسجد خوخةٌ إلا خوخة أبي بكر[٨]».

وفي رواية: «ولو كنتُ متخذًا خليلاً غير ربّي لاتخذتُ أبا بكر[٩]»، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٧).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦/١٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٧/١٠٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/١٤٦).

(٤) رواه البيهقي (٤/٢٤٤).

(٥) رواه أحمد (١/١١)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/٣٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٩٢).

(٦) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٢٦).

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/١٨٢)، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/٢٦٠).

(٨) رواه ابن حبان (١٤/٥٥٩)، وابن أبي شيبة (٦/٣٤٨).

(٩) رواه البخاري (٣/١٣٣٧)، وأحمد (٣/١٨)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٢٨٨).

وقال ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً[(١)]».

وقال ﷺ: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه ما خلا أبي بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافئه الله يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنت متَّخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله[(٢)]» رواه الترمذي.

وقال عمر ﷺ: «أبو بكر سيدنا، وخيرنا، وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ[(٣)]».

وقال ﷺ لأبي بكر: «أنت صاحبي في الغار وصاحبِي على الحوض[(٤)]»، رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أنْ يؤمَّهم غيره[(٥)]»، رواه الترمذي.

وعن عمر ﷺ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله، فأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا[(٦)]» رواه الترمذي وأبو داود.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيقُ الله من النار، فيومئذ سُمِّي عتيقًا[(٧)]»، رواه الترمذي.

وقال رسول الله ﷺ: «أنا أوَّلُ من تنشقُّ عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أُحشر بين الحرمين[(٨)]».

رواه الترمذي.

---

(١) رواه مسلم (٤/١٨٥٥)، وأحمد (١/٤٣٩)، وابن حبان (١٥/٢٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٠٩)، والديلمي في الفردوس (٤/١٠٤).

(٣) رواه البخاري (٣/١٣٤١)، والترمذي (٥/٦٠٦)، والحاكم في المستدرك (٣/٦٩).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١١/٤٠٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٥٠).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦١٤)، وابن عدي في الكامل (٥/٢٤٠).

(٦) رواه الترمذي (٥/٦١٤)، والحاكم في المستدرك (١/٥٧٤).

(٧) رواه الترمذي (٥/٦١٦)، وابن حبان (١٥/٢٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٥٠).

(٨) انظر: فضائل الفاروق للمبرد بن عبد الهادي الحنبلي، والرياض النضرة (٢/٨٥)، والعبر (٥٢٦)، وصفوة الصفوة (١/٢٦٨)، والحلية (١/٣٨)، والطبقات الكبرى (٩/١٤١).

وقال ﷺ: «**أتاني جبرائيل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي**، فقال أبو بكر: وددت أنِّي كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: **أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**[١]»، رواه أبو داود.

* * *

الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]

ابن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وكان يُكنَّى أبا حفص، وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان مولده بعد الفيل بثلاثة عشر سنة، وكان المسلمون يوم إسلامه تسعة وثلاثين رجلاً، وكمَّلهم عمر رضي الله عنه أربعين، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان، وكل مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ، وكان أبيض، طوَّالاً، أصلع، تعلوه حمرةٌ، وقيل: كان شديد الأدمة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر رضي الله عنه.

وعهد إليه أبو بكر واستخلفه فبايعه الناس يوم وفاة أبي بكر، فسار أحسن سيرةً، وفتح الله على المسلمين في أيامه.

وحجَّ بالناس في مدته عشر سنين متوالية، ثم صدر إلى المدينة آخر حجَّة فقتله فيروز غلام المغيرة بن شعبة يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين ونصفًا.

ولما طُعن حُمل إلى بيته، فقال: ادعوا لي الطبيب، فلما دخل عليه سقاه لبنًا، فخرج اللبن من بعض طعناته، فقال الطبيب: لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلاً فافعل، فأمر بالشورى، وقدَّم صهيبًا للصلاة بالناس، ثم مكث ثلاثًا، وتُوفِّي رضي الله عنه وصلَّى عليه صهيب، ودُفن في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

واختُلف في سنِّه يوم وفاته.

والصحيح أنه تُوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة كسن النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه حين تُوفيا.

وهو أول من سُمِّي أمير المؤمنين.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣/٩٣)، والحاكم في المستدرك (٣/٧٧).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٢٢)، والحاكم في المستدرك (٣/٧٢).

وأول من وضع تاريخ دولة الإسلام على سنة الهجرة، وكان ذلك في سنة عشرة من الهجرة.

وأول من اتخذ الدُّرَّة.

وأول من نوَّر شهر الصوم بصلاة التراويح.

وأول من دوَّن الدواوين، وجنَّد الأجناد، وعرَّف العرفاء، ووضع الجزية، ونفى المشركين عن جزيرة العرب.

وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فهمه، وزهده، وتواضعه، ورفقه بالمسلمين، وإنصافه، ووقوفه مع الحق، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدة متابعته له، ومحاسنه أكثر من أن تُحصى.

وكان لا يجمع في سماطه بين إدامين.

وقدَّمت إليه حفصة رضي الله عنها مرقًا باردًا وصبَّت عليه زيتًا، فقال: إدامان في إناءٍ واحدٍ، لا آكله حتى ألقى الله ﷻ.

وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه.

وكان إزاره مرقوعًا بقطعةٍ من جراب، وعدُّوا في قميصه أربع عشر رقعةً، أحدها من أدم أحمر.

وكان يقول: «**اللَّهُمَّ ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعلْ موتِي ببلد رسولك**[1]».

واستأذن رسول الله ﷺ في العمرة فأذن له، وقال: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**[2]»، وفي رواية: «**أشركْنا يا أخي في دعائك**[3]».

وكان إذا وقع بالمسلمين أمرٌ يكاد يُهلك اهتمامًا بأمرهم، وكان يأبى المجزرة ومعه الدرة، فكل من رأى اشترى لحمًا يومين متتابعين يضرب بالدُّرة، ويقول: «**هلا طويت بطنك لجارك وابن عمِّك**[4]».

وأبطأ يومًا عن صلاة الجمعة، ثم خرج، فاعتذر للناس، وقال: «**إنَّما حبسنِي عنكم**

---

(١) رواه البخاري (٢/٦٦٨)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٢/٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٥/٢٥١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٢٧٣).

(٣) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١/٢٩٤).

(٤) لم أقف عليه.

غسلُ ثوبِي هذا، كان يُغسلُ وليس عندي غيرُه[١]».

وكان يقول: «لولا خوفُ الحساب لأمرتُ بكبشٍ يُشوَى لنا في التنُّور[٢]».

وكان يشتهي الشهوة، وثمنها درهم، فيؤخرها سنة كاملة.

وكان يقول: «مَنْ خافَ من الله لم يشفِ غيظه، ومن اتَّقى الله لم يصنعْ ما يريدُ[٣]».

وصعد المنبر يومًا فقال: «الحمدُ لله الذي صيَّرني ليس فوقي أحدٌ، فقيل له: ما حملك على ما تقول؟ فقال: إظهار الشكر، ثم نزل[٤]».

«وحجَّ من المدينة إلى مكة، فلم يُضرب له فسطاطٌ ولا خباً حتى رجع[٥]».

وكان إذا نزل يُلقى له كساءٌ أو نطعٌ على شجرةٍ أو خشبةٍ فيستظل بذلك، وكان أبيض تعلوه حمرةٌ، وإنما صار في لونه حمرةٌ في عام الرمادة حين أكثر من أكل الزيت توسعةً على الناس أيام الغلاء، فترك لهم اللحم والسمن واللبن، وكان قد حلف ألا يأكل إدامًا غير الزيت حتى يوسِّع الله على الناس، ومكث الغلاء تسعة أشهر، وكانت الأرض قد صارت سوداء مثل الرماد.

وكان يخرج يطوف البيوت، ويقول: «مَنْ كان محتاجًا فليأتنا[٦]».

وكان يقول: «اللَّهُمَّ لا تجعلْ هلاكَ أمة محمد ﷺ على يدي[٧]».

وكان على وجهه خطَّان أسودان من كثرة البكاء، وكان يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة ثم يبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يحسبونه مريضًا فيعودوه، وكان يسمع حنينه من وراء ثلاث صفوف[٨].

وكان يقول: «ليتني كبشٌ، أهلي سَمَّنوني ما بدا لهم ثم ذبحوني، فأكلوني فأخرجوني

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١/١٢٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦/٢٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٥٨).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/١٦) بنحوه.

(٥) ذكره النووي في شرح مسلم (٩/٤٦) بنحوه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣١٢).

(٨) تقدم تخريجه.

عذرةً، ولم أكن بشرًا[١]».

ولما مَرِضَ كان رأسه في حجر ولده عبد الله، فقال: «يا ولدي ضَعْ رأسي على الأرض. فقال له عبد الله: وما عليك إن كان على فخذي أم على الأرض؟ فقال له: ضعه على الأرض. فوضع عبد الله رأسه على الأرض، فقال له: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي، ثم قال: وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر ولا وزر، ثم قال: اللّهُمَّ كَبُرَ سنِّي وضعُفت قوَّتِي، وانتشرت رغبتي، فاقبضني إليك، غير مضيِّع ولا مفرِّط[٢]».

فلما مات رآه العباس، فقال: كيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين؟ فقال: «**كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربًّا رحيمًا**[٣]».

وكان إذا مرَّ بمزبلة يقف عندها، ويقول: «**هذه دنياكم التي تحرصون عليها، وكان يقول: ضرُوا بالفانية خيرٌ لكم من أن تضرُوا بالباقية (يعني الآخرة)** [٤]».

وكان يأخذ التبنة من الأرض، ويقول: «**يا ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أُخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لا كنت شيئًا، ليتني كنت نسيًا منسيًّا**[٥]».

«وكان يحب الصلاة في وسط الليل، وكان إذا حصل للناس همٌّ يخلع ثيابه ويلبس ثوبًا قصيرًا لا يكاد يبلغ ركبتيه، ثم يرفع صوته بالبكاء والاستغفار وعيناه تذرفان حتى يُغشى عليه، وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام، فقال له بعضهم: دعني أحمله عنك، فقال: **ومَنْ يحمل عنِّي يوم القيامة**[٦]».

ومناقبه ﷺ كثيرةٌ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإنْ يكُ في أمَّتي أحدٌ فإنَّه عمر**[٧]».

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوةٌ من قريشٍ، يكلمنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنَّك يا رسول الله، ممَّ

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/٤٨٥)، هناد في الزهد (١/٢٥٨) بنحوه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٥٢) بنحوه.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٥٤) بنحوه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/٤٨) بنحوه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٧/٩٨)، وابن المبارك في الزهد (١/٧٩).

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٢١) بنحوه.

(٧) رواه البخاري (٣/١٢٧٩) بنحوه.

تضحك؟ فقال النبي ﷺ: **عجبت من هؤلاء اللواتي كنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**، قال: يا عدوَّات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟ فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ، فقال رسول الله ﷺ: **إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا وسلك غير فجِّك**(١)»، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا؟** فقال: لعمر. **فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي وأمي أنت يا رسول الله أعليك أغارُ**(٢)» أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائمٌ ثم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميصٌ يجرُه.** قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ **قال: الدين**(٣)»، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائمٌ أُتيتُ بقدحِ لبنٍ فشربت حتى أني لأرى الرِّي يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب.** قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ **قال: العلم**(٤)» أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائمٌ رأيتني على قليبٍ عليها دلوٌ، فنـــزعت منها ما شاء الله تعالى، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنـــزع منها ذَنوبًا أو ذَنوبين، وفي نزعه ضعفٌ، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقريًّا من الناس ينـــزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطنٍ**(٥)».

ورواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ، وقال: «**ثم أخذها ابن الخطاب منْ يد أبي بكر فاستحالت في يده غربًا، فلم أرَ عبقريًّا يفري فريه حتى رُوي الناس،**

(١) رواه البخاري (٣/١٣٤٧)، ومسلم (٤/١٨٦٣)، وأبو يعلى في المسند (٢/١٣٢).
(٢) رواه البخاري (٣/١٣٤٦)، ومسلم (٤/١٨٦٢)، وأحمد (٣/٣٧٢).
(٣) رواه البخاري (١/١٧)، ومسلم (٤/١٨٥٩)، وأحمد (٣/٨٦).
(٤) رواه البخاري (١/٤٣)، ومسلم (٤/١٨٩٥)، وأحمد (٢/١٣٠).
(٥) رواه البخاري (٣/١٣٤٠)، ومسلم (٤/١٨٦٠)، والنسائي في الصغرى (٥/٣٩).

وضربوا بعطن[١]»، رواهما البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه**[٢]»، رواه الترمذي.

وقال عليٌّ ﷺ: «**ما كنا نبعد أن السكينة تَنطق على لسان عمر**[٣]» رواه الترمذي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأبي جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب**، فأصبح عمر فغدا على النبي ﷺ، ثم صلَّى في المسجد ظاهرًا[٤]» رواه أحمد والترمذي.

وعن جابر ﷺ، أنه قال: قال عمر لأبي بكر: «يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذلك فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **ما طلعت الشمس على رجلٍ خيرٍ من عمر**[٥]»، رواه الترمذي.

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب**[٦]» رواه الترمذي.

وعن بريدة ﷺ أنه قال: «خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جاريةٌ سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردَّك الله صالحًا أن أضرب بين يديك بالدفِّ وأتغنَّى. فقال لها رسول الله: **إن كنتِ نذرتِ فاضربي وإلا فلا**. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدفَّ تحت استها، ثم قعدت عليها، فقال رسول الله ﷺ: **إن الشيطان ليخاف منك يا عمر؛ إني كنت جالسًا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت ألقت الدف**[٧]» رواه الترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ جالسًا فسمعنا لغطًا وصوت

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٢٩)، ومسلم (٤/١٨٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦١٧).

(٣) رواه أحمد (١/١٠٦)، والطبراني في الكبير (٦/١٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٤٢).

(٤) رواه الترمذي (٥/٦١٨).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦١٨)، والحاكم في المستدرك (٣/٩٦)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤٥٤).

(٦) رواه الترمذي (٥/٦١٩)، والحاكم في المستدرك (٣/٩٢)، والطبراني في الكبير (١٧/٣١٠).

(٧) رواه الترمذي (٥/٦٢٠)، وذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٨/٢٧١).

صبيان، فقام رسول الله ﷺ، فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال: **يا عائشة تعالي فانظري**. فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: **أما شبعت؟** فجعلت أقول: لا لأنظر منـــزلتي عنده إذ طلع عمر، فارفضَّ الناس عنها، فقال رسول الله ﷺ: **إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرُّوا من عمر فرجعت**[١]».

***

فصل في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يسوق بقرةً إذ أعيا فركبها، فقالت: إنا لم نُخلق لهذا إنما خُلقنا لحراثة الأرض، فقال الناس: سبحان الله بقرةٌ تتكلم! فقال رسول الله ﷺ: فإني أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمة**[٢]».

وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ في غنمٍ إذ عدى الذئب على شاة منها، فأخذها فأدركها صاحبها، فاستنقدها، فقال له الذئب: فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحان الله ذئبٌ يتكلم! فقال: فأنا أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثمة**[٣]».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنِّي لواقفٌ في قوم فَدَعَوُا الله لعمر، وقد وُضع على سريره، إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي، يقول: يرحمك الله إني لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: **كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، ودخلت وأبو بكر وعمر، وخرجت وأبو بكر وعمر**. فالتفتُّ فإذا عليٌّ بن أبي طالب ﷺ[٤]».

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أهلَ الجنَّة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدُّريَّ في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما**[٥]».

---

(١) رواه الترمذي (٥/٦٢١)، والنسائي في الصغرى (٥/٣٠٩).

(٢) رواه أحمد (٢/٢٤٥) بنحوه.

(٣) رواه النسائي في السنن (٥/٣٧) بنحوه.

(٤) رواه البخاري (٣/١٣٤٥).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٩/١٨٤)، وابن عدي في الكامل (٢/٣٨١).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأوّلين والآخرين إلا النبيين والمرسلين**[١]»، رواه الترمذي.

وعنه أيضًا قال: «**كان رسولُ الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحدٌ رأسه غير أبي بكر وعمر، كانا يتبسمان إليه، ويتبسم إليهما**[٢]»، رواه الترمذي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**أن رسول الله ﷺ خرج ذات يومٍ ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما، فقال: هكذا نُبعث يوم القيامة**[٣]» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن حنطب ﷺ: «**أنّ النبيَّ ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: هذان السمع والبصر**[٤]»، رواه الترمذي.

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبيٍّ إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبرائيل، وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر، وعمر**[٥]»، رواه الترمذي.

وعن شباك ﷺ قال: «**بلغ عليًا أن ابن السوداء يُنقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، فدعا به، ودعا له بالسيف وهمَّ بقتله، فكُلِّم فيه، فقال: لا يساكنني ببلدةٍ أنا فيها، فسيَّره إلى المدائن**[٦]».

وعن سويد بن غفلة ﷺ قال: «مررت بنفرٍ من الشيعة وهم يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وينتقصوهما، قال: فدخلت على عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، فقلت له: يا أمير المؤمنين إني مررت آنفًا بنفرٍ من أصحابك وهم يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من الأمر أهلٌ، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما بمثل ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك، فقال عليٌّ ﷺ: أعوذ بالله أن أضمر لهما، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله ﷺ، وصاحباه، ووزيراه، رحمة الله عليهما، ثم نهض دامعًا عيناه يبكي،

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦/١)، وابن حبان كما في موارد الظمآن (٥٣٨/١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢٠٩/١).

(٣) رواه الترمذي (٦١٢/٥)، و الحاكم في المستدرك (٣١٢/٤).

(٤) رواه الترمذي (٦١٣/٥)، والحاكم في المستدرك (٧٣/٣).

(٥) رواه الترمذي في السنن (٦١٦/٥)، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (١٣٤/١).

(٦) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢٨٩/٣) بنحوه.

قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، وصعد المنبر، فجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته الكريمة، ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام، فتشهّد بخطبة بليغة موجزة، ثم قال: ما بال أقوامٍ يذكرون سيدي قريش، وأبوَي المسلمين، بما أنا عنه متنـــزّهٌ، وعمّا يقولون بريءٌ، وعلى ما يقولون معاقبٌ، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة أنه لا يحبُّهما إلا مؤمنٌ تقيٌّ ولا يبغضهما إلا فاجرٌ رديءٌ، صحبا رسول الله على الوفاء والصدق، يأمران وينهيان، ويقضيان ويعاقبان، ولا يجاوزان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله يرى مثل رأيهما رأيًا، ولا يحب كحبهما أحدًا، مضى رسول الله وهو عنهما راضٍ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبا بكر على صلاة المؤمنين، فصلّى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله ﷺ،، فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده ولاه المؤمنون ذلك، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، إن أول من سنَّ ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كان يودُّ لو أن أحدنا كفاه ذلك، كان والله خير من بقي، وأرحمه رحمةً، وأرأفه رأفةً، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًّا وإسلامًا، شبّهه رسول الله ﷺ بميكائيل رحمة، وبإبراهيم عفوًا ووقارًا، فسار بنا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه، ثم ولِّي الأمر بعده عمر بن الخطاب، واستأمر المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فكنت فيمن رضي، فلم يفارق الدنيا حتى رضي عنه من كان كرهه، وأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه يتبع آثارهما كاتّباع الفصيل أثر أمه، كان والله رفيقًا رحيمًا بالضعفاء، والمؤمنين، عونًا وناصرًا للمظلومين على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه حتى إنّا كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعزَّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبّة، شبّهه رسول الله ﷺ عليه وسلم بجبرائيل فظًا غليظًا على الأعداء، وبنوح حنقًا مغتاظًا على الكفّار، الضرّاء في طاعة الله تعالى آثر عنده من السرّاء في معصية الله تعالى، من لكم بمثلهما رحمة الله عليهما، ورزقنا المُضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، فمن احبّني فليُحبّهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني، وأنا بريءٌ منه، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، إنه لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم إلا من أتيت به يقول هذا بعد اليوم فإن عليه ما على المفتري.

ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق وعمر الفاروق، ثم إنه أعلم بالخير أين هو.

أقول هذا ويغفر الله لي ولكم، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

* * *

الإمام عثمان بن عفان ﷺ(١)

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، كان يُكنَّى أبا عمرو، وأبا عبد الله، وأمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمُّها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم.

وكانت ولادته ﷺ في السنة السادسة من عام الفيل، وأسلم قديمًا، وهو أول مَنْ هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة فارًّا بدينه إلى الله تعالى، ومهاجرًا إليه، وتبعه سائر المهاجرين إليها، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، ولم يشهد بدرًا لتخلُّفه على تمريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ؛ لأنها كانت مريضةً، فأمره النبي ﷺ بالتخلُّف عليها، وضرب له بسهمه وبصره، ولم يحضر بيعة الرضوان؛ لأن رسول الله ﷺ وجَّهه إلى مكة في أمرٍ لا يقوم به غيره في صلح قريش، وجعل يده بدل يده، وزوَّجه ﷺ ابنته رقية وأم كلثوم، واحدة بعد واحدة.

قيل للمهلب بن أبي صفرة: لِمَ قِيلَ لعثمان ذو النورين؟ فقال: إنه لا يُعلم أن أحدًا أرسل سترًا على ابنتي نبي غيره، وهو الذي اشترى بئر رومة، قال ابن عبد البر: كانت بئرًا ليهودي يبيع ماءها، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتريها ويجعلها للمسلمين ويضرب دلوه في دلائهم، وله مشربٌ في الجنة؟**» فساومه عثمان فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى نصفها، وجعلها مناوبة يوم له ويوم لعثمان، وسبَّلها عثمان، فكان المسلمون يأخذون في نوبة عثمان ما يكفيهم يومين، فقال اليهودي: أفسدت عليَّ، فاشترى النصف الآخر منه، وكان قد اشترى النصف الأول باثني عشر ألفًا، فاشترى النصف الثاني بثمانية آلاف درهم، وفي أيامه فُتحت إفريقية، وقبرص، وكرمان، وسجستان، ونيسابور، وفارس الأولى، وفارس الأخيرة، وفي أيامه انقضى ملك فارس، فقُتل آخر ملوكهم يزدجر بن شهريار في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وكثُر المال في أيامه(٢)».

---

(١) انظر: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان للمالقي (بتحقيقنا)، وفضائل عثمان لابن حنبل، والاستيعاب (١٧٩٧)، وأسد الغابة (٣٥٨٩)، والإصابة (٥٤٦٤).

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (١٩/٤٥٠)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٠٤٠).

قال شرحبيل بن مسلم: «كان عثمان ﷺ يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخبز والخلَّ والزيت[١]».

وعن محمد بن سيرين ﷺ عن امرأة عثمان ﷺ: **«أنه كان يُحيي الليل بركعةٍ يجمع فيها القرآن[٢]»**

وهو الذي جهَّز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا، وأتم الألف بخمسين فرسًا، وحجَّ في خلافته عشر سنين متواليات، آخرها سنة أربع وثلاثين، ونقم الناس عليه أمورًا فعلها، فسار إليه أهل مصر فحصروه في داره، وعليهم عبد الرحمن بن عدس البلوي، وعددهم ستمائة، وقوم من أهل البصرة، فحصروه في داره من آخر ليلة بقيت من شوال إلى يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو معنى قول الواقدي.

وقال ابن بكّار: حصروه شهرين وعشرين يومًا، ثم دخلوا عليه من دار بني جرم فقتله رجلٌ من سدوس بكر، يُقال له: الموت، وقيل: بيان بن عياض الأسلمي.

وقيل: ضربه كنانة بن بشر النجيبي بعمودٍ على جبهته، وسوادان بن حمران المراري بالسّيف على جلٌ عاتقه.

وقيل: بل تولى قتله رومان اليماني، وقيل: بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة، والله أعلم.

ودُفن بالبقيع ليلاً قبالة باب المدينة الشرقي، وصلّى عليه جبير بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: السود بن مخرمة، وقيل: صلّى عليه ابنه عمرو بن عثمان.

قال الواقدي ﷺ: قُتل يوم الجمعة لثمانٍ خلت من ذي الحجة، وذلك يوم التروية سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وكانت مدة خلافته اثنتي عشر سنة إلا اثني عشر يومًا.

واختلفوا في سنّه: فقال ابن إسحاق: قُتل وهو ابن ثمانين سنة، وقيل: ابن اثنين وثمانين سنة، وقال قتادة: وهو ابن ست وثمانين سنة، والله أعلم.

قُتل ﷺ صَبرًا والمصحف بين يديه، وهو يقرأ.

وعن ابن عمر ﷺ قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء، لو فعلها عمر ما عتبوها عليه[٣].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦٠)، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٣٢٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٥).

(٣) ذكره المزي في تهذيب الكمال (١٩/ ٤٥١).

وفي أيامه مات العبَّاس بن عبد المطلب سنة اثنين وثلاثين من الهجرة، وقد كُفَّ بصره وله ثمان وثمانون سنة، وكان إذا مرَّ بعثمان أو بعمر وهما راكبان ترجلا إجلالاً له رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وكان عثمان ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، رقيق البشرة، أسمر اللون، كبير اللحية، كثير شعر الرأس، وكان يشدُّ أسنانه بالذهب.

ولما حُصر في داره صلَّى بالمسلمين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ وخطبهم، وحجَّ بالناس تلك السنة عبد الله بن العباس ﷺ.

وكان ﷺ شديد الحياء حتى أنه ليكون في البيت والباب مغلقٌ عليه فما يضع عنه الثوب عند الغسل ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

وكان يصوم النهار، ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله.

وكان يختم القرآن في ركعةٍ واحدةٍ كثيرًا.

وكان يخطب الناس وعليه إزارٌ عدنيٌّ غليظٌ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم.

وكان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت، وكان يردف غلامه خلفه أيام خلافته، ولا يستعيب ذلك.

وكان إذا مرَّ على المقبرة يبكي حتى يبل لحيته.

وكان إذا وقف على قبرٍ يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ القبرَ أوَّلُ منــزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده من المنازل أيسر، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ**[1]».

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيته، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فلما خرجوا قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك. فقال: ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة[2]».

وفي روايةٍ قال رسول الله ﷺ: «**عثمان رجلٌ حييٌّ، وإني خشيت إن أذنت له على**

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٣٥٢/٧)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٢/٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٦٦/٤) ، وابن حبان (٣٣٦/١٥)، والبيهقي (٢٣٠/٢) بنحوه.

تلك الحالة ألا يبلغ إليّ في حاجته[١]» رواه مسلم.

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه قال ﷺ: «**لكلّ نبيٍّ رفيق، ورفيقي في الجنة عثمان**[٢]».

وعن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه أنه قال: «شهدت النبي ﷺ وهو يحثُّ على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش فقام عثمان فقال: عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ فقام عثمان فقال: عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فإذا رأيت رسول الله ﷺ ينـــزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه[٣]».

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمِّه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: **ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين**[٤]».

وعن أنس رضي الله عنه: «أنه لما أمرنا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله ﷺ إلى مكة فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: **إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله**، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم[٥]».

وعن ثمامة بن حَزن القشيري قال: «شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة؟ فقال: من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخيرٍ له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعونني أن أشرب منها ماء حتى أشرب من ماء البحر؟! فقالوا: اللَّهُمَّ نعم. فقال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟! فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد

---

(١) رواه مسلم (٤/١٨٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٢/٢٣١).
(٢) رواه الترمذي (٥/٦٢٤)، وابن ماجه (١/٤٠)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٢٨٨).
(٣) رواه الترمذي (٥/٦٢٥)، وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/٥٠٤).
(٤) رواه الترمذي (٥/٦٢٦).
(٥) رواه الترمذي (٥/٦٢٦)، والطبراني في الأوسط (٨/٢٣٣).

بخير له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟! قالوا: اللّٰهُمَّ نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللّٰهُمَّ نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، فركَضه برجله، قال: اسكن ثبير؛ فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان؟! قالوا: اللّٰهُمَّ نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيدٌ، أني شهيدٌ، أني شهيدٌ، ثلاثًا[(١)]» رواه الترمذي والنسائي والدارقطني.

وإنما صنع هذه الصنيعة مع الجماعة المحاصرة له ليعلموا أنه المُحِقُّ المظلوم، فإنهم هم الظالمون الخاطئون عن الحق، فقتلوه ﷺ صبرًا وهو يتلو القرآن والمصحف بين يديه.

وعن مرة بن كعب ﷺ أنه قال: «سمعت من رسول الله ﷺ وذكر الفتن فقرَّبها فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوبٍ، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فأقبلت عليه بوجهه، قلت: هذا؟ قال: نعم[(٢)]»، رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمان إنه لعلَّ الله يقمِّصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعْه**[(٣)]».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فقال: يُقتل هذا فيها مظلومًا، وأشار لعثمان**[(٤)]».

وعن سهلة ﷺ قال: «**قال عثمان يوم الدار: إن رسول الله ﷺ قد عهد إليَّ عهدًا وأنا صابرٌ عليه**[(٥)]».

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: «كنتُ مع النبيِّ ﷺ في حائط: أي بستان من حيطان المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **افتح له وبشِّره بالجنة**، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم جاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **افتح له وبشِّره بالجنة**، ففتحت فإذا عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله،

(١) رواه الترمذي (٥/٦٢٧).
(٢) رواه الترمذي (٥/٦٢٨).
(٣) رواه الترمذي (٥/٦٢٨).
(٤) رواه الترمذي (٥/٦٣٠).
(٥) رواه ابن حبان (١٥/٣٥٦)، وابن أبي شيبة (٧/٥١٥).

ثم استفتح رجلٌ فقال: افتح له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان، رضي الله تعالى عنه[(١)]».

***

الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٢)]

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنه وكرّم وجهه، يُكنَّى أبا الحسن، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية وُلدت هاشمية، وهو أوَّل ذَكر أسلم.

قال ابن إسحاق: أول من آمن بالله ورسوله من الذكور عليُّ بن أبي طالب، وهو قول ابن شهاب والزهري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: استنبِئ النبي يوم الإثنين وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء، أسلم رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين، أو عشر سنين، أو ثلاث عشرة سنة قال رضي الله عنه:

سَبَقْتكمُوا إلى الإسلامِ طُرًّا غُلامًا ما بلغتُ أوانَ حُلُمي

وهو أحد العلماء الربَّانيين، والشجعان المشهورين، والزهَّاد المعروفين، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وسائر مشاهد رسول الله ﷺ ما خلا تبوك؛ فإن رسول الله ﷺ خلَّفه على المدينة، وقال: «**أنت منِّي يا عليُّ بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**[(٣)]».

«وكانت بيعته في أول العشر من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلَّف عن بيعته نفرٌ منهم فلم يهجهم، وسُئِل عنهم؟ فقال: أولئك قومٌ قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل[(٤)]»

ولم يحجّ رضي الله عنه في شيءٍ من خلافته لاشتغاله بالحرب، وكانت وفاته في شهر رمضان من سنة أربعين من الهجرة، ضربه ابن ملجم لعنه الله ليلة الجمعة، السابع عشر من شهر

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٠/٣)، والترمذي (٦٣١/٥)، وأحمد (٤٠٦/٤).

(٢) أفرد كثير من أهل العلم تصانيف في فضائله، ولا يعول إلا على ما ثبت منها، وانظر: خصائص علي للنسائي، والأسد الغالب لابن الجزري، والاستيعاب (١٨٧٥)، والحلية (٦١/٢).

(٣) رواه البخاري (١٦٠٢/٤)، ومسلم (١٨٧٠/٤).

(٤) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٤٨٧/٢٠)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١١٢١/٣).

رمضان، وقُبض في أول ليلة من العشر الأواخر، واختلفوا في سنّه يوم وفاته فقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل: ثلاث وستون، قاله أبو نعيم.

وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام.

ودُفن في أرض النجف رضي الله عنه وأرضاه.

وكان رضي الله عنه وكرّم وجهه ربعة من الرجال، إلى القصر ما هو أقرب، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر، حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكف[1]، أصلع ليس في رأسه شعرٌ إلا من خلفه، كبير اللحية، بمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يُعرف عضده من ساعده، إذا مشى تكفّى، وإذا أمسك بذراع رجل فكأنما أمسك بنفسه، وهو إلى السمن ما هو أقرب، شديد الساعد واليد، وإذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قويٌّ، شجاع، منصورٌ على من لاقاه.

وسُئِلَ الإمام محمد الباقر عن صفة عليٍّ رضي الله عنه؟ فقال: كان رجلا آدم، شديد الأدمة، ثقيل العينين، عظيمهما، ذا بطنٍ أصلع، ربعة إلى القصر، لا يخضب.

وكان رضي الله عنه يقول: «**الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب**[2]».

قال العلماء: والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية، بخلاف ما دعت الضرورة إليه.

وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: ارتجل الإمام عليٌّ رضي الله عنه تسع كلمات قطع الأطماع عن اللحاق بها حدةً، منهن ثلاثٌ في المناجاة، وثلاثٌ في العلم، وثلاثٌ في الأدب.

فأما التي في المناجاة فهي قوله:

«**كفاني عزًا أن تكون لي ربًا، وكفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا، أنت لي كما أحب، فوفّقني لما تحبُ**[3]».

وأما التي في العلم فهي قوله:

«**المرء مخبوءٌ تحت لسانه، تكلّموا تُعرفوا، ما ضاع امرؤٌ عرف قدره**[4]».

---

(١) شثن الكفين: أي سائل الأطراف.

(٢) ذكره النووي في تهذيب الأسماء (١/٣١٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٢٤١) بنحوه.

وأما التي في الأدب فهي قوله: «**أنعمْ على من شئت تكنْ أميره، واستغنِ عمَّن شئت تكنْ نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره**(١)».

وكان يقول: «**لا يحبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافق**(٢)».

وكان آخر كلامه قبل موته: «**لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله**(٣)».

وكان يقول: «موتُ الإنسان بعد أن كبر وعرف ربه خيرٌ من موته طفلاً ولو دخل الجنة بغير حساب؛ لأن أقل ما هناك أن العبد يُجالس ربَّه في الجنة بقدر ما عمل من العبادات(٤)».

وكان يقول: «**أعظمُ الناس معرفةً بالله أشدُّهم حبًّا وتعظيمًا لأهل لا إله إلا الله**(٥)».

وقيل له مرةً: ألا نحرسك يا أمير المؤمنين؟! فقال: «**حارس كل امرئٍ أجله**(٦)».

وكان يقول: «**كونُوا لقَبول أعمالكم أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل؛ فإنه لم يقل عملٌ مع التقوى، وكيف يقلُّ عملٌ متقبَّلٌ**(٧)».

وكان يقول: «إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها.

ثم قالت: يا رب هبني لبعض أوليائك، فيقول الله تعالى لها: اذهبي بلا شيء؛ فلأنتِ أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتُطوى كما يُطوى الثوب الخَلِق، فتُلقى في النار(٨)».

وكان يقول: «**لا يرجونَّ امرؤٌ إلا ربه ولا يخافنَّ إلا ذنبه**(٩)».

وكان يقول: «**لا يستحي جاهلٌ أن يسأل عمَّا لا يعلم، ولا يستحي عالمٌ إذا سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم**(١٠)».

وكان يقول: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأمَّا اتباع**

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (١/٨٦)، والنسائي (٦/٥٣٥)، وابن أبي شيبة (٦/٣٦٥).

(٣) رواه الطبري في التفسير (١٦/٦) بنحوه.

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٢٨١) بنحوه.

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٩) بنحوه.

(٦) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/٩٠) بنحوه.

(٧) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٧٥) بنحوه.

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٧٢).

(٩) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/٣٢٦) بنحوه.

(١٠) رواه البيهقي في الشعب (٧/١٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/٧٦).

الهوى فيُضلُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة[١]».

وكان يقول: «الفقيهُ كل الفقيه من لا يقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبةً منه إلى غيره[٢]».

وكان يقول: «لا خيرَ في عبادةٍ لا علم فيها، ولا خير في علمٍ لا فهم فيه، ولا خير في قراءةٍ لا تدبُّر فيها[٣]».

وكان يقول: «كونوا ينابيع العلم ومصابيح الدُّجى، خُلقان الثياب، جُدد القلوب، تُعرفون به في ملكوت السموات، وتُذكرون به في ملكوت الأرض[٤]».

وكان يقول: «لو حننتم حنين الوالد الثكلان، وجأرتم جؤار مبتلي الرهبان، ثم خرجتم عن أموالكم وأولادكم في طلب القرب من الله وابتغاء رضوانه وارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة كان ذلك قليلاً فيما تطلبون[٥]».

وكان يقول: «القلوبُ أوعيةٌ وخيرها أوعاها، ثم يقول: ها ها إنَّ ها هنا، وأشار إلى صدره علمًا لو أصبت له حملةً[٦]».

وأُتي بفالوذج فوُضع قدامه، فقال: «إنَّك لطيبُ الريح، حسنُ اللون، طيبُ الطعم، لكنِّي أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتد»، ولم يأكل منه شيئًا[٧].

ولم يأكل طعامًا منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختومًا حذرًا من الشبهة، وكان قوته وكسوته شيئًا يجيئه من المدينة، ولم يأكل من طعام العراق إلا قليلاً، وكان يرقِّع قميصه ويقول: «لبسُ المرقَّع يخشِّع القلبَ ويقتدي به المؤمن[٨]».

وكان يقطع من كمِّ قميصه ما زاد على رفس الأصابع.

وكذلك كان الإمام عمر رضي الله عنهما، وكان يبرد في الشتاء حتى ترتعد أعضاؤه من البرد، فقيل له: ألا نأخذ لك كساءً من بيت المال، فإنه أوسع؟! فقال:

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٧/٣٦٩)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٤٨) بنحوه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٧٧).

(٣) رواه الدارمي في السنن (١/١٠١).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٧٧).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٧٧) بنحوه.

(٦) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/٣٧٩) بنحوه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٨٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/١٣١) بنحوه.

«لا أنقص المسلمين من بيت ماهم شيئًا[١]».

وكان يقول: «أشدُّ الأعمال ثلاثةٌ: إعطاء الحقِّ من نفسك، وذكر الله تعالى على كل حالٍ، ومواساة الأخ بالمال[٢]».

وكان يقول: «لا يرضى الحق تعالى من أهل القرآن الإدهان في دينه والسكوت على معاصيه[٣]».

وكان يقول: «ما نلتَ من دنياك فلا تكثر به فرحًا، وما فاتك منها فلا تيأس عليه حزنًا، وليكنْ همّك فيما بعد الموت[٤]».

وكان يقول: «إنَّ مع كلِّ إنسان ملكين يحفظانه ما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنَّةٌ حصينةٌ[٥]».

وكان ينشد ويقول:

حقـيقٌ بالتواضـعِ مَـنْ يموتُ ... ويكفـي المـرء مـن دُنْيَاه قوتُ
فَمَـا للمـرءِ يـصبحُ ذا هموم ... وحـرصٍ لـيس تُدْرِكـه النعوتُ
فَـيَا هَـذَا سـترحلُ عَنْ قريبٍ ... إلى قـومٍ كلامُهـم الـسكوتُ

ومناقبه ﷺ كثيرةٌ، أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي[٦]».

وقال عليٌّ ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليَّ ألا يحبني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافقٌ[٧]»، رواه مسلم.

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، فلما أصبح غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها، فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا

---

(١) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٤/٥٤) بنحوه.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٨٥)، والرافعي في التدوين (٤/٧٠).
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٨٥)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٤١١).
(٤) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/٣٢٧).
(٥) رواه الطبري في التفسير (١٣/١١٩)، وذكره ابن كثير في التفسير (٢/٥٠٥).
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) رواه مسلم (١/٨٦)، والنسائي (٥/٤٧)، وابن أبي شيبة (٦/٣٦٥).

رسول الله يشتكي عينيه، قال: **فأرسلوا إليه**. فأتي به، فبصق النبي ﷺ في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: **انفذ على رسلك حتى تنــزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون حمر النعم**[1]».

وعن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعليٍّ: «**أنت مني وأنا منك**[2]».

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قال: «**إن عليًّا مني وأنا منه، وهو وليُّ كل مؤمنٍ**[3]»، رواه الترمذي.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه**[4]»، رواه الترمذي والإمام أحمد.

وعن حبشي بن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**علي مني وأنا من عليّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي**[5]».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاءه عليّ تدمع عيناه، فقال: آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحدٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**[6]».

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان عند رسول الله ﷺ طيرٌ فقال: «**اللَّهُمَّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه**[7]»، رواه الترمذي.

وقال عليّ رضي الله عنه وكرَّم وجهه: «**كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني، وإذا سكتُّ ابتدأني**[8]»، رواه الترمذي.

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٢/٤)، والنسائي (٤٦/٥).
(٢) رواه البخاري (٩٦٠/٢)، والترمذي (٦٣٥/٥).
(٣) رواه الترمذي (٦٣٢/٥)، والنسائي (١٤/١)، وأحمد (٤٣٧/٤).
(٤) رواه الترمذي (٦٣٣/٥).
(٥) رواه الترمذي (٦٣٦/٥)، وابن ماجه (٤٤/١).
(٦) رواه الترمذي (٦٣٦/٥)، والحاكم في المستدرك (١٥/٣).
(٧) رواه الترمذي (٦٣٦/٥).
(٨) رواه الترمذي (٦٣٧/٥).

وعنه أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دارُ الحكمةِ وعليّ بابها [(١)]».

وعن جابر ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ عليًّا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ:« ما انتجيته ولكنَّ الله انتجاه[(٢)]».

ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره، والوحي ينــزل عليه، وعليّ ﷺ لم يصلِّ العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس.

فقال ﷺ: «اللّٰهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت[(٣)]».

وحديث (ردّها) صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء، وحسَّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره.

وأخرج البخاري ومسلم عن سهل ﷺ أن النبيُّ ﷺ وجد عليًّا مضطجعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه ترابٌ، فجعل يمسح عنه.

ويقول: «يا أبا تراب[(٤)]»، فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه.

قال بعضهم في ذلك وأحسن:

إذَا مــا رمــدتْ عيني فكحلي ... تــراب مِــنْ نَعْــلِ أبي تــرابِ

هــو الــبكاءُ في المحــراب لَيْلاً ... هــو الــضحاكُ في يوم الضرابِ

ووصفه ضرار بن حمزة ﷺ فقال:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيَّانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبةً له، يعظِّم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته الكريمة، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء

(١) رواه الترمذي (٥/٦٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٦٤).
(٢) رواه الترمذي (٥/٦٣٩)، والطبراني في الكبير (٢/١٨٦).
(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٤/١٥١).
(٤) رواه البخاري (٣/١٣٥٨)، ومسلم (٤/١٨٧٤).

الحزين، ويقول: «يا دنيا غري غيري، إلَيّ تعرضتِ، أو إلَيّ تشوقتِ، هيهات هيهات! قد بايعتك ثلاثًا لا رجعة لي فيك: فعمرك قصير، وخطرك كثير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، رضي الله عن تلك النفس الزكيَّة[1]».

ولما وصل إليه فخرٌ من بني أمية قال لغلامه: اكتب إليهم ثم املأ عليهم:

محمدٌ النبيُّ أخي وصِهْرِي ... وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمِّي
وجعفرُ الذي يمسي ويضحي ... يطيرُ مع الملائكةِ ابن أمي
وبنتُ محمدٍ سكني وعُرْسِي ... منوطٌ لحمها بِدَمِي ولحمي
وسبط أحمدًا بمناي منها ... فأيكمُ له سهمٌ كَسِهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طرًّا ... غلامًا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمِّ
أنا البطلُ الذي لا تنكروه ... ليومِ كريهة وليوم سلمِ
وأوصاني النبي على اختيارٍ ... بأمته رضا منه بحكمي
إلا من شاء فليؤمن بهذا ... وإلا فليمت كمدًا بغمِّ

قال البيهقي: إن هذا مما يجب على كل متوانٍ في عليّ ﷺ حفظه؛ ليعلم مفاخره في الإسلام، ومناقبه ومحاسنه ﷺ أكثر من أن تُحصى، قال فيه بعضهم:

مولى تلوت مديحه فوجدته ... أحلى من الرشفات بالأفواهِ
فطلبت مجتهدًا نهاية وصفه ... فوجدته ما ليس بالمتناهي

قال الإمام الشافعي ﷺ:

قالوا ترفَّضت قلت كلاَّ ... ما الرَّفض ديني ولا اعتقادِي
لكن توليت غير شكٍّ ... خير إمامٍ خير هادِي
إن كان حب الولي رفضًا ... فإنني أترك أرفض العبادي

وقال أيضًا[2]:

إذا نحن فضَّلنا عليًّا فإننا ... روافضٌ بالتفضيلِ عند ذوي الجهلِ
وفضلُ أبي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصبٍ عِنْدَ ذكري المفضل

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٨٥).

(٢) انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (ص٢/٣٨٧).

فَلاَ زلت ذا رفضٍ ونَصْبٍ كلاهما   بحـــبهما حـــتى أُوســـد في الـــرَّملِ

ولما أُصيب ﷺ دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيءٍ زوى منها عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم أنصارًا، واعملا لله، ولا تأخذكما في دين الله لومة لائم، ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية ﷺ فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك، قال: نعم، قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تؤثر أمرًا دونهما، ثم قال: أوصيكما به فإنه أخوكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، ثم لم ينطق إلا بـــ(لا إله إلا الله) إلى أن قُبض رضي الله تعالى عنه وأرضاه[1].

***

الإمام طلحة بن عبيد الله ﷺ[2]

القريشي التميمي، يجتمع نسبه مع النبيِّ ﷺ في مرة، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد أصحاب الشورى في أمر الخلافة بعد ﷺ الذي تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ؛ لكونه السبب في إسلامهم.

قال ابن إسحاق: أسلم أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، فأظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان أبو بكر رجلاً مألوفًا، فأسلم على يديه: عثمان، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، وطلحة بن عبيد الله، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصلّوا، وسمَّاه النبي ﷺ طلحة الخير، وطلحة الفيَّاض، وطلحة الجود، فكان الجود غاية فيه، بحيث باع له أرضًا بسبعمائة ألف فباتت عنده، فلم ينم مخافةً من حسابها، فأصبح ففرقها.

وفي رواية: ففرقها في ليلته على فقراء المدينة، وجاء درهم له يسأله برحمة، فأعطاه ثلاثمائة ألف، وكان يتصدق بالعراق في كل سنةٍ أربعمائة ألف، وكان يكفي ضعفاء قومه وقومَ أبي بكر بني تميم، ويقضي ديونهم، ويرسل إلى عائشة رضي الله عنها في كل سنةٍ

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣/١٥٧).

(٢) انظر في ترجمته: الاستيعاب (١٢٨٩)، وأسد الغابة (٢٦٢٦)، والإصابة (٤٢٨٢).

عشرة آلاف درهم، وتصدَّق في يومٍ بمائة ألف، ثم لم يجد ثوبًا يذهب فيه إلى المسجد يصلي فيه، وهو ﷺ وإن لم يشهد بدرًا فقد جعله ﷺ كمن شهدها أجرًا وسهمًا، قيل: لأنه كان بالشام لتجارةٍ[١].

والصحيح أن رسول الله ﷺ أرسله هو وسعيد بن زيد للتجسس عن خبر عير قريش، وقد خرج لبدر فرجعا إلى المدينة فوافياه منصرفًا من بدر.

وصح أنه ﷺ أقبل عليه وعلى الزبير، وقال: «**يا طلحة ويا زبير لكلِّ حواريّ، وأنتما حواري**[٢]»: أي ناصراي.

وصحَّ أيضًا أن الخلفاء الأربعة وطلحة، والزبير، وابن عوف، وسعد، وسعيد، كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال، وخلفه في الصلاة في الصفِّ، وكانت لطلحة يوم أُحُد اليد البيضاء[٣].

وفي النبي ﷺ يومئذٍ لما ضرب بالسيف فشجَّ وجهه بيده فشُلَّت واستمرَّت شلاء، وكان الصدِّيق إذا حدَّث عن يوم أحد بكى وقال: ذلك كله لطلحة.

وقد قال له ﷺ: «**أوجب طلحة**[٤]»: أي وُجبت له الجنة، وذلك أنه ﷺ كان قد ظاهر بين درعين فأراد أن ينهض ليصعد صخرة هنالك فما استطاع، فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستولى عليها، فقال ﷺ: «**أوجب طلحة**»، وثبت مع النبي ﷺ يومئذٍ، وبايعه على الموت، ووقاه بنفسه.

وقال أبو بكر ﷺ: «كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة ابن الجراح: «**عليكما بصاحبكما**»، يريد طلحة وقد نزف، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد انقطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[٥]».

وصحَّ أنه ﷺ قال: «**لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني، وطلحة عن يساري**[٦]».

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٧٠).
(٢) رواه البزار في مسنده (٨/ ٢٧٨).
(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٧١).
(٤) رواه الترمذي (٥/ ٦٤٣)، وأحمد (١/ ١٦٥).
(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٧٥)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٨).
(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٦)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٦٨).

ولما رجع ﷺ من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى ثم قرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]، فقيل: «يا رسول الله، من هؤلاء؟ فقال: هذا منهم، وأشار إلى طلحة ابن عبيد الله[١]».

وصحَّ أيضًا أنه ﷺ قال: «طلحة والزبير جاراي في الجنة[٢]».

وكان رجل يقع فيه وفي الزبير بحضرة سعد بن أبي وقاص فينهاه فيأبى، فصلَّى ثم دعا عليه أنه إن كان مبطلاً يريه فيه آية، ويجعله للناس عبرة، فخرج فإذا جمل هايج يشق الناس فأخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله.

قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتقون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق، أُجيبت دعوتك[٣].

وكان خرج هو والزبير على عليّ رضي الله عنهم، فاجتمع بهما يوم الجمل، فروى الزبير حديثًا يأتي ذكره قريبًا، ووعظ الإمام طلحة فتأخر ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهمٌ في ركبته، ويُروى في حلقه، فقال: بسم الله، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

فقتله في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة على الأشهر.

ودُفن بالبصرة، وجاءه عليٌّ رضي الله عنه فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: رحمة الله عليك أبا محمد، يعز عليَّ أن أرك منجدلاً، رضي الله عنهما.

قال الواقدي: كان طلحة رجلاً آدم، كثير الشعر، ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، حسن الوجه، دقيق العرنين، إذا مشى أسرع.

وعن موسى بن طلحة قال: كان طلحة بن عبيد الله أبيض، يضرب إلى الحمرة، مربوعًا، إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعًا، ضخم القدمين رضي الله عنه.

* * *

(١) انظره في: الاستيعاب (٢/٣١٧).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٤٤)، وأبو يعلى في المسند (١/٣٩٥).

(٣) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٣٦٧).

الإمام الزبير بن العوام القرشي ﷺ[١]

يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في قصي، وأمه صفية عمة رسول الله ﷺ، وهو أحد الثمانية السابقين، والستة أصحاب الشورى، والعشرة المبشَّرين بالجنة، والشجعان المشهورين، لم يلحقه كحمزة وعليّ أحدٌ في الشجاعة والفروسية، ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر.

وهو أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله؛ لأنه سمع: أُخذ محمد، فشقَّ الناس بسيفه فلقيه النبي ﷺ بأعلى مكة، فقال له: «ما لك؟ قال: أُخبرت أنك أُخذت، فصلَّى عليه ودعا له ولسيفه[٢]».

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وفتح اليرموك، وكانت له فيها اليد البيضاء، والهمَّة العلياء، اخترق صفوف الروم مرتين من أولهم إلى آخرهم، وفتح مصر مع عمرو بن العاص ﷺ، وصحَّ أنه لما اشتدَّ الخوف يوم الأحزاب ندب ﷺ من يأتيه بخبر عصيان بني قريظة، فقال: أنا، فأعاد فقال: أنا، فقال له ﷺ: «إن لكل نبيٍّ حواريًّا وحواري الزبير[٣]».

وجمع له ﷺ بين أبويه، فقال: «ارم فداك أبي وأمي[٤]».

وصحَّ عن عثمان ﷺ أنه قيل له وهو محصورٌ: «لو استخلفت، قال: لعلهم قالوا الزبير، قيل: نعم، قال: أما والله أنه يخبرهم ما علمت، وأنه كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ[٥]».

وفي رواية صحيحة: «أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم، ثلاثًا[٦]».

وكان له ألف عبدٍ يؤدون إليه الخراج في كل يومٍ، فيتصدَّق به في مجلسه، ولا يقوم بدرهمٍ.

---

(١) انظر في ترجمته: الاستيعاب (٨١١)، والإصابة (٢٧٩٦)، وأسد الغابة (١٧٣٢)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/١٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٨٩).

(٣) رواه البخاري (٣/١٠٤٦)، ومسلم (٤/١٨٧٩)، والنسائي (٥/٦٠).

(٤) رواه النسائي في السنن الصغرى (٦/٥٨)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٢٢٩).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٦٢).

(٦) رواه البخاري (٣/١٣٦٢).

ولما دنت الصفوف يوم الجمل خرج علي ﷺ وهو على بغلة رسول الله ﷺ، فنادى: ادعوا لي الزبير، فدُعي له، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال له: نشدتكَ بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا؟ فقال: يا زبير أتحب عليًّا؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي، وابن عمي، وعلى ديني، فقال: يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالمٌ له، فقال: بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، ثم أدبر راجعًا، فقال له ولده عبد الله: ما لكَ؟ فذكر القصة، فقال له: لم نجئ للقتال بل لنصلح بين الناس، فأبى.

وفي رواية: أن سبب رجوعه أنه قال لأصحاب عليّ ﷺ: أفيكم عمار بن ياسر؟ قالوا: نعم، فأغمد سيفه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «ستقتلك الفئة الباغية[1]».

ويحتمل أنه قال ذلك ثم يذكره الإمام عليّ ﷺ بالحديث زيادة في إعلامه، ثم سار فلما وصل وادي السِّباع نام فجاءه بشر بن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وعمره سبع وستون على الأشهر.

وصحَّ أن بشر بن جرموز جاء إلى علي ﷺ فنجَّاه فقال: هكذا يُصنع بأهل البلاء: أي بأهل الشجاعة، فقال علي ﷺ: بفيك الحجر[2] إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧][3].

وعن زر بن حبيش قال: استأذن ابن جرموز على عليّ ﷺ فقالوا: هذا قاتلُ الزبير، فقال عليّ ﷺ: والله ليدخلنَّ قاتل ابن صفية النار؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبيٍّ حواري، وحواري الزبير»[4].

وقال عليّ ﷺ: سمعت أذناي من في رسول الله ﷺ وهو يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة[5]»، ومن مدح حسان ﷺ فيه:

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٤٣٦).

(٢) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١١٣)، [بفيك التراب].

(٣) رواه الطبري في التفسير (١٤/٣٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٥٤٤)، وابن حبان في الثقاة (٥/٢١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/٤٢٤).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/١٨٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٦١٠).

(٥) تقدم تخريجه.

فكم كربةٍ ذبَّ الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يُعطي فيجزل
فَمَا مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خيرٌ من فعالِ معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

قال أصحاب التواريخ:

كان الزبير بن العوام ﷺ أبيض، طويلاً، خفيف العارضين.

وقال عروة ﷺ:

ربما أخذت بالشعر على منكبي الزبير وأنا غلامٌ فأتعلق به على ظهره.

وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، إلى الخفة ما هو في اللحم، ولحيته خفيفة، أسمر اللون، أشعر.

وكنيته: أبو عبد الله، ﷺ وأرضاه.

***

الإمام سعد بن أبي وقاص مالك القرشي الزهري ﷺ(١)

يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في كلاب.

وهو أحد الستة أصحاب الشورى، والثمانية السابقين إلى الإسلام، بل هو ثالث الإسلام، وأقام كذلك سبعة أيام.

قال ﷺ: ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، والشجعان المشهورين.

وهو أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله، وأول من أراق دمًا في سبيل الله، ومن ثمّ كان يُقال له: فارس الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ورمى يوم أحد ألف سهم.

ولاّه عمر ﷺ العراق، فكان هو الأمير في فتح مدائن كسرى وغيرها.

ومن كراماته الظاهرة الباهرة أنه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل، لم يبلغ الماء منها إلى حزمها، والناس في غاية الطمأنينة، كأنهم سائرون بالبر، وكان الذي يسانده سلمان الفارسي ﷺ، وكذلك ولاّه عثمان ولايات جليلة، وكان رسول الله ﷺ يناوله

---

(١) انظر في ترجمته: الاستيعاب (٩٦٨)، والإصابة (٣٢٢٢)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/ ١٩)، ومسند سعد للدروقي.

النبل يوم أُحُد، ويقول: «**ارمِ فداك أبي وأمي**[١]».

وأقبل والنبي ﷺ جالسٌ مع أصحابه، فقال: «**هذا سعد خالي، وليرني امرؤ خاله**»، وقال له: «**اجلس يا خالي فإن الخال والد، ودعا له فقال: اللَّهُمَّ سدد رميته، وأجب دعوته**[٢]».

وفي روايةٍ صحيحةٍ: «**اللَّهُمَّ استجب لسعد إذا دعاك**[٣]».

فلم تسقط له دعوةٌ بعد ذلك، فكان مُجاب الدعوة.

وأشرف على الموت فأخبره النبي ﷺ أنه يعيش، فقال: «**لعل الله أن يرفع بك أقوامًا، ويضر بك آخرين**[٤]»، فاعتزل الفتن.

وعن جرير بن عبد الله ﷺ أنه مرَّ بعمر بن الخطاب ﷺ فسأله عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: كيف تركته في ولايته؟ قال: تركته أكرم الناس مقدرة، وأقلهم فترة، وهو لهم كالأم البرَّة، يجمع كما يجمع الذرة، مع أنه ميمون الطائر مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس.

قال: فأخبرني عن الناس؟ قال: هم كسهام الجعبة، منها القائم الرائش، ومنها العصل الطائش، وابن أبي وقاص ثقافها يغمز عصلها، ويقيم ميلها والله أعلم بالسرائر[٥].

وعن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما حضره الموت دعا بخلق جبَّة له من صوفٍ، فقال: كفِّنوني فيها، فإني كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وهي عليَّ، وإنما كنت أخبوها لذلك[٦].

أسلم ﷺ وما في وجهه شعرة وهو ابن سبع عشرة سنة.

وكان آخر المهاجرين وفاةً، تُوفي وهو ابن ثلاث وثمانين سنة.

قال الزبير بن بكار:

مات بالعقيق في قصره على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة حتى صلّى عليه في مسجد رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (١٤٨٩/٤)، ومسلم (١٨٧٦/٤)، والترمذي (١٣٠/٥)، والنسائي (٦١/٥).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥٧٢/٣)، والديلمي في الفردوس (٥٠١/١)، بنحوه.
(٣) رواه الترمذي (٦٤٩/٥)، والطبراني في الأوسط (٢٣٥/٤).
(٤) رواه أحمد (١٧٦/١)، والبيهقي في الكبرى (٤٦٧/٤).
(٥) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٣٩/١).
(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٥٦٧/٣).

ودُفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين ﷺ.

***

الإمام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي ﷺ(١)

يجمع نسبه مع النبي ﷺ في كعب، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

شهد المشاهد كلها، كنيته أبو الأعور، من المهاجرين الأوَّلين، ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره يوم بدر.

قال ابن إسحاق: أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، امرأته فاطمة بنت الخطاب، أخت عمر بن الخطاب، وأبو زيد بن عمرو، وكان يستقبل الكعبة ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويصلي، فسُئل رسول الله ﷺ فقال: «**يحشر أمة واحدة بيني وبين عيسى ابن مريم**(٢)».

قالوا: يا رسول الله، أرأيت ورقة بن نوفل فإنه كان يستقبل الكعبة ويقول: اللَّهُمَّ ديني دين زيد، وإلهي إله زيد، وكان يمتدحه، فقال رسول الله ﷺ: «**رأيته في بطنان الجنة، عليه حلةٌ من سندس**(٣)».

رُوي عن أبي عطية المري أن أروى بنت أويس أتت مروان بن الحكم مستغيثة من سعيد بن زيد ﷺ قالت: ظلمني أرضي، وغلبني على حقِّي، وكان جارها بالعقيق، فقال سعيد: أنا أظلم أروى حقها، والله لقد ألقيت لها ستمائة ذراع من أرضي من أجل حديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ظلم شبرًا من الأرض بغير حقٍّ طوَّقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين**(٤)».

قومي يا أروى فخذي الذي تزعمين أنه حقك، فقامت فتسحبت في حقه، فقال: اللَّهُمَّ إن كانت ظالمة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، واجعل قبرها في بئرها، قال: فلم تلبث إلا يسيرًا حتى عميت وذهب بصرها، وخرجت تمشي في أرضها وهي حذرة

---

(١) انظر في ترجمته: الاستيعاب (٣٢٦٤)، وأسد الغابة (٢٠٧٣)، والإصابة (٣٢٧١)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/١٩).

(٢) رواه النسائي (٥/٥٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٧٥).

(٣) رواه أبو يعلى في المسند (٤/٤١)، وابن عدي في الكامل (١/٣١٩).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٨/١٩٥).

فوقعت في بئرٍ في أرضها فماتت، وكانت قبرها[1].

قال أهل التاريخ: مات سعيد بن زيد ﷺ بالعقيق، وغسَّله سعد بن أبي وقاص ﷺ وصلَّى عليه عبد الله بن عمر ﷺ.

وقال أهل التاريخ: كان سعيد بن زيد ﷺ رجلاً آدم، طوَّالاً، أشعر، تُوفي سنة خمسين عن بضع وسبعين، ودُفن بالمدينة ﷺ.

* * *

الإمام عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ﷺ[2]

يجتمع نسبه مع النبيِّ ﷺ في كلاب، هو أحد الثمانية السابقين للإسلام، والستة أهل الشورى، والعشرة المبشرين بالجنة، والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ﷺ.

وصحَّ أنه كان بينه وبين خالد شيءٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**[3]»: أي نصفه.

وفي رواية الواقدي وابن عساكر: «**يا خالد ذروا لي أصحابي، متى ينكأ أنف المرء ينكأ المرء ولو كان أحد ذهبًا ينفقه قيراطًا قيراطًا في سبيل الله، لم يدرك غدوة ولا روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن**[4]».

وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وكان ممن ثبت يوم أُحد، وبعثه ﷺ إلى دومة الجندل إلى بني كلب، وعممه بيده الكريمة، وسدلها بين كتفيه.

وقال: «**إن فتح الله عليك فتزوَّج ابنة ملكهم**»، أو قال: «**شريفهم**»، ففتح عليه وتزوج ابنة شريفهم الأصبغ، فولدت له أبا سلمة[5].

وصحَّ أنه ﷺ ائتم به في غزة تبوك، وصلَّى وراءه ركعة من صلاة الصبح، وهذه منقبةٌ لم تُوجد لصحابيٍّ غيره، وسببها أنه ﷺ ذهب لحاجته فأدركهم الوقت فأقاموا الصلاة،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٩٦).

(٢) انظر في ترجمته: الاستيعاب (١٤٥٥)، والإصابة (٥١٩٤)، وأسد الغابة (٣٣٦٩)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/١٩).

(٣) رواه البخاري (٣/١٣٤٣)، ومسلم (٤/١٩٦٧).

(٤) ذكره الذهبي في السير (١/٣٧١) بنحوه.

(٥) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٨٤٥).

فتقدمهم عبد الرحمن، ولما أتم ما فاته خلفه قال: «**ما قُبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته**[(١)]».

وائتم بالنبي ﷺ وبأبي بكر ﷺ أيضًا، لكن أخرج نفسه عن الإمامة بتأخره.

وقال لما قال له ﷺ: «**ما منعك أن تثبت وقد أشرت إليك؟: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله**[(٢)]».

فإن قلت: لِمَ لَمْ يفعل عبد الرحمن ذلك؟

قلنا: الظاهر أنه لم يعلم باقتدائه ﷺ، واقتدى ﷺ بجبرائيل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء، فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الإسراء والذي يليه.

وكان ﷺ كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يومٍ واحدٍ إحدى وثلاثين عبدًا حتى جاء أن جملة ما أعتقه ثلاثون ألفًا.

وفي حديث: «**أنه أمينٌ في السماء، أمينٌ في الأرض**[(٣)]»، وكان كثير المال، محظوظًا في التجارة، قال لأم سلمة رضي الله عنها: خفت أن يهلكني كثرة مالي، فقالت: يا بني أنفق.

قال الزهري: تصدَّق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف دينار، ثم أربعين ألف دينار، ثم بمثلها، ثم خمسمائة فرس، ثم خمسمائة راحلة[(٤)].

وفي رواية: ألف وخمسمائة راحلة[(٥)].

وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة فبيعت بأربعمائة ألف، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، ولكل واحدٍ ممن بقي ممن شهد بدرًا بأربعمائة، وكانوا مائة من جملتهم عثمان ﷺ، فأخذ مائة وهو أمير المؤمنين، وبألف فرسٍ في سبيل الله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه ثلث يقرضهم، وثلث يقضي ديونهم، وثلث يصلهم.

وقدمت له عيرٌ من الشام سبعمائة راحلة، فسمعت عائشة رضي الله عنها أصواتها فروت حديث: «**يدخل ابن عوف الجنة حبوًا**»، فبلغه فأتاها فحدثته، فقال: أشهدك بأنها

---

(١) رواه المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/١٧١).

(٢) رواه النسائي (١/٢٨٠).

(٣) رواه البزار في مسنده (٢/١١٣)، وابن أبي عاصم في السُّنة (٢/٦١٦).

(٤) ذكره الذهبي في السير (١/٨١).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد (١/١٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/٩٩).

بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله[١].

وباع أرضًا من عثمان ﷺ بأربعين ألف دينار، فقسمها في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين[٢].

ورُوي أنه ﷺ قال له: «لن تدخل الجنة إلا زحفًا فأقرض الله ﷻ يطلق لك قدميك، قال: ما الذي أقرضه؟ قال: تتبرأ من كل ما لك، فهمَّ بذلك، فأتاه جبريل فقال: مُرْهُ فليضف الضيف، وليطعم المسلمين، وليعطِ السائل، فإذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه[٣]».

وفي حديث ابن عدي وغيره: «**أنكحوا عبد الرحمن بن عوف فإنه من خيار المسلمين**[٤]».

وروى أبو نعيم وغيره أن رجلاً ليِّن الصوت، قرأ عند رسول الله ﷺ فما بقي أحدٌ إلا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف، فقال ﷺ: «**إن لم يكن فاضت عينه فاض قلبه**[٥]».

رُوي حديث رواه جماعة أنه ﷺ دعا له فقال: «**كفاك الله أمر دنياك، وأما أمر آخرتك فأنا لها ضامنٌ**»، وسببه أن الحسنين رضي الله عنهما اشتدَّ بكاؤهما من الجوع، فقال ﷺ: «**من يصلنا بشيءٍ؟ فأتاه بصحفة فيها حيسٌ ورغيفان بينهما أهالة**»[٦].

تُوفي ﷺ عن اثنين أو خمس وسبعين سنة، سنة اثنين وثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان ﷺ، وصلَّى عليه عليٌّ ﷺ، وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين ألف دينار ببركة دعوة النبي ﷺ له ﷺ.

الإمام أبو عبيدة عامر بن الجراح القريشي الفهري ﷺ[٧]

يجتمع نسبه مع النبيِّ ﷺ في مرة، أمين هذه الأمة كما صحَّت به الأحاديث، وفي

---

(١) رواه أحمد (٦/١١٥)، والطبراني في الكبير (١/١٢٩).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٩٨)، والحاكم في المستدرك (٣/٣٥١).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٥٢)، والبيهقي في الشعب (٣/٢٠٧).
(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٤٣)، وابن عدي في الكامل (٣/٢٧٠).
(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٠٠).
(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٣/٢٨٨)، والديلمي في الفردوس (٥/٤١٧).
(٧) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٩)، والكواكب الدرية للمناوي (١/٨٧).

رواية: «وأميني»، وفي أخرى: «وأميننا أيها الأمة[١]».

وأحد العشرة المبشرة بالجنة، والرجلين اللذين عينهما الصدّيق يوم السقيفة للخلافة، والثاني عمر ﷺ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يومٍ على يد الصدّيق، وبقيتهم عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، زوج أم سلمة، شهد المشاهد كلها مع النبيِّ ﷺ، وثبت يوم أُحد مع النبي ﷺ، ونزع يومئذٍ حلقتين دخلتا في وجنتي رسول الله ﷺ من حلق المغفر، فوقعت ثنيتاه؛ لأنه تحامل عليهما خوفًا من إيلامه ﷺ، فكان من أحسن الناس هتمًا[٢]، والهتم: إلقاء مقدم الأسنان.

وولّاه أبو بكر لما أرسل جيشًا إلى الشام، ثم جعل خالد أميرًا عليه وعلى غيره؛ لعلمه بالحروب، ولما ولّى عمر ﷺ أعاده، لكن أمره أن يستشير خالدًا، وهو أول من سُمِّي أمير الأمراء بالشام.

ورُوي أنه ﷺ أمره على سريةٍ فيها أبو بكر وعمر ﷺ، وتعرّض له أبوه يوم بدر، فأعرض عنه فلازمه، فلما أكثر عليه قتله.

فأنزل الله فيه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة:٢٢]، ولما قال له الصدِّيق يوم السقيفة: مد يدك لأبايعك، قال: ما كنت لأتآمر على رجلٍ قدّمه رسول الله فصلّى بنا حتى قُبض.

وقال عمر ﷺ: لئن أدركني أجلي وهو موجود أستخلفه؛ لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمةٍ أمينًا، وامين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[٣]».

ولما قدم عمر ﷺ الشام تلقّاه الناس فقال: «أين أخي أبو عبيدة؟ فقالوا: الساعة يأتيك، فأتاه على ناقةٍ مخطومةٍ بخطام ليف، فنزل عمر ﷺ عن راحلته وأعتقه، وقال للناس: انصرفوا عنّا ثم دخل معه إلى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه ورحله، فبكى عمر ﷺ وقال لأصحابه: تمنوا، فقال رجلٌ: ملء هذه الدار ذهبًا أنفقه في سبيل الله، وقال آخر: جوهرًا أنفقه كذلك، فقال عمر ﷺ: وأنا أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٣٣٧)، وذكره الذهبي في السير (٢/٣٤١).

(٢) رواه الطيالسي في المسند (١/٣).

(٣) رواه البخاري (٤/١٥٩٢)، والترمذي (٥/٦٦٤)، والنسائي (٥/٧٨)، وأحمد (٣/١٨٤)، وابن ماجه (١/٥٥).

أبي عبيدة[١]».

وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة، تُوفي ﷺ سنة ثماني عشرة، شهيدًا بالطاعون في طاعون عمواس، قرية بين الرملة، وبيت المقدس أول ما وقع بها، ثم انتشر بالشام، وقبره معروفٌ.

قال الإمام النووي ﷺ: زرته فرأيت عنده عجبًا، ورأيت عليه من الجلالة ما هو لائقٌ به ﷺ.

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة**[٢]».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر، وعثمان، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدئي فما عليكِ إلا نبي وصديق وشهيد**[٣]»، وزاد بعضهم: وسعد بن أبي وقاص.

وعن أنس ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[٤]»، رضوان الله عليهم أجمعين.

الإمام حمزة بن عبد المطلب ﷺ[٥]

عم النبي ﷺ، ويُكنى أبا عمارة، ويُلقَّب بأسد الله وأسد رسوله.

كان عظيمًا، شجاعًا، أخا النبي ﷺ من الرضاعة.

أسلم قديمًا، وسبب إسلامه أن اللعين أبا جهل شتم رسول الله ﷺ فانصرف ولم يجبه، وانصرف أبو جهل إلى نادي قريش عند الكعبة، وأقبل حمزة من قنصه متوشحًا

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٤٧)، والنسائي (٥/٥٦)، وأحمد (١/١٩٣)، وابن ماجه (١/٤٨).

(٣) رواه البخاري (٣/١٣٥٣)، وأحمد (٥/٣٣١).

(٤) رواه الترمذي (٥/٦٦٤)، والنسائي (٥/٦٧)، وأحمد (٣/٢٨١)، وابن ماجه (١/٥٥).

(٥) انظر: الاستيعاب (٥٥٩)، وأسد الغابة (١٢٥١)، والإصابة (١٨٣١).

قوسه، فأخبر وهو أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة، فغضب وعمده، فشجّه في رأسه شجة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه! فقامت إليه رجالٌ من بني مخزوم، فمنعهم أبو جهل خشية الفتنة[١].

وهو أول من اتخذ له رسول الله ﷺ لواء، حيث بعثه إلى سيف البحر بكسر السين من جهينة، استُشهد ﷺ بأُحُد نصف شوال، ثالث من الهجرة، بعد أن قتل إحدى وثلاثين كافرًا، قتله وحشي بحربة بعد قتله لعتبة بن ربيعة.

قال: رأيته يهد الأبطال هدًّا، فاختفيت له، فلما تمكنت منه رميته رمية بحربتي فأصابته، ووليت هاربًا فتبعني، ثم سقط، وبعد ذلك أسلم وحشي فقبله النبي ﷺ وقال له: «**غيّب وجهك عني**[٢]»: أي خشية أن يصيبه منه شيء إذا تذكر قتله لحمزة، وخرج وحشي يوم اليمامة فشارك رجلاً في قتل مسيلمة الكذاب، فكان يقول: هذه بتلك ومع ذلك فقد أصابه، لما صحَّ عن ابن المسيب أنه قال: كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقًا في الخمر.

وقال ابن هشام: بلغني أنه لم يزل يحدّ في الخمر حتى خُلع من الديوان، فكان عمر يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

ولما رأى النبي ﷺ حمزة قتيلاً بكى، ولما رأى ما مثِّل به شهق، وقال: «**لن أُصاب بمثلك أبدًا، ما وقفت موقفًا أغيظ لي من هذا**[٣]».

وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ﷺ قال: ما رأينا رسول الله ﷺ بكى قط أشد من بكائه على حمزة، ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته، وبكى حتى كاد يُغشى عليه، يقول: «**يا حمزة، يا عم رسول الله، يا أسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذابًا عن وجه رسول الله**[٤]».

وليس هذا نوح ولا تعديد شمائله، بل إخبار بفضائله وشمائله ﷺ.

وصحَّ حديث: «**أنه سيد الشهداء يوم القيامة**[٥]».

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٤٩/١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٢/٢).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢١٤/٣) بنحوه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٨/٤).

«وأنه لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسِّباع[١]».

وحديث رحمة الله عليك: «قد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات[٢]».

وصحح الحاكم حديث: «والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله[٣]».

وورد من طرقٍ أن الملائكة غسَّلته، وصححه الحاكم.

* * *

الإمام العباس بن عبد المطلب ﷺ[٤]

عم النبي ﷺ، كنيته أبو الفضل، كان جليلاً، جوَّادًا، ذا رأيٍ وكمال عقلٍ، معظمًا بين الصحابة وعند النبي ﷺ، رئيسًا في قريش قبل الإسلام، وكانت إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية، وكان مع النبي ﷺ يوم القيامة، فعقد له البيعة على الأنصار، وكان ﷺ يثق به في أمره كله.

أُسر يوم بدر لقوله ﷺ: «مَنْ لقيه فلا يقتله؛ فإنه خرج مستكرهًا[٥]»، وسمعه ﷺ يئن لكونهم شدّوا وثاقه، فلم ينم، فقيل: «ما يسهرك يا رسول الله؟ قال: أنين العباس[٦]»، فقام رجلٌ فأرخى من وثاقه ووثاق البقية، وفادى نفسه، وعقيلاً ابن أخيه بعد أن قال: ما معي شيء، فقال له ﷺ: وأين المال الذي قلت لأم الفضل: أي زوجته، حين خرجت: إذا أنا متُّ فافعلي به كذا؟ فقال: مَنْ أعلمك بهذا ولم يطَّلع عليه غيري وغيرها، فأسلم سرًّا وكتم إيمانه إلى قبيل فتح مكة، فخرج إلى النبي ﷺ ولقيه بالأبواء، وبه خُتمت الهجرة[٧].

وكان ردءًا للنبي ﷺ بمكة، يكاتبه بأخبار أهلها، وكان المسلمون بمكة يثقون به، وكان يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه: إن بقاءك بمكة خيرٌ لك، ولما قالت

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/١٣١)، والبيهقي في الكبرى (٤/١٠).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/١٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/٢١٨).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢١٩)، والطبراني في الكبير (٣/١٤٩).

(٤) انظر: الاستيعاب (١٣٨٦)، والإصابة للحافظ (٣/٣٣١).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٤٧) بنحوه.

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/١٣).

(٧) ذكره المناوي في فيض القدير (١/٥٠٣).

الأنصار: نترك لابن أختنا العباس الفداء أبي رسول الله ﷺ، وشهد مع رسول الله ﷺ حنينًا، وثبت معه حين انهزم الناس.

وكان عمر رضي الله عنه يستسقي به للغيث إذا قحط الناس فيقول: «اللَّهُمَّ إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا، وها نحن نستسقي بعمِّ نبيك فاسقنا، فيُسقون[(١)]».

تُوفي رضي الله عنه بالمدينة ثاني عشر رجب أو رمضان، سنة اثنين وثلاثين، وله نحو من ثمانية وثمانين سنة، وقبره مشهورٌ بالبقيع رضي الله عنه.

وصحَّ حديث: «**العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الأحياء**[(٢)]».

وحديث أنه سأل النبي ﷺ أن يستعمله على الصدقة، فقال: «**ما كنت لأستعملك على غسالة ذنوب الناس**[(٣)]».

وحديث: «**من آذى العباس فقد آذاني؛ فإنما عم الرجل صنو أبيه**[(٤)]».

وحديث: «**أوصاني الله تعالى بذي القربى وأمرني أن أبدأ بالعباس بن عبد المطلب**[(٥)]».

وأخرج الدارقطني في الأفراد: «**ليكوننَّ في ولد العباس ملوك، يلون أمر أمتي، يعز الله بهم الدين**[(٦)]».

وابن عساكر: «**اللَّهُمَّ اغفر له ذنبه، وتقبَّل منه أحسن ما عمله، وتجاوز عنه سيئ ما عمله، وأصلح له في ذريته، لا تؤذوا العباس فتؤذوني، من سب العباس فقد سبني**[(٧)]».

أخرج الرافعي: «**ألا أبشرك يا عمّ أن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدى، وبه يطفئ نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم**[(٨)]».

وأبو نعيم في الحلية: «**ألا أبشرك يا أبا الفضل أن الله عز وجل افتتح بي هذا الأمر**

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/٣٣٧).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٧١)، والطبراني في الكبير (١٢/٣٦).
(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٧٩)، والحاكم في المستدرك (٣/٣٧٥).
(٤) رواه أحمد (٤/١٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٨٢).
(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٧٧).
(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣١٦).
(٧) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٨٦)، وابن سعد في الطبقات (٤/٢٤)، بنحوه.
(٨) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٧٨).

وبذريتك يختمه[١]».

وكون المهدي من ولده يُحمل على أنه فيه منه شعبة لما صح أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها.

والترمذي: «**اللَّهُمَّ اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنبًا، اللَّهُمَّ اخلفه في ولده**[٢]».

والخطيب وابن عساكر: «**اللَّهُمَّ اغفر للعباس، وولد العباس، ولمن أحبَّهم**[٣]».

وابن عساكر: «**اللَّهُمَّ اغفر للعباس ما أسرَّ وما أعلن، وما أبدى وما أخفى، وما كان وما يكون منه ومن ذريته إلى يوم القيامة**[٤]».

والخطيب: «**يا عبَّاس أنت عمِّي وصنو أبي، وخير من أخلف بعدي من أهلي، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة، فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي ﷺ**[٥]».

***

الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٦]

كان ﷺ سيِّدًا حليمًا، كريماً، زاهدًا، ذا سكينة ووقار وخشية، جوَّادًا، ممدوحًا.

أخرج أبو نعيم في الحلية أنه ﷺ قال: «إني لأستحي من ربِّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى عشرين حجَّة[٧]».

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «لقد حجَّ الحسن ﷺ خمسًا وعشرين حجة ماشيًا، وإن النجائب لتُقاد بين يديه[٨]».

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣١٥).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١١/٢٤).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (١/٤٩٨)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٠/٣٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه الخطيب البغدادي (١/٦٣، ٦٤).

(٦) انظر في ترجمته: الاستيعاب (١/١١٣)، الطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/٢٢)، والكواكب الدرية للمناوي (١/٩٤)، والسمت الحسن للقضاعي (يسر الله لنا تحقيقه).

(٧) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٧).

(٨) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٨٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/٣٣١).

وأخرج أبو نعيم أنه ﷺ خرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، حتى إنه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفًا ويمسك خفًا[(١)].

وسمع رجلاً سأل ربه عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه، وجاءه رجلٌ شكا إليه حاله وفقره وقلة ما في يده بعد أن كان مثريًا، فقال: حق سؤالك لعظيم لديَّ، ومعرفتي بما يجب لك يكثر عليَّ، ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاءً لشكرك، فإن قبلت المسئول ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام لما اتكلفه فعلت، فقال: يا ابن بنت رسول الله، أقبل القليل، وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال: هات الفاضل، فأحضر خمسين ألف درهم، وقال: ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك؟ قال: هي عندي، قال: أحضرها، فأحضرها فدفعها والخمسين ألفًا إلى الرجل، واعتذر منه.

وإضافته هو والحسين وعبد الله بن جعفر عجوز، فأعطاها ألف دينار وألف شاة، وأعطاها الحسين مثل ذلك، وأعطى عبد الله بن جعفر مثلهما ألفي شاة وألفي دينار، رضي الله عنهم.

وأخرج البزار وغيره أنه لما استخلف بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجلٌ فطعنه بخنجرٍ وهو ساجدٌ ثم خطب الناس فقال: يا أهل العراق اتَّقوا الله فينا، فإنَّا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، فما زال يقولها حتى ما بقي أحدٌ من المسجد إلا وهو يبكي[(٢)].

وأخرج ابن سعد عن عمر بن إسحاق أنه لم يسمع منه كلمة فحش إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرضٍ فقال: ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: هذه أشد كلمة فحش ما سمعتها منه قط[(٣)].

وأنزل إليه مروان يسبّه وكان عاملاً على المدينة، ويسب عليًّا ﷺ كل جمعةٍ على المنبر، فقال الحسن لرسوله: ارجع إليه فقل: إني والله لا أمحو عنك شيئًا بأن أسبكَ ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت صادقًا جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذبًا فالله أشدّ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/٩٣).

(٣) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٦/٢٣٥).

نقمة.

وأغلظ عليه مرة مروان وهو ساكتٌ ثم امتخط بيمينه فقال له الحسن: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه، وأن الشمال للفرج، أفٍّ لك، فسكت مروان(١).

وكان ﷺ مطلاقًا للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، وأحصن تسعين امرأة.

وأخرج ابن سعد عن علي ﷺ أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجلٌ مطلاقٌ، فقال رجلٌ من همدان: لنـــزوجنّه فما رضي أمسك، وما كره طلّق(٢).

ولما مات بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه! فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحكم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل(٣).

وأخرج ابن عساكر إنه قيل له أن أبا ذر يقول: الفقْر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسقم أحبُّ إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله له لم يتمنَ أنه في غير الحالة التي اختار الله له(٤).

وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه معاوية في بعض السنين، فحصل له إضافة شديدة، قال: فدعوت بدواةٍ لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبتِ، وشكوت له تأخر المال عني، فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك، قلت: نعم يا رسول الله، فكيف أصنع؟ فقال: قل: اللَّهُمَّ اقذف في قلبي رجاك، واقطع رجائي عمَّن سواك حتى لا أرجو غيرك، اللَّهُمَّ وما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنتهِ إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من النبيين، فخصني به يا أرحم الراحمين، فقال: والله ما ألححت فيه أسبوعًا حتى بعث إليَّ معاويًا بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: يا بني، هكذا من رجاء الخلق بالخالق، ولم يرجُ المخلوق.

ولما احتضر قال لأخيه: يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر، وصرفه الله عنه، ووليها

---

(١) ذكره الذهبي في السير (٣/٢٦٦).

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٦/٢٣٦).

(٣) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٦/٢٣٥).

(٤) ذكره الذهبي في السير (٣/٢٦٢).

أبو بكر ثم استشرف لها، وصُرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى إنها لا تعدوه، فصُرفت عنه إلى عثمان، فلما قُتل عثمان بُويع ثم نُوزع حتى جرّد السيف فما صفت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا عرفن بما استخفك به سفهاء الكوفة، فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة أن أُدفن مع رسول الله ﷺ، فقالت: نعم، فإذا متُّ فاطلب ذلك إليها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم، فلما مات أتى الحسين عائشة فقالت: نعم، وكرامة، فمنعهم مروان.

فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى ردّه أبو هريرة، ثم دُفن بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بقبة المشهورة.

وكان سبب موته ﷺ أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دسَّ إليها يزيد أن تسمه ويتزوجها، وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، فمرض أربعين يومًا، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال لها: لم نرضك للحسن فنرضاكِ لأنفسنا![1].

مات ﷺ مسمومًا شهيدًا سنة تسع وأربعين، أو خمسين، أو إحدى وخمسين.

أقوال والأكثرون على الثاني، وجهد به إخوته أن يخبرهم بمن سقاه فلم يخبرهم.

وقال: الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بي بريء[2].

وفي رواية: يا أخي قد حضرت وفاتي ودَنَا فراقي لك، وإني لاحقٌ بربِّي، وأجد كبدي يتقطع، وإني لعارفٌ من أين دهيت، فأنا أخاصمه إلى الله تعالى، فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيءٍ، فإذا أنا قضيت نحبي قمِّصني وغسِّلني وكفِّني، واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ، أجدد به عهدي، ثم رُدَّني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك، وأقسم عليك بالله ألا تريق في أمري محجمة دم.

وفي رواية: يا أخي إني سقيت السم ثلاث مرات، لم أسقه مثل هذه المرة، فقال: من سقاك؟ قال: ما سؤالك عن هذا أتريد أن تقاتلهم؟! أَكِلْ أمرهم إلى الله تعالى[3].

وفي أخرى: لقد سُقيت السم مرارًا ما سُقيت مثل هذه المرة، ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعودٍ فقال له الحسين ﷺ: أي أخي من سقاك؟ قال: وما تريد؟ أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: إن كان الذي أظن فالله أشدّ نقمة، وإن كان غيره فلا

---

(١) ذكره الذهبي في السير (٣/٢٧٨).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٨).

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٣٩٠).

يُقتل بي بريء[١].

ورأى مكتوبًا بين عينيه: قل هو الله أحد، فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فقلَّ ما بقي من أجله، فما بقي إلا أيامًا حتى مات[٢].

وصلَّى عليه سعيد بن العاص وعمره سبع وأربعون سنة، كان منها مع رسول الله ﷺ سبع سنين، ثم مع أبيه ثلاثين سنة، ثم خليفة ستة أشهر، ثم تسع سنين ونصف بالمدينة.

ومناقبه ﷺ كثيرة، عن البراء بن عازب ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ إني أحبّه فأحبه**[٣]»، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي بكر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ وهو على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: «**إن ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**[٤]»، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «أقبل النبي ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجلٌ فقال: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله ﷺ: **ونعم الراكب هو**[٥]»، رواه الحاكم.

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: أشبه أهل النبي ﷺ به وأحبُّهم إليه الحسن، وإنه ينحني وهو ساجدٌ فيركب رقبته.

أو قال: ظهره، فما ينـزله حتى يكون هو الذي ينـزل، ولقد رأيته وهو راكعٌ فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[٦].

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن قال: كان رسول الله ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه[٧].

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن علي يخطب، فقام رجلٌ من أزدشنوه فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه على حبوته وهو يقول: «**من أحبني**

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٧٧/٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨/٢).
(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٥١/٦).
(٣) رواه البخاري (١٣٧٠/٣)، ومسلم (١٨٨٣/٤)، والترمذي (٦٦١/٥).
(٤) رواه البخاري (١٣٢٨/٣)، وأبو داود (٢١٦/٤).
(٥) رواه الترمذي (٦٦١/٥)، والحاكم في المستدرك (١٨٦/٣).
(٦) ذكره ابن حجر في الإصابة (٧٠/٢).
(٧) ذكره الهيثمي في موارد الظمآن (٥٥٣/١).

فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب[١]»، ولولا كرامة النبي ﷺ ما حدثت به أحدًا.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجدٌ وهو إذ ذاك صغير، فيجلس على ظهره ومرة على رقبته، فيرفعه النبي ﷺ رفعًا رفيقًا، فلما فرغ من الصلاة قالوا: يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئًا لا تصنعه بأحدٍ، فقال النبي ﷺ: **إن هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيدٌ، وحسبي أن يُصلح الله به بين فئتين من المسلمين**[٢]».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اللّهُمَّ إني أحبه وأحب من يحبه**[٣]» يعني الحسن. وفي رواية: «**اللّهُمَّ أحبه فأحب من يحبه**[٤]».

قال أبو هريرة ﷺ: فما كان أحد أحب إليَّ من الحسن بعد أن قال رسول الله ﷺ ما قال[٥].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند الحافظ السلفي قال: ما رأيت الحسن بن علي ﷺ قط إلا فاضت عيناي دموعًا، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يومًا وأنا في المسجد ثم قال: «**ادعُ ابني**، قال: فأتى الحسن بن عليٍّ يشتد في عدوه حتى وقع في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فمه في فمه ويقول: **اللّهُمَّ إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه** ثلاث مرات[٦]».

وروى أحمد: «**من أحبَّني وأحب هذين** -يعني الحسن والحسين- **وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**[٧]» ورواه الترمذي بلفظ: «**كان معي في الجنة**».

قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي: وليس المراد بالمعية هنا من حيث المقام، بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى: ﴿**فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:٦٩]، رضوان الله

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٦٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٧٩).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٥).

(٣) رواه البخاري (٢/٧٤٧)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/٩).

(٤) رواه البخاري (٢/٧٤٧).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (١٥/٤١٧).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٤٠٤).

(٧) رواه الترمذي (٥/٦٤١)، وأحمد (١/٧٧).

تعالى عليه أجمعين.

***

الإمام الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم[(١)]

كان ﷺ إمامًا سيدًا شجاعًا كريمًا جوادًا.

ومن فضائله العظيمة ومناقبه الجسيمة حديث: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط**[(٢)]»، أخرجه البخاري في الأدب المفرط والترمذي وابن ماجه.

وفي رواية: «**الحسن والحسين سبطان من الأسباط**[(٣)]».

وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**[(٤)]».

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، والطبراني عن ابن عمر وعن علي، وعن جابر، وعن أبي هريرة، وعن أسامة بن زيد، وعن البراء، وابن عدي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما**[(٥)]».

وأخرج ابن عساكر عن علي، وابن عمر، وابن ماجه، والحاكم، عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما**[(٦)]».

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبي ﷺ قال له: «**أما رأيت العارض الذي عرض قبل ذلك وهو ملكٌ من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه ﷻ أن يسلم عليَّ ويبشّرني أن الحسن والحسين سيدا**

---

(١) انظر في ترجمته: الاستيعاب (١/١١٦)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١/٢٣)، والكواكب الدرية للمناوي (١/١٠٠)، وما أكثر الكتب التي صنفت في سيد الشهداء.

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٥٨)، وابن ماجه (١/٥١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣/٣٢)، (٢٢/٢٣٧).

(٤) رواه أحمد (٢/٢٨٨)، وابن ماجه (١/٥١).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٩/٢٩٢)، وفي الأوسط (٦/٣٢٧).

(٦) رواه ابن ماجه (١/٤٤).

شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[١]».

وأخرج الطبراني عن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي**[٢]».

وأخرج الترمذي عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا**[٣]».

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ابناي هذان ريحانتاي من الدنيا**[٤]».

وأخرج الترمذي والطبراني عن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**هذان ابناي وابنا ابنتي اللَّهُمَّ إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما**[٥]».

وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبَّان والحاكم عن بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**صدق الله ورسوله: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨]، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**[٦]».

وأخرج أبو داود عن المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قال: «**هذان منِّي**[٧]» يعني الحسن والحسين.

وأخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**الحسنُ والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم**[٨]».

وأخرج أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الحسن**

---

(١) رواه النسائي (٥/٨٠)، وأحمد (٥/٣٩١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/٤٢٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/٣٧٠).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦٥٧).

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (١/٢٨٤).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦٥٦).

(٦) رواه الترمذي (٥/٦٥٨)، والنسائي (١/٥٥١)، وأحمد (٥/٣٥٤).

(٧) رواه أبو داود (٢/٧٥٤).

(٨) رواه النسائي (٥/٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/٤١١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٧١)، بنحوه.

منِّي والحسين من علي[١]».

وأخرج الطبراني عن عامر أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين سيفا العرش وليس بمعلَّقين[٢]».

وأخرج الترمذي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أحبُّ أهل بيتي إِلَيَّ الحسن والحسين[٣]».

وأخرج البغوي وعبد الغني في الإيضاح عن سلمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سَمَّى هارون ابنيه شبرًا وشبيرًا، وإني سميت ابني الحسن والحسين كما سَمَّى بهما هارون ابنيه[٤]».

وأخرج ابن سعد عن عمران بن سلمان أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمَّت بها العرب في الجاهلية[٥]».

وأخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أخبرني جبرائيل أن الحسين يُقتل بعدي بأرض الطَّف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه[٦]».

وأخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرائيل وأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين فأتاني بتربةٍ حمراء[٧]».

وأخرج الإمام أحمد: «لقد دخل عليَّ البيت ملكٌ لم يدخل عليَّ قبلها، فقال: إن ابنك هذا حسينًا مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل فيها، قال: فأخرج تربة حمراء[٨]».

وأخرج البغوي في مجمعه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «استأذن ملك القطر ربه ﷻ أن يزور النبي ﷺ فأذن له، وكان في يوم أم سلمة فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٢/١٥٨).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١/١٠٨).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦٥٧).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٦/٢٦٣)، والديلمي في الفردوس (٢/٣٣٩).

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير (١/١٠٥).

(٦) رواه الطبراني في الكبير (٣/١٠٧).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٩٤).

(٨) رواه أحمد (٦/٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٣/١٠٧).

احفظي علينا الباب لا يدخل أحدٌ، فبينما هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبِّله، فقال له الملك: أتحبه؟ قال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريك المكان الذي يُقتل به فأراه، فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنا نقول أنها كربلاء[1]»، وأخرجه أبو حاتم في صحيحه.

وروى الإمام أحمد نحوه، وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضًا، لكن أن الملك جبرائيل ويجمع بأنهما واقعتان، وزاد الثاني أيضًا أنه ﷺ شمَّها وقال: «**ريح كربلاء**».

وفي رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند: قالت: «ثم ناولني كفًا من تراب أحمر، وقال: **إن هذا من تربة الأرض التي يُقتل فيها، فمتى صار دمًا فاعلمي أنه قُتل**، قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول: إن يومًا يتحول فيه دمًا ليوم عظيم[2]».

وفي رواية عنها: «فأصبته يوم قتل الحسين وقد تحوَّل دمًا[3]».

وفي أخرى ثم قال يعني جبريل: «**ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصايات فجعلهنَّ رسول الله ﷺ في قارورة**، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينًا ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

قد بغيتم على سليمان وداود ... وموسى وحامل الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصايات قد جرت دمًا».

وسبب شهادته ﷺ أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين خوفًا على نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، ويمحي ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس ﷺ وبيَّن له غدرهم وقتلهم لأبيه، وخذلانهم لأخيه، وأمره ألا يذهب بأهله إن ذهب، فأبى فبكى ابن عباس، وقال: واحسيناه فقال ابن عمر نحو ذلك فأبى فقبَّل ما بين عينيه، وقال: أستودعك الله من قتيل.

وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبقَ بمكة إلا من حزن لمسيره، ولما بلغ أخاه محمد بن

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٤٢/١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٦/٣)، وأبو يعلى في المسند (١٢٩/٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٤٢/٢)، والطبراني في الكبير (١٠٨/٣).

(٣) لم أقف عليه هكذا.

الحنفية بكى حتى ملأ طشتًا بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفًا، فأرسل إليه يزيد بن زياد فقتله، وسار الحسين غير عالمٍ بذلك، فلقي الفرزدق فسأله فقال: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينـــزل من السماء، ولما قرب القادسية تلقاه من أخبره الخبر، وأمره بالرجوع فهمَّ بالرجوع، فقال له أخو مسلم: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل، ثمَّ سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء، فجهَّز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد، وبيعته ليزيد، فأبى ﷺ فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والمبايعين له، فلما جاءهم فرُّوا عنه إلى عدوّه، فحارب الإمام الهمام الأسد الضرغام ذلك العدد الكثير، ومعه من أهله نيف وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتًا باهرًا، ولما حمل عليهم وسيفه وصلت في يده الكريمة أنشد يقول شعرًا:

أَنَــا ابن علي الخيِّر من آلِ هاشم ... كَفَــاني بهــذا مفخــر حين أفخر
وجدِّي رسول الله أفضل من مَشَى ... ونحــن سراج الله في النَّاسِ يزهر
وفاطمــة أمِّــي ســلالة أحمــد ... وعمِّــي يدعى ذو الجناحين جعفر

ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه؛ إذ هو الشجاع العرم الذي لا يزول ولا يتحوَّل، ولما اشتد القتل في أهله حتى بلغوا خمسين صارح الإمام: أما ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ، فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده، فقاتل بين يديه حتى قُتل، ثم فني أصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم، وقتل منهم كثيرًا من شجعانهم، فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه، فصاح: كفُّوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فَكَفُّوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجروح؛ لأنه طُعِنَ إحدى وثلاثين طعنة، وضُرِبَ أربعًا وثلاثين ضربه، ومع ذلك غلب عليه العطش إلى أن سقط إلى الأرض، وسقي كأس الشهادة المعظمة يوم الجمعة، العاشر من محرَّم عام إحدى وستين، وكانت ولادته ﷺ لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وله من العمر ست وخمسون، وأشهر قتله سنان بن أنس النخعي أو غيرهم، ووضع رأسه الشريف المحترم بين يدي ابن زياد وأنشد قائلاً:

املئــي ركــابي فضة وذهبًا ... فقــد قتلت الملك المحجــبَا
ومن يصلي القبلتين في الصبًا ... وخيرهم إذ يذكرون النسبا
قتلت خير الناس أمًا وأبًا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال له: إذا علمت ذلك فلِمَ قتلته؟! والله لا نِلت مني

خيرًا أو ألحقتك به ثم ضرب عنقه، وقتل مع الإمام من إخوته وبنيه وبني أخيه الحسن، ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً.

قال الحسن البصري: ما كان على وجه الأرض لهم شبيه، فجهَّزه وأرسله مع رؤوس أصحابه وسبايا آل الحسين إلى يزيد، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منـــزل جعلوا يشربون الخمر، فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديدٍ فكتبت سطرًا بدم:

أتــرجو أُمَّــة قــتلت حسينًا ... شــفاعة جــدِّه يــوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم عادوا فأخذوه وقدموا به على يزيد، فلما وصلوا يزيد قيل: ترحَّم عليه، والمشهور أنه جعل ينكُث الرأس بالخيزران.

قال الفاضل ابن حجر الهيتمي: والعجب كل العجب من ضرب ثنايا الحسين بالقضيب، وحمل آل النبي ﷺ على أقتاب الجمال موثقين، ولا عجب فإن يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال مبلغًا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره انتهى.

قيل: ثم إن يزيد أرسل برأس الحسين إلى المدينة ومن بقي من أهله إلى المدينة، فكفن رأسه المحترم، ودُفن بقبة أخيه الإمام الحسن.

وقيل: أُعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يومًا، ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة، ومما ظهر يوم شهادته من الآيات أن السماء أمطرت دمًا، وأن أوانيهم مُلئت دمًا، وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذٍ حتى رؤيت النجوم، واشتدَّ الظلام حتى ظنَّ الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها، وأنه لم يُرفع حجر إلا ورئي تحته دم عبيط، وأن الورس انقلب رمادًا، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، ثم ظهرت فيها الحمرة، وقيل: احمرَّت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك.

وعن ابن سيرين أنَّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قُتل الحسين ﷺ.

قال الإمام الشافعي ﷺ:

تَزَلْــزَلَتْ الدُّنــيا لآل محمــد ... وكــادت بهم صمّ الجبال تذوب
وغارت نجوم واقشعرَّت كواكب ... وهــتك أســتار وشــقّ جيوب
فهم شفعائي يوم حشري وموقفي ... وبُغْــضُهُم للــشافعي ذنــوب
فــإن كــان ذنبي حب آل محمد ... فــذلك ذنــبٌ لَسْتُ عنه أتوب

ثم عن ما أصيب به الإمام الحسين في يوم عاشوراء إنما هو الشهادة العُظمى الدالة على مزيد حظوته ورفعة رتبته عند ربه، وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين.

فمن ذلك اليوم مصابه لم ينبغي أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالاً للأمر، وإحرازًا لِمَا رتب عليه من الأجر بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧].

ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم، والإكثار من الصدقات، وإيَّاه ثم إيَّاه أن يشتغل ببدع الروافض من الندب والنياحة والحزن، فإن ذلك ليس من أخلاق أهل الإيمان، وإلاَّ لكان يوم وفاة رسول الله ﷺ أولى بذلك وأحرى، ولا يشتغل ببدع المتعصِّبين على أهل البيت من إظهار الفرح والسرور والاكتحال، ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، فإنه لم يرد في ذلك شيء يُعتمد عليه، ولا أثر صحيح يرجع إليه، فصار هؤلاء بجهلهم يتخذونه موسمًا، وهؤلاء لرفضهم يتخذونه مأتمًا، وكل منهما مخطئ مخالف للسنة، ورضي الله عن سيِّدنا الإمام الحسين وأرضاه.

***

فصل

في مناقب الزهراء البتول رضي الله عنها[١]

صحَّ أن نبينا ﷺ قال: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها[٢]».

وقال ﷺ: «أحب أهلي إلَيَّ فاطمة[٣]».

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجب: يا أهل الجمع، غُضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر[٤]».

---

(١) انظر: الاستيعاب (٣٤٩١)، والسمط الثمين (١٧١)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣٩/٢)، وأعلام النساء (١٠٨/٤)، وأسد الغابة (٧١٨٣)، والإصابة (١١٥٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٦٩٨/٥)، والحاكم في المستدرك (١٧٣/٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤٥٢/٢)، والطبراني في الكبير (٤٠٣/٢٢).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١٦٦/٣)، وابن عدي في الكامل (٥/٥).

وقال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يغضبني ما أغضبها ويبسطني ما أبسطها[١]».

وقال ﷺ: «إن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وصِهْري[٢]».

وقال ﷺ: «فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلا مريم ابنة عمران[٣]».

وقال ﷺ: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة![٤]».

وقالت فاطمة رضي الله عنها: «نزل ملكٌ من السماء استأذن الله أن يسلم عليَّ، فبشَّرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنَّة[٥]».

وقال ﷺ: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء المؤمنين، وسيدة نساء هذه الأمة[٦]».

قال المحقق ابن حجر الهيتمي: ثم الأصح أن فاطمة الزهراء أفضل نساء العالمين على الإطلاق، والأصح أن فاطمة أفضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء، والخبر المقتضي لخيرية خديجة أجيب عنه بأنه من حيث الأمومة لا السيادة، وممن جرى على ذلك المجتهد التقي السبكي فقال: الذي نختاره وندين لله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، واختار السبكي أيضًا أن مريم أفضل من خديجة للاختلاف في نبوتها انتهى.

***

فصل

في مناقب أزواج النبي ﷺ الطاهرات أمهات المؤمنين وأولاده الكرام الطيبين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

صحَّ عنه ﷺ أن الله تعالى لم يزوِّجه إلا من ستكون معه في الجنة، وهُنَّ إحدى عشر متفق عليهنَّ، ست قريشيات، وأربع عربيات، وإسرائيلية.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٣/١٨٤).

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/٢٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٠٣).

(٣) رواه أحمد (٣/٨٠)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٨).

(٤) رواه البخاري (٣/١٣٢٦)، والبزار في مسنده (٣/١٠٢).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦٦٠)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٤).

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٧٠).

أولهن: خديجة رضي الله عنها، تزوجها وله خمس وعشرون سنة، وهي أول من آمن به من النساء.

وفي الصحيحين أن جبرائيل عليه السلام قال: «**يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعامٌ أو إدامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قصب**[1]»:

أي لؤلؤ مجوَّف لا صخب فيه ولا نصب، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، واختلف في عدتهم، وجملة ما اتفق عليه منهم: القاسم ﷺ وُلد قبل النبوة، وبه يُكنى ومات بعد نحو سنتين، وأربع بنات: زينب رضي الله عنها وهي أكبرهنَّ، وماتت سنة ثمان من الهجرة، زوَّجها ابن خالتها ابن العاص بن الربيع، ولدت منه عليًا كان رديفه ﷺ يوم الفتح، ومات قبل الاحتلام، وأُمَامة التي حملها في صلاته، تزوَّجها عليٌّ ﷺ بعد فاطمة رضي الله عنها، ثم رقية رضي الله عنها تُوفيت وهو ﷺ ببدر، ثم أم كلثوم رضي الله عنها تُوفيت سنة تسع من الهجرة، تزوَّجها عثمان ﷺ، ثم فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها.

قال ابن عبد البر: هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب أهله إليه، وكان يقبِّلها في فيها ويمصها لسانه، وإذا أراد ﷺ سفرًا يكون آخر عهده بها، وإذا قَدِمَ أوَّل ما يدخل عليها، وزوجها ﷺ لعليٍّ ﷺ ثاني اثنتي من الهجرة بوحي من الله بذلك كما ورد، وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرًا، وكان سنها حينئذٍ خمسة عشر سنة وخمسة أشهر ونصف، وسن عليٍّ ﷺ إحدى وعشرين سنة وأشهرًا.

وتُوفيت بعد النبي ﷺ في رمضان سنة إحدى عشر، فبينهما نحو ستة أشهر، وسنها تسعة وعشرون سنة، وقد أسر النبي ﷺ إليها أنها أوَّل بيته لحوقًا به فسرَّت بذلك، وأولادها الحسن والحسين ومحسن مات صغيرًا، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له ﷺ عقب إلا منها، فانتشر نسله من جهة السبطين فقط، وأم كلثوم ولدت لعمر ﷺ ذكرًا وأنثى وماتا صغيران، ثم بعده بعبد الله بن جعفر، ثم بعد موته، بأخيه محمد ثم بأخيه عبد الله، ولم يعقب منهم شيئًا، ثم تزوج عبد الله الأخير بأختها زينب، فولدت له عدة منهم: عليٌّ، وأم كلثوم، وانتشر نسلهما، وسُمِّيت فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار.

أخرج الديلمي مرفوعًا: «**إنما سُمِّيت ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن**

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٩/٣)، ومسلم (١٨٨٧/٤)، وأحمد (٢٣٠/٢).

النار[١]»، وسُمِّيت زهراء لأنها لم تحض، ولما طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة، وسُمِّيت بتولاً لأن الله تعالى قطعها عن النساء حسبًا وفضلاً، أو لانقطاعها إلى الله تعالى رضي الله عنها.

واختلف في أنه ﷺ هل وُلد له غير أولئك الستة، فقيل: الطيب والطاهر وعبد الله، وقيل: الأولان لقبان للثالث ومات صغيرًا، وهو الأصح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما إبراهيم ﷺ فمن سريته مارية القبطية رضي الله عنها، ولد في ذي الحجة سنة ثمان، وسمَّاه إبراهيم باسم أبيه.

وكان ﷺ يذهب إليه وهو في عوالي المدينة مسترضعًا، فيأخذه ويقبِّله ثم يرجع.

ثم تُوفي وله سنة وعشرة أشهر، وقيل غير ذلك، وفي رواية أنه لم يصلِّ عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه.

وفي حديث: «**لو بقي لكان نبيًّا لكنه لم يبقَ؛ لأن نبيَّكم آخر الأنبياء**[٢]».

وتُوفيت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، ودُفنت بالحجون عن خمس وستين سنة.

ثم تزوج ﷺ **بسودة بنت زمعة** بعد عقده على عائشة رضي الله عنها، ودخل بها قبل عائشة وهي التي وهبت نبوَّتها لعائشة، تُوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين.

ثم **عائشة** رضي الله عنها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة، ودخل بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرًا وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوَّج بكرًا غيرها، وأحبها أكثر من بقيَّة نسائه، ولما فقدها في بعض أسفاره قال: «**واعروساه**[٣]»، أخرجه الإمام أحمد.

وكانت رضي الله عنها فقيهة عالمة حافظة فصيحة، وكناها ﷺ بأم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير ﷺ.

أخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «**يا بنيَّة ألا تحبين ما أحب! قالت: بلى، قال: فأحبي هذه**[٤]».

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (١/٣٤٦).

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/٥٧٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٢٠٥).

(٣) رواه أحمد (٦/٢٤٨).

(٤) رواه البخاري (٢/٩١١)، ومسلم (٤/١٨٩١).

وأخرجا أيضًا أنه ﷺ قال: «يا عائشة، هذا جبرائيل يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله[١]».

وأخرجا أيضًا أنه ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام[٢]».

وأخرج الترمذي أن جبرائيل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[٣]».

وهي وخديجة رضي الله عنهما أفضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ أجمعين.

ثم الأصح أن خديجة أفضل لما صحَّ أن عائشة لما قالت له: «قد رزقك الله خيرًا منها، قال: لا والله ما رزقني الله خيرًا منها، آمنت بي حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس[٤]».

ولأنه ﷺ أقرأ عائشة السلام من جبرائيل عليه السلام، وخديجة السلام من الله ﷻ، ماتت رضي الله عنها بالمدينة سنة سبع وخمسين.

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما سنة ثلاث من الهجرة، وطلَّقها ﷺ فأوحى الله تعالى إليه: «أن راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة، وأنها زوجتك في الجنة[٥]»، تُوفيت سنة خمس وأربعين.

ثم أم سلمة هند رضي الله عنها سنة أربع، وكانت من أكمل النساء، ماتت سنة تسع وخمسين، ودُفنت بالبقيع.

ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما سنة ست، زوجها النجاشي لعمرو ابن أمية الضمري، وكيله ﷺ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وبعث بها إليه ﷺ، فدخل بها سنة سبع، ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين.

ثم تزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد زيد، زوجه الله إيَّاها فدخل عليها بغير عقد كما دلَّت عليه الآية، وكان تفخر بذلك على أمهات المؤمنين سنة خمس، وهي

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٧٤)، ومسلم (٣/١٥٠٦).

(٢) رواه البخاري (٣/١٢٥٢)، ومسلم (٤/١٨٨٦).

(٣) رواه الترمذي (٥/٧٠٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/٦).

(٤) رواه أحمد (٦/١١٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/١٣).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٤/١٦)، والطبراني في الكبير (١٨/٣٦٥).

أول من مات منهنّ بعده ﷺ، وصحّ عن عائشة رضي الله عنها: «لم يكن امرأة خيرًا منها في الدين، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأوسع صدقة، وأشد ابتزالاً لنفسها في العمل الذي يتصدَّق به، ويتقرب به إلى الله[1]»، رواه مسلم.

ماتت بالمدينة سنة عشرين رضي الله عنها.

وتزوج بزينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها، وكانت تُسمَّى في الجاهلية أم المساكين؛ لإطعامها إيَّاهم سنة ثلاث، ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر رضي الله عنها.

وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها سنة سبع بعد خيبر، وبنى بها فيه وكان حلالاً.

ورواية محرمًا معناها: أنه في الحرم على أن من خصائصه ﷺ أن له أن ينكح وهو محرمٌ، وماتت فيه سنة إحدى وخمسين، وقبرها به مشهور يُزار ويُتبرَّك به رضي الله عنها.

وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها، وكانت وقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه فكاتبها، وجاءت تسأل النبي ﷺ، وعرَّفته بنفسها، فقال: «هل لك إلى ما هو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابك وأتزوجك، قالت: نعم، فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم من قومها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأينا امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها، أعتق بسببها مائة ألف بيت من بني المصطلق[2]»، أخرجه أبو داود.

وعن ابن شهاب أنه ﷺ اختارها من السبي فحجبها، وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة، تُوفيت سنة خمسين رضي الله عنها.

وتزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها من نسل هارون عليه السلام، وهي من سبي خيبر، أذن ﷺ لدحية في أخذ جارية فأخذها، فقيل له: أعطيته سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فخشي عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوَّجها، وبنى بها وهو راجعٌ إلى المدينة[3].

وفي رواية أنه ﷺ قال لها: «هل لكِ فيَّ؟ قالت: يا رسول الله، إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها حمرة فسألها عنها، فقالت إنها كانت نائمة ورأس زوجها

---

(١) رواه مسلم (١٨٩١/٤)، والنسائي (٢٨١/٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٢/٤)، وأحمد (٢٧٧/٦).

(٣) رواه البخاري (١٤٥/١).

ملكهم في حجرها فرأت قمرًا وقع في حجرها فأخبرته فلطمها، وقال: تتمنين ملك يثرب[(١)]»، ماتت في رمضان سنة خمسين، ودُفنت بالبقيع رضي الله عنها، فهؤلاء نساؤه المجمع عليهنَّ رضوان الله عليهنَّ أجمعين.

***

فصل

في مناقب أهل رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣].

قال ابن حجر المكي: أكثر المفسرين على أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، رضي الله تعالى عليهم أجمعين؛ لتذكير ضمير (عنكم) وما بعده.

ولقوله ﷺ: «أنزلت هذه الآية فِيَّ وفي علي وحسن وحسين[(٢)]»، أخرجه ابن جرير مرفوعًا والطبراني.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنها نزلت في خمسة: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم[(٣)].

ولمسلم أنه ﷺ أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية، وصحَّ أنه ﷺ جعل على هؤلاء كساء وقال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا[(٤)]».

وفي رواية أنه قال بعد تطهيرًا: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم[(٥)]».

وفي أخرى: «ألقى عليهم كساء ووضع يده عليها ثم قال: إن هؤلاء آل محمد،

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٠٨/١١)، والبيهقي في الكبرى (١٣٧/٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٩٤/١٠)، وفتح القدير للشوكاني (٥٦٥/٣).
(٣) رواه أحمد في المسند (١٠٧/٤).
(٤) رواه الترمذي (٦٩٩/٥)، وأحمد في مسنده (٢٩٢/٦).
(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤/٥).

فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميدٌ مجيدٌ[(١)]».

وفي رواية أنه ﷺ ضم إلى هؤلاء بناته وأقاربه وأزواجه، وصحَّ أن أم سلمة قالت: «**يا رسول الله أنا من أهل البيت فقال: بلى إن شاء الله تعالى**[(٢)]».

وأشار المحب الطبري إلى أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ.

وقال بعضهم: نزلت في نسائه؛ لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ [الأحزاب:٣٤]، ونسبه لابن عباس ﷺ، ذهب الثعلبي إلى أن المراد من أهل البيت في الآية جميع بني هاشم، ويؤيده الحديث الحسن أنه ﷺ اشتمل على العباس وبنيه بملاءته، ثم قال: «**يا رب، هذا عمِّي وصنو أبي، هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النَّار كستري إيَّاهم بملاءتي هذه**، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين ثلاثًا[(٣)]».

وقال الفاضل ابن حجر: فالحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون في البيت؛ لأنهم المخاطبون بها، ولما كان أهل البيت النسب قد تخفى إرادتهم منها بيَّن ﷺ ما فعله مع ما مرَّ أن المراد بأهل البيت هنا: ما يعم أهل بيت سكناه كأزواجه، وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب.

وقد ورد عن الحسن: «وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرَّهم تطهيرًا[(٤)]»، فبيت النسب مراد في الآية كبيت السكنى.

ومن ثم أخرج مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ أنه سُئل: أنساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّمت الصدقة عليهم[(٥)].

ثم إن هذه الآية الكريمة منبع فضائل أهل البيت النبوي؛ لاشتمالها على غرر من مآثرهم، والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ(إنما) المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة، وتحريمهم على النار، وهو فائدة ذلك التطهير وغايته، إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى، وإدامة الأعمال الصالحة، ومن ثمَّ لما ذهبت عنهم الخلافة

---

(١) رواه أحمد (٦/٣٢٣)، والطبراني في الكبير (٣/٥٣)، وأبو يعلى في المسند (١٢/٤٥٦).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٢/١٥٠).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٩/٢٦٣).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٣٣٧).

(٥) رواه مسلم (٤/١٨٧٤).

الظاهرة لكونها صارت ملكًا، ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم أن قطب الأولياء في كل زمنٍ لا يكون إلا منهم.

ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض بل والنفل على قولٍ لمالك عليهم؛ لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه، وعوضوا عنها خمس الفيء والغنيمة المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه.

وحكمة ختم الآية بـ(تطهيرًا) المبالغة في وصولهم لأعلاه، وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف، ثم أكَّد ﷺ ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي...**» إلى آخر ما مرَّ، وبإدخاله نفسه معهم في العد؛ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في روايةٍ أنه أدرج معهم جبرائيل وميكائيل إشارة إلى علي قدرهم، وأكده ﷺ أيضًا بطلب الصلاة عليهم بقوله: «**فاجعل صلواتك...**» إلى آخر ما مرَّ.

وأكَّده أيضًا بقوله: «**أنا حرب لمن حاربهم...**» إلى آخر ما مرَّ أيضًا.

وفي رواية أنه قال بعد ذلك: «**ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**[1]».

وفي أخرى: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتَّى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذَوِي قرابتي**[2]»، فأقامهم ﷺ مقام نفسه، ومن ثمَّ صح أنه ﷺ قال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي**[3]».

وألحقوا به أيضًا في قصة المباهلة في آية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، فغدا ﷺ محتضنًا الحسن، آخذًا بيد الحسين، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في آية المباهلة، كما أنهم من جملة المراد بآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل ذوي القربى جميع آله ﷺ وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، وخبر إلى كل مؤمن تقي ضعيف بالمرة انتهى.

---

(١) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٥٥/٧)، وابن حجر في الإصابة (٦٣٥/٧).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٥/٧)، وفي الأوسط (٥٩/٦)، والبيهقي في الشعب (١٨٩/٢)، بنحوه.

(٣) رواه الترمذي (٦٦٢/٥)، والطبراني في الكبير (٦٦/٣).

قال الزمخشري في الكشاف: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١].

لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء: أي وهم عليّ وفاطمة والحسنان؛ لأنه لما نزلت دعاهم رسول الله ﷺ فاحتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها، فعلم أنهم المراد من هذه الآية.

وإن أولاد فاطمة رضي الله عنها وذريّتهم يسمُّون أبناءه، ويُنسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة انتهى.

وأخرج البزار وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها وذريتها عن النار[1]».

والترمذي عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه في أن يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سبط شباب أهل الجنة[2]».

وابن ماجه والحاكم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نحن ولد عبد المطلب، سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين والمهدي[3]».

والحاكم عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك[4]».

وفي رواية البزار عن ابن عباس ﷺ، وعن ابن الزبير ﷺ، وللحاكم عن أبي ذر ﷺ أيضًا: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح مَنْ ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق[5]».

والطبراني عن ابن عمر ﷺ: «أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، ثم الأنصار، ثم مَنْ آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، ومن أشفع له أولاً أفضل[6]».

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/١٨٨)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه ابن ماجه (٢/١٣٦٨)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٣٣)، والديلمي في الفردوس (١/٥٣).
(٤) رواه الطبراني في الصغير (١/٢٤٠).
(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٧٣)، والطبراني في الأوسط (٦/٨٥).
(٦) رواه الطبراني في الكبير (١٢/٤٢١)، وابن عدي في الكامل (٢/٣٨٢).

والطبراني والحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال: «**سألت ربي ألا أتزوج إلى أحدٍ، ولا يتزوج إليَّ أحد من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك**[١]».

وأبو القاسم في أماليه عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ وقال: «**سألت ربي ألا يدخل أحدًا من أهل بيتي النار فأعطاني**[٢]».

وأبو علي عن سلمة بن الأكوع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي**[٣]».

والحاكم عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ: «**وعدني ربي في أهل بيتي من أقرَّ منهم لله بالتوحيد ولي بالبلاغ ألا يعذبهم**[٤]».

والطبراني عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليُّهم وأنا عصبتهم**[٥]».

والطبراني عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا عصبتهم، وأنا أبوهم**[٦]»، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

***

فصل

في الحث على محبَّتهم والتحذير عن بغضهم ومعاداتهم

رضي الله عنهم ونفعنا بهم

قال الله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهم أن هذه الآية لما نزلت قالوا: «**يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وُجبت علينا**

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦/٥٠)، والحاكم في المستدرك (٣/١٤٨).
(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٢/٣١٠).
(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧/٢٢)، والحكيم الترمذي في النوادر (٣/٦١).
(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٦٣)، والديلمي في الفردوس (٤/٣٨٢).
(٥) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/٤٢٣).
(٦) رواه الطبراني في الكبير (٣/٤٤).

مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما[(١)]».

وأبو الشيخ وغيره عن عليٍّ ﷺ قال: فينا آل محمد نزلت آية، لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمنٍ، ثم قرأ: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

والبزار والطبراني عن الحسن ﷺ أنه خطب خطبة من جملتها:

«من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد، ثم تلا:

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [يوسف:٣٨]، ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، ثم قال: وأنا من أهل البيت الذي افترض الله ﷻ مودتهم وموالاتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ:

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣][(٢)]».

وفي رواية: «الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم.

وأنزل فيهم: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ [الشورى:٢٣]، واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت[(٣)]».

وصحَّ أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النَّار[(٤)]».

وأخرج الإمام أحمد مرفوعًا: «مَنْ أبغض أهل البيت فهو مُنافِقٌ[(٥)]».

وأخرج هو والترمذي عن جابر ﷺ: «ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليًّا[(٦)]».

وصحَّ أنه ﷺ قال:

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله ﷻ، وأحبوا أهل البيت لحبي[(٧)]».

وأخرج البيهقي وأبو الشيخ والديلمي أنه ﷺ قال:

«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من نفسه،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣/٤٧)، (١١/٤٤٤).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٣٣٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٨٨).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١٥/٤٣٥)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٢).

(٥) رواه ابن عدي في الكامل (٤/١٤٠).

(٦) رواه الترمذي (٥/٦٣٥)، والطبراني في الأوسط (٢/٣٢٨).

(٧) رواه الترمذي (٥/٦٦٤)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/١٤٩).

ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته[١]».

والديلمي أنه ﷺ قال: «**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن[٢]**».

وصحَّ أن العباس ﷺ شكا إلى رسول الله ﷺ ما يلقون من قريش من تعب وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب ﷺ غضبًا شديدًا حتى احمرَّ وجهه وعرق بين عينيه، وقال: «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله[٣]**».

وفي رواية صحيحة أيضًا:

«**ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني[٤]**».

وفي أخرى: «**والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا، ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله، أترجوا مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب[٥]**».

وفي أخرى: «**لن تبلغوا خيرًا حتى يحبوكم لله ولقرابتي[٦]**».

وفي أخرى: «**لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب![٧]**».

وقدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة فقيل لها: لا تغنِ عنكِ هجرتك؛ أنتِ بنت حطب النار، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فاشتدَّ غضبه، ثم قال على منبره: «**ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي، ألا ومَنْ آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٨]**».

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أحبني**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦/٥٩)، والبيهقي في الشعب (٢/١٨٩)، والديلمي في الفردوس (٥/١٥٤).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦٥٢)، والنسائي (٥/٥١).

(٤) رواه ابن ماجه (١/٥٠)، والحاكم في المستدرك (٤/٨٥).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٥/٣١٦) بنحوه.

(٦) رواه الطبراني في الكبير (١١/٤٣٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٨٢).

(٧) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٣٧٣).

(٨) رواه ابن عدي في الكامل (٧/٢٦٢).

وأحب هذين وأباهما وأمهما، يعني حسنًا وحسينًا وعليًا وفاطمة، كان معي في درجتي يوم القيامة[١]».

وأخرج الإمام أيضًا والحاكم عن المسورة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وصهري[٢]**».

وأخرج الديلمي عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اشتدَّ غضب الله على من آذاني في عترتي[٣]**».

وورد أنه ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يُنسأ له في أجله وأن يمتع بما خوَّله الله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره، وورد عليَّ يوم القيامة مسودًّا وجهه[٤]**».

وخرَّج ابن عساكر عن عليّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صنع إلى أهل بيتي يدًا كافأته عليها يوم القيامة[٥]**».

والخطيب عن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صنع صنيعة إلى أحدٍ من خلف عبد المطلب في الدنيا فعليَّ مكافأته إذا لقيني[٦]**».

وعن ابن عساكر عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني قد آذى الله تعالى[٧]**».

وابن عدي والديلمي عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أثبتكم على الصراط أشدكم حبًّا لأهل بيتي ولأصحابي[٨]**».

قال الإمام الشافعي ﷺ:

يَـــا أهل بيتِ رسول الله حُبكم فــــرضٌ مِـــن اللهِ في القرآن أنْزَلَهُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٣٠٢/٦) بنحوه.

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (١٧٥/٢).

(٥) رواه ابن عدي في الكامل (٢٤٣/٥).

(٦) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٠٣/١٠).

(٧) ذكره المناوي في فيض القدير (١٨/٦).

(٨) رواه ابن عدي في الكامل (٣٠٢/٦).

يكفيكم من عظيم القدر أنكم   من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لَهُ

صلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وصحبه وسلم تسليمًا.

***

فصل

فيما جاء عن الصحابة والتابعين والسلف الصالحين من تعظيمهم وتبجيلهم وتوقيرهم واحترامهم لأهل البيت المطهرين، وعظم محبّتهم لهم، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلَيَّ من أن أصل قرابتي**[1]».

وفي رواية: «**أحب إلَيَّ من قرابتي**[2]».

وفي أخرى: «**والله لئن أصِلكُم أحبُّ إلَيَّ مِنْ أن أصل قرابتي؛ لقرابتكم من رسول الله ﷺ، ولعظم الذي جعله الله له على كل مسلمٍ**[3]»، وهذا قاله ﷺ على سبيل الاعتذار لفاطمة الزهراء رضي الله عنها من منعه إيَّاها ما طلبته من تركة النبي ﷺ.

وأخرج البخاري أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «**ارقبوا محمد ﷺ في أهل بيته**[4]».

وصحَّ عنه ﷺ أنه حمل الحسن على عنقه مع ممازحة لعلي ﷺ؛ لقوله وهو حاملٌ له:

بأبي شبيه بالنبي   ليس شبيهًا بعليّ

وعليّ يضحك[5]، ويوافقه قول أنس ﷺ كما في البخاري: «**لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن**[6]»، لكنه قال ذلك في الحسين أيضًا، وطريق الجمع بينهما قول عليّ ﷺ كما خرجه الترمذي وابن حبان عنه ﷺ: «**الحسن أشبه رسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك**[7]».

وأخرج الدارقطني: «أن الحسن جاء إلى الصدِّيق رضي الله عنهما وهو على منبر

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٦٠)، ومسلم (٣/١٣٨٠).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في فضائل الصحابة (١/٣٦٢).

(٣) رواه البخاري (٤/١٤٨١) بنحوه.

(٤) رواه البخاري (٣/١٣٦١).

(٥) رواه أحمد (١/٨)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١/١٣٩).

(٦) رواه البخاري (٣/١٣٧٠).

(٧) رواه الترمذي (٥/٦٦٠)، وأحمد (١/٩٩).

رسول الله ﷺ وقال: انزل عن مجلس أبي، فقال: صدقت والله لمجلس أبيك، ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى، فقال عليٌّ ﷺ: والله ما كان عن رأيي، فقال: صدقت ما اتهمتك[١]».

فانظر لعظم محبة أبو بكر ﷺ وتعظيمه وتوقيره للحسن ﷺ، حيث أجلسه على حجره وبكى، ووقع للحسين ﷺ نحو ذلك مع عمر ﷺ وهو على المنبر فقال له:

منبر أبيك لا منبر أبي، فقال عليٌّ ﷺ: والله ما أمرت بذلك، فقال عمر ﷺ: والله ما اتهمتك، زاد ابن سعد أنه أخذه فأقعده إلى جنبه وقال: وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك؟[٢]: أي أن الرفعة ما نِلْنَاها إلا به.

وأخرج العسكري عن أنس ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل عليّ فسلَّم ثم وقف ينظر موضعًا يجلس فيه، فنظر النبي ﷺ في وجوه الصَّحابة أيُّهم يوسع له، وكان أبو بكر ﷺ عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بين النبي ﷺ وبين أبي بكر ﷺ، فعرف السرور في وجه النبي ﷺ، وقال: «**يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل**[٣]».

وأخرج ابن شاذان عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر ﷺ فعل نظير ذلك مع العباس ﷺ، فقال له النبي ﷺ ذلك، وتأسَّى في ذلك به ﷺ.

فقد أخرج البغوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ عمه العباس أمرًا عجيبًا**[٤]».

وأخرج الدارقطني أنه ﷺ كان إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه، وكان سر رسول الله ﷺ، فإذا جاء العبَّاس بن عبد المطلب تنحَّى أبو بكر وجلس العباس مكانه.

وأخرج ابن عبد البر أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون للعباس ﷺ فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه ﷺ، وكان الصدِّيق ﷺ يكثر النظر إلى وجه عليّ ﷺ، فسألته عائشة رضي الله عنها، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**النظر إلى وجه**

---

(١) ذكره أبو جعفر الطبري في الرياض النضرة (١١٩/٢).

(٢) رواه الدارقطني في العلل (١٢٥/٢).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٠٥/٣)، والديلمي في الفردوس (٣٤٣/١).

(٤) رواه أحمد (١١٨/٦)، والحاكم في المستدرك (٢٢٥/٤).

عليّ عبادة[١]».

ولما جاء هو وعلي رضي الله عنهما لزيارة قبره ﷺ بعد وفاته بستة أيام قال عليّ: تقدَّم يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رِجلاً؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول فيك: «**عليّ مني كمنـــزلتي من ربِّي**[٢]». أخرجه ابن السمان.

وأخرج الدارقطني عن الشعبي قال: بينما أبو بكر جالس إذ طلع عليٌّ ﷺ، فلما رآه قال: «**مَنْ سرَّه أن ينظر إلى أعظم الناس منـــزلةً، وأقربهم قرابةً، وأفضلهم حالةً، وأعظمهم غنى عند رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا الطالع**[٣]».

وأخرج الدارقطني أيضًا أن عمر ﷺ رأى رجلاً يقع في عليٍّ ﷺ فقال: «ويحك أتعرف أن عليًّا هذا ابن عمه! وأشار إلى قبره ﷺ، ما آذيت إلاّ هذا في قبره».

وفي رواية: «**فإنك إن أبغضته آذيت هذا في قبره**[٤]».

وأخرج الدارقطني أيضًا عن ابن المسيب قال: قال عمر ﷺ: «تحببوا إلى الأشراف وتودَّدوا، واتَّقوا على أعراضكم من السُّفلة، واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي ﷺ».

وفي البخاري أن عمر ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعبَّاس فقال: «اللَّهُمَّ إنَّا كنا نتوسل إليك بنبينا محمدٍ إذا قحطنا فتُسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينًا فاسقنا فيُسقون[٥]».

وفي تاريخ دمشق أن الناس كرَّروا الاستسقاء عام الرَّمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا، فقال عمر: لأستسقين غدًا بمن يسقيني الله به، فلمَّا أصبح غدا للعباس فدقَّ عليه الباب فقال: من؟ فقال: عمر، قال: ما حاجتك؟ فذكر له، قال: اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه، فأخرج لهم طيبًا فطيَّبهم، ثم خرج وعليّ أمامه بين يديه، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره، وقال: يا عمر لا تخلط بنا غيرنا، ثم أتى المصلى، فوقف فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وقال:

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠/٧٦)، والحاكم في المستدرك (٣/١٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٥٨).

(٢) رواه الطبري في الرياض النضرة (٢/٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في فضائل الصحابة (٢/٦٤١).

(٥) رواه البخاري (١/٣٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/٣٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٥٢).

اللَّهُمَّ إنك خلقتنا ولم تؤامرنا، وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا، اللَّهُمَّ فكما تفضَّلت علينا في أوّله فتفضل علينا في آخره، قال جابر ﷺ: فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحًّا، فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضًا، فقال العباس: أنا المسقي، ابن المسقي، ابن المسقي، ابن المسقي، ابن المسقي، ابن المسقي، خمس مرات؛ إشارة إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات.

وأخرج الحاكم أن عمر ﷺ لمّا استسقى بالعبّاس خطب فقال: «**يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الوَلَدُ لوالده، يعظمه ويفخمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمِّه العباس، فاتخذوه وسيلة إلى الله ﷻ فيما نزل بكم**[(١)]».

وأخرج ابن عبد البر من وجوه عن عمر ﷺ أنه لما استسقى به قال: «**اللَّهُمَّ إنَّا نتقرب إليك بعمِّ نبيك، ونستشفع به، فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصالح أبيهما، وأتيناك مستغفرين ومستغيثين الخبر بتمامه**[(٢)]».

وأخرج ابن عبد البر أيضًا أن العباس لم يمر بعمر وعثمان راكبين إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً لعم رسول الله ﷺ أن يمشي وهما راكبان[(٣)]، رضي الله عنهم أجمعين.

وأخرج الزبير بن بكار عن ابن شهاب: أن أبا بكر وعمر زمن ولايتهما كانا لا يلقاه واحد منهما راكبًا إلا نزل وقاد دابته، ومشى معه حتى يبلغ منــزله أو مجلسه فيفارقه.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن عمر ﷺ لما أراد أن يفرض للناس قالوا له: ابدأ بنفسك فأبى، وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ، فلم يأتِ قبيلته إلا بعد خمس قبائل، وفرض للبدريين خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلامًا، ولمن يشهد بدرًا خمسة آلاف، وللعباس اثني عشر ألفًا، وللحسنين كأبيهما لكل واحدٍ اثني عشر ألفًا، ومن ثم قال ابن عباس: أنه كان يحبُّهما لأنه فضَّلهما في العطاء على أولاده.

وأخرج الدارقطني: أنه قال لفاطمة الزهراء: «ما في الخلق أحدٌ أحبُّ إلينا من أبيك، وما أحد أحبُّ إلينا منك بعد أبيك[(٤)]».

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٧٧).

(٢) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٤٣٤).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (١/١٩٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٤٣٢)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٤٠١).

وأخرج أيضًا أن عمر ﷺ سأل عن علي ﷺ فقيل له: ذهب إلى أرضه، فقال: اذهبوا بنا إليه، فوجدوه يعمل فيها، فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون، فقال له علي ﷺ: يا أمير المؤمنين أرأيت لو جاءك قومٌ من بني إسرائيل فقال لك أحدهم: أنا ابن عم موسى أكانت له عندك ثروة على أصحابه، قال: نعم، قال: فأنا والله أخو رسول الله وابن عمه، قال: فنــزع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلس غيره حتى نفترق، فلم يزل جالسًا عليه حتى تفرقوا، وذكر علي ﷺ ذلك إعلامًا بأن ما فعله معه من محبَّته إليه، وعمله معه في أرضه وهو أمير المؤمنين، إنما كان لقرابته من رسول الله ﷺ، فزاد عمر في إكرامه وأجلسه على ردائه.

وأخرج أيضًا أن الحسن استأذن على عمر فلم يؤذن له، فجاء عبد الله بن عمر فلم يؤذن له، فمضى الحسن فقال عمر: عَلَيَّ به، فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قلت: إن لم يؤذن لعبد الله لا يؤذن لي، فقال: أنت أحق بالإذن منه، وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلا أنتم؟ [(١)].

وفي رواية: قال له: إذا جئت فلا تستأذن.

وأخرج أيضًا أنه جاءه أعرابيان يختصمان، فأذن لعليٍّ في القضاء بينهما فقضى، فقال أحدهما: أهذا يقضي بيننا! فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك أتدري من هذا؟! هذا مولاي ومولى كل مؤمنٍ، ومن لا يكن مولاه فليس بمؤمنٍ.

وأخرج الإمام أحمد أن رجلاً سأل معاوية ﷺ عن مسألة فقال: اسأل عنها عليًّا ﷺ فهو أعلم، فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلَيَّ من جواب عليٍّ ﷺ، فقال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يعزَّه بالعلم عزًّا.

ولقد قال: «أنت مني بمنــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[(٢)]».

وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ عنه، وأخرجه آخرون بنحوه، لكن زاد بعضهم: لا أقام الله رجليك، ومحي اسمه من الديوان، ولقد كان عمر يَسْأَلَهُ ويأخذ عنه، ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال: ها هنا علي.

وصلَّى زيد بن ثابت ﷺ على جنازة أمه كما قاله ابن عبد البر، فقرِّبت بغلته ليركبها فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس ﷺ: هكذا

(١) رواه الدارقطني في العلل (١٢٥/٢).
(٢) رواه مسلم (١٨٧٠/٤)، والترمذي (٦٤٠/٥).

نفعل بالعلماء؛ لأنه كان يأخذ العلم عنه، فقبَّل زيد ﷺ يده وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينًا ﷺ[١].

وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يأتي لبيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث، فيجده قائلاً فيتوسَّد رداءه فتسفي الريح التراب على وجهه، فإذا خرج وراءه قال: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك ألا أرسلت إلَيَّ فآتك فيقول: لا أنا آتيك.

وحجَّ معاوية فكان له موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

وقال أبو بكر بن عيَّاش، كما في الشفاء: ولو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة عليّ قبلهما؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، ودخل عبد الله بن الحسن المغني بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز، وهو حديث السن، وله وفرة، فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه، فقال: إن الثقة حدّثني حتى لكأني أسمعه من في رسول الله ﷺ: «**إنما فاطمة بضعة مني يسرّني ما يسرُّها**[٢]»، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيَّة لسرَّها ما فعلت بابنها، ولما دخلت عليه فاطمة بنت عليّ ﷺ وهو أمير المدينة أخرج من عنده، وقال لها: ما على وجه الأرض أهل بيت أحبّ إلَيَّ منكم، ولا أنتم أحب إلَيَّ من أهل بيتي.

وأخرج الخطيب أن الإمام أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخٌ، أو حدث من قريش، أو الأشراف قدمهم بين يديه، وخرج وراءهم، وكان الإمام أبو حنيفة يعظِّم أهل البيت كثيرًا، ويتقرَّب بالإنفاق على المستترين منهم والظاهرين، حتى قيل أنه بعث إلى مستترٍ منهم باثني عشر ألف درهم،.

وكان يحضُّ أصحابه على ذلك، ولمّا ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة الإمام مالكاً، ونال منه حُمل مغشيًا عليه، ولما أفاق قال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حلٍّ، ثم سُئل فقال: خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ وأستحي منه أن يُدخل آله النار بسببي.

ولما قدم المنصور المدينة أقاده من جعفر فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط إلا وقد جعلته في حلٍّ؛ لقرابته من رسول الله ﷺ.

ولمبالغة الإمام الشافعي فيهم صرَّح بأنه من شيعتهم رضي الله عنهم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/١٠٧).

(٢) تقدم تخريجه.

قال البيهقي: ولما نسبه الخوارج إلى الرفض صدًا وبغيًا قال ﷺ:

يا راكبًا قِفْ بالمحصّب من مِنَى ... واهتفْ بساكن خيفها والنّاهض
سحرًا إذا فاضَ الحجيج إلى مِنَى ... فيضًا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضًا حبُّ آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أني رافض

وقال له المزني ﷺ: إنك رجلٌ توالي أهل البيت، فلو عملت في هذا الباب أبياتًا.
فقال ﷺ:

وما زال كتمانيك حتى كأنني ... بردِّ جواب السائلين بأعجم
وأكتم ودِّي مع صفاء مودتي ... لتسلم من قول الوشاة وأسلم

قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي في كتابه المُسمَّى بالصواعق:

ثم اعلم أن هذا النسب العليّ نافعٌ في الدنيا والآخرة، وأنه ممّا يحق الافتخار به عند ذوي العقول في الدنيا.

فقد صحَّ عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] أن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن معه في درجته يوم القيامة وإن كانوا دونه في العمل(١).

وصحَّ عنه أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ [الكهف:٨٢].

قال: حفظًا بصلاح أبيهما، وما ذكر عنهما صلاحًا(٢).

وقال سعيد بن جبير: يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجي؟ فيُقال له: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة، ثم قرأ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣]، فإذا نفع الأب الصالح مع أنه التابع كما قيل في الآية وعم الذرية، فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى ذريته الطيبة الطاهرة المطهَّرة! وقد قيل أن حمام الحرم إنما أكرم؛ لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه ﷺ عند خروجه من مكة في الهجرة، فما ظنك بذرية الزهراء البتول التي هي حشاشة كبده، وبضعة من جسده ﷺ.

وقد حكى التقي الفاسي عن بعض الأئمة: أنه كان يبالغ في تعظيم شرفاء المدينة النبوية ﷺ على مشرفهم ومشرفها، وسبب تعظيمه لهم أنه كان منهم شخص اسمه مطيِّر،

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٢٧/٢٤).
(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١/١١٢).

مات فتوقف عن الصلاة عليه لكونه كان يلعب بالحمام.

فرأى النبي ﷺ في النوم ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه، فاستعطفها حتى أقبلت عليه، وعاتبته قائلةً له: ما يسع جاهنا مطيرًا.

وحُكي أيضًا في ترجمة الشريف أبي محمد بن أبي سعيد حسن بن علي بن قتادة الحسني: أنه لما مات امتنع عفيف الدين الدّلامي عن الصلاة عليه، فرأى في المنام فاطمة وهي بالمسجد الحرام والناس يسلِّمون عليها، وأنه رام السلام عليها فأعرضت عنه ثلاث مرات، فتحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنه، فقالت: يموت ولدي ولا تصلي عليه، فتأدب، واعترف بظلمه بعدم الصلاة.

وحكى التقي المقريزي عن يعقوب المغربي أنه كان بالمدينة النبويَّة في رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة، فقال له الشيخ العابد محمد الفاسي وجهًا بالروضة المكرَّمة:

إني أبغض أشراف مكة والمدينة بني الحسين؛ لتظاهرهم بالرفض، فرأيت وإذا أنا تجاه القبر الشريف رسول الله ﷺ وهو يقول:

«يا فلان باسمي ما لي أراك تبغض أولادي؟ فقلت: حاشا لله ما أكرههم وإنما كرهت ما رأيت من تعدّيهم على أهل السُّنة، فقال لي مسألة فقهية: أليس الولد العاق يُلحق بالنسب؟! فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: هذا ولدٌ عاقٌ، فلما انتبهت صرت لا ألقى من بني الحسين أحدًا إلا بالغت في إكرامه».

و حُكي أيضًا عن الرئيس الشمس العمري قال: سار الجمال محمود العجمي المحتسب بين نوَّابه وأتباعه وأنا معه إلى بيت السيد عبد الرحمن الطباطبي، فاستأذن عليه فخرج وعظم عليه مجيء المحتسب إليه، فقال له: يا سيدي جالسني، قال: مماذا يا مولانا؟ قال: إنك لما جلست البارحة عند السلطان الظاهر برقوق فوقي عز عليَّ، وقلت: كيف يجلس هذا فوقي؟ فلمَّا كان الليل رأيت في منامي النبي ﷺ فقال: «يا محمود أتأنف أن تجلس تحت ولدي». فبكى الشريف عند ذلك، وقال: يا مولانا من أنا حتى يذكرني النبي ﷺ وبكى الجماعة ثم سألوه الدعاء لهم، وانصرفوا.

وحكى التقي ابن فهد الحافظ المكي، قال: جاءني الشريف عقيل بن هبيل، وهو من الأمراء الهواشم فسألني عشاء، فاعتذرت إليه ولم أفعل، فرأيت النبي ﷺ في تلك الليلة فأعرض عني، فقلت: كيف تعرض عني يا رسول الله وأنا خادم حديثك؟ فقال: «كيف لا أعرض عنك ويأتيك ولدٌ من أولادي يطلب العشاء فلم تعشه»! قال: فلمَّا أصبحت جئت الشريف واعتذرت إليه، وأحسنت إليه بما تيسَّر.

وحكى الجمال عبد الغفار الأنصاري عن أم نجم الدين مطروح، وكانت من الصالحات قالت: حَصَلَ لنا غلاء بمكة أكل الناس فيه الجلود، وكنّا ثمانية عشرة نفسًا فكنّا نعمل مقدار قدح نكتفي به، فجاءنا أربعة عشرة قطعة من الدقيق، ففرّق زوجي عشرة على مكة، وأبقى لنا أربعة، فنام فانتبه يبكي، فقلت له: ما بالك؟ قال: رأيت الساعة فاطمة الزهراء وهي تقول لي: «يا سراج تأكل البُر وأولادي جياع».

فنهض وفرّق ما بقي على الأشراف، وبقينا بلا شيءٍ، وما كنا نقدر على القيام من الجوع.

وحكى المقريزي عن العز بن المعز قاضي الحنابلة، وكان من جلساء الملك المؤيّد، أنه رأى كأنه بالمسجد النبوي وكأن القبر الشريف انفتح، وخرج النبي ﷺ وجلس على شفيره وعليه أكفانه، وأشار إليَّ بيده، فقمت إليه حتى دنوت منه، فقال لي: قل للملك يُفرّج عن عجلان، يعني ابن نفير أمير المدينة، وكان محبوسًا سنة اثنين وعشرين وثمانمائة، قال: فصعدت للمؤيد وأخبرته، وحلفت له أنّي ما رأيت عجلان هذا قط، فلمّا انقضى المجلس قام بنفسه إلى النشّاب، ثم استدعى عجلان من البرج وأخرجه من الحبس وأحسن إليه.

قال التقي المقريزي: وعندي عدة حكايات صحيحة مثل هذه في حق بني الحسن وبني الحسين، فإيَّاك والوقيعة فيهم وإن كانوا على أي حالةٍ؛ لأن الولد ولد على كل حالٍ صلح أو فجر.

قال: ومن غريب ما اتفق عليه أن السلطان رفضه ولم يعينه كحل الشريف مطروح ابن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبي عزيز بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني حتى تفقأت حدقتاه وسالتا، وورم دماغه وأنتن، فتوجّه بعد مدة من عمان إلى المدينة، ووقف عند القبر المكرّم وشكا ما به.

وبات تلك الليلة فرأى النبي ﷺ فمسح عينيه الشريفة فأصبح وهو يبصر، وعيناه أحسن ما كانتا، واشتهر ذلك في المدينة، ثم قدم القاهرة فغضب السلطان ظنًّا منه أن من أكحله خانه، فأقيمت عنده البيِّنة العادلة بأنهم شاهدوا حدقتيه سائلتين، وأنه قدم المدينة أعمى ثم أصبح يبصر، وحكى رؤياه فسكن السلطان.

قال: وأخبرني بعض الأشراف الصالحين ممن أجمع على صحة نسبه وصلاحه وصلاح آبائه، قال: كنت بالمدينة الشريفة فرأيت شريفًا عند مكاس يأكل من طعامه، ويلبس من ثيابه، فاشتدَّ إنكاري على ذلك الشريف، وساء اعتقادي فيه، فبتُّ عقب ذلك فرأيت

النبي ﷺ جالسًا في مجلسٍ حافل، والناس محيطون به صفًا وراء صفٍّ، وأنا في جملة الواقفين من داخل الحلقة، وإذا أنا أسمع قائلاً يقول: أحضروا الصّحف، وإذا بأوراق على هيئة ما يُكتب فيها مراسم السلطان حتى جيء بها، ووُضعت بين يدي النبي ﷺ، ووقف إنسانٌ بين يدي النبي ﷺ يعرضها عليه ثم يعطيها لأربابها، كل من طلع اسمه يُعطى صحيفته، قال: فأول صحيفة عظيمة أُخرجت، وإذا بذلك الشريف الذي أنكرت عليه يُنادى باسمه، فخرج من حشو الحلقة حتى انتهى بين يدي النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ بأن تُعطى صحيفته، فأخذها وولّى فرحًا مسرورًا، قال: فذهب عن قلبي جميع ما كان فيه على ذلك الشريف، واعتقدت فيه، وعلمت بتقديمه على سائر الحاضرين: أي وبان أن أكله من طعام ذلك المكاس إنما هو للضرورة التي يحل معها أكل الميتة.

ومن ذلك ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحهم، أنه لما وقع من أمر الحاج الفاجر المذموم ما سوّلت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد بن نمي ليقتله هو وأولاده في ساعةٍ واحدةٍ، أعاذهم الله من ذلك، وذلك في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

قال ذلك الشريف: فخرجت في تلك الأيام إلى جدة، وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين، فلما قربت من جدة قبيل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يُفتح سورها، فرأيت في النوم النبي ﷺ ومعه عليٌّ ﷺ وفي يده عصا معوجة الرأس، كأنه يضرب به الشريف ابن نمي، ويقول: أخبره أنه لا يبالي بهؤلاء، وأن الله ينصره عليهم، قال: فما مضت إلا مدة يسيرة وإذا بالخبر قد أتى من باب السلطان بغاية الإجلال والتعظيم للشريف، ونصره الله تعالى على عدوه.

وأخبرني بعض الناس أنه رأى في تلك الشدة السيِّد بركات والد أبي نمي، وكان السيد بركات مترجمًا بالولاية، راكبًا فرسًا عظيمة ومعه السيد الجليل عبد القادر الكيلاني على فرسٍ أخرى، فقال له: يا مولانا السيد بركات، إلى أين تذهب في هذه المهمة العظيمة فقال: إلى نصرة أبي نمي، وكانت تلك موافقة لهجوم ذلك الفاجر.

فخذله الله تعالى وخيبه، ورأى الناس في هذه الواقعة العجيبة الغريبة من المنامات الشاهدة بسلامة الشريف أبي نمي وأولاده ما لا يُحصى، فالحمد لله على ذلك.

وأخبرني بعضهم أن بعض صلحاء اليمن حجَّ بعياله في البحر، فلما وصلوا جدة فتشهم المكاسون حتى ثياب النساء، فاشتدَّ غضبه فتوجَّه إلى الله تعالى في صاحب مكة السيد محمد بن بركات، فرأى النبي ﷺ وهو معرضٌ.

فقال: لِمَ ذا يا رسول الله؟ فقال: ما رأيت في الظلمة من هو أظلم من ابني، فانتبه مرعوبًا وتاب إلى الله تعالى ألا يتعرض لأحدٍ من الأشراف وإن فعل ما فعل.

وحكى بعض الصالحين أن فاجرًا في مصر أخذ شريفة قهرًا ليفجر بها، وكان أخصَّ الناس بالسلطان وأقربهم عنده، قال: فتحيرت؛ لأن العشاء قد صليت، ولم يبقَ إلا الإقدام على ذلك الأمر.

فتوجَّهت إلى الله تعالى، وتوسلت ببعض الصالحين، فلم يمضِ إلا يسيرًا وإذا الطلب جاء إليه من السلطان فأخذوه، وسُلمت الشريفة، وكان في تلك الأخذة هلاك ذلك الفاجر عاجلاً ببركة الشريفة.

وحكى بعض طلبة العلم أن إنسانًا بمدينة فاس ثبت عليه القتل، فأمر القاضي ليُقتل، فأرسل السلطان وهو يقول للقاضي: لا تقتله؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: لا تقتلوه، فقال القاضي: لا بدَّ من قتله، فأراده في اليوم الثاني.

فأرسل السلطان يقول: رأيت النبي ﷺ ثانيًا قائلاً ذلك، فلم يسمع القاضي، وأراد قتله في اليوم الثالث، فأرسل السلطان يقول: رأيت النبي ﷺ قائلاً ذلك ثلاثًا.

فبلغ القاضي فقال: لا نترك حكم الشرع بمنامٍ وإن تكررّه، فذهب به ليقتله، وإذا إنسان يبرز للولي الدم، وقد كان الناس عجزوا فيه أن يعفو فلم يعف، فبمجرد أن كلمه فيه عفى، فبلغ السلطان فأمر بالرجل فأُحضر إليه فقال: اصدقني ما شأنك؟ قال: نعم، قتلت من أثبت عليَّ قتله، لكني كنت إنا وهو على شربٍ فأراد أن يفجر بشريفة، فمنعته فلم يمتنع عنها إلا بقتله، فقتلته دفعًا عن الزِّنا بها، فقال له السلطان: صدقت لولا ذلك ما رأيت النبي ﷺ ثلاث مرات وهو يقول لي: لا تقتلوه.

وروى النجم بن فهد والمقريزي أن بعض القُرَّاء كان إذا خلا بقبر تيمورلنك قرأ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ ، ٣١]، وكررَّها قال: فبينما أنا نائمٌ رأيت النبي ﷺ وهو جالسٌ وتيمورلنك إلى جانبه، قال: فنهرته وقلت: إلى هنا يا عدو الله، وأردت أن آخذه بيده وأقيمه من جانب النبي ﷺ، فقال: النبي ﷺ: «دعه فإنه كان محبًا لذريتي» فانتبهت فزعًا، وتركت القراءة على قبره في الخلوة.

وحكى الجمال المرشدي والشهاب الكوراني أن بعض أولاد تيمورلنك أخبر أنه لما مرض تيمور مرض الموت اضطرب في بعض الأيام اضطرابًا شديدًا، واسودَّ وجهه، وتغيَّر لونه ثم أفاق، فذكروا ذلك له، فقال: إن ملائكة العذاب أتوني، فجاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: «اذهبوا عنه فإنه كان يحب ذريتي ويحسن إليهم».

وإذا نفع حبهم هذا الظالم الذي لا أظلم منه فكيف بغيره.

ثم إنه قد علم من الأحاديث السابقة وجوب محبَّة أهل البيت.

وتحريم بغضهم التحريم الغليظ، وبلزوم محبّتهم، صرَّح البيهقي والبغوي أنها من فرائض الدين.

بل نصَّ عليه الإمام الشافعي ﷺ بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكم   فرض من الله في القرآن أنزله

وفي كتاب توثيق عرى الإيمان للبارزي عن الإمام الحولي ما حاصله:

أن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة بمحبته ﷺ.

ثم محبة ذريته؛ لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة.

ثم محبَّة أولاد العشرة المبشرين بالجنة.

ثم بقية الصحابة، وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم بالأمس لو رأوهم.

وينبغي الإغضاء عن انتقادهم، ومن ثَمَّ ينبغي أن الفاسق من أهل البيت المطهَّر لبدعةٍ أو غيرها إنما تُبغض أفعاله لا ذاته؛ لأنها بضعة منه ﷺ وإن كان بينه وبينها وسائط.

وأخرج أبو سعيد في شرف النبوة وابن المثنى أنه ﷺ قال: «**يا فاطمة إن الله تعالى يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**(١)».

فَمَنْ آذى أحدًا من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم؛ لأنه أغضبها، ومن أحبَّهم فقد تعرَّض لرضاها.

وإذا صرَّح العلماء بأنه ينبغي إكرام سكان بلده ﷺ وإن تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعايةً لحرمة جواره الشريف.

فما بالك بذريته الطيبين الطاهرين، الذين هم بضعةٌ منه ﷺ، عليه وعليهم أجمعين صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

ولله در القائل:

والبيت آل محمد   في عالم الذرّ المشهود
ورضعت ثدي خلوصهم   من كنت طفلاً في المهود
عهدًا على حبِّهم   في قلب خال من كنود
لمّا سعى التوفيق لي   أني وفيت بالعهود

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٨/١)، والحاكم في المستدرك (١٦٧/٣).

وقال الشيخ عمر بن الفارض في آخر قصيدة اليائية:

ذهب العمر ضياعًا وانقضى باطلاً إن لم أفز منكم بشي
غيرَ ما أوليت من عقدي ولا عِترةِ المبعوثِ حقًا من قُصَي

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي:

جعلت ولائي آل أحمد قربه على رغم أهل البعد تورثني القربا
وما طلب المختار أجرًا على الهدى بتبليغه إلا المودَّة في القربى

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

فصل في مناقب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت في المنام كأن في يدي سرقة: أي قطعة من حريرٍ، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصَّتها حفصة على النبي ﷺ فقال: **إن أخاك رجل صالح أو إن عبد الله رجل صالحٌ**[1]».

أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل**[2]».

وعن علقمة قال: «قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللَّهُمَّ يسِّر لي جليسًا صالحًا فأتيت قومًا، فجلست إليهم فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسِّر لي جليسًا صالحًا، فيسَّرك لي، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أو ليس عندكم ابن أم عبد يعني: عبد الله بن مسعود صاحب النعلين والوسادة والمطهرة، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيِّه، يعني: عمّارًا، أو ليس فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره، يعني

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٥٧٤)، والترمذي (٥/٦٨٠)، وأحمد (٢/٥).
(٢) رواه البخاري (٣/١٣٧٢)، ومسلم (٤/١٩١٤).

حذيفة[١]»، أخرجه البخاري.

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة وسمعت خشخشة أمامي فإذا بلال**[٢]»، رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا موسى لقد أُعطيت مزمارًا من مزامير آل دواد**[٣]»، رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: الله سمَّاني، قال: نعم، فبكى**[٤]».

ويُروى أنه ﷺ قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١].

وعن أنس ﷺ قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي[٥]».

وعن خباب بن الأرث قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنَّا من مضى لم يأكل من أجره شيئًا، منهم: مصعب بن عمير، قُتل يوم أحد فلم يوجد له ما يكفَّن فيه إلا بردة، فكنَّا إذا غطينا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خَرَجَ رأسه، فقال النبي ﷺ: «**غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهديها: أي يجتنيها**[٦]».

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قال: «**اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**[٧]»، رواه البخاري ومسلم.

وعن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله، أنس خادمك، ادعُ الله له، قال: **اللّٰهُمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**، قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٦٨).

(٢) رواه مسلم (٤/١٩٠٨).

(٣) رواه البخاري (٤/١٩٢٥)، ومسلم (١/٥٤٦).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/٩٤)، وأبو يعلى في المسند (٥/٢٣٠).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٨٦)، ومسلم (٤/١٩١٤).

(٦) رواه البخاري (٤/١٤٨٧)، وأبو داود (٣/١١٦).

(٧) رواه البخاري (٣/١٣٨٤)، ومسلم (٤/١٩١٥).

ولدي ليتعادون اليوم على نحو مائة[١].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: «ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[٢]».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «كنَّا جلوسًا عند النبيِّ ﷺ إذ أنزلت سورة الجمعة فلما نزلت ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ [الجمعة: ٣] قالوا: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: **لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجالٌ من هؤلاء**[٣]».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ حبب عبيدك هذا**، يعني أبا هريرة، **وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**[٤]».

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**[٥]».

وعن البراء قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**[٦]».

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار**[٧]».

وقال رسول الله ﷺ لعمر ﷺ في حاطب بن أبي بلتعة أنه شهد بدرًا: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر**[٨]».

وقال: «**اعملوا ما شئتم فقد وُجبت لكم الجنة**[٩]».

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٣٣)، ومسلم (٤/١٩٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٨٧)، والنسائي (٥/٧٠).

(٣) رواه البخاري (٤/١٨٥٨)، ومسلم (٤/١٩٧٢).

(٤) رواه مسلم (٤/١٩٣٨)، وأحمد (٢/٣١٩).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٧٩)، وأحمد (٣/١٣٠).

(٦) رواه البخاري (٣/١٣٧٩)، ومسلم (١/٨٥).

(٧) رواه البخاري (٤/١٨٦٢)، ومسلم (٤/١٩٤٨).

(٨) رواه البخاري (٤/١٤٦٣)، والطبراني في الكبير (١٢/٩٨).

(٩) رواه البخاري (٥/٢٣٠٩)، وأحمد (١/١٠٥).

وفي رواية: «**فقد غفرت لكم**[١]».

وعن رفاعة بن مرافع قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «**ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟** قال: من **أفضل المسلمين** أو كلمة نحوها، قال: **وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة**[٢]».

وعن حفصة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**إني لأرجو ألا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ شهد بدرًا والحديبية**، قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً**﴾ [مريم:٧١]؟ قال: **أفلم تسمعيه يقول:** ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ [مريم:٧٢] [٣]».

وفي رواية: «**أنه لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**[٤]».

وقال جابر: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، قال لنا النبي ﷺ: «**أنتم خير أهل الأرض**[٥]»، أخرجه البخاري ومسلم.

وأخرج الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بشر أنه قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رآني وآمن بي، طوبى لهم وحسن مآب**[٦]».

وأخرج عبد الله بن حميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة رضي الله عنه: «**طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني**[٧]».

والترمذي والضياء عن جابر رضي الله عنه: «**لا يمس النار مسلمًا رآني أو رأى من رآني**[٨]».

والترمذي والحاكم: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين**

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٣/٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٧/٦)، والطبراني في الكبير (٢٧٧/٤).

(٣) رواه أحمد (٢٨٥/٦)، والطبري في التفسير (١١٢/١٦).

(٤) رواه مسلم (١٩٤٢/٤)، والنسائي (٣٩٥/٦)، وأحمد (٤٢٠/٦).

(٥) رواه البخاري (١٥٢٦/٤)، ومسلم (١٤٨٤/٣).

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٩٦/٤)، والطبراني في الصغير (١٠٤/٢).

(٧) رواه الديلمي في الفردوس (٤٤٥/٢).

(٨) رواه الترمذي (٦٩٤/٥).

يلونهم[١]».

ومسلم عن أبي عبيدة ﵁: «**خير أمتي القرن الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[٢]**».

والترمذي والضياء عن بريدة ﵁: «**ما من أحدٍ من أصحابي يموت في أرضٍ إلا بُعث قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة[٣]**».

وأبو يعلى عن أنس ﵁: «**مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح[٤]**».

وأحمد ومسلم عن أبي موسى ﵁: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يُوعدون[٥]**».

والدارمي وابن عدي وغيرهما أنه ﷺ قال: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[٦]**»، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

***

فصل

في الحث على محبتهم والتحذير عن بغضهم وسبِّهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويمر بن ساعدة ﵁ أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم**

---

(١) رواه الترمذي (٥٤٨/٤)، والحاكم في المستدرك (٥٣٥/٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٥/٤).

(٣) رواه الترمذي (٦٩٧/٥).

(٤) رواه أبو يعلى في المسند (١٥١/٥).

(٥) رواه مسلم (١٩٦١/٤)، وأحمد (٣٩٨/٤).

(٦) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٦٢/٣).

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عَدلاً[(١)]».

والخطيب عن أنس ﷺ: «**إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحابًا، واختار لي منهم أصهارًا وأنصارًا، فمن حفظني فيهم حفظه الله تعالى، ومن آذاني فيهم آذاه الله**[(٢)]».

والعقيلي عن أنس ﷺ: «إن الله اختارني واختار لي أصحابي وأصهاري، وسيأتي قومٌ يسبُّونهم ويستنقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تؤاكلوهم ولا تناكحوهم[(٣)]».

والبغوي، والطبراني، وأبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر عن عياض الأنصاري: «**احفظوني في أصحابي وأصهاري؛ فمن حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني فيهم تخلَّى الله منه، ومن تخلَّى الله منه يوشك أن يأخذه**[(٤)]».

والديلمي عن أنس ﷺ: «**إذا أراد الله برجلٍ من أمتي خيرًا ألقى حب أصحابي في قلبه**[(٥)]».

والترمذي عن عبد الله بن مغفل ﷺ:

«**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومَنْ آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**[(٦)]».

وابن عدي عن عائشة ﷺ: «**إن شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي**[(٧)]».

وابن ماجه عن عمر ﷺ: «**احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم**[(٨)]» الحديث.

والشيرازي في الألقاب عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «**احفظوني في أصحابي؛ فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ، ومن لم يحفظني فيهم تخلَّى الله منه، ومن تخلَّى**

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٠)، وفي الأوسط (١/ ١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٢/ ٩٩).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الجامع (٢/ ١١٨).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٣٦٩).

(٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ١٢٠).

(٦) رواه الترمذي (٥/ ٦٩٦)، وأحمد (٥/ ٥٤).

(٧) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٨٣).

(٨) رواه ابن ماجه (٢/ ٧٩١).

الله منه يُوشك أن يأخذه[١]».

والخطيب عن جابر والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة ﷺ: «**إن الناس يكثرون وأصحابي يقلُون، فلا تسبُّوا أصحابي فمن سبَّهم فعليه لعنة الله**[٢]».

والحاكم عن أبي سعيد ﷺ: «**أما أنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدّكم**[٣]».

وابن عساكر عن الحسن ﷺ مرسلاً: «**ما شأنكم وشأن أصحابي، ذروا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما ادرك مثل عمل احدهم يومًا واحدًا**[٤]».

وأحمد والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن أبي سعيد، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة: «**لا تسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**[٥]».

وأحمد وأبو داود، والترمذي عن ابن مسعود: «**لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**[٦]».

وروى أحمد عن أنس ﷺ: «**دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحد ذهبًا ما بلغتم أعمالهم**[٧]».

والدارقطني: «**مَنْ حفظني في أصحابي ورد على الحوض، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني**[٨]».

واعلم أن الذي أجمع عليه أهل السُّنة والجماعة أنه يجب على كل أحدٍ تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم، فقد أثنى الله تعالى عليهم في آيات من كتابه العزيز.

---

(١) ذكره التقي الهندي في الكنز (٣٢٤٥٩)، (٧٤٢/١١)، ونحوه عند العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣٢٤).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥٠/٣).

(٣) رواه النسائي (٢٦٨/٥)، وأحمد (٢٦/٣)، والحاكم في المستدرك (٣٨/٣).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩٢/١٨).

(٥) رواه مسلم (١٩٦٧/٤)، والترمذي (٦٩٥/٥)، وأحمد (٥٤/٣)، وابن ماجه (٥٧/١)، بنحوه.

(٦) رواه أبو داود (٢٦٥/٤)، وأحمد (٣٩٥/١).

(٧) رواه الإمام أحمد (٢٦٦/٣).

(٨) رواه الطبراني في الكبير (٢٨٣/١٢)، وابن عدي في الكامل (٨٤/٦).

ومنها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فأثبت الله تعالى لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادل شهادة الله تعالى لهم بذلك؛ لأنه تعالى أعلم بعباده، وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره، فإذا شهد سبحانه وتعالى بأنهم خير الأمم وُجب على كل أحدٍ اعتقاد ذلك، ومن شكَّ في حقيقة شيء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافرًا بإجماع المسلمين.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة:١٤٣].

فالصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله ﷺ حقيقةً، فانظر إلى خالقهم تعالى جعلهم عدولاً وخيارًا؛ ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة، وحينئذٍ فكيف يستشهد تعالى بغير عدول، أو بمن ارتدوا بعد وفاته إلا نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرَّافضة قبَّحهم الله تعالى، ما أحمقهم وأجهلهم، وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم:٨]، فأمَّنهم الله تعالى من خزيه ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا والله عنهم راضٍ، ورسوله عنهم راضٍ، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان، وفي أن الله لم يزل راضيًا عنهم وكذلك رسول الله ﷺ.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، فصرَّح تعالى برضاه عن أولئك وهم ألف ونحو أربعمائة.

ومن رضي عنه لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاء على الإسلام، فلا يقع الرِّضا منه تعالى إلا من علم موته على الإسلام، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه.

فعلم أن كلاً من هذه الآية وما قبلها صريحٌ في ردِّ ما زعمه وافتراه أولئك الضالون الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العظيم؛ إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خيار الأمم، وأنهم عدول خيار وأنه لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم.

فمن لم يصدِّق بذلك فيهم فهو مكذِّبٌ لما في القرآن، ومن كذَّب بما فيه مما لا

يحتمل التأويل كان كافرًا جاحدًا ملحدًا مارقًا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨، ٩، ١٠].

فتأمّل ما وصفه الله تعالى من هذه الآيات تعلم ضلالات من طعن فيهم من المبتدعة، ورماهم بما هم بريئون منه.

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، فانظرْ إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية.

فإن قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ مبيِّنة للمشهود في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩]، ففيها ثناء عظيم على رسوله ﷺ، ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، فوصفهم تعالى بالشدَّة والغلظة على الكفار، وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين، والذلة والخضوع لهم، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص، وسعة الرجاء في فضل الله تعالى ورحمته بابتغاء فضله ورضوانه، وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت على وجوههم حتى أن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن ثم قال الإمام مالك:

بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير

من الحواريين فيما بلغنا، وقد صدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة المحمَّدية خصوصًا الصحابة لم يزل ذكرهم معظمًا في الكتب، كما قال تعالى ذلك:

أي وصفهم بما مرَّ مثلهم: أي وصفهم في التوراة، ومثلهم: أي وصفهم في الإنجيل ﴿**كزرع أخرج شطأه**﴾ [الفتح:٢٩]: أي فراخه، ﴿**فآزره**﴾: أي شدَّه وقوَّاه، ﴿**فاستغلظ**﴾ شبَّ فطال، ﴿**فاستوى على سوقه يعجب الزراع**﴾: أي يعجبهم قوته وغلظه وحسن منظره، فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع؛ ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾، ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في روايةٍ عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة.

قال: لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافرٌ، وقال: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية.

ومن ثَمَّ وافقه في قوله بكفرهم الإمام الشافعي، ووافقه أيضًا جماعة من الأئمة، ويكفيهم شرفًا: أي شرف ثناء الله تعالى ورضاه عنهم.

وأنه تعالى وَعَدَهم جميعهم لا بعضهم؛ إذ (من) في (منهم) لبيان الجنس لا للتبعيض بقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الفتح:٢٩].

ووعد الله صدقٌ وحقٌّ لا يتخلَّف ولا يخلف، لا مبدِّل لكلماته وهو السميع العليم.

فعلم أن جميع ما قدَّمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج منهم مع تعديل الله تعالى إلى تعديل أحد من الخلق على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الجائلين بعدهم، والمعدَّلين الذي يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء والأولياء، ومن يعتمد قوله ولم يخالف فيه إلا بشذوذ من المبتدعة الذين ضلُّوا وأضلوا، فلا يلتفت إليهم ولا يقول عليهم.

وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه زنديقٌ، وذلك أن الرسول حقٌّ والقرآن حقٌّ، وما جاء به حق، وإنما أدَّى إلينا ذلك الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنَّة، فيكون الجرح به ألصق، والحكم عليه بالزندقة والضلال

والكذب والعناد هو الأقوم والأحق.

وقال ابن حزم:

الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فثبت أن جميعهم من أهل الجنة، وأنه لا يدخل منهم أحد النار؛ لأنهم مخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى وهي الجنة، ثم اعلم أن ما اختصَّ به الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وفازوا به من مشاهدة طلعته ﷺ، ورؤية ذاته المشرَّفة المكرَّمة، فأمر من وراء العقل؛ إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جلَّت بما يقارب ذلك، فضلاً عن أن يماثله.

ومن ثَمَّ سُئل عبد الله بن المبارك، وناهيك به جلالةً وعلمًا: أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز، وكذا وكذا مرة، أشار بذلك إلى أن فضيلة صحبته ﷺ ورؤيته لا يَعدلها شيء، وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات، والواجب على كل مسلم سمع شيئًا من ذلك أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج؛ إذ هم أهلٌ لذلك كما هو مشهور في مناقبهم، ومعدود في مآثرهم مما يطول إيراده.

قال سهل بن عبد الله التستري، وناهيك به علمًا وزهدًا ومعرفةً وجلالةً: لن يؤمن برسول الله ﷺ من لم يوقِّر أصحابه.

وأما سبُّهم والطعن فيهم فإن خالف دليلاً قطعيًا كقذف عائشة رضي الله عنها، أو إنكار صحبته أيما كان كفرًا، وإن كان بخلاف ذلك كان بدعةً وفسقًا، ثم الذي عليه الجمهور من السلف والخلف من أنهم خير خلق الله تعالى وأفضلهم بعد النبيين، وخواص الملائكة المقرَّبين، وأن أفضل الصحابة أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي، فبقية العشرة المبشرين بالجنة، فأهل بدر، فباقي أهل بيعة الرضوان بالحديبية، فباقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ولنشرع فيما نحن بصدده من المقصود، مستعينين بالملك المعبود:

الإمام عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: كان حَبر الأمة، دعا له النبي ﷺ بالفقه

والحكمة، ما رواه عن النبي ﷺ ألف وستمائة وستون حديثًا، له في الصحيحين مائتين وأربعة وثلاثون حديثًا، انفرد البخاري بمائة وعشرة، ومسلم بتسعة وأربعين، وكان ﷺ يجلس يومًا للتفسير، ويومًا للفقه، ويومًا للمغازي، ويومًا للشعر، ويومًا لأيام العرب.

وكان يقول: «لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام».

وكان يقول: «عيادة المريض مرة سنة فما زادت فهي نافلة[1]».

وكان يقول: «يا صاحب الذنب لا تأمن شر عاقبته، فإن ضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وعدم اضطراب قلبك من نظر الله تعالى إليك وأنت على الذنب أعظم من الذنب، وكان مجرى الدموع في وجهه كأنه الشراك البالي[2]».

وكان يقول: «لو بغى جبل على جبل لدكَّ الباغي[3]».

تُوفي سنة ثماني وستين من الهجرة.

***

الإمام عبد الله بن مسعود ﷺ [4]

كان يشبه النبي ﷺ في هديه وسمته، وكان من أجود الناس ثوبًا، ومن أطيب الناس ريحًا، تعظيمًا لنعل رسول الله ﷺ إذا حمله، وهو الذي يلبس رسول الله ﷺ نعليه، ويمشي أمامه بالعصا حتى يدخل أمامه الحجرة، فإذا أتى رسول الله ﷺ مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه، وأعطاه العصا، وكان دقيق الساقين، فكان بعض الصحابة يضحك من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنما في الميزان أثقل من جبل أحد[5]**».

وكان رسول الله ﷺ يسمع لقرآنه في الليل، ويقول: «**مَنْ سرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أُنزل فليقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود[6]**».

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١/٢٥٨)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٢٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٢٢).

(٤) انظر في ترجمته: الإصابة (٤٩٥٥)، وحلية الأولياء (١/١٢٤)، والمعارف لابن قتيبة (٢٤٩).

(٥) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/١٨٧)، والطبراني في الكبير (٩/٩٥).

(٦) رواه النسائي (٥/٧١)، وأحمد (١/٢٥).

وكان قليل الصوم كثير الصلاة، فقيل له في ذلك فقال:
«إني إذا صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة عندي أهم[١]».

وكان يقول: «ما أصبحت قط على حالٍ فتمنيت أن أكون على سواها[٢]».

وكان يقول: «إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له؛ لأنه معرَّض أن يعصي الله تعالى إما بكلامه أو بسكوته أو باعتقاده[٣]».

وكان يقول: «لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة وهو يحب ظالمًا لبعثه الله تعالى مع من يحب».

ولمَّا مرض عاده الإمام عثمان بن عفان ﷺ فقال له: «ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: هو الذي أمرضني، فقال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر وإني أمرتهنَّ أن يقرأن في كل ليلة سورة الواقعة؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قرأ الواقعة كل ليلةٍ لم تصبه فاقة أبدًا**[٤]».

تُوفي بالمدينة وصلَّى عليه الزبير ﷺ سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ﷺ.

***

الإمام بلال بن رباح ﷺ[٥]

كان من السابقين الأوَّلين شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان من المعذَّبين في الله فاشتراه أبو بكر الصدِّيق ﷺ واعتقه.

رُوي أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول: «أبو بكر سيِّدنا، واعتق سيِّدنا بلالاً[٦]».

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعم المرء بلال، وهو سيِّد**

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩/١٧٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٤/٣١٠).
(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١/٣٢).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٦/٢٠٨)، وهناد في الزهد (٢/٥٥٥)، بنحوه.
(٤) رواه البيهقي في الشعب (٢/٤٩٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/٢٦٩).
(٥) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١/١٤٧)، والمعارف لابن قتيبة (ص ١٧٦)، وصفة الصفوة (١/١٧١)، وطبقات ابن سعد (٣/١٦٩).
(٦) رواه البخاري (٣/١٣٧١)، والحاكم في المستدرك (٣/٣٢٠).

المؤذنين[١]».

وذكر عمر بن الخطاب ﷺ فضل أبي بكر الصدِّيق ﷺ، فجعل يصف مناقبه ثم قال: «وهذا سيِّدنا بلال حسنة من حسنات أبي بكر[٢]».

قال أحمد بن حنبل ﷺ: أول من أذن في الإسلام بلال، وكان بلال ﷺ يؤذن لرسول الله ﷺ سفرًا وحضرًا حتى تُوفي رسول الله ﷺ، وتُوفي بلال بدمشق سنة عشرين من الهجرة ﷺ.

***

الإمام عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ [٣]

أسلم مع أبيه بمكة وهو صغيرٌ، وشَهِدَ الخندق مع النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان يتحفَّظ ما سمع من النبي ﷺ، ويسأل من حضر إذا لم يحضر عمَّا قال أو فعل.

ما رواه عن النبي ﷺ ألفان وستمائة وثلاثون حديثًا،له في الصحيحين مائتان وثمانون حديثًا، انفرد مسلم بأحد وثلاثين، والبخاري بأحد وثمانين، وكان من عبّاد الصحابة وزهّادهم،لم يضع لبنة على لبنة ولا غرس شجرة منذ مات رسول الله ﷺ، وكان من أهل العلم والورع والكرم.

قال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد، قال: وربما تصدَّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا.

وكان يقول: «يا ابن آدم صاحب الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمِّك[٤]».

وكان يقول: «لا يكون الرجل من أهل العلم حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمنًا[٥]».

تُوفي بمكة سنة أربع وسبعين من الهجرة، ودُفن بالمحصب، وقيل بذي طور وهو ابن ست وثمانين سنة ﷺ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٤٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٢١).

(٣) انظر في ترجمته: أسد الغابة (٣٨٣٠)، والإصابة (٥٧٥٢)، والاستيعاب (١٨٩٩)، والطبقات الكبرى (٩/١٤١)، وطبقات الحفاظ (٦٥٨).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٠٦).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/١١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٠٦).

الإمام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه[1]

هو أول مولود وُلد في الإسلام، وحنَّكه النبي ﷺ بيده ودعا له، وكان من عبَّاد الصحابة، وكان إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يطيل السجود حتى تنــزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جدار حائط، وكان يحيي الدهر كله ليلة يحييها قائمًا حتى يصبح، وليلة يحييها راكعًا، وليلة يحييها ساجدًا حتى يصبح، وكان يُسمَّى حمامة المسجد.

قُتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وهو ابن اثنين وسبعين سنة، وصُلب على باب الكعبة، قتله الحجاج حين بُويع له بالخلافة، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وأقام في الخلافة تسع سنين ثم حاصره بمكة رضي الله عنه.

***

الإمام أُبي بن كعب رضي الله عنه[2]

كنيته أبو المنذر، رُوي عنه رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فسألني ثانيًا فقلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، فضرب صدري وقال: ليهنك العلم أبا منذر**[3]».

وكان من القرَّاء، وقرأ عليه رسول الله ﷺ: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ [البينة: ١] إلى آخرها بأمر الله.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا)، قال: وسمَّاني؟ قال: نعم، فبكى**[4]».

وكان يقول: «عليكم بالسبيل والسنَّة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله تعالى فتمسَّه النار، وإن اقتصادًا في سبيل الله وسنته

---

(١) انظر في ترجمته: الإصابة (٤٧٠٠)، وأسد الغابة (٢٩٤٩)، والاستيعاب (١٥٥٣)، حلية الأولياء (٣٢٩/١)، البداية والنهاية (٢٣٨/٨).

(٢) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٢٥٠/١)، وصفوة الصفوة (١٨٨/١).

(٣) رواه مسلم (٥٥٦/١)، وأحمد (١٤١/٥)، والحاكم في المستدرك (٣٤٤/٣).

(٤) تقدم تخريجه.

خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنته[١]».

وكان يقول: «ما من عبدٍ ترك شيئًا لله إلا أبدله الله ما هو خيرٌ منه من حيث لا يحتسب[٢]».

رُوي عن مسروق قال: كان العلم في أصحاب رسول الله ﷺ في ستة: عُمر، وعليّ، و أُبي بن كعب، و أبي موسى الأشعري، وزيد بن ثابت ﷺ.

تُوفي أُبي ﷺ في خلافة عثمان ﷺ.

***

الإمام جابر بن عبد الله ﷺ[٣]

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري من بني سلمة، يُكنّى أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية، وأبوه عبد الله بن عمرو ﷺ بدري نقيب، قُتل يوم أُحد.

قال جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ للنقباء من الأنصار: «**تؤووني وتمنعوني؟ قالوا: نعم، فما لنا؟ قال: الجنة**[٤]».

وقال جابر ﷺ: دخلت على النبي ﷺ فقال لي: «**مرحبًا بك يا جبير**[٥]».

وقال أيضًا ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك، وقال له: تمن عليّ ما شئت**، قال: أُرد إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك مرة أخرى، قال: **إني قضيت لهم ألا يرجعون**[٦]».

وعنه ﷺ قال: قلت: يا رسول الله لو دخلت البيت فدخل هو وأبو بكر وعمر، فقدَّمت لهم طعامًا، فقالت المرأة: يا نبي الله ادعُ الله لنا بخير، فدعا لنا بخير.

وقال جابر ﷺ: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أنتم اليوم خير أهل الأرض**[٧]».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٢٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٥٣).

(٢) رواه هناد في الزهد (٢/٤٦٦).

(٣) انظر في ترجمته: الإصابة (١٠٢٨)، وأسد الغابة (٦٤٧)، والاستيعاب (٢٩٠).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٦٨٢)، وأبو يعلى في المسند (٣/٤٠٥).

(٥) انظر: أسد الغابة (١/١٧٢) بنحوه.

(٦) رواه أحمد (٣/٣٦١)، وأبو يعلى في المسند (٤/٦).

(٧) رواه مسلم (٣/١٤٨٤)، والنسائي (٦/٤٦٤)، وأحمد (٣/٣٠٨).

قال أهل التاريخ: عاش جابر إلى سنة ثمان وسبعين، ومات وهو ابن أربع وتسعين، وقد ذهب بصره، وصلّى عليه أبان ابن الإمام عثمان وهو والٍ، رضي الله عنهم أجمعين.

***

الإمام أبو هريرة ﷺ [(١)]

كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الرحمن، كنّي بأبي هريرة ﷺ لأن رسول الله ﷺ رأى في ثوبه شيئًا يحمله، فقال ﷺ: «**ما هذا يا عبد الرحمن؟ قال: هرة، فقال ﷺ: أنت أبو هريرة**[(٢)]».

فاشتهر بهذه الكنية، وكان يحب أن يدعوه الناس بهذه الكنية؛ للتبرُّك بلفظ رسول الله ﷺ، وكان كثير الحديث عن رسول الله ﷺ.

روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وستين حديثًا.

أخرج له في الصحيحين ستمائة وتسعة أحاديث، انفرد البخاري منها بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين.

وكان يقول: لولا آية من كتاب الله ما حدَّثتكم بشيء أبدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة:١٥٩].

وكان لا يسأل الناس شيئًا، وكان يسبّح كل يومٍ اثني عشر ألف تسبيحة، ويقول: أسبّح بقدر ذنبي، وكان هو وامرأته وجاريته يتعقّبون الليل ثلاثًا، يصلّي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلّي هذا ثم يوقظ هذا.

وكان يقول: ما وجع أحبّ إليَّ من الحمَّى؛ لأنها تعطي كل مفصلٍ حقه من الأجر بسبب عموم الأمر[(٣)].

وكان يقول: المرض لا يدخله رياء ولا سمعة بل بمحض أجر.

وقد قسَّم الشيخ عبد القادر الكيلاني الوجع إلى ثلاثة أقسام: عقوبة، وكفّارة، ورفع

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٢/٣٣٣)، والمعارف لابن قتيبة (٢٧٧، ٢٧٨)، وتهذيب التهذيب (٢/٢٦٢، ٢٦٣)، سير أعلام النبلاء (٢/٤١٧).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٧٧٠).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٧/١٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٤٤٢).

درجة:

فالعقوبة: ما صاحبه السخط، **والكفَّارة**: ما صاحبه الصبر، **والدرجة**: ما صاحبه المرض وانشراح الصدر.

تُوفي أبو هريرة ﷺ سنة ثمان وخمسين من الهجرة ﷺ.

***

الإمام أنس بن مالك ﷺ (١)

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن خرام من بني النجار، أنصاري ﷺ، خدم النبي ﷺ عشر سنين، كنيته أبو حمزة، كان له يوم قدم رسول الله ﷺ المدينة عشر سنين، عاش مائة سنة وسنتين.

ما رواه عن النبي ﷺ ألفان ومائتان وعشرة أحاديث، له في الصحيحين ثلاثمائة وثمانية عشر حديثًا، انفرد البخاري بثمانين، ومسلم بتسعين.

قيل: تُوفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وهو آخر من تُوفي بالبصرة من الصحابة، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فكانت نخلاته تحمل في السنة مرتين، ووُلد له من صلبه ثمانون ولدًا، ثمان وسبعون ذكرًا وحفصة وأم عمرو.

قال أصحاب السير: كان أنس ﷺ يُدعى خادم رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يداعبه يعني: يمازحه، ويقول: «**يا ذا الأذنين**(٢)».

رُوي عن أنس ﷺ قال: «كانت لي ذؤابة فقالت لي أمي: لا أجزها، كان رسول الله ﷺ يمدها ويأخذ بها(٣)».

وروى محمد بن سعدان قال: رأيت أنس بن مالك يطوف به بنوه حول البيت، وقد شهدوا أسنانه بذهبٍ(٤).

---

(١) انظر في ترجمته: أسد الغابة (٢٤٥)، والإصابة (٢٧٧)، والاستيعاب (٨٤)، وطبقات ابن سعد (١٧/٧)، والتاريخ الكبير (٢٧/٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٠١/٤)، والترمذي (٣٥٨/٤)، وأحمد (١١٧/٣).

(٣) رواه أبو داود (٨٤/٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٦/٤).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (٤٢٦/٢).

قال ابن عون: رأيت على أنس بن مالك جبة خز وعمامة خز، ومطرف: أي كساء خز ﷺ.

***

الإمام أبو ذر ﷺ(١)

اسمه جندب، قيل لعليّ ﷺ وكرَّم وجهه: حَدِّثنا عن أبي ذر، قال: علم العلم ثم أوكر عليه رباطًا شديدًا.

وقال الأنف بن قيس: كنت بالمدينة في إمارة عثمان ﷺ فإذا رجل آدم طويل، فإذا هو أبو ذر.

وعن أسماء بنت يزيد قال: كان أبو ذر يخدم النبي ﷺ حتى إذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد فكان هو بيته فاضطجع فيه، وكان يظل نهاره كاملاً متفكرًا فيما هو صائرٌ إليه، وكان الرجل يدخل عليه فيقلِّب بصره في بيته فلا يجد شيئًا من أمتعة الدنيا.

وكان يقول: لو أن صاحب المنــزل يدعنا فيه لملأته أمتعه ولكن يريد نقلتنا منه.

وكان يقول: يكفي الدعاء من البر ما يكفي الملح من الطعام.

قال سفيان الثوري: كان أبو ذر يقول: إني ناصحٌ لكم، إني شفيقٌ عليكم، صلُّوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، صوموا لحر يوم النشور، تصدَّقوا مخافة يوم عسير.

تُوفي ﷺ لأربع سنين بقيت من خلافة عثمان ﷺ.

وقيل: سنة اثنتين وثلاثين ﷺ

الإمام أبو الدرداء ﷺ(٢)

اسمه عويمر، كان يقول: إني لآمركم بالأمر لا أفعله ولكن أرجو به الأجر من قِبلكم.

وكان يقول: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله ﷻ من لسانه، فليحفظه لئلا يدخله النار.

وكان يقول: إنَّا لنضحك في وجوه قوم، وإن قلوبنا لتلعنهم.

---

(١) انظر في ترجمته: الإصابة (١٢١٦)، وأسد الغابة (٨٠٠)، والاستيعاب (٣٤٣).

(٢) انظر في ترجمته: الإصابة (٦١١٩)، والاستيعاب (١٥/٣)، والمعارف لابن قتيبة (٢٦٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٠٧/٢).

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أمن أحد على إيمانه أن يُسلب إلا سُلب.

وكان يقول: تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة.

وكان يقول: مثقال ذرة من برٍّ مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادةِ المغترِّين.

وكان يقول: إن من فقه الرجل رفقه في معيشته.

وكان يقول: لا تبغض من أخيك المسلم إلا عمله السيء، فإذا تركه فهو أخوك.

وكان يقول: نعم صومعة الرجل المسلم بيته، يكف لسانه، وسمعه، وبصره، وفرجه.

تُوفي رضي الله عنه بدمشق سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه.

***

الإمام سلمان الفارسي رضي الله عنه(١)

كنيته أبو عبد الله، أسلم بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وكان قبل ذلك يقرأ الكتب ويطلب الدين، وكان عبد القوم من بني قُريظة فكاتبهم، فأعان رسول الله ﷺ في كتابته، وعتق قال أهل التاريخ: أوَّل مشاهده الخندق.

وتُوفي بالمدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه، عاش مائتين وخمسين سنة، وكان يخطب للناس في عباءة، وكان يأكل من كسب يديه، وكان يعجن عن الخادمة حين يرسلها في حاجته، ويقول: لا نجمع عليها عملين.

وكان يعمل الخوص ويقول: أشتري خوصًا بدرهمٍ، فأعمله وأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهمًا فيه، وأنفق درهمًا على عيالي، وأتصدق بدرهم.

وكان لا يأكل من صدقات الناس.

وكان الناس يسخرونه في حمل أمتعتهم؛ لرثاثة حاله، فربما عرفوه فيريدوا أن يحملوا عنه، فيقول: لا حتى أوصلكم إلى المنـــزل، وهو إذ ذاك أمير على المدائن.

وكان يقول: إنما مَثَل المؤمن في الدنيا كمثل مريض منعه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضرُّه منعه، وقال: إن أكلته هلكت.

وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة فيمنعه الله عز وجل منها حتى يموت فيدخله الجنة.

---

(١) انظر في ترجمته: الإصابة (٣٣٦٩)، وأسد الغابة (٢١٥٠)، والاستيعاب (١٠١٩)، والطبقات الكبرى (٤/٥٤)، والتاريخ الكبير (٤/١٣٥).

وكان يقول: عجبًا لمؤمل البقاء في الدنيا والموت يطلبه وهو غافلٌ، وليس بمغفولٍ عنه، وضاحك ولا يدري أَرَبُّهُ راضٍ عنه أم ساخط.

رُوي عن أبي البحتري قال: «قيل لعليّ ﷺ: أخبرنا عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: سلمان، قال: أدرك العلم الأول، والعلم الآخر بحر لا يُدرك قعره، هو منّا أهل البيت[1]».

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة تشتاق إليهم الجنة: عليٌّ، وعثمان، وسلمان**[2]» رضي الله تعالى عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

الإمام زين العابدين ﷺ [3]

ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين، هذا هو الذي خلف أباه علمًا وزهدًا وعبادةً، فكان إذا توضأ للصلاة اصفرَّ لونه فقيل له في ذلك فقال: ألا تدرون بين من أريد أن أقف؟!.

وكان يصلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وحكى ابن حمدون عن الزهري أن عبد الملك حمله مقيَّدًا من المدينة بأثقلة الحديد، ووكَّل به حفظة، فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى، وقال: وددت أني مكانك، فقال: أتظن أن ذلك يكربني؟! لو شئت لما كان، وإنه ليذكُرني عذاب الله، ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال: لأجزت معهم على هذا يومين من المدينة، فما مضى يوم إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه، قال الزهري: فقدمت على عبد الملك، فسألني عنه فأخبرته فقال: قد جاء في يوم فقده الأعوان، فدخل عليٌّ فقال: ما أنا وأنت، فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحب، ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة، ثم كتب عبد الملك للحجَّاج، فعلم أن زين العابدين كُوشف بأمره فسرَّ به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله ألا يخليه من صالح دعائه.

وأخرج أبو نعيم والسلفي أنه لما حجَّ هشام بن عبد الملك في زمن أبيه أبو الوليد لم يمكن أن يصل إلى الحجر من الزحام، فنصب له منبرًا إلى جانب زمزم، وجلس ينظر إلى

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦/٢١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٩٥).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٢/١٠٠)، وأبو يعلى في المسند (٥/١٦٤).

(٣) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣/١٣٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٢١١)، وطبقات الحفاظ (١/٣٧).

الناس وحوله جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر تنحَّى له الناس حتى استلم، فقال أهل الشام: مَنْ هذا؟ قال: لا أعرفه، مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين، فقال الفرزدق: أنا أعرفه وأنشد:

هـذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هـذا ابـنُ خـير عبادِ اللهِ كلّهم ... هـذا النقـيُ التقـيُ الطّاهرُ العلمُ
إذا رأتـه قـريشٌ قـال قائلـها ... إلى مكـارمِ هـذا ينتهـي الكرمُ
ينمـي إلى ذروة العز التي قصرت ... عـن نيلها عرب الإسلام والعجمُ

وفي القصيدة المشهورة ومنها:

هـذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهله ... بجـدِّه أنبيـاء الله قـد ختموا
فليس قـولك من هذا بظاهرهِ ... العربُ تعرف من أنكرت والعجمُ

ثم قال:

مـن معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفـر وقـربهم مـنح ومعتـصم
لا يـستطيع جـواد بعد غايتهم ... ولا يدانيـنهم قـومٌ وإن كـرموا

فحينما سمع هشام حبس الفرزدق بعسفان، وأمر له زين العابدين باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذرني لو كان عندي أكثر لوصلناك به، فقال: إنما امتدحته لله لا للعطاء، فقال: زين العابدين: إنَّا أهل البيت إذا وهبنا شيئًا لا نستعيده، فقبلها الفرزدق، ثم هجا هشامًا في الحبس فبعث فأخرجه[١].

وكان ﷺ عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى أنه سبّه رجلٌ فتغافل عنه، فقال له: بل إيَّاك أعني، فقال: وعنك أغضي.

وكان لا يترك قيام الليل سفرًا ولا حضرًا.

وكان يقول: إن الله يحب المذنب التوَّاب.

وكان إذا هاج الريح يخرُّ مغشيًا عليه، ولما حجَّ وقال: (لبيك اللَّهُمَّ) وقع مغشيًا عليه.

وخرج يومًا إلى المسجد فلقيه رجلٌ فسبَّه وبالغ في سبِّه فثارت إليه العبيد والموالي فكفَّهم عنه، وقال: مهلاً على الرجل، ثم أقبل عليه فقال: ما سُتر عنا من أمرنا أكثر، ألك

(١) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/٤٠٠، ٤٠١).

حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصته التي عليه، وأمر له بعطاء فوق ألف درهم، فقال الرجل: أشهد أنك من أولاد الرسل.

تُوفي ﷺ وعمره سبع وخمسون سنة مع جده علي ﷺ سنتان، ثم عشر مع عمه الحسن، ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين، رضي الله عنهم أجمعين.

ودُفن بالبقيع عند عمه الحسن عن أحد عشر ذكرًا وأربع بنات، ورث منهم علمًا وعبادة وزهدًا.

***

الإمام أبو جعفر محمد الباقر ﷺ[1]

سُمِّي بذلك من بقر الأرض: أي شقها وآثار مخبئاتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم، واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثَمَّ قيل: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه.

قال النووي ﷺ: سُمِّي بالباقر لأنه بقر العلم: أي شقَّه، فعرف أصله وعلم خفيه انتهى.

صفا قلبه ﷺ، وزكى علمه، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعُمِّرت أوقاته بطاعة الله تعالى، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة، وكفاه شرفًا أن ابن المديني روى عن جابر ﷺ أنه قال له وهو صغيرٌ: رسول الله يسلم عليك، فقيل: وكيف ذلك؟ قال: كنت جالسًا والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: «**يا جابر يُولد له مولود اسمه عليٌّ إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيِّد العابدين، فيقوم ولده، ثم يُولد له ولدًا اسمه محمد فإذا أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام**[2]».

وكان ﷺ يحب أبا بكر الصدِّيق ﷺ، ويبالغ في مدحه، ويقول: من لم يقل له الصدِّيق فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة.

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣/ ١٨٠)، وطبقات الحفاظ (١/ ٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٢)، والطبقات الكبرى للشيخ الشعراني (١/ ٢٨).

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ١٥١)، وابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٦٨).

وبلغه عن جماعةٍ من العراق أنهم يبغضون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبون أهل البيت، فكتب إليهم: إني بريءٌ ممن يكره أبا بكر وعمر، ولو أني وليت لتقربت بدماء من يكرههما.

وكان يقول: إن الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر لله سبحانه وتعالى.

وكان يقول: ما دخل قلب امرئ شيء من الكِبر إلا نقص من عقله مثلما دخل من ذلك الكبر قلَّ أو كثر.

وكان يقول: ما من عبادةٍ أفضل من عفة بطن وفرج، وكان إذا ضحك قال: اللَّهُمَّ لا تمقتني.

وكان يقول: بئس الأخ يرعاك غنيًّا ويقطعك فقيرًا.

وكان يقول: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك.

تُوفي سنة سبع عشرة ومائة عن ثمان وخمسين سنة.

ودُفن أيضًا في قبة الحسن والعباس بالبقيع.

وخلف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم الإمام جعفر الصادق ﷺ، ومن ثمَّ كان خليفته ووصيه، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان.

وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفيانين. وأبو حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني وأمه أم فروة بنت الفقيه قاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق ﷺ، وسعى به عند المنصور لما حجَّ، فلما حضر الساعي به يشهد قال له: أتحلف؟ قال: نعم، فقال: أحلفه يا أمير المؤمنين بما أداه؟ فقال: حلِّفه، فقال: قُلْ: برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي، لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل ثم حلف، فما تمَّ حتى مات مكانه، فقال المنصور لجعفر: لا بأس عليك أنت المبرَّء السَّاحة، المأمون الغائلة، ثم انصرف فألحقه مع الربيع بجائزةٍ حسنة وكسوة سنيَّة.

وللحكاية تتمة، ووقع نظيرها ليحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، بأن شخصًا سعى به عند الرشيد، فتولَّى يحيى تحليفه بذلك، فما تم يمينه حتى اضطرب وسقط لجنبه، فأخذوا برجله وهلك، فسأل الرشيد يحيى عن سرِّ ذلك فقال: تمجيد الله في اليمين يمنع عاجل العقوبة إن كان صادقًا، ويعجِّل العقوبة إن كان كاذبًا.

وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليلة يصلِّي ثم دعا عليه عند السَّحر، فسمعت الأصوات بموته، ولمَّا بلغه قول الحكم بن عبَّاس الكلبي في عمِّه زيد:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة ولم نـــرَ مهديًا على الجذع يصلبه

قال: اللَّهُمَّ سلِّط عليه كلبًا من كلابك، فافترسه الأسد.

ومن مكاشفاته:

أن ابن عمه عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط كان شيخ بني هاشم، وهو والد محمد الملقَّب بالنفس الزكيَّة، ففي آخر دولة بني أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، وأرسلا لجعفر ليبايعهما، فامتنع فاتُّهم أنه يحسدهما.

فقال: والله ليست في ولايتهما فائدة، إنها لصاحب القباء الأصفر، ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم، وكان المنصور العباسي حاضرًا وعليه قباء أصفر، فما زالت آل جعفر تعمل فيه حتى ملكوا[1]، وسبق بذلك والده الباقر، فإنه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها، وبطول مدته، فقال له: وملكنا قبل ملككم، قال: نعم، ويملك أحد من ولدي، قال: نعم، قال: فمدة بني أمية أطول أو مدَّتنا؟ قال: مدتكم، وليلعبنَّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالأكرة، هذا ما عهد إِلَيَّ أبي، فلما أفضت الخلافة للمنصور تعجَّب من قول الباقر.

وخرَّج أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججتُ سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قُبيس، فإذا رجلٌ جالسٌ يدعو ويقول:

يا رب يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي يا حي حتى انقطع نفسه، ثم قال: إلهي إني اشتهيت العنب فأطعمنيه، إلهي إن برداي قد خلُقا فاكسني.

قال الليث: فوالله ما استتم حتى نظرت إلى سلَّة مملوءة عنبًا وليس على الأرض يومئذ عنب، وإذا ببردين موضوعين لم أرَ مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلتُ: أنا شريكك، فقال: ولِمَ؟ فقلت: لأنك دعوت وكنت أؤمن، فقال: تقدَّم وكُلْ، فتقدمت وأكلت عنبًا لم آكل مثله قط، ما كان له عجم، فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلَّة، فقال: لا تدخر ولا تخبئ منه شيئًا، ثم أخذ بردًا من البردين، ودفع إِلَيَّ الآخر، ثم أخذ برديه الخلقين فنـــزل وهما بيده، فلقيه رجلٌ بالمسعى، فقال: اكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله؛ فإنني عريانٌ، فدفعهما إليه، فقلت: مَنْ هذا؟ قال: جعفر الصادق، فطلبته فلم أجده.

وكان يقول: أربع لا ينبغي لمؤمنٍ أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته

---

(١) هكذا بالأصل.

لضيفه، وقيامه على دابته ولو أن له مائة عبد، أو خدمته لمن يتعلم.

وكان يقول: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: أن تصغِّره إذا صنعته، وتستره وتعجِّله، وذلك لأنك إذا صغرته عظّمته، وإذا سترته تممته، وإذا عجّلته هنّيته.

وكان يقول: إذا أقبلت الدنيا على إنسانٍ أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

وكان يقول: إذا بلغك عن أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذرٍ واحدٍ إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجده فقل لنفسك: لأخي عذرٌ لا أعرفه.

وكان يقول: إذا سمعتم عن مسلمٍ كلمة فاحملوها على أحسن ما تجدوه، حتى لا تجدوا لها محملاً فلوموا أنفسكم.

وكان يقول: لا تأكلوا من يدٍ جاعت ثم شبعت.

وقال لرجلٍ من قبيلةٍ: مَنْ سيِّد هذه القبيلة؟ فقال: أنا، فقال: لو كنت سيِّدها ما قلت أنا.

وكان يقول: إذا أذنبت فاستغفر؛ فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال قبل أن يُخلقوا، فإن الهلاك الإصرار عليها.

وكان إذا احتاج إلى شيءٍ قال: يا ربَّاه أنا محتاجٌ، فما يستتم دعاءه إلا وذلك الشيء يجده موضوعًا.

وكان يقول: من استبطأ رزقه فليكثر من الاستغفار.

وكان يقول: من أعجب بشيءٍ وأراد بقاءه فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وكان يلبس الجبَّة الغليظة من الصوف على جسده الشريف، والحلة من الخز على ظاهره، ويقول: نلبس الجبَّة لله والخز لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أظهرناه وأبديناه.

وكان يقول: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.

وكان يقول: قال موسى عليه السلام: **«أسألك يا رب ألا يذكُرني أحدٌ إلا بخيرٍ، قال: ما فعلت ذلك لنفسي[1]»**.

وكان يقول: أوحى الله تعالى إلى الدنيا: **«أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من**

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١٩٨).

خدمك[1]».

وكان يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم.

وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

تُوفي ﷺ سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثمان وستون سنة.

ودُفن عند أهله بالقبَّة السابقة عن ستة ذكور منهم: الإمام موسى الكاظم ﷺ، وهو وارثه علمًا ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سُمِّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفًا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم.

وسأله الرشيد كيف قلتم: إنا ذرية رسول الله ﷺ وأنتم أبناء عليّ، فتلا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام:٨٤] إلى أن قال: وعيسى ابن مريم، وليس له أب أيضًا.

وقال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١].

ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين.

ومن بديع كراماته ما حكاه ابن الجوزي وغيره عن شقيق البلخي، أنه خرج حاجًا سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفردًا عن الناس، فقال في نفسه: هذا فتى من الصوفية يريد أن يصير كَلاً على الناس، لأمضين إليه ولأوبخنّه، فمضيت إليه.

فقال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢]، فأراد أن يُحالله فغاب عن عينه، فما رآه إلا بواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر، فجاء إليه ليعتذر فخفف في صلاته.

وقال: قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢]، فلما نزلوا رآه على بئرٍ سقطت ركوته فيها، فدعا فطفٌّ له الماء حتى أخذها فتوضأ، وصلَّى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل، فطرح منه شيء فيها وشرب، فقال له: اطعمني من فضل ما أطعمك الله، فقال: يا شقيق لم تزل أنعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربِّك، فناولنيها فشربت منها، فإذا هو سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه، ولا أطيب ريحًا فشبعت

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥/٢٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/١٩٤)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨/٤٤).

ورُويت، وأقمت أيامًا لا أشتهي شرابًا ولا طعامًا، ثم لم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه في الطريق.

وقوله له الرشيد حين رآه جالسًا عند الكعبة: أنت الذي يبايعك الناس سرًّا، فقال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم، ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف، قال الرشيد: السلام عليك يا ابن عم، سمعها من حوله، فقال الكاظم: السلام عليك يا أبت، فلم يحتملها وكان سببًا لإمساكه وحمله معه إلى بغداد، وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا ميتًا.

ودُفن في الجانب الغربي وعمره خمس وستون عن سبعة وثلاثين ذكرًا وأنثى منهم:

* * *

الإمام علي الرِّضا ﷺ(١)

وهو أنبههم ذكرًا، وأجلُّهم قدرًا، ومن ثَمَّ أحلَّه المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوَّض إليه أمر خلافته، فإنه كتب بيده كتابًا سنة إحدى ومائتين بأن عليَّ الرضا وليّ عهده، وأشهد عليه جمعًا كثيرًا، لكنه ﷺ تُوفي قبل المأمون فأسف عليه كثيرًا، وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنبًا ورمانًا مبثوثًا ويموت، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد ولم يستطع، فكان ذلك كله كما أُخبر به، ومن مواليه الولي الكبير الشيخ أبو محفوظ معروف الكرخي أستاذ السريّ السقطي؛ لأنه أسلم على يده.

وقال ﷺ لرجلٍ: يا عبد الله ارضَ بما يريد الله، واستعد لما لا بدَّ منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. رواه الحاكم.

وروى الحاكم أيضًا عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال: رأيت النبي ﷺ في المنزل الذي ينزله الحجَّاج ببلدنا فسلَّمت عليه، فوجدت عنده طبقًا من خوص المدينة فيه تمر صيحاني فناولني منه عشرة، فتأوَّلت أن أعيش عدتها، فلمَّا كان بعد عشرين يومًا قدم أبو الحسن عليّ الرضا من المدينة، ونزل ذلك المسجد وهرع الناس للسلام عليه، فمضيت نحوه فإذا هو جالسٌ في الموضع الذي رأيت رسول الله ﷺ جالسًا فيه، وبين يديه طبقٌ من خوص المدينة فيه تمرٌ صيحانيٌ، فسلمت عليه فاستدعاني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا عدّتها بعدد ما ناولني رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: زِدني، فقال: لو

---

(١) انظر في ترجمته: خلاصة تهذيب الكمال (١٣٥)، ومرآة الجنان لليافعي (١١/٢، ١٣)، والشذرات (٦/٢)، وطبقات السلمي (٨٥).

زادك رسول الله ﷺ لزِدناك، ولما دخل نيسابور كما في تاريخها وشقّ سوقها، وعليه مظلّة لا يرى من ورائها، تعرّض له الحافظان أبو زرعة الرّازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يُحصى، فتضرّعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثًا عن آبائه، فاستوقفت البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلّة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، وكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه، والناس بين صارخ وباك، ومتمرّغ في التراب ومقبِّل لحافر فرسه، فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصتوا، فأنصتوا واستملى منه الحافظان المذكوران، فقال: حدَّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصّادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه عليّ بن أبي طالب قال: حدَّثني حبيبي وقُرَّة عيني رسول الله ﷺ قال: «**حدَّثني جبرائيل قال: سمعت رب العزة جلّ جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمِنَ من عذابي**[1]»، ثم أرخى الستر وسار فعدّ أهل المحابر والدّوي الذين كانوا يكتبون، فزيد على عشرين ألفاً.

قال الإمام أحمد بن حنبل: لو قرأت هذا الإسناد على مجنونٍ لبرئ من جنته.

تُوفي وعمره خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت، أجلهم الإمام محمد الجوّاد ، لكنه لم تطل حياته.

ومما اتفق أنه بعد موت أبيه بسنة واقف والصبيان يلعبون في أزِقّة مدينة بغداد، إذ مرَّ المأمون ففروا، ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله تعالى محبّته في قلبه فقال: يا غلام ما منعك من الانصراف؟.

فقال له مسرعًا: يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك، وليس لي جرم فأخشاك، والظّن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته، فقال: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: اسمي محمد بن عليّ الرضا، فترحّم على أبيه وساق جواده، وكان معه بزاة للصيد، فلما بعد عن العمارة أرسل بازًا على دراجة، فغاب ثم عاد من الجوّ في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة، فتعجّب من ذلك غاية العجب، ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم، ففروا إلا محمدًا، فدنا منه وقال له: ما في يدك؟.

فقال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكًا صِغارًا يصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى، فقال له: أنت ابن الرضا حقًّا،

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٢٥١/٥).

وأخذه معه وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشغفًا به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكماله، وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه ابنته أم الفضل، وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفًا من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنه إنما اختياره لتميزه على كافة أهل الفضل علمًا ومعرفةً وحلمًا مع صغر سنه، فنازعوا في اتِّصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا يحيى بن أكتم القاضي، ووعده بشيءٍ كثيرٍ إن قطع لهم محمدًا، فحضروا عند الخليفة ومعهم ابن أكتم وخواص الدولة، فأمر المأمون بفرشٍ حسنٍ لمحمد، فجلس عليه فسأله يحيى مسائل فأجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه.

فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال: ما تقول في رجلٍ نظر إلى امرأة أوّل النهار حرامًا، ثم حُلت له ارتفاعه، ثم حُرِّمت عليه عند الظهر، ثم حلَّت له العصر، ثم حُرِّمت عليه المغرب، ثم حُلَّت له العشاء، ثم حُرِّمت عليه نصف الليل، ثم حُلَّت له الفجر، فقال يحيى: لا أدري، فقال محمد: هي أمة نظرها أجنبيٌّ بشهوةٍ وهو حرامٌ، ثم اشتراها ارتفاع النهار وأعتقها الظهر، وتزوَّجها العصر، وظاهر منها المغرب، وكفَّر العشاء، وطلقها رجعيًّا نصف الليل، وراجعها الفجر، فعند ذلك قال المأمون للعبَّاسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوَّجه في ذلك المجلس ابنته أم الفضل، ثم توجّه بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنَّه تسرّى عليها، فأرسل إليها أبوها: إنا لم نزوجك له لنحرّم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله، فلمَّا مات المأمون قدم بها إلى بغداد بطلبٍ من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين.

وتُوفي منها في آخر ذي القعدة، ودُفن في مقابر قريش في ظهر جده الكاظم وعمره خمس وعشرون سنة عن ذكرين وبنتين أجلُّهم:

***

الإمام أبو الحسن عليّ الهادي ﷺ[١]

وَرِثَ أباه عِلمًا وفضلاً وكرمًا، ومن ثمَّ جاءه أعرابي من أعراب الكوفة وقال: إني من المتمسكين بولاء جدّك، وقد ركبني دَيْنٌ أثقلني حمله، ولم أقصد لقضائه سِواك، فقال: كم دَيْنك؟ قال: عشرة آلاف، فقال: طِبْ نفسًا بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب ورقة فيها

(١) انظر في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٥)، والوافي بالوفيات (١/٣٠٣٠).

ذلك المبلغ دينًا عليه له، وقال: ائتني بها في المجلس العام وطالبني بها، وأغلظ في الطلب، ففعل، فاستمهله ثلاثة أيام، فبلغ ذلك المتوكِّل، فأمر له بثلاثين ألفًا، فلمّا وصلته أعطاها الأعرابيّ فقال: يا ابن رسول الله إن العشرة آلاف أقضي بها إربي، فأبى أن يسترد منه من الثلاثين شيئًا، فولّى الأعرابيّ وهو يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ونقل بعض الحُفّاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل، فسأله عمن يخبره بذلك، فدلَّ على الإمام عليّ الهادي، فجاءه فأجلسه معه على السرير وسأله فقال: إن الله حرَّم لحم أولاد الحسين على السباع، فلتُلق إلى السباع فعرض عليها ذلك فاعترفت بكذبها، ثم قيل للمتوكل: ألا نجرب ذلك فيه، فأمر بثلاثة من السباع، فجيء بها في صحن قصره ثم دعاه، فلما دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمَّت الأسماع من زبيرها، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت، فتمسحت به ودارت حوله، وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت، فصعد للمتوكِّل وتحدث معه ساعة، ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل: افعل كما فعل ابن عمك، فلم يجسر عليه وقال: أتريدون قتلي، ثم أمرهم ألا يفشوا ذلك.

تُوفي ﷺ بسر من رأى في جمادى الآخر سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ودُفن بداره وعمره أربعون سنة، وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين ومائتين، فأقام بها إلى أن تُوفي عن أربعة ذكور وأنثى أجلُّهم:

الإمام الحسن العسكري ﷺ (١)

وُلد سنة اثنين وثلاثين ومائتين.

ووقع لبهلول معه أنه رآه وهو صبيٌّ يبكي والصبيان يلعبون، فظنَّه أنه يتحسَّر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب فيه؟

فقال: يا قليل العقل ما للَّعب خُلقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له:

من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥].

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٢/٥٦).

ثم سأله أن يعظه فوعظه ثانيًا، ثم خرَّ الحسن مغشيًا عليه.

فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغيرٌ لا ذنب لك؟ فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تُقد إلا بالصِّغار، وأني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنَّم، ولما حبس قحط الناس بسر من رأى قحطًا شديدًا، فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكِّل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يُسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب، كلما مدَّ يده للسماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشكَّ بعض الجهلة وارتدَّ بعضهم، فشقَّ ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن، وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله ﷺ قبل أن يُهلكوا، فقال الحسن: يخرجون غدًا وأزيل الشك إن شاء الله تعالى، وكلَّم الخليفة في إطلاق أصحابه من الحبس فأطلقهم له، فلمَّا خرج الناس للاستسقاء ورفع الرَّاهب يده مع النصارى غيمت السماء، فأمر الحسن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمي، فأخذ من يده وقال: استسقِ فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كُشف من عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال، وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلى داره عزيزًا مُكرَّمًا، وصلاة الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى، ودُفن عند أبيه وعمره ثمان وعشرون سنة، ولم يخلف غير أبي القاسم.

* * *

الإمام محمد الحُجَّة رضي الله عنه (١)

وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويُسمَّى القائم المنتظر؛ لأنه سُتر بالمدينة وغاب ولم يُعرف أين ذهب.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه المُسمَّى بـ«**اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر**»: الإمام المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام، فيكون عمره على وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين.

هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش بمصر المحروسة عن الإمام

---

(١) انظر: لسان الميزان (٥/٥٢٠)، وتاريخ بغداد (٢/١٩٣).

المهدي حين اجتمع به، ووافقه على ذلك شيخنا الشيخ عليّ الخوَّاص، وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين والثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنه لا بدَّ من خروج المهدي لكن لا يخرج حتى تمتلأ الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة، وهو من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة رضي الله عنها، جدّه الحسين بن علي رضي الله عنهما، والده الإمام حسن العسكري ابن الإمام عليّ النقي بالنون ابن الإمام محمد التَّقيّ بالتاء ابن الإمام علي الرِّضا، ابن الإمام موسى القادم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في الخَلق بفتح الخاء والخُلقُ بضم الخاء، هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، رضي الله عنه وعن آبائه الكرام ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

***

الإمام حسن البصري رضي الله عنه[1]

وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ. مات في شهر رجب سنة عشر ومائة، وهو ابن تسع وثمانين سنة.

قال يونس بن عبيد: ما رأيت رجلاً قط أطول حزنًا من الحسن.

وكان يقول: لا تضحك فإنك لا تدري لعل الله قد اطَّلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئًا.

وقال الحسن: إذا رأيت في ولدك ما تكره فاعتب الله تعالى: أي اطلب رضا الله تعالى، فإنما هو شيءٌ يُراد به أنت.

وقال: لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إلى ما في أيديهم، فإذا احتجت ثقل عليهم حديثك وهُنت عليهم.

وقال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل يحفظوا عني حرفين:

---

(١) انظر في ترجمته في: حلية الأولياء (٢/١٣١)، وتهذيب التهذيب للحافظ (٢/٢٦٣)، والمعارف لابن قتيبة (٤٤٠_٤٤١)، وخلاصة تهذيب الكمال (٦٦)، وكتابنا عن الحسن البصري سيد التابعين (أثمه الله).

أن يرضوا بدني الدنيا؛ لسلامة دينهم، كما أن أهل الدنيا رضوا بدنيّ الدين؛ لسلامة دنياهم.

وقال: في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم:٧] قال: إن الرجل لينقر الدرهم على ظفره فيعلم بوزنه وما يحسن يصلي.

وقال: كل نفقةٍ ينفقها ابن آدم يُحاسب عليها يوم القيامة إلاّ نفقة الرجل على إخوانه، فإن الله ﷻ يستحي أن يسأله عنها.

وعن داود قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد إنك تنفق في هذه الأطعمة، فقال: ليس في الطعام إسرافٌ.

وقال: كنا نسمع أن إحدى موجبات الجنة: إطعام الأخ المسلم السغبان.

وكنا نسمع: أن من وافق من أخيه المسلم شهوةً غفر له.

* * *

الإمام عمر بن عبد العزيز ﷺ[1]

كانت الشياه والذئاب في زمنه يُرعَون سواء من عدله، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ فتركها وزهد فيها، وكانت حلته بخمسين ألف دينار، فلما وُلّي الخلافة صار ينقصها كل حينٍ حتى ما بقي له غير قميصٍ واحدٍ لا يخلعه حتى يتّسخ، فإذا اتّسخ غسله ومكث في البيت حتى يجف.

وكانت زوجته فاطمة بنت عبد الملك وضعت جميع مالها في بيت المال، وصارت كآحاد الناس، قالت: ومنذ وُلِي عمر الخلافة ما اغتسل قط من جنابةٍ إلى أن مات، ولما وُلّي جمع جواريه وقال: قد نزل بي أمرٌ شغلني عنكنّ إلى يوم القيامة حتى يفرغ الناس من الحساب، فمن أحبّت منكنّ أن أعتقها عتقتها، ومن أحبّت أن أمسكها على ألاّ تطلب مني شيئًا فلتقم على ذلك، فبكين وارتفع بكاؤهن حتى ظنّ جيرانه أنه مات عندهم ميت، وخيّر فاطمة بنت عبد الملك بين أن تقيم عنده وبين أن تُلحق بدارِ أهلها، فبكت وعلا نحيبها حتى سمع ذلك الجيران.

---

(١) انظر في ترجمته: سيرة عمر لابن الجوزي (ص٩)، وسيرة عمر لابن عبد الحكيم (ص٢٠)، الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز تأليف الشيخ الإمام أبي حفص عمر بن محمد المعروف بالملاءِ.

قالت: ولم أرَ أحدًا من الرجال أشدُّ خوفًا من الله تعالى من عمر، كان إذا دخل عندي البيت ألقى نفسه في مجلسه، فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ.

وكان يخطب الناس بقميصٍ مرقوع الجيب من بين يديه، فقال له رجلٌ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى أعطاك، فلو لبست! فنكَس رأسه ساعةً، ثم قال: أُفضَل القصد عند الجدة، وأُفضِّل العفو عند القدرة.

وكان يجتمع بالخضر ﷺ، وكان يرسل البريد بالسلام إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ليس له حاجة إلا السلام.

وكان يقول: لو أراد الله ألا يُعصى ما خَلق إبليس.

وكان يقول: المتَّقي ملجمٌ.

وكان يقول: إنما الزهد في الحلال، وأما الحرام فنار تُسعَّر فيها الأموات، ولو كانوا أحياءً لوجدوا النار في بطونهم.

وأخباره كثيرة مشهورة، مات سنة إحدى ومائة رضي الله عنه.

***

الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه(١)

كانوا يسمُّونه أمير المؤمنين في الحديث، وُلد سنة سبع وتسعين، وتُوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وكان عالم الأمة وعابدها.

وكان يقول: لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل في الأدب عشرين سنة.

وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن يصلحهم؟ وفسادهم ميلهم إلى الدنيا، وإذا لم يجد الطبيب دواء إلى داء نفسه فكيف يداوي غيره؟.

وكان يقول: إيَّاك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيءٍ من الأشياء، وتقول أشفع وتدرأ عن مظلوم ظلامة أو تردُّ مظلمة، فإن ذلك من خديعة إبليس، وإنما اتخذ القرآن والقراءة سُلَّمًا للقرب منهم، واصطيادًا للدنيا بذلك.

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣٥٦/٦)، والوفيات لابن خلكان (٢١٠/١)، وطبقات ابن سعد (٢٥٧/٦)، وتهذيب التهذيب (١١١/٤).

وكان يقول: لا يأمر السلطان إلا رجلاً عالماً بما يأمر، وينهى رفيقاً فيما يأمر، وينهى عدل في ذلك.

وكان يقول: أصل كل عداوةٍ اصطناعُ المعروف إلى اللئيم.

وكان يقول: إذا رأيت حريصًا على أن يؤم فأخِّره.

وكان يقول: من رأى نفسه على أخيه بعلمه وعمله حبط أجر عمله وعلمه، ولعل أخاه يكون أورع منه عمَّا حرَّم الله تعالى.

وسُئل عن رجلٍ يكتسب لعياله، ولو صلَّى مع الجماعة لفاته القيام عليهم، ماذا يصنع؟ قال: يكتسب لهم قوتهم، ويصلِّي وحده.

وكان يقول: كثرة النساء ليست من الدنيا؛ لأن عليًّا ﷺ كان من أزهد الصحابة، وكان له أربع نسوة وتسعة عشر سرية.

وكان يقول: أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز، فمن قال غير ذلك فقد اعتدى رضي الله عنهم أجمعين.

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ[١]

وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتُوفي ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة، كان ﷺ حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، كثير الكرم، حسن المواساة لإخوانه.

وكان يُعرف بالريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من داره.

وكان يقول: ما صليت قط إلاّ ودعوت لشيخي حمَّادًا، وكل مَن تعلمت منه علمًا أو علمته.

وكان الإمام الشافعي ﷺ يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه، وكان لا ينام الليل، وسمّوه الوتد لكثرة صلاته، وصلَّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة.

وكان عامة الليل يقرأ القرآن كله في ركعةٍ واحدةٍ، وكان يُسمع بكاؤه حتى يرحمه جيرانه، وختم القرآن في الموضع الذي مات فيه سبعة آلاف مرة، وكان نومه دائمًا في الصيف ساعة بين الظهر والعصر، وفي الشتاء ساعة أول الليل، وأخذ العلم عن شيخه حماد، وهو عن إبراهيم النخعي، وهو عن علقمة، وهو عن ابن مسعود، وهو عن رسول الله ﷺ، ولذلك قالوا: الفقه زرعه عبد الله بن مسعود، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم

---

(١) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (١/٤٥)، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

النخعي وحماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، والناس يأكلون من خبزه، ونظمه بعضهم فقال:

الفقه زرع ابن مسعود سقى علقمة ... إبراهيم حصاده حماد دوّاس
نعمان طاحنه يعقوب عاجنه ... محمد خابزه والآكل الناس

وقد ظهر علمه بتصانيفه، قيل: إنه صنف في العلوم الدينية تسعمائة وتسعة وتسعين كتابًا.

قال الإمام الشافعي ﷺ: من أراد الفقه فليلزم أصحاب أبي حنيفة؛ فإن المعاني قد تيسَّرت لهم، وثبت أن ثابتًا والده أدرك الإمام علي بن أبي طالب فدعا له ولذريته بالبركة، وصحَّ أن أبا حنيفة سمع الحديث من سبعة من الصحابة، وذكر في المنظومة المسماة بجواهر العقائد ثمانية من الصحابة ممن روى عنهم الإمام أبو حنيفة، حيث قال:

مُعتقدًا مذهب عظيم الشأن ... أبو حنيفة الفتى النُّعمان
التابعي سابق الأئمة ... بالدينِ والعلمِ سِرَاج الأمَّة
جمعًا من أصحاب النبي أدركا ... آثارهم قد اقتفى وسَلَكا
طريقة واضحة المنهاج ... سالمة من الضلالِ الداج
وقد روى عن أنس وجابر ... وابن أبي أوفى كَذَا عَنْ عامر
أعني أبا الطفيل ذا ابن وائلة ... وابن أنيس الفتى وواثلة
عن ابن جزء قدر روى الإمام ... وبنت عجرد هي التمام
فرضي اللهُ الكريمُ دائمًا ... عنهم وعن كل الصحابة العظما

وأدرك بالسن نحو عشرين صحابيًّا كما بسط في أوائل الضياء، وسُئل: أيما أفضل علقمة أو الأسود؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم!.

وكان يقول: سمعت عطاء يقول: ما من ملكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ إلا ولله عليهم الحُجَّة، فإن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

وكان له جار يهودي، وكانت قصبة خلائه تنضح على بيته، فمكث عشرين سنة ولم يعلم اليهودي قط بذلك، فبلغ اليهودي ذلك فبكى ثم جاء إليه وأسلم على يديه، وأُكره على تولِّي القضاء، وضُرِبَ على رأسه ضربًا شديدًا أيام مروان فلم يلِ، ولما أُطلق قال: كان عندي همٌّ وغمٌّ من تولي القضاء أشد عليَّ من الضرب.

وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك بكى وترحَّم عليهم.

ثم أكرهه أبو جعفر المنصور بعد ذلك، وأشخصه من الكوفة إلى بغداد، فأبى وقال: لا أكون قاضيًا، فحبسه وتُوفي في السجن ﷺ.

***

الإمام مالك بن أنس [(١)] ﷺ

كان ﷺ رجلاً طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، شديد بياض الثياب، وكان لباسه الثياب العدنية الجياد، وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخَّر وتطيَّب، ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم، وكان إذا دخل بيته جلس للمصحف وتلاوة القرآن، وكانت السلاطين تهابه، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة.

وكان إذا قال في المسألة: لا أو نعم لا يُقال له: من أين قلت هذا؟!.

وأخذ العلم عن تسعمائة شيخ، منهم ثلاثمائة من التابعين، ولما ضربه جعفر بن سليمان العباسي في طلاق المكره وحمله على بعيرٍ قال: نادِ على نفسك، فقال: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس، أقول: طلاق المكره ليس بشيءٍ، فبلغ ذلك جعفر فقال: أدركوه وأطلقوه.

وكان يقول: لا ينبغي للعالم أن يتكلَّم بالعلم عند من لا يطيعه، فإنه ذلٌّ وإهانةٌ بالعلم.

وكان يقول: مِنْ حق طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية.

وكان يقول لمطرف: ماذا تقول الناس فِيَّ؟ فقال: أمَّا الصديق فيثني، وأما العدو فيقع، فقال: ما زال الناس هكذا لهم عدو وصديق، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسن كلها بالذم.

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فعرق وأطرق، وصار ينكث بعودٍ في يده، ثم رفع رأسه وقال: الكيف غير معقولٍ، والاستواء غير مجهولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة،

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣١٦/٦)، وتهذيب التهذيب (٥/١٠)، والديباج المذهب لابن فرحون (١٧ـ٣٠)، وصفة الصفوة (٩٩/٢)، الشذرات (٢٨٩/١-٢٩٢)، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

وأمر به فأُخرج.

وُلد رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين، وتُوفي سنة سبع وسبعين ومائة، ودُفن بالبقيع رضي الله عنه.

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه[1]

يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف، وُلد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة من الهجرة، وعاش أربعًا وخمسين سنة، وتُوفي سنة أربعة ومائتين، تفقه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدم المدينة ولزم الإمام مالك، وقرأ عليه الموطأ حفظًا فأعجبه قراءته، وقال له: اتقِ الله فإنه سيكون لك شأنّ.

قال الربيع بن سليمان: رأيت على باب الإمام الشافعي سبعمائة راحلة تطلب سماع كتبه.

وكان يقول: وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلم ولا يُنسب إِلَيَّ منه حرفٌ.

وكان يقول: وددت أني إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه.

وكان يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وكان يقول: من أراد الآخرة فعليه الإخلاص في العلم.

وكان يقول: من طلب العلم بعز النفس لم يصلح، ومن طلبه بذلّ النفس وخدمة العلم أفلح.

وكان يقول: تفقّه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقّه.

وكان يقول: جمال العلماء كرم النفس وتهيئته للورع والحلم.

وكان يقول: ليس العلم ما حُفظ إنما العلم وما نفع.

وكان يقول: الناس في غفلةٍ عن هذه السورة: ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:١،٢]، وكان قد جزّأ الليل ثلاثة أجزاء، يتفكر في العلم في الثلث الأول، والثاني يصلي، والثالث ينام.

وفي رواية: وما كان ينام إلا يسيرًا، وكان يختم في كل يوم ختمةً.

وكان يقول: ما كَذِبْتُ قط، وما فزعت من الفقر قط، وما تركتُ غسل الجمعة قط.

وكان يقول: من أحب أن يختم الله تعالى له بخيرٍ فليحسن الظن بالناس.

---

(١) انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (٤٨٠/١)، وتذكرة الحفاظ (٣٢٩/١)، ومناقب الشافعي للرازي، وللبيهقي، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

وكان يقول: ليس بأخيك من احتجت لمداراته.

وكان يقول: من علامة الصادق في إخوته لأخيه: أن يقبل علله، ويسد خلله، ويغفر ذلـــله.

وكان يقول: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا هم يعدل فراقهم.

وكان يقول: التكبُّر من أخلاق اللئام.

وكان ﷺ كثير الأسقام، وكان ﷺ ذا هيبةٍ، وكان أصحابه لا يجترءوا أن يشربوا الماء وهو ينظر إليهم.

وكان يقول: أحب لكل مسلمٍ أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ.

قال الربيع: دخلت على الشافعي ليلة مات، فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولكأس المنيَّة شاربًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الكريم واردًا، ثم بكى ﷺ.

***

الإمام أحمد بن حنبل ﷺ [1]

يُضرب به المثل في اتِّباع السُّنة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط، وله في كل يومٍ وليلةٍ ختمة، وكان ورده كل يومٍ وليلةٍ ثلاثمائة ركعة، فلما ضُرب بالسِّياط ضعف بدنه، فكان يصلِّي مائة وخمسين ركعة كل يومٍ وليلةٍ، وحجَّ خمس حجات ثلاث ماشيًا، وكان ينفق في كل يومٍ نحو عشرين درهمًا، وكان يصوم الدَّهر كله، وكان يوصل الصوم فيفطر كل يومٍ على تمرٍ وسويقٍ، وكان يلبس الثياب النفيسة البيض، ويتعهّد شاربه وشعر رأسه وبدنه.

وكان مجلسه خاصًّا بالآخرة، لا يُذكر فيه شيءٌ من أمور الدنيا.

وعن بعضهم قال: بت ليلةً عند أحمد فجاءني بإناءٍ فيه ماءٌ، فوضعه عندي، فلمّا أصبح نظر إلى الإناء فوجده كما هو فقال: سبحان الله! يطلُب العلم من لا ورد له من الليل!.

ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجلٍ يُقال له: أبو الهيثم العيار فوقف عنده

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٩/١٦١)، والبداية والنهاية (١٠/٣٢٥_٣٤٣)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، وصفة الصفوة (٢/١٩٠)، وطبقات الشعراني (١/٤٦)، والمنهج الأحمد، والروض المنضد، والمقصد الأرشد، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

وقال: يا أحمد أنا فلان اللص، ضُربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت، وأنا أعرف أني على الباطل، فاحذرْ أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط، فكان الإمام أحمد كلما أوجعه الضَّرب يتذكر كلام ذلك اللِّص ويتأسَّى به.

قال الفضيل بن عياض: حُبس الإمام أحمد ثمانية وعشرون يومًا، وكان فيها كل قليل يُضرب بالسياط حتى يُغمى عليه، ويُنخس بالسيف، ثم يُرمى على الأرض ويُداس عليه، ولم يزل كذلك إلى أن تولَّى المتوكِّل فرفع المحنة عن أحمد، وأمر بإحضاره وإكرامه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السُّنة، وأن القرآن غير مخلوقٍ، ولما أُدخل أحمد بن حنبل على المتوكل قال لأمه: يا أماه، قد نارت الدار بهذا الرجل، ثم أتوا بثيابٍ نفيسةٍ فألبسوها له فبكى، وقال: سلمت منهم عمري كله حتى إذا دنا أجلي بُليت بهم وبدُنياهم، ثم نزعها لما خرج.

تُوفي ﷺ سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعًا وسبعين سنة، ولما مرض اجتمع الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدُّروب، فلمَّا قُبض صاح الناس وعَلَت الأصوات بالبكاء، وارتجَّت الأرض بموته، وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلُّون عليه، فحصروا من حضر من الرجال ثمانين ألف رجل، ومن النساء ستون ألفًا، سوى من كان في الأطراف، فإنهم مع ذلك يكونون أكثر من ألف ألف، وفي روايةٍ: فبلغوا ألفي ألف ﷺ.

***

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ﷺ (١)

كان من العلماء العالمين، تنــزل الرحمة عند ذكره، وكان صائم الدهر وجاع حتى انتهى أكله كل يومٍ تمرة أو لوزة؛ ورعًا وحياءً من الله تعالى في تردده إلى الخلاء.

وكان يقول: إني أرجو أنْ ألقَ الله تعالى ولا يطالبني أني اغتبت أحدًا.

وكان يقول: المادح والذام عندي سواء.

وما اشترى شيئًا أو باعه قط، وكان زاهدًا ورعًا، وكان ينام في الظلام، وربما نام في الليل نحو العشرين مرة يقدح الزناد ويسرج، ويكتب أحاديث ثم يضع رأسه، وكان

(١) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (١/٥٤)، وقد صنفت عشرات الكتب في التعريف بالإمام البخاري وصحيحه.

يصلّي كل ليلةٍ آخر الليل ثلاثة عشرة ركعة يوتر بواحدةٍ منها، وكان يصلّي بأصحابه في ليالي رمضان كلِّ ليلةٍ بثلث القرآن، ويختم كل ثلاث، ويقول عند كل ختمةٍ دعوة مجابة، وما وضع حديثًا في الصحيح إلا وصلّى عقبه ركعتين شكرًا لله ﷻ، وكان يأكل من مال أبيه.

وكان يقول أبوه: ما أعلم أن لي مالاً حرامًا ولا شبهةً.

وُلد ببخارى سنة أربعة وتسعين ومائة، وتُوفي ليلة عيد الفطر سنة ستة وستين ومائتين، ودُفن بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند.

ونُقل عنه أنه قال: إني أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف غير صحيحٍ، ورُوي أنه قبَّله الإمام مسلم بين عينيه وقال: دع أقبِّل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في علله.

ورُوي عن الغربري تلميذه أنه سمع منه الصحيح تسعون ألف رجل، ثم أن صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح الكتب المصنفة. قاله النووي وابن حجر في شرح النخبة باتفاق العلماء.

وقول الإمام الشافعي: لا أعلم كتابًا في العلم أكثر صوابًا من كتاب مالك، إنما كان قبل الصحيحين، وقد كانت إذ ذاك كتب لابن جريح وغير ذلك، وموطأ مالك كان أجلُّها نفعًا، والبخاري أرجح من مسلم، لأنه اشترط في كتابه أن يكون الراوي عاصر شيخه، وثبت عنده سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني، وأبو علي النيسابوري شيخ الحاكم وطائفة من الغرب يرجحون مسلم.

قال ابن حجر في شرح النخبة: ما وجد من أحدٍ التصريح بترجيح مسلم، وما نُقل عن أبي علي النيسابوري من أنه قال: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم، فلم يصرِّح بكونه أصحّ؛ إذ لم ينفِ المساواة.

واختلف العلماء أن صحتهما ظنيَّة أو قطعيَّة، فذهب ابن الصلاح إلى الثاني، والنووي إلى الأول، وبالجملة فكل منهما كتاب كريم.

قال ابن الصلاح: جميع ما في البخاري بالمكرر سبعة آلاف حديث ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا، وبغير المكرر أربعة آلاف، وجميع ما في مسلم بغير تكرارٍ نحو أربعة آلاف حديث.

***

الإمام مسلم ﷺ [1]

كنيته أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، منسوب إلى قشير ابن كعب بن ربيعة، وهو من تلامذة الإمام البخاري وشاركه في شيوخ، مات بنيسابور لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين، وكان ابن خمس وخمسين سنة، رضي الله عنهما وعن سائر المحدثين.

***

الشيخ داود الطائي ﷺ [2]

كان كبير الشأن في باب الزهد والورع، حتى أنهم دخلوا عليه في مرض موته فلم يجدوا في بيته شيئًا غير دَن مغبر فيه خبز يابس، ومطهرة، ولبنة كبيرة من التراب هي مخدته.

وكان يقول لأصحابه: إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة.

وقيل له مرة: دلنا على رجلٍ نستريح إليه، فقال: تلك ضالة لا توجد.

تفقه على الإمام أبي حنيفة، ثم انقطع إلى الله تعالى واعتزل الناس إلى أن مات، وكان الإمام أبو حنيفة ﷺ يزوره هو وأصحابه.

قال الإمام القشيري في رسالته: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر آبادي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وقد أخذها من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنهم أجمعين.

وأيضًا أخذ الطريقة من حبيب العجمي، وهو من حسن البصري، وهو من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو الربيع: رأيت داود الطائي في المنام مع عصابةٍ فأذَّن وأقام وصلَّى بهم وأنا خلفه، كبَّر وصلَّى ودعا فقال له بعضهم: أليس كنت قَدْ متَّ يا داود؟ قال: لم أمت لكن نمت وأنا في كنف الله وجواره حيٌّ مرزوقٌ ﷺ.

---

(١) انظر في ترجمته: الإمام مسلم لمشهور حسن سليمان، والطبقات لمسلم.

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الأولياء لابن الملقن (١/٢٠٠)، وطبقات الصوفية (ص٨٥)، وتاريخ بغداد (٨/٣٤٧).

الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه(١)

(١) قال ابن الأطعاني: هو ابن فيروز، وقيل: ابن الفيرزان، وقيل: معروف بن علي الكرخي- كرخ بغداد على الصحيح- وهو من جُلّة المشايخ، وقدمائهم، والمشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة يستسقى بقبره. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب، وقبره هناك مشهور، ومعروف ظاهر يتردد الخلق إلى زيارته، فكم من صاحب ملكه بشيء، ومعروف معروف. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في رسالته - في ترجمة معروف: وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما مات سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، وكان أستاذ سري السقطي. وقد قال له يوماً، فإذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول:

كان معروف أبواه نصرانيين فسلّموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي، وكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، ويقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا، ورجع إلى منزله، ودق الباب فقيل: من بالباب؟ فقال: معروف، فقالوا: على أي دين أنت؟ فقال: على الدين الحنفي، فأسلم أبواه.

قال سري السقطي: رأيت معروفاً الكرخي في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته: من هذا ؟. فقالوا: أنت أعلم يا رب، فقال: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي.

وقال محمد بن الحسين: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك؟ فقال لا: بل بقبولي موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء، فأما موعظة ابن السماك فيما قال معروف: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكلّيته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله إليه برحمته، وأقبل بوجوه جميع الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه برحمته وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله وتركت كل ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، ثم ذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت!.

وقال السري السقطي: قيل لمعروف عند موته: أَوْصِ! فقال: إذا أنا مت فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً.

وقال أبو بكر بن أبي طالب: دخلت مسجد معروف، وكان في منزله، فخرج إلينا ونحن جماعة

=

=

فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرددنا عليه السلام، فقال:

حياكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا بالأحزان، ثم شرع في الأذان وارتعد واضطرب، فلما بلغ الشهادتين قام شعر لحيته وحاجبيه واضطرب حتى خفت أن لا يتم أذانه، وانحنى حتى كاد يسقط، قال: قال الله تعالى: أحب عبادي إلي المساكين الذين سمعوا قولي وأطاعوا أمري، ومن كرامتهم علي أن لا أعطيهم دنيا فينقلبوا بها عن طاعتي.

قال إبراهيم الأطروشي: كنا ببغداد على دجلة مع معروف إذ مر أحداث في زورق يضربون بالدف، ويشربون ويلعبون، فقلنا: أما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين؟ ادع الله عليهم فرفع يديه، وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة.

فقالوا إنما سألناك لتدعو عليهم فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم، فرُوِيَ أنهم تابوا بأجمعهم.

وجاء معروف يوماً إلى دجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها، وقال: يا أختي أنا معروف، ولا بأس عليك، ألك ولد يقرأ القرآن؟ قالت: لا. قال: فزوج؟ قالت: لا. قال: فهاتي المصحف وخذي الملحفة.

قال محمد بن منصور الطوسي: كنت عند معروف الكرخي فدعا لي ثم عدت إليه من الغد وفي وجهه أثر، فقال له إنسان: يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا؟ فقال: سل عما يعنيك؟ فقلت له: بمعبودك ألا قلت لي! فقال: صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة، فطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه.

وقال خليل الصياد: فقدت ابني محمد زمناً طويلاً فوجدنا عليه وجداً شديداً، فأتيت معروفاً، فقلت له: يا أبا محفوظ غاب ابني محمد وأمه عليه واجدة، فقال: ما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يردّه، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك، آت محمداً، قال خليل: ثم خرجت إلى باب الشام، فإذا ابني محمد واقف، فقلت: محمد! فقال: يا أبت الساعة كنت بالأنبار.

وقال يعقوب ابن أخي معروف: كان عمي مؤاخياً لصديقين: إبراهيم والأسود بن سالم وكانا جميعاً يودّانه مودة صحيحة، ويتجاريان عنده بالعلم والعمل، فقالا لعمي: إن بشر بن الحارث يحب أن يؤاخيك وهو يكره كثرة اللقاء خوفاً أن لك عليه حقوقاً بحق الأخوة فتعوده أو يعودك، فإن أنت قبلته أن لا تلتقيا إلا لله ﷻ فاعقد ذلك، فقال معروف:

والله لوددت رجلاً لله ما أحببت أن أفارقه في ليل ولا نهار، وأن أشركه في أعمالي كلها من النوافل، ولو قسمت لي الجنة لأحببت أن يدخله الله قبلي لأني إنما أحببته لله، ومن أحب لله

=

=

وأبغض لله فقد استكمل الإيمان، وقد عقدت له الأخوة برسالتكما كما عقد رسول الله ﷺ لنفسه ولعلي، وشاطره العلم وفقهه بأشياء خصه بها جبريل عليه السلام من الدعاء والذكر في الخلوة، وأنا أوصيه بالله تعالى إذا خلا بالله ﷻ، واعلما أن العلم إذا عمل به العالم استوت قلوب المؤمنين، وما أحب رجل رجلاً لله إلا وجب على المحبوب الدعاء له، وإن العبد إذا صدق في سره لمن وده في الله أصلح الله له سره وعلانيته، ويشفع بعضهم في بعض وجعل ما أسكنه قلوبهم فيه نجاتهم وألهمهم الشكر على إحسانه إليهم، وعرفهم أن ذلك منه فهم في أعمال الآخرة في تمام، ومن الدنيا على رحيل، ومن الساعات على تفقد فأي وقت أتاهم الموت لم تلحقهم حسرة إلا على ما فاتهم من صحة الأعمال.

وقال: إن بعض جلسائه انصرف من عنده في شهر رمضان بعد صلاة المغرب، قال: فجئته من الغد، فقال لي: أي وقت بلغت منزلك! قلت: كما دخلت أفطرت، فقال: من أين كان لك ما أفطرت عليه؟ فقلت: لا أدري، قال: لا تفطر على شيء حتى تدري وإلا فأفطر فهو خير لك.

قال معروف يقول الله تعالى في بعض الكتب: ابن آدم ما أخسرَك، تسألني فأمنعك لعلمي بما يصلحك، ثم تلح علي في المسألة فأجود بكرمي عليك، وكم من جميل أعطيك فأعطيك ما تسألني فتستعين بما أعطيك على معصيتي فأهم بهتك سترك فتسألني فأستر عليك، ثم تعاود المعصية، فأستر عليك، فكم من جميل أصنعه بك، وكم من قبيح تعمله معي! يوشك أن أغضب عليك غضباً لا أرضى بعده أبداً.

وقال: رأيت بالبادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قصب، وعليه قميص كتان، وفي رجليه نعل طاق. قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان، ومن زيّه فقلت السلام عليكم ورحمة الله، فقال: وعليك السلام يا عم. فقلت له: الفتى من أين؟ قال: من مدينة دمشق، قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت منه وكان بينهم وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة، فقلت له: وأين المقصد؟ قال: مكة إن شاء الله، فعلمت أنه محمول، ثم ذهبت فلم أره حتى مضت ثلاث سنين، فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه، إذا بإنسان يدق الباب فخرجت إليه، فإذا بصاحبي فسلمت عليه، وقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً وأدخلته المنزل، فرأيته حافياً حاسراً، فقلت: إيش الخبر؟ فقال: يا أستاذ لم تخبرني بما يفعل معامليه؟ قلت له: فأخبرني ببعض خبرك؟ قال: نعم لاطفني حتى أدخلني الشبكة، ثم ضربني ورماني، فمرة يلاطفني، ومرة يهينني، ومرة يكرمني، ومرة يجيعني، فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه، ثم ليفعل بي ما يشاء. قال معروف: فأبكاني كلامه فقلت له: فحدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني، فقال: هيهات أن

=

أبديه وهو يريد أن أخفيه، ولكن أخبرك بما فعل بي في طريقي إليك سيدي ومولاي.

ثم استفرغه البكاء، فقلت: وما الذي فعل بك؟ قال: جوعني ثلاثين يوماً، ثم جئت إلى قرية فيها مقثاة قد نبذ منها الدود وطرح، فقعدت آكل منه، فبصرني صاحب المقثاة، فأقبل إلي يضرب ظهري، ويقول: يا لص ما خرب مقثاتي غيرك، مذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك، فبينما هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى ولي من أولياء الله تضربه وتقول له يا لص فأخذ بيدي صاحب المقثاة، وذهب بي إلى منزله فما ترك شيئاً من الكرامة إلا عمله معي، واستحلني، فبينما كنت عنده لصاً إذ جعلني ولياً، ثم إن صاحب المقثاة قال: قد جعلت هذه المقثاة لله تعالى ولأصحاب معروف، فقلت له: صف لي معروفاً؟ فوصف لي الصفة فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك. قال معروف: فما استتم كلامه حتى دق صاحب المقثاة الباب، ودخل إلي وكان موسراً فأخرج جميع ماله ودنياه وجعل الجميع للفقراء، وصحب الشاب سنة، ثم خرجا إلى الحج فماتا بالربذة رحمهما الله.

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: جرى ذكر معروف الكرخي في مجلس والدي، فقال واحد من الجماعة: هو قصير العلم، فقال له والدي: أمسك عافاك الله، وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف.

وروي عنه: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله.

وروي عنه: إذا أراد الله بعبد شراً أورثه حب الدنيا والخذلان، وأسكنه بين الفقراء.

وقال: إذا أراد الله بعبد شراً ابتلاه بالخذلان، وأسكنه بين الأغنياء، فإذا نظر إليهم استعظم غناهم.

وقال: قلوب الطاهرين تشرق بالتقوى وتزهر بالبر، وقلوب الفجار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النية، وإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الفترة والكسل.

وقال: ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين في الصالحين.

وقال له رجل: أوصني، فقال: توكل على الله حتى يكون هو معلمَك ومؤنسَك وموضعَ شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.

وقال: علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل.

وقيل له: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: هومهم الله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه، ثم قال: ليس للعارف نعمة، وهو في كل نعمة.

وقال: التصوف الأخذ بالحقائق، والكلام في الدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق. والله أعلم.

من كبار المشايخ المذكورين بالزهد والورع والفتوة، مُجاب الدعوة، يُستسقى بقبره، وهو من موالي الإمام عليّ الرِّضا ﷺ، صحب داود الطائي، ومات ببغداد سنة مائتين ودُفن بها.

ومن كلامه: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل.

وكان يقول: ما أكثر الصالحين، وما أقل الصادقين فيهم.

وكان يقول: العارف يرجع إلى الدنيا اضطرارًا، والمفتون يرجع إلى الدنيا اختيارًا.

وكان يقول: إذا عمل العالم بالعلم أحبته قلوب المؤمنين، وكرهه كل من في قلبه مرضٌ.

وكان يقول: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا زوى عنه الخذلان، وأسكنه بين الفقراء الصادقين، وإذا أراد بعبدٍ شرًّا عطَّله عن الأعمال الصالحة، حتى تكون أثقل عليه من الجبال، وأسكنه بين الأغنياء.

وكان يقول: من قال: اللَّهُمَّ أصلح أمة محمد، اللَّهُمَّ ارحم أمة محمد، اللَّهُمَّ فرج عن أمة محمد، كتبه الله من الأبدال.

***

=

وانظر في ترجمته: طبقات الصوفية للسلمي (ص٨٣، ٩٠)، الرسالة القشيرية (١٢)، حلية الأولياء (٨/٣٦٠، ٣٦٨)، صفة الصفوة (٢/٧٩، ٨٣)، تاريخ بغداد (١٣/١٩٩)، مرآة الجنان (١/ ٤٦٠)، طبقات الحنابلة (١/٣٨٠)، نفحات الأنس (٥)، اللمع (١٨٥)، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، اللباب (٣/٣٥)، الأنساب (٧٨)، التعرف (١١)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٤)، طبقات ابن الملقن (٥٨)، معروف الكرخي لابن الجوزي.

الشيخ السَّري السقطي رضي الله عنه(١)

(١) هو أبي الحسن سري بن المغلس أبو الحسن السقطي. أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد. وهو خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفًا الكرخي، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد وهو أول من تكلم فيها ببغداد، إليه ينتمي أكثر المشايخ. وحكي عن عبد الله بن الفضل أنه قال: حضرت السري السقطي وهو يجود بنفسه فلحظني بعينه فرآني أبكي، فقال لي: ما لك تبكي؟ فقلت: لما أرى بك؟ فقال: لا تبك لأني قد حسبت حسابي مع الله ﷻ، كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته، فلما وجدته استخدمني عشر سنين، ثم أبكاني فبكيت عشر سنين، ثم شوقني فاشتقت إليه عشر سنين، ثم أفناني ففنيت عشر سنين، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه، فينبغي يا أبا محمد تهنيني.
وحُكي أنه لما توفي رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟، فقال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي، قال الرائي: فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال فأخرج درجًا درجًا ونظر فيه فلم ير فيه اسمي، فقلت: بلى قد حضرت فنظر، فإذا اسمي في الحاشية.
وسبب زهده: أنه كان يجول في السوق ويتردد إلى معروف الكرخي.
قال: فجاءه معروف يومًا وهو في حانوته ومعه صبي يتيم، فقال: اكس هذا اليتيم، قال السري: فكسوته ففرح معروف بذلك، وقال: بَغَّضَ الله إليكَ الدنيا وأراحك مما أنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.
قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري: أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رُؤي مضطجعًا إلا في علة الموت. وكان أيضًا يقول لنا السري ونحن حوله: أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة، وكان إذا جن عليه الليل دافع أوله، ثم دافع، فإذا غلبه النوم أخذ في النحيب والبكاء.
وقال الجنيد أيضًا: سألني السري يومًا عن المحبة؟ فقلت له: قال قوم هي الموافقة وقال قوم: هي الإيثار، وقال قوم كذا، فأخذ السري جلدة ذراعه ومدها فلم تمتد، ثم قال: وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشي عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمة. وقال الجنيد أيضًا: سمعت السري يقول في بعض دعائه: اللَّهُمَّ ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.
وقال السريُّ: أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة من قولي مرة: الحمد لله، قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع الحريق ببغداد فاستقبلني وقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله فأنا من ذلك الأوان نادم على قولي حيث أردت لنفسي خيرًا دون المسلمين.
=

=

وقال الجنيد: دخلت يومًا على السريِّ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذه ليلة حارة فأعلق الكوز لعله يبرد فتفطر عليه، ثم حملتني عيناي، فنمت فرأيت في المنام جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وتناولت الكوز فضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسور لم يمسه ولم يرفعه حتى عفى عليه التراب.

وقال عليُّ بن الحسين: بعثني أبي إلى السري بشيء من حَبِّ السعال لسعال كان به، فقال لي: كم ثمنه؟ فقلت: لم يخبرني بشيء!

قال: اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نُعلِّمُ الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم فترانا نأكل اليوم بديننا؟ ولم يأخذه.

قال السري: صليت وردي ليلة من الليالي، ثم مددت رجلي في المحراب، فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك

قال: فضممت رجلي، ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبدًا.

وروي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يومًا، فقال لها: لم أبطأت؟ قالت: لأن غزلي ما اشتُري، وذكروا أنه مخلط، فامتنع من أكل طعامها، فدخلت عليه أخته يومًا فرأت عجوزًا تكنس بيته، وقد حملت له رغيفين فخرجت شكته إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فقال أحمد ذلك للسري، فقال: لما امتنعت من طعام أختي قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني.

وقال: اعتللت بطرسوس علة الدرب فدخل علي فقراء القراء يعودوني وجلسوا فأطالوا فأذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعُ الله! فمددت يدي وقلت:

اللّهُمَّ علِّمنا كيف نعود المرضى.

وقال الجنيد: سمعت السري يقول: خفيت علي علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر على الجمعة ولنا أماكن معروفة بنا لا نكاد نخلوا عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأصبحت قد تخلفت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة، فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أصبحت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري، فتركت ذلك المكان الذي كنت أصلي فيه وجعلت أصلي من أماكن مختلفة، لئلا يعرف مكاني، وقضيت صلاة الجمعة ثلاثين سنة.

وقال أيضًا: دخلت يومًا على السري فرأيته متغيرًا فقلت: مالَكَ؟ فقال: دخل علي شاب فسألني عن التوبة؟ فقلت له: أن لا تنسى ذنبك، فعارضني، وقال: لا بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت:

=

=

إن الأمر عندي على ما قاله الشاب، فقال لِمَ؟ فقلت: لأني إذا كنت في حال الجفا ثم نقلني إلى حال الوفا، فذكر الجفا في وقت الوفا جفا.

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله كلامًا معناه أن كلام السري رحمه الله أتم من كلاميهما، لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة يلزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، كذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم، فكلامهما يخص حالهما وكلام السري مَهيعٌ موروَدٌ للسالكين، والله أعلم.

وقال السري: كنت أطلب رجلاً صدّيقًا مدة من الزمان، فمررت ببعض الجبال فإذا بجماعة زمنى وعميان ومرضى، فسألت عن حالهم؟ فقالوا: هنا رجل صدّيق يخرج في كل سنة مرة واحدة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء، فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له: بي علة باطنة فما دواؤها؟ فقال: خلِّ يا سري عني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه.

قال علاّن الخياط: كنت يومًا جالسًا مع السري السقطي فوافته امرأة فقالت له: يا أبا الحسن أنا في جوارك، وقد أخذ ابني الطائفُ البارحة، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه.

قال علاّن: فتوقعت أن يبعث إليه! فقام وكبّر وطول في صلاته. فقالت المرأة: يا أبا الحسن الله اللهَ فيَّ هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان. فسلم وقال لها: أنا في حاجتك.

قال علان: ورأيت منه أعجب من هذا، وذاك أنه اشترى مرة كُرّ لوز بستين دينارًا، وكتب ثلاثة دنانير ربحة، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وقال له: إن ذلك اللوز أريده، فقال: خذه، قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين دينارًا. فقال له الدلال: إنه قد صار الكُرّ بتسعين دينارًا، فلا الدلاّل اشترى منه ولا سري باعه منه. قال علان: فكيف لا يُستجاب من هذا فعله؟.

قال السري: صحبت رجلاً من سَر يعرف بالواله، مدة سنة، فلم أسأله عن مسألة، ثم قلت له يومًا: إيش المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال: أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن تمتحي من سرائرك وظواهرك كل شيء غيره، فقلت له: بأي شيء يوُصَلُ إلى هذا؟ فقال: بزهدك فيك وبرغبتك فيه.

قال السري: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر. وقال إن إبليس قال: زينت لأمة محمد ﷺ الذنوب فقطعوا ظهري بالاستغفار، فغويتهم بالأهواء فإنها ذنوب يقاتلون عليها ولا يستغفرون منها.

=

=

وكان للسري تلميذةٌ، وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب، فبعث به المعلم إلى الرحا فنـزل الفتى إلى الماء فغرق، فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك. قال سري: قوموا بنا فذهبوا إلى أمه فجلسوا عندها، وتكلم عليها سري في علم الصبر، ثم في علم الرضا قالت له: يا أستاذ وإيش تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت: ابني؟ قال لها: نعم، قالت إن ربي ما فعل هذا، ثم عاد سري في كلامه في الصبر والرضا مثل ذلك. فقالت: قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالت: أين غرق؟ قالوا: هاهنا فصاحت: ابني محمد! فأجابها: لبيك يا أماه، فنـزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منـزلها، فالتفت سري إلى الجنيد، وقال: إيش هذا؟ فقال: جنيد: أقول؟ فقال: قل. قال: إن المرأة مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعيًا لما لله عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلمه بذلك، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك، فقالت: إن ربي ما فعل هذا أو كلامًا هذا معناه.

وقال ابن أبي الورد: كان سري يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس، فاعتل فعدته عيادة السنّة يعني بين كل ثلاثة أيام، فنظرت في وجهه، فرأيت على لسانه شيئًا، فَهَمَلَتْ عيناي وسقط من دموعي على وجهه، ففتح عينيه ونظر إلي، فقلت له: رحمك الله أوصِ بشيء أحفظه عنك! فقال: احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وكان ذلك آخر كلامه.

وحكى أبو القاسم الجنيد قال: بت ليلة عند السري ﷺ، فلما كان بعض الليل، قال لي: يا جنيد أنت نائم؟ قلت: لا، فقال: الساعة أوقفني الحق ﷻ بين يديه، وقال لي: يا سري خلقت الخلق كلهم، فادعّوا محبتي، فخلقت الدنيا فاشتغل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا، وبقي ألف فخلقت الجنة، فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعمائة، وبقي مائة فسلطت عليهم شيئًا من البلاء، فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء وبقي عشرة، فقلت لهم: لا الدنيا أردتم ولا الآخرة رغبتم ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، فقال: إني أنـزل عليكم من البلاء مالا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسي فتثبتون لذلك، فقالوا: أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا، بك نحمل وفيك نحمل مالا تطيقه الجبال، فقال لهم: أنتم عبيدي حقًا رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وقال ابن مسروق: سمعت سريًا يقول: بينما نحن نسير في بلاد الشام إذ ملنا عن الطريق إلى ناحية جبل عليه عابد فجئنا إليه فوجدناه يبكي، قال سري: فقلت له: ما أبكى العابد؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد توعرت الطرق، وقل السالكون فيها، وهجرت الأعالي، وقل الراغبون فيها ورفض الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال،

=

=

وقد افترش الرخص وتمهد التأويل واعتل بذلك العاصون، ثم صاح صيحة، وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السماوات؟ ثم ولى صارخًا وهو يقول: واغمَّاه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء، وجال جولة ثم قال: أين الأبرار من العباد، بل أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى، وقال: شغلهم والله طول الوقوف، وهمّ الجواب عن ذكر الجنة والنار وذكر الثواب، ثم قال: أنا أستغفر الله من شهوة الكلام. تَنحُّوا عني، فخليناه وهو يبكي وقد ملئنا منه همًّا وغمًّا.

وقال الجنيد: سمعت سريًا يقول: بدوت يومًا من الأيام وأنا حدث فطاب وقتي وجن علي الليل وأنا بفنـــاء جبل لا أنيس به فناداني في جوف الليل مناد: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب. قال: فتعجبت، وقلت: أجنّي يناديني أو إنسي؟ فقال: بل جني مؤمن بالله ومعي إخواني، قلت: فهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم وزيادة. قال: فناداني الثاني منهم: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة. قال: فقلت في نفسي: ما أبلغ كلامَهُم، فناداني الثالث منهم: من أنس به في الظلام نشر له غدًا الأعلام. قال: فصعقت، فما أفقت إلا برائحة الطيب، فإذا أترجة على صدري فشممتها، فأفقت فقلت: وصيةً رحمكم الله! فقالوا جميعًا: أبى الله إلا أن تحيا به قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ، ومن اتبع طبيبًا مريضًا دامت علته، ومن اتبع الدليل الحائر رجع وهو كليل، وفقنا الله وإياك. وودّعوني ومضوا وقد أتى علي حين فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري.

قال الجنيد: دخلت يومًا على السري، فقال لي: ما أوائل أحوال الصديقين؟ قلت: لا أدري فقال: ثلاثة من أحوال الصديقين: أن يكونوا بما في أيديهم وإخوانهم سواء، ويطالبون نفوسهم بما لله عليهم، وإذا عرض أمران لله فيهما رضا حملوا أنفسهم على أصعبهما وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم.

وقال أبو إسحاق الحُبلى: دخلت على علي بن عبد الحميد الغضايري رحمه الله فوجدته من أفضل خلق الله تعالى، وكان لا يتفرغ من الصلاة آناء الليل والنهار فانتظرت فراغه، وقلت: إنا تركنا الآباء والأمهات والأهل والوطن بالرحلة إليك، فهل تفرغتَ ساعة فتحدثّنا بما عندك عما آتاك الله تعالى من العلم، فقال: أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي، وذلك أني جئت إليه يومًا فقرعت بابه، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا فسمعته يقول قبل أن يخرج إلي: اللَّهُمَّ من جاءني يشغلني عنك فاشغله بك عني، فما رجعت من عنده حتى جئت على الصلاة والاشتغال بذكر الله تعالى حتى لا أتفرغ إلى شيء سواه ببركة ذلك الشيخ.

وقال قدس الله روحه: اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر، واستجلب نور القلب بدوام

=

=

الخوف، والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف، وألح في المسالة عند وجل القلوب، وإياك والتسويف، ونافس الأبرار في إقامة الفرض، ونافس المقربين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب وجمع الهمم، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، وأكثر الحسنات الحديثات للسيئات القديمات، واستبق الحسنات بقلة التبعات، وسارع في الخيرات، واحذر ما يوجب عليك العقوبات.

قال: التصوف اسم لثلاث معان:

- وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.
- ولا يتكلم في علمٍ باطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب.
- ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال: أعرف طريقًا مختصرًا قصدًا على الجنة.

فقيل له: ما هو؟ قال: لا تنال من أحد شيئًا ولا تأخذ من أحد شيئًا، ولا يكون معك شيء تعطي أحدًا.

وقال: التوكل: الانخلاع من الحول والقوة، وأربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم، وأربع خصال يرفع الله بها: العلم والأدب والدين والأمانة.

وقال: من لم يعرف قدر النعم سُلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها، وقليل في سنة خير من كثير في بدعة، وكيف يقل عمل مع تقوى.

وقال: الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبه، وأمر أُشكل عليك فقف عنده وَكِلْهُ إلى الله وليكن الله دليلكَ، واجعل فقرَك إليه تستغني به عمن سواه.

وقال: لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، فيبين على الوجه ما يضمر القلب. والقلوب ثلاثة: - قلب مثل الجبل لا يزيله شيء.

- وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها.
- وقلب كالريشة تميل مع الريح يمينًا وشمالاً.

وقال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها، فيقال يا أمة موسى، ويا أمة عيسى، ويا أمة محمد ﷺ، غير المحبين لله فإنهم ينادَون: يا أولياء الله هلموا إلى الله، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحًا.

وقال: خير الرزق ما سلم من الآثام في الاكتساب والمذلة والخضوع في السؤال والغش في الصناعة، وإتيان ألد المعاصي. ومعاملة الظلمة.

وقال: وأحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، =

خال الجنيد وأستاذه، صحب الشيخ معروف الكرخي، وكان أوحد أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد، وهو أوَّل من تكلَّم ببغداد، وإليه انتمى المشايخ ببغداد، مات سنة إحدى وخمسين ومائتين، وقبره بها ظاهر يُزار بالشونزية.

وكان يقول: من علامة الاستدراج للعبد عماه عن عيبه، واطلاعه على عيوب الناس.

وكان يقول: من سكن إلى قول الناس فيه أنه وليّ الله فهو في يد نفسه أسيرٌ.

وكان يقول: ثلاثة من علامة سخط الله على العبد: كثرة اللعب، والاستهزاء بالناس، والغيبة.

وكان يقول: ما رأيت شيئًا أحبط للأعمال، ولا أفسد للقلوب، ولا أسرع في هلاك العبد، ولا أدوم للإصرار، ولا أقرب للمقت، ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد بنفسه، ونظره في عيوب الناس لا سيّما إذا كان معروفًا مشهورًا بالعبادة.

وكان يقول: خصلتان تباعدان العبد من الله تعالى: أداء نافلة بتضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدقٍ.

وكان يقول: من أنس بربِّه في الظلام نُشرت له عنده الأعلام.

***

=

وجلاء الرين من القلوب، وأن لا يكون لما تهوى ركون.

وقال: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها كلما خلق الله من الأطيار يخاطبه كل طير منها بلغة، وقال له: السلام عليك يا ولي الله، ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان في يدي نفسه أسيرًا.

توفي ببغداد في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سبع وخمسين ومائتين، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/١١٦، ١٢٦) الرسالة القشيرية (ص١١٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٢٥١)، وصفة الصفوة (٢/٢٠٩، ٢١٨)، وتاريخ بغداد (٩/١٨٧، ١٩٢) والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٣)، ومرآة الجنان (٢/١٥٨)، وشذرات الذهب (٢/١٢٧)، وطبقات الشعراني الكبرى (١/٨٦)، والوافي في الوفيات للصفدي (١٨/٢١٢٩)..

الشيخ الجنيد البغدادي رضي الله عنه[١]

(١) هو سيد الطائفتين ومفتي الفريقين وإمامهم وتاجهم وطاووس العباد وقطب العلم والعلماء:
أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريري قدس الله روحه ونوّر ضريحه.
وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري، وكان هو خرازًا.
لقبه الأستاذ أبو القاسم القشيري قدّس الله روحه في رسالته بسيد الطائفة وإمامهم، ولقّبه جماعة من الشيوخ بتاج العارفين في حكاية.
وقال الشيخ الفرغاني: كان الجنيد وأبو الحسين النوري يسميان ببغداد طاووسا العباد.
وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: كان الجنيد قطبًا في العلم، أصله من نهاوند وهي مدينة من الجبل قيل: إن نوحًا عليه السلام بناها، ومولده ومنشأه بالعراق، وكان شيخ وقته، وفريد عصره، ومن كبار أئمة القوم وسادتهم، ومقبول على جميع الآل، وكلامه في الحقائق مشهور.
تفقّه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وكان يُفتي في حلقته، وقيل: بل كان فقيهًا على مذهب سُفيان الثوري. وصحب قدس الله روحه خاله أبا الحسن سري السقطي، والحارث المحاسبي وغيرهما من المشايخ. وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وصحبه أبو العباس بن سُريج الفقيه الشافعي، وكان إذا تكلم في الأُصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين، فيقول: أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.
قال الشيخ ابن عجيبة: وكان شيخ العارفين وقدوة السالكين وعلم الأولياء في زمانه.
وقال أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادي: كان الجنيد بن محمد قد سمع الحديث الكثير من الشيوخ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق من الذكاء وصواب الجوابات في فنون العلم ما لم ير في زمانه مثله عند أحد من قرنائه، ولا ممن أرفع سنًا منه ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر في عفافٍ وعزوفٍ عن الدنيا وأبنائها، لقد قيل لي أنه قال: ذات يوم كنت أفتي في حلقة أبي ثور الكلبي الفقيه ولي عشرون سنة.
وكان ورده في كل يوم ثلاثمئة ركعة وكذا كذا ألف تسبيحة.
وقال ابن الأطعاني: وقد تخرَّج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله لو ذكرتهم لطال الكلام.
وقال ابن عجيبة: وكلامه وحقائقه مدونٌ في الكتب، ثم انتشر التصوف في أصحابه وهلم جرًا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين.
وقال أبو نعيم: اشتغل بالعبادة ولازمها حتى عَلَت سِنّه وصار شيخ وقته وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية وطريقة الوعظ، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة.
وله مكاتباتٌ كثيرة مشتملة على درر من المعارف والحقائق في غاية النفاسة يطول ذكرها.
=

=

وقال جعفر الخلدي: قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله إلى الأرض علمًا وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظًا ونصيبًا.

وكان الجنيد شيخ الطائفة يتكلم على بضع عشر، قال: وما تم في أهل مجلسه عشرون.

وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

وقال ابن الأطعاني: وقد تخرج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله لو ذكرتهم لطال الكلام.

وقد أُجمع على الاقتداء بعلماء لجمعهم بين علمي الظاهر والباطن، وهم: الحارث بن أسد المحاسبي، وأبو القاسم الجنيد، وأبو محمد رويم، وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، وابن عطاء.

ومما ذكره الإمام ابن الأطعاني أن الإمام الجنيد صحب الحارث بن أسد المحاسبي، والمحاسبي صحب أستاذه بشر بن الحارث الحافي، وهو صحب أستاذه عامر بن شعيب، وهو صحب أستاذه الحسن البصري قدس الله أرواحهم، وبشر الحافي صحب أيضًا الفضيل بن عياض، وهو صحب جعفر الصادق، وكان ممشاذ الدينوري فصحب أيضًا أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن الجلاء، وهو بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق، وكان من أجلة مشايخ الشام، وكان عالمًا ورعًا، وابن الجلاء صحب أبا تراب عسكر بن حصين النخشبي من أجلة مشايخ خراسان المذكورين وكبارهم والمشهورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع، مات بالبادية فنهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين، وهو صحب حاتمًا بن عبد الرحمن بن عنوان، ويقال: حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان، قيل: إنه لم يكن أصم، وإنما تصامم مرة فسمي به، وهو صحب أبا علي شقيق بن إبراهيم البلخي من كبار مشايخ خراسان له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، وقيل: هو أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان، وهو صحب أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم وناهيك به، وهو صحب أبا عمران موسى بن زيد الداعي ببلخ، وهو صحب أويسًا القرني، وهو صحب أميري المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع[1].

ونقل الشيخ الماجري ما يدل على عظم قدر الإمام الجنيد ومكانة طريقته المرضية العلية بقوله: فمما نقلته من كلام الشيخ أبي محمد صالح- تلميذ سيدي أبي مدين الغوث قدس الله أسرارهم- أنه قال: لما قدمت من بلاد المشرق وأخذت في استعمال هذا الطريق، أنكر عليَّ ذلك فقهاء الوقف، وبدّعوني حتى ضاق صدري، وعيل صبري، فدعوت الله تعالى إن كان ما أنا عليه من هذا الطريق مما يقربني إليه فييسره عليَّ، فرأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي: ((لا تلتفت إلى هؤلاء الفقهاء المنكرين، ولا تسألهم إلا في مسائل الفقه، فكلهم أرضيون ما فيهم سماوي، ثم عليك برسالة القشيري وحقائق السلمي ومنهاج العابدين؛ ففيها ما تطلبه، وخذ الطريق عن

=

=

أربابه، مثل محمد بن واسع، وسفيان الثوري، ومالك بن دينار، والجنيد، وشقيق، وإبراهيم، والفضيل، وغيرهم)).

فاستخرت الله في ذاك واستعنته، وعالجت منه ما أقدر حتى فتح الله لي بما هو حظي منه.

وقال السراج الطوسي: إن الجنيد البغدادي مع كثرة علمه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه بالعلم والدين، فكم من مرة طُلب وأُخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال التادلي حينما ترجم له في كتاب المعزى: وهذا الإمام ممن اتفق على جلالته المتقدمون والمتأخرون وله كرامات وآيات أضربنا عنها اختصارًا إذ الجبل لا يحتاج إلى مرساة.

تُوفي قدَّس الله روحه يوم السبت، وكان نيروز الخليفة سنة سبع وسبعين ومائتين، وقيل: ثمان وسبعين، آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله وشيخه سري السقطي رضي الله عنهما، وقبره بها ظاهر يزوره الخاص والعام، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم بدأ من سورة البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات.

وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى: كنت عند الجنيد حال نزعه، وكان يوم جمعة، ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم، فقال: ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي؟. وقيل له حال نزعه قل: لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته فأذكره.

وقال أبو بكر العطار: حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه، وفيهم أبو محمد الجريري فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود، فقال له: يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك، فقال: يا أبا محمد حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبدًا حتى ألحق بالله، ثم قال له الجنيد: يا أبا محمد لي إليك حاجة إذا مت فغسلني وكفني وصلِّ عليَّ، قال: فبكى الجريري وبكينا، ثم قال: وحاجة أخرى: تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت. قال: فبكى الجريري بكاءً شديدًا، ثم قال: والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منا اثنان أبدًا، وقال أبو جعفر الفرغاني: فكان والله كذلك ما اجتمع اثنان بعد وفاته، وإنما كان ذلك ببركة الشيخ ورؤيته.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها في الأسحار.

وسُئل عمن أخذت هذا العلم؟ فقال: أما في أول أمري فعن خالي سرِي السقطي، ثم عن أدبي مع الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة تحت هذه الدرجة، فأعلمَ السائل أولاً بنسبة الوراثة ثم ثانيًا بما

=

سيِّد الطائفة، أصله من نهاوند، ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهًا يفتي على مذهب الإمام أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وراوي مذهبه القديم، صحب خاله السقطي والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القفار، وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم، وكلامه مقبولٌ على جميع الألسنة، مات يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بها وقبره ظاهر يُزار.

كان يقول: الغفلة عن الله أشد من دخول النار.

وكان يقول: إذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق؛ فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه.

وكان يقول: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله بالمحن، وحجب قلبه عن ذكره، وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع إلى الله كشف عنه المحن، وإن دام على السكون إلى غيره نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم، فيزداد مطالبه منهم مع فقدانه الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزًا وموته كمالاً وآخرته أسفًا، ونحن نعوذ بالله من الركون إلى غيره.

وكان يقول: يقول الله تعالى: «لو أن ابن آدم قصدني في أوَّل المصائب لرأى مني العجائب، ولو انقطع إليَّ في أول النوائب لشاهد مني الغرائب، ولكنه انصرف إلى إشكاله فرد في إشغاله».

=

أورثته صحبتها من الأدب الموجب للذوق والوجدان؛ لأن علم أهل التحقيق يؤخذ وراثة وإلقاء، وتعلمًا وذوقًا ووجدًا.

ودُفن بالشونيزية بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وزاي وآخره ياء النسبة، مقبرة ببغداد بالجانب الغربي، وقد دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين منهم جعفر الخلدي ورويم وسمنون المحب وهناك خانقاه للصوفية قدس الله أسرارهم. وحرز الجمع الذي صلّى عليه فكان ستين ألفًا. وقال صاحب مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار: قبره يزوره الخاص والعام وإليه المرجع في هذا الطريق. انظر في ترجمته: كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين، وروضة الحبور لابن الأطعاني بتحقيقنا.

وكان يقول: مكابدة العزلة أشد من مداراة الخلطة.

وكان يقول: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليلقِ الناس، فإن هذا زمان وحشة، فالعاقل من اختار الوحدة.

وجاءه مرة شخصٌ بخمسمائة دينار فوضعها بين يديه، وقال له: فرِّقها على جماعتك، فقال: ألك مال غير هذا؟ قال: نعم، قال: أتطلب زيادة على ما عندك؟ قال: نعم، فقال له الجنيد: خذها فإنك أحوج إليها منَّا، ولم يقبلها.

وكان يقول: إذا رأيت الصوفيَّ يعبأ بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وسُئل عن الإنسان يكون هادئًا فإذا سمع السماع اضطرب، فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذرية في الميثاق الأوّل بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] استغرقت عذوبة الكلام الأرواح، فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

وكان يقول: تنــزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا يسمعون إلاّ عن حقٍّ، ولا يقولون إلا عن وجدٍ، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقةٍ، وعند مجازاة العلم فإنهم لا يذكرون إلا أحوال الأولياء.

وكان يقول: دخلت يومًا على السري فوجدت عنده رجلاً مغشيًا عليه، فقلت له: ما له؟ فقال: سمع آية من كتاب الله، فقلت: تقرأ عليه الآية مرة أخرى، فقرأ، فأفاق الرجل فقال السري: من أين علمت هذا؟ قلت له: إن قميص يوسف ذهب بسببه عينا يعقوب، ثم عاد بصره به، فاستحسن ذلك مني.

وكان يقول: ما رأيت أحد أعظم الدنيا فقرَّت عينه فيها أبدًا، إنما تقر عين من حقرها وأعرض عنها.

وكان يقول: من فتح على نفسه نية حسنة فتح الله عليه سبعين بابًا من التوفيق، ومن فتح على نفسه نية سيئة فتح الله عليه سبعين بابًا من الخذلان من حيث لا يشعر.

وكان يقول: ما احتشم صاحب من صاحبه أن يسأله حاجة إلا لنقص في أحدهما.

وكان يقول: إن للعلم ثمنًا فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، قيل له: وما ثمنه؟ قال:

وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه، وقيل له: ما بال أصحابك يأكلون كثيرًا؟! فقال: لأنهم يجوعون كثيرًا، قيل له: فما لهم لا تهمهم قوة شهوة؟! فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزِّنا، ويأكلون الحلال، قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟! قال: وأي شيءٍ في القرآن يطرب في الدنيا، القرآن حقٌّ نزل من عند حق، لا يليق بصفات الخلق عند كل حرفٍ منه واجب، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله ﷻ به، فإذا سمع في الآخرة أطربهم، قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والأنغام والغناء فيطربون؟! فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين، قيل له: فما بالهم محرومون من أموال الناس؟ فقال: لأنه تعالى لا يرى لهم ما في أيدي الناس؛ لئلا يميلوا إلى الخلق فيقطعوا، فأفرد القصد منهم إليه اعتنائه بهم.

وسُئل: من العارف؟ فأجاب: من نطق عن سرك وأنت ساكتٌ.

وكان يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وكان يقول: إن أمكنك ألاَّ تكون آلة بيتك إلاَّ من الخزف فافعل، فكذلك كانت آلة بيته.

وكان يقول: الطرق كلها مسدودةٌ على الخلق إلاَّ على مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتَّبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخير كلها مفتوحةٌ عليه.

وكان يقول: لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله.

وكان يقول: أكثر الناس علمًا بالآفات أكثرهم آفات.

وقال رجلٌ له: مَنْ أصحب؟ قال: من تقدر أن تُطلعه على ما يعلمه الله منك.

وقيل مرة أخرى: مَنْ أصحب؟ قال: من يَقدر أن ينسى ما له، ويقضي ما عليه.

وكان يقول: من عرف الله لا يُسرُّ إلاَّ به.

وكان يقول: من نظر إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد ﷺ وأرضاه.

***

الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله عنه (١)

(١) هو شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي قيل: اسمه دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف. أصله من الشبلية قرية، ومولده بسامراء، وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة، وكان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو أحمد من الولاية حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب، ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكَتَب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم، وحال وتمكن، وكان يحصل له استغراق وسُكْر.

من كلامه: كان يقول: خلف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء.

وقال الشبلي: العارف سيار إلى الله عز وجل تعالى، غير واقف. وسُئل أي شيءٍ أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

وكان الشبلي ينوح يومًا ويقول: مكر بك في إحسانه، فتناسيت، وأمهلك في غيك فتماديت، وأسقطك من عينه، فما دريت ولا باليت.

وقال: ليت شعري ما اسمي عندك غدًا يا علاّمُ الغيوب، وما أنت صانع في ذنوبي، يا غفّار الذنوب، وبم تختم عملي، يا مقلب القلوب؟.

وكان الشبلي يقول في جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك؟ ثم يصرخ ويبكي.

وقال الشبلي: لاتأمننَّ على نفسك، وإن مشيت على الماء، حتى تخرج من دار الغرة إلى دار الأمل.

وقال الشبلي: إذا وجدت قلبك مع الله، فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله. وقال أحمد الحلقاني: سمعت الشبلي يقول: من عرف الله عز وجل لايكون له غمّ.

وقال: أحبك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك.

وكان الشبلي يقول: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها، فانظر إلى مزبلة، فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك، فخذ كفًا من تراب، فإنك منه خلقت، وفيه تعود، ومنه تخرج، وإذا أردت أن تنظر ما أنت، فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء؟ فمن كان حاله كذلك، فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله.

وعن الحسين بن أحمد الهروي قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسّها، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان.

وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه يعني عند وفاته؟ فقال: قال لي: علي درهم مظلمة، تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك علي لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات، فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب =

خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، تاب في مجلس خير النساج، وصحب أبا القاسم الجنيد ومَنْ في عصره من المشايخ، وصار أوحد أهل العصر علمًا وحالاً وطريقًا، تفقه على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث، عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودُفن ببغداد في مقبرة الخيزران، كانت مجاهدته في بدء أمره فوق الحد.

وكان يقول: اكتحلت بالملح كذا وكذا ليلة لاعتماد السهر؛ لئلا يأخذني النوم، فلما زاد عليَّ الأمر حميت ليل واكتحلت به.

وقيل له أن أبا تراب النخشبي جاع يومًا في البادية فرأى البادية كلها طعامًا، فقال: هذا عبد رُفق به، ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان كما قال رسول الله ﷺ: «**أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**[1]».

وقيل له: متى يكون المريد مريدًا؟ فقال: إذا استوت حالاته في السفر والحضر والمشهد والمغيب.

وكان يقول: يرفع الله الوسائط عن الأولياء بقدر هممهم، فإذا جرى على الأولياء ذرة مما كُشف للأنبياء لضلوا وانقطعوا.

=

من آداب الشريعة.

وعن بكير صاحب الشبلي قال: وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان به، فقال: تنشط تمضي إلى الجامع، قلت: نعم، فاتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين من الجانب الشرقي، قال: فتلقانا رجل جاء من الرصافة، فقال بكير قلت: لبيك قال: غدًا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن، ثم مضينا فصلينا، ثم عدنا، فتناول شيئًا من الغداء، فلما كان الليل، مات رحمه الله فقيل لي: في درب السقائين رجل شيخ صالح، يُغَسِّل الموتى، فدلوني عليه في سحر ذلك اليوم، فنقرت الباب خفيًا، فقلت: سلام عليكم فقال: مات الشبلي؟ قلت: نعم، فخرج إلي فإذا به الشيخ، فقلت: لا إله إلا الله، فقال: لاإله إلا الله تعجبًا، ثم قلت: قال لي الشبلي أمس لما التقينا بك في الوراقين غدًا يكون لي مع هذا الشيخ شأن بحق معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات؟ قال: يا أبله، فمن أين للشبلي أنه يكون له معي شأن من الشأن اليوم.

وتوفي الشبلي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة، قدَّس الله سرَّه.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٣٦٦)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٢٥٨)، وطبقات الشعراني الكبرى (١/١٢١، ١٢٤)، والبداية والنهاية (١١/٢١٥)، والشذرات (٢/٣٣٨)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص٨٠).

(١) رواه الترمذي (٣/١٤٨)، وأحمد (٢/٣٧٧).

وكان يقول: كل صديقٍ لا تكون له معجزة فهو كذّابٌ.

فلما أُدخل البيمارستان دخل عليه الوزير فقال: أين قولك: كل صديقٍ بلا معجزةٍ فهو كذابٌ، فأين معجزتك؟! فقال: معجزتي موافقة الله تعالى في أوامره ونواهيه.

وصلّى مرة خلف إمام فقرأ قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، فزعق زعقة كادت روحه تخرج، وقال: هذا خطابه لأحبابه، فكيف خطابه لأمثالنا!.

ولامني في قلة النوم فقال: سمعت أن الحق سبحانه وتعالى يقول: «**مَنْ نام غفل ومَنْ غفل حُجب**»، وهذا كان سبب اكتحالي بالملح حتى لا أنام.

وقال له الحصري في بداية أمره: إن خطر لك من الجمعة إلى الجمعة الثانية غير الله تعالى فحرامٌ عليك أن تحضرني.

وكان ابن بشار ينهى الناس عن الاجتماع بالشبلي والاستماع لكلامه، فجاءه ابن بشار يوماً يمتحنه فقال: إيش في خمسة من الإبل؟ فسكت الشبلي فأكثر عليه ابن بشار، فقال الشبلي: واجب الشرع شاة، وفيما يلزم أمثالنا كلها، فقال ابن بشار: ألك في ذلك إمام؟ قال: نعم أبو بكر الصديق، حيث أخرج ماله كله فقال له النبي ﷺ: «**ما خلفت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله**[1]»، فرجع ابن بشار ولم ينهِ بعد ذلك أحدًا عن الاجتماع بالشبلي.

وسُئل عن معنى حديث: «**إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا ربكم العافية**[2]» فقال: هم أهل الغفلة من ذكر الله تعالى.

***

---

(١) رواه البزار في المسند (١/٣٩٤)، والبيهقي في الشعب (٢/١٠٦).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/١٦١) بنحوه.

الشيخ ذو النون المصري ﷺ(١)

(١) هو الشيخ الزاهد شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي يكنى: أبا الفيض ويقال: أبا الفياض، ولد في أواخر أيام المنصور.

وروى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسالم الخواص وسفيان بن عيينة وطائفة. وعنه أحمد بن صبيح الفيومي وربيعة بن محمد الطائي ورضوان بن حميد وحسن بن مصعب والجنيد بن محمد الزاهد ومقدام بن داود الرعيني وآخرون. وقال ابن يونس: كان عالمًا فصيحًا حكيمًا.

وقال السلمي: حملوه على البريد من مصر إلى المتوكل ليعظه في سنة ٢٤٤ هـ.

وكان إذا ذكر بين يدي المتوكل أهل الورع بكى.

وقال يوسف بن أحمد البغدادي: كان أهل ناحيته يسمونه الزنديق فلما مات أظلت الطير جنازته فاحترموا بعد قبره.

وعن أيوب مؤدب ذي النون قال: جاء أصحاب المطالب ذا النون، فخرج معهم إلى فقط وهو شاب، فحفروا قبرًا فوجدوا لوحًا فيه اسم الله الأعظم، فأخذه ذو النون وسلَّم إليهم ما وجدوا.

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون فقيل له: يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك؟ قال: نمت في الصحراء ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة في أحدها سمسم وفي الأخرى ماء فأكلت وشربت فقلت: حسبي فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

قال السلمي في محن الصوفية: ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وهجره علماء مصر وشاع أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف وهجروه حتى رموه بالزندقة، فقال أخوه: إنهم يقولون: إنك زنديق فقال: ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ووضعي كفي تحت خدي وتذكاري.

قال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان يشهدون عليك بالكفر، فقال: اللَّهُمَّ إن كانوا كاذبين فغرقهم فانقلب الزورق وغرقوا فقلت له: فما بال الملاح؟ قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم، ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور، ثم انتفض وتغير وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها ثم دعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرضي أمره وطلبه المتوكل، فلما سمع كلامه ولع به وأحبه.

قال علي بن حاتم: سمعت ذا النون يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: مهما تصور في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

وسمعته يقول: الاستغفار جامع لمعانٍ أولها: الندم على ما مضى، الثاني: العزم على الترك، والثالث: أداء ما ضيعت من فرض لله، الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام، السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة =

قيل: ذو النون لقبه، واسمه الفيض المصري، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين.

=

المعصية.

وعن عمرو بن السرح قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك قال: لما أوصلني الغلام قلت في نفسي: يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خطرات إلا وهي عليك دليلات ولك شاهدات وبربوبيتك معترفات وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمدٍ وعلى آل محمدٍ وأخذت قلبه عني فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض.

وقال يوسف بن الحسين: حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان مولعًا به يفضله على الزهاد، فقال: صف لي أولياء الله؟ قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته، فذكر كلاماً طويلاً.

ومن كلامه أيضًا: قال: إياك أن تكون بالمعرفة مدعيًا، أو تكون بالزهد محترفًا، أو تكون بالعبادة متعلقًا.

وسئل: ما أخفى الحجاب وأشده؟ قال: رؤية النفس وتدبيرها.

وسئل: عن المحبة؟ فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله في الدين.

وسُئل عن الصوفي؟ فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

وكان يقول: الأنس بالله من صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله الانقطاع من كل شيء سوى الله.

وقال: من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته.

وقال: لم أر أجهل من طبيب يداوي سكران في وقت سكره لن يكون لسكره دواء حتى يفيق فيداوى بالتوبة.

وقال: لم أر شيئًا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصدق.

وقال: من علامات المحبة لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه.

وقال أيضًا: إذا صحّ اليقين في القلب صحّ الخوف فيه.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (٩/٣٣١)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/٣٤٧)، وطبقات الشعراني الكبرى (١/٨١، ٨٤)، والرسالة القشيرية (١٠)، وصفة الصفوة (٤/٢٨٧-٢٩٣).

سُئل ذو النون عن المحبَّة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين، والغلظة للكافرين، واتِّباع رسول الله ﷺ في الدين.

وكان يقول: قال الله تعالى: «**مَنْ كان لي مطيعًا كنت له وليًا، فليثق بي، وليحكم عليَّ، فوعزتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له**[1]».

وكان يقول: من علامة المحب لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه.

وكان يقول: من نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه؛ لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته تعالى.

وقال ذو النون: الصدق سيف الله في أرضه، ما وُضع على شيءٍ إلا قطعه.

وقال: من تزيَّن بعمله كانت حسناته سيئات.

وقال: بأول قدم تطلبه تجده.

وقال: من أنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة.

وقال: الأنس بالله نورٌ ساطعٌ، والأنس بالخلق غَمٌّ واقعٌ.

وقال: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكُّل انقطاع المطالع.

وقال: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضًا للدنيا وتركًا لها، فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبًّا ولها طلبًا، كان الرجل ينفق ماله على علمه، ويكسب اليوم الرجل بعلمه مالاً.

وكان يُرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره، فاليوم يُرى على كثيرٍ من أهل العلم فساد الباطن والظاهر.

وقال العارف: كل يومٍ أخشع؛ لأنه كل ساعةٍ أقرب.

وكان يقول: يا معشر المريدين من كان منكم يريد الطريق فليلق العلماء بإظهار الجهل، والزُهَّاد بإظهار الرغبة، والعارفين بالصمت.

وسُئل عن السفلة: من هم؟ فقال: مَنْ لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ولا يتعرفه.

وكان يقول: لم تزل الناس يسخرون بالفقراء في كل عصرٍ؛ ليكون للفقراء في كل

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٩٤/٩).

عصرٍ التأسِّي بالأنبياء عليهم السلام.

وكان يقول: من علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر.

وكان يقول: لكل شيءٍ علامة، وعلامة طرد العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعه عن ذكر الله تعالى.

وكان يقول: من آنسه الله تعالى بقربه أعطاه العلم من غير طلبٍ.

وكان يقول: تواضع لجميع خلق الله، وإيَّاك أن تتواضع لمن يتواضع له، فإن سؤاله إيَّاك يدل على تكبره في الباطن، وتواضعك له يكون عونٌ له على التكبُّر.

وكان يقول: مَنْ نظر في عيوب الناس عُمي عن عيوب نفسه.

وكان يقول: كل مدَّعٍ محجوب بدعواه عن شهود الحق تعالى.

وكان يقول: إيَّاك أن تكون بالمعرفة مدعيًا، أو بالزهد محترفًا، أو بالعبادة متعلقًا، وفر من كل شيءٍ إلى ربك سبحانه وتعالى.

ولما تُوفي بالحيرة حُمل في قارب؛ مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته، ورأى الناس طيورًا خضرًا ترفرف على جنازته حتى وصلت على قبره رضي الله عنه.

***

الشيخ إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه (١)

أصله من بلخ، ترك الإمارة وانتقل إلى الشام، إلى أن مات سنة إحدى وستين ومائة.

قال إبراهيم بن شماس: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: كان أدهم رجلاً صالحًا، فوُلد إبراهيم بمكة فرفعه في خرقةٍ، وجعل يتتبَّع به أولئك العبَّاد والزهَّاد، ويقول: ادعوا الله له، فنرى أنه قد استجيب لبعضهم فيه.

وقال ابن أبي روَّاد: رحم الله إبراهيم بن أدهم، لقد رأيته إذا ركب حضر بين يديه نحو من عشرين شاكرية، ولكنه رحمه الله طلب بحبوبة الجنة.

وصحب رجلاً فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل: إن كنت رأيت فِيَّ عيبًا فنبهني عليه، فقال له إبراهيم: إني لم أرَ فيك يا أخي عيبًا؛ لأني كنت ألحظك بعين الود، فاستحسنت كل ما رأيته منك فاسأل غيري.

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٧/٣٦٧)، وطبقات الشعراني الكبرى (١/٨١)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٤/١٢٧)، تهذيب التهذيب (١/١٠٢)، والرسالة القشيرية (٩).

وأخرج أبو العباس النسوي في كتاب «**الطبقات**» بالإسناد عن بقية ﷺ قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في البحر فلعبت بهم الريح، وهاجت بهم الأمواج، واضطربت السفينة، وبكى الناس فقلنا لإبراهيم: يا أبا إسحاق، ما ترى ما الناس فيه؟ قال: فرفع الرأس وقد أشرف الناس على الهلاك فقال: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حيٍّ، ويا حي بعد كل حيٍّ، يا حي يا قيوم، يا محسن يا مجمل، قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة من ساعته.

وأخرج أيضًا فيه: قال إبراهيم بن أدهم: مَنْ أراد الراحة فليخرج الخلق من قلبه حتى يستريح.

قال أهل التاريخ: كان إبراهيم بن أدهم من أهل بلخ، خرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام وكان فيها يأكل من كسب يده، ومات بالشام.

وبالإسناد أيضًا عن عبد الله بن فرج القنطري العابد قال: اطلعت على إبراهيم بن أدهم في بستانٍ بالشام وهو مستلقي، وإذا حية في فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه حتى انتبه.

وقال إبراهيم بن أدهم: كنا إذا سمعنا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره[1].

وقال: ما صدق الله عبدًا أحب الشهرة.

وقال: نعم القوم السؤال، يحملون زادنا إلى الآخرة، يجيء أحدهم إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيءٍ.

وكان يقول: من علامة العارف بالله تعالى أن يكون كبير الهمَّة، كثير العبادة، وأكثر كلامه الثناء والرحمة على خلق الله تعالى.

وكان يقول: اطلبوا العلم للعمل، فإن أكثر الناس قد غلطوا حتى صار علمهم كالجبال، وعملهم كالذر.

وكتب إليه الأوزاعي: إني أريد أن أصحبك يا إبراهيم، فكتب إليه: إن الطير إذا طار مع غير شكله طار الطير وتركه.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤٤/٦) .

وقال له رجلٌ: أوصني، قال: اتخذ الله صاحبًا، وذر الناس جانبًا، رضي الله عنه.

* * *

الشيخ أبو تراب النخشبي رضي الله عنه[1]

صحب أبا حاتم العطار وحاتم الأصم، وهو من جملة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع، مات رحمه الله تعالى بالبادية سنة خمس وأربعين ومائتين.

ومن كلامه: إن الله عز وجل ينطق العلماء في كل زمانٍ بما يشاكل أعمال ذلك الزمان.

وكان يقول: من أشغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت من ساعته.

وكان يقول: لا أعلم شيئًا أضر على المريدين من أسفارهم على متابعة نفوسهم بغير إذن أستاذهم، وما فسد مريد من المريدين إلا بالأسفار ومعاشرة الأحداث.

وكان يقول: ليس لفقيرٍ قط أن يضيف إلى نفسه شيئًا من المال، ألا ترى إلى قول موسى عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه:١٨]، وادّعى الملك له، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل:١٠]، فلما قلب العين فيها لجأ إلى الله تعالى وهرب، فقيل له: ارجع ولا تخف.

وكان يقول: رأيت رجلاً بالبادية فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن حضرة الله تعالى، يا أبا تراب التلف من قدام، والنجاة من آخر قدم.

* * *

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٤٥ـ٥١)، وطبقات الشعراني الكبرى (١/٩٦)، والرسالة القشيرية (٢٢)، وطبقات الشافعية (٢/٥٥ـ٥٦)، وصفة الصفوة (٤/١٤٥).

الشيخ أبو يزيد البسطامي ﷺ(١)

(١) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام. قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي. قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

ذكر معنى أقواله المشهورة عنه في الشطح: «سبحاني سبحاني ما أعظم شاني».

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول:

لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائماً أبا يزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

=

=

وكذا قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يــزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يــزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يــزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحــاني سبحــاني ما أعظــم شأنــي». فقال الجنيد: إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًا من الحق به، ألم تسمعوا مجنــون بني عامــر لما سئل عــن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إيــاه فيه، وقيــل لــه: من أنــت؟. قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

وأما ما حُكي عنه قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحــت العــرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي نحو ملك العرش، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

وأما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يــزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يــزيد هو اللائق بمقام أبي يــزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلِئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يــزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبــو يــزيد ولم يجتمع بــه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أُولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم

=

=

وحُسن طريقتهم، وقد قال ﷺ: «ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً» انتهى كلامه قدَّس الله سرَّه العزيز.

وأما قوله في بعض كلامه: رفعني وأقامني بين يديه، يعني: أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم. وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله، فهذا على هذا المعنى، والله أعلم. وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع، وقد شرح الشيوخ ما نسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

قال الجنيد قدَّس الله روحه: الحكايات عن أبي يـــزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضًا: وكأن كلام أبي يـــزيد رحمة الله عليه بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده.

وقال الجنيد أيضًا: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين: ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يـــزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٣٣، ٤٠)، وفيات الأعيان (١/٣٠١)، صفة الصفوة (٤/ ٨٩، ٩٤)، المنتظم (٥/٢٨)، الرسالة القشيرية (١٧)، طبقات الصوفية للسلمي (٨)، ميزان الاعتدال (١/٤٨١)، الكواكب الدرية (١/٢٤)، البداية والنهاية (١١/٣٥)، مرآة الجنان (٢/ ١٧٣)، نفحات الأنس (٥٦)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٩)، طبقات الأولياء (١٠٨)، =

اسمه طيفور بن عيسى، مات سنة إحدى وستين ومائتين.

ومن كلامه: مددت رجلي ليلةً في محرابي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

وسُئل عن السُّنة والفريضة، فقال: السُّنة: ترك الدنيا بأسرها، والفريضة: الصحبة مع الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن السُّنة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى.

وكان يقول: رأيت رب العزة تبارك وتعالى في النوم، فقلت: يا رب كيف السبيل إلى الوصول إليك؟ فقال: فارق نفسك وتعالَ إليّ.

وقيل له: متى يكون الرجل متواضعًا؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسه مقامًا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه.

ودخل على أبي يزيد عالم بلده وفقيهها يومًا، فقال: يا أبا يزيد أخذت علمك هذا عن من؟ وممن؟ ومن أين؟ فقال له أبو يزيد: علمي هذا من عطاء الله، وعن الله، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عمل بما يعلم ورثه علم ما لم يعلم**[1]»، فسكت الفقيه.

وسُئل أبو علي الجرجاني عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال: يسلم له حاله؛ فإنه يتكلم على حد غلبة، أو حال سكر، ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهناك يفهم كلام أبي يزيد ﷺ.

* * *

=

النجوم الزاهرة (٣/٣٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/٤٠)، نتائج الأفكار القدسية (١/١٠٤)، رشحات عين الحياة (١٤)، معجم البلدان (١/٦٢٣)، درر الأبكار (ص١٢٠)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص١٨) بتحقيقنا.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/١٥).

الشيخ سهل بن عبد الله التستري ﷺ (١)

---

(١) هو السيد الجليل والعارف بالله تعالى أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن رفيع التستري ﷺ، أحد أئمة القوم، ومن أكابر علمائهم المتكلمين في علوم الخواص، ويقول فيه أعيانهم: (سهل للسيادة أهلٌ)، صحب خاله الجنيد ومحمد بن سوار، ولقي ذا النون، وأخذ الأكابر عنه طبقةً بعد طبقة، وطبق الأرض من علم الحقائق، فحسده فقهاء بلده، فقاموا عليه، ونسبوه إلى قبائح بسبب قوله: (التوبة فرضٌ على العبد في كل نَفَسٍ)، ولم يزالوا به حتى أخرجوه من بلده إلى البصرة، فمات بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبعٍ، وكان يُسأل عن مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن عشرٍ، ولم يبرز للناس حتى وقع له الإذن من الله، وكان إذا جاع قوي، وإذا شبع ضعف.

قال عنه الشيخ الأكبر ﷺ: (وكان بدء سهل في هذا الطريق سجود القلب، وكم من وليٍّ كبير الشأن طويل العمر مات وما حصل له سجود القلب! ولا علم أن للقلب سجودًا مع تحققه بالولاية، ورسوخ قدمه فيها، فإن سجوده إذا حصل لا يرفع أبدًا من سجدته، فهو ثابتٌ على تلك القدم الواحدة، التي تتفرع منها أقدامٌ كثيرةٌ، وأكثر الأولياء يرون تقلُّب القلب من حالٍ إلى حالٍ، وصاحب هذا المقام وإن تقلبت أحواله فمن عينٍ واحدةٍ هو عليها ثابتٌ، يعبِّر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقي حائرًا، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدًا يعرفها، فإنهم أهل صدقٍ لا ينطقون إلا عن ذوقٍ محقَّقٍ، فقيل له: إن في عبدان شيخًا معتبرًا، لو رحلت إليه؟ ففعل؛ فقال له: أيها الشيخ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد، فوجد شفاءه عنده؛ فلزم خدمته، فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من شاء من عباده: **﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾** [غافر: ١٥] اهـ.

وكان مذهبه ﷺ التحري في الحلال، فلم يوجد في زمنه من يدقق فيه مثله، وفي ذلك قال ﷺ من باب التحدث بنعمة الله: أنا حجَّة الله على الخلق، وأنا حجَّة الله على أولياء زماني. فبلغ ذلك أبا زكريا الساجي وأبا عبد الله الزبيري؛ فذهبا إليه، فقال له أبو عبد الله الزبيري، وكان جسورًا؛ لأنه كان ضريرًا: بلغنا عنك أنك تقول: أنا حجَّة الله على الخلق، وأنا حجَّة الله على أولياء زماني، فبماذا صرت، هل أنت نبيٌّ أو صدِّيقٌ؟ فقال ﷺ: لم أذهب حيث ظننت، ولست أنا نبيًّا، إنما قلت هذا؛ لأنني صححت أكل الحلال دون غيري. فقال له: وأنت صححت الحلال. فقال ﷺ: نعم، لا آكل دائمًا إلا حلالاً. فقال له الزبيري: وكيف ذلك؟ فقال له ﷺ: قسَّمت عقلي وقوتي ومعرفتي على سبعة أجزاء، فأترك الأكل حتى يذهب منها ستة أجزاء، ويبقى جزءٌ واحدٌ، فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسي أكلت بقدر البلغة؛ خوفًا أن أكون أعنت على نفسي؛ ولترد علي الستة الأخرى، فبهذا صحَّ لي الحلال. فقال الزبيري: نحن لا نقدر على المداومة على هذا، ولا نعرف أن نقسِّم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاءٍ، واعترف بفضل =

هو أحد أئمة القوم، ومن أكابر علمائهم المتكلمين في علم الإخلاص، مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

=

سيدنا سهل ﷺ.

ومن كلامه ﷺ: من لم يكن مطعمه من الحلال لم يُكشف عن قلبه حجابٌ، وتسارعت إليه العقبات، ولا تنفعه صلاته ولا صومه.

وقال: أصول طريقنا سبعةٌ: التمسك بالكتاب والسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: العيش أربعةٌ: عيش الملائكة بالطاعة، والأنبياء في العلم وانتظار الوحي، والصديقين في الاقتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم.

وقال: الدنيا حرامٌ على صفوة الخلق، لا يتناولون فيها إلا بقدر الضرورة.

وقال: السرور بالله هو السرور، والسرور بغيره هو الغرور.

وقال: العلوم ثلاثةٌ: علمٌ ظاهرٌ يبذل لأهل الظاهر، وعلمٌ باطنٌ لا يظهر إلا لأهله؛ خوف الفتنة، وعلمٌ بين العبد والربِّ يستحيل إظهاره لأحدٍ من الخلق.

وسئل عن الاسم الأعظم، فقال: أروني الأصغر أريكم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمةٌ، اصدق؛ وخذ أيَّ اسمٍ شئت يفعل معك.

وقال: إن الله حجب عقول الخلق بحجبٍ لطيفة، فحجب العلماء عنه بالعلم، والزهَّاد بالعمل، والحكماء بلطائف الحكمة، أما العارفون فأسكن قلوبهم من نور معرفته، فلم يحجبهم بشيءٍ.

وسئل ﷺ عن ذات الله ﷻ فقال: ذاتٌ موصوفةٌ بالعلم، غير مدركةٍ بالإحاطة، ولا مرئيةٍ بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودةٌ بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا حلولٍ، وقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والأبصار لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون من غير إحاطةٍ ولا إدراك نهايةٍ، وله ﷺ ذكرٌ عظيم الشأن، جرَّبه أهل العرفان.

وقال عنه شيخنا ابن العربي ﷺ: دخلت به الخلوة، ففتح لي به في ليلةٍ واحدةٍ، وفيه أسرارٌ عجيبةٌ وأذواقٌ غريبةٌ، ومن أكثر ذكره حُبِّبت إليه الطاعات، وبُغِّضت إليه المنكرات، ومن ذكَرهُ سبع مراتٍ وهو في فراشه وجد له حلاوةً في سرِّه، وهذا الذكر هو: (اللهُ مَعِي، اللهُ ناظرٌ إليَّ، اللهُ شاهدٌ عليَّ). وله ﷺ تصانيف نفيسةٌ، منها «رقائق المحبين ومواعظ العارفين»، و«جوابات أهل اليقين»، و«المعارضة والرد على أهل الفرق أهل الدعاوى في الأحوال» (مطبوع)، ومات قُدِّس سرُّه سنة ٢٨٣هـ، نفعنا الله به، آمين. وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/١٨٩، ٢١٢)، وصفة الصفوة (٤/٤٦، ٤٩)، طبقات الشعراني (١/٩٠)، والشذرات (٢/١٨٢)، والرسالة القشيرية (١٨).

كان يقول: ما طلعت شمس ولا غربت على أهل الأرض إلا وهم جهالٌ بالله، إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه ودنياه وآخرته.

وكان يقول: إن الله تعالى مطَّلعٌ على القلوب في ساعات الليل والنهار، فأيما قلب رأى فيه حاجة إلى سواه سلَّط عليه إبليس.

وكان يقول: من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله، لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا.

وكان يقول: مخالطة الولي للناس ذل، وتفرده عنهم عز، وقلما رأيت وليًّا لله ﷻ إلا متفردًا عن الناس.

وكان يقول: ما من وليٍّ لله تعالى صحَّت ولايته إلا ويحضر إلى مكة في كل ليلة جمعة، لا يتأخر عن ذلك.

وسُئل عن الوليّ فقال: هو الذي توالت أفعاله على الموافقة.

وسُئل عن ذات الله سبحانه وتعالى فقال: ذات الله تعالى موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئيةٍ بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودةٌ بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا حلولٍ، وتراه العيون في العقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة الله ذاته، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والأبصار لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بالأبصار من غير إحاطةٍ ولا إدراكٍ ولا نهايةٍ.

وكان يقول: اجتمعت بشخصٍ من أصحاب عيسى عليه السلام في ديار قوم عاد، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام، فرأيت عليه جبة من صوفٍ فيها طراوة، فقال لي: إنها عليَّ من أيام المسيح، فتعجبت فقال: يا سهل، إن الأبدان لا تخلق الثياب، وإنما تخلقها رائحة الذنوب، ومطاعم السحت، فقلت له: فكم لهذه الجبة عليك؟ قال: لها عليَّ سبعمائة سنة، فقلت له: هل اجتمعت بنبينا محمد ﷺ؟ قال: نعم، وآمنت به حين آمن به الجن الذين أوحي إليه في حقهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن:١] الآيات.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: ومن هنا كان الخضر لا يبلى له ثياب؛ لأنه لا يعصي، ولا يأكل حرامًا، وكما لا يُبلى لأكل الحلال ثياب، فكذلك لا يُبلى له جسم بعد موته، كما وقع لبعض الأولياء، فوجدناه طريًّا كما وضعناه بعد سنين، والله أعلم.

وكان يقول لأصحابه: إيَّاكم ومعاداة من شهره الله تعالى بالولاية؛ فإنه كان بالبصرة وليّ لله تعالى فعاداه قوم وآذوه، فغضب الله تعالى عليهم، فأهلكهم الله تعالى أجمعين في

ليلةٍ واحدة.

وكان يقول: طوبى لمن تعرَّف بالأولياء؛ فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته من الطاعات، وإن لم يستدرك شفعوا له عند الله تعالى؛ لأنهم أهل الفتوة.

وسُئل عن الذي لا يأكل طعامًا، أين يذهب لهب جوعه؟ فقال: يطفيه نور القلب.

وكان يقول: حياة القلوب التي تموت بذكر الحي الذي لا يموت.

وكان يقول: من كمل إيمانه لم يخف من شيءٍ سوى الله تعالى.

***

الشيخ القطب عبد القادر الكيلاني ﷺ وقدس سره (١)

قد أفرده العلماء بالتأليف، ونحن نذكر بعون الله تعالى ملخص ما قالوه.

فنقول: هو السيد الجليل الحسيب النسيب أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ابن أمير المؤمنين الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وُلد سنة سبعين وأربعمائة، وتُوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة، وله من العمر إحدى وتسعون سنة.

كان يقول: عثر الحسين عثرة فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده، يا هذا فرسي مسرج، ورمحي منصوب، وسيفي شاهر، وقوسي موتر لحفظك وأنت غافل.

وحُكي عن أمه رضي الله عنها، وكان لها قدمٌ في الطريق أنها قالت: لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضى يلقم ثديي في نهار رمضان، ولقد عمَّ على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم: إن ولدي لم يلقم اليوم ثديًا، ثم اتَّضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه وُلد للأشراف ولدٌ لا يرضع في نهار رمضان، وفي ذلك قال الشيخ عثمان الموصلي مادحًا لحضرته، قدَّس الله تعالى روحه:

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني الكبرى (١٠٨/١)، ونور الأبصار للصبان (٢٢٤)، والنجوم الزاهرة (٣٧١/٥)، والشذرات (١٩٨/٤)، وسر الأسرار ،وفتوح الغيب، وقلائد الجواهر، ومعدن الأسرار، وخلاصة المفاخر، والسيف الرباني، سادستهم بتحقيقنا.

صـــام في مهده وكان رضيعًا فجـــلا ظلمـــة الشك في رمضان

وكان ﷺ يلبس لباس العلماء، ويتطيلس ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديه، ويتكلم على كرسي عال، وربما خطى في الهوا خطوات على رؤوس الأشهاد الناس، ثم يرجع إلى الكرسي.

وكان يقول: بقيت أيامًا لم أستطعم فيها بطعام، فلقيني إنسان فأعطاني جرة فيها دراهم، فأخذت منها خبزًا سميدًا وخبيصًا، فجلست آكل فإذا برقعة فيها مكتوب: قال الله تعالى في بعض كتبه السالفة: (إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي؛ ليستعينوا بها على الطاعات، أما الأقوياء فما لهم والشهوات) فتركت الأكل وانصرفت.

وكان يقول: إنه لترد عليَّ الأثقال الكثيرة لو وُضعت على الجبال تفسخت، فإذا كثرت وضعت جنبي على الأرض وتلوت: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح:٥ ، ٦]، وقد انفرجت عني تلك الأثقال.

وقال له رجلٌ مرة: كيف الخلاص من العجب؟ فقال: مَنْ رأى الأشياء من الله تعالى وهو الذي وفَّقه لعمل الخير، وأخرج نفسه من البين، فقد سلم من العجب.

وقيل له مرة: ما لنا نرى الذباب تقع على ثيابك؟ فقال: على أي شيءٍ يعمل الذباب عندي، وما عندي شيء من دنس الدنيا ولا عسل الآخرة!.

وكان يقول: أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي خفَّف الله عنه العذاب يوم القيامة.

وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه به، فقال: إنه رآني مرة ولا بدَّ أن يرحمه الله تعالى لأجل ذلك، فمن ذلك الوقت ما سُمع له صراخ.

وتوضأ يومًا فبال عصفور عليه، فرفع رأسه إليه وهو طائرٌ فسقط ميتًا، فغسل الثوب ثم باعه وتصدَّق بثمنه، وقال: هذا بهذا.

وكان يقول: يا رب كيف أهدي لك روحي وقد صحَّ أن الكل لك؟!.

وكان يتكلَّم في ثلاثة عشر علمًا، وكانوا يقرؤون عليه دروسًا من التفسير، ودروسًا من الحديث، ودروسًا من المذهب، ودروسًا من الخلاف والأصول والنحو.

وكان يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتي على مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل ﷺ، وكانت فتاواه تُعرض على علماء العراق فيتعجبون منها أشد الإعجاب ويقولون: سبحان من أنعم عليه!.

ورُفع له سؤال في رجلٍ حلف بالطلاق أنه لا بدَّ أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات، فأجاب عنه على الفور يأتي مكة ويخلى له الطواف، ويطوف أسبوعًا وحده فينحل بيمينه، فأعجب علماء العراقيين، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها.

ورفع إليه شخص سؤالاً أنه يرى الله ﷻ بعين رأسه، فقال: أحق ما يقولون عنك؟ فقال: نعم، فانتهره وأهانه عن هذا القول، وأخذ عليه العهد أنه لا يعد إليه، فقيل للشيخ: أمحقٌّ هذا أم مبطلٌ؟ فقال: هو محقٌّ ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم انخرق من بصيرته إلى بصره منفذ، فرأى بصره بصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظنَّ أن بصره رأى ما شهد به بصيرته، وإنما رأى بصره بصيرته فقط وهو لا يدري.

وكان يقول: تراءى لي نور عظيم ملأ الأرض، ثم بدت لي صورة تناديني: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات، فقلت: اخسأ يا لعين فإنك شيطانٌ، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال لي: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بحكم ربك، وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه سبعين من أهل الطريقة، فقلت: لله الفضل، فقيل له: كيف علمت أنه شيطانٌ؟ فقال: بقوله: قد حللت لك المحرمات؛ إن الله لا يأمر بالفحشاء.

وسُئل عن المعرفة فقال: هي أن يتعرى العبد بنفسه عن حبِّ الدنيا، وبروحه عن التعلق بالعقبى، وبقلبه عن إرادة شيء مع إرادة المولى، وتجرد بسره عن أن يطمح إلى الكون، أو يحظى على سره.

وسُئل عن الدنيا فقال: أخرجها من قلبك إلى بدنك؛ فإنها لا تضرك.

وسُئل عن الشكر فقال: حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، ومعاهدة المنَّة، وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر.

ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أدباء بغداد؛ ليمتحنوه في العلم، فجمع كل واحدٍ منهم سؤالاً وجاءوا إليه، فلمَّا استقرَّ بهم المجلس أطرق الشيخ رأسه فظهرت من صدره بارقة من نورٍ، فمرَّت على صدور المائة فمسحت ما في قلوبهم، وبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزَّقوا ثيابهم، وكشفوا رؤوسهم، ثم صعد المنبر وأجاب الجميع عمَّا كان عندهم، واعترفوا بفضله.

وكان من أخلاقه مع جلالة قدره يقف مع الصغير والجارية، ويجالس الفقراء، ويفلي

ثيابهم، وكان لا يقوم قط لأحدٍ من العلماء ولا لأعيان الدولة، ولا أَلَمَّ قط بباب وزير ولا سلطان، وكان يرى الجلوس على بساط الملوك، ومن داناهم من العقوبات المعجلة للفقير، وكان إذا جاءه الخليفة أو الوزير يدخل الدار ثم يخرج حتى لا يقوم لأحدٍ؛ إعزازًا للطريق في أعين الفقراء.

وكان الشيخ علي الهيتي ﷺ يقول عن الشيخ عبد القادر الكيلاني: كان قدمه على التفويض والموافقة مع التبري من الحول والقوة، وكانت طريقته تجريد التوحيد مع الحضور في موقف العبودية.

وكان الشيخ عدي بن مسافر الأموي ﷺ يقول: طريق الشيخ عبد القادر الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح، واتحاد الظاهر والباطن، والسلامة من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضر في القرب والبعد.

وكان الشيخ بقاء بن بطو ﷺ يقول: كان طريق الشيخ عبد القادر اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والوقت، ومعانقة الإخلاص والتسليم، وموافقة الكتاب والسُّنة في كل نفسٍ وخطرةٍ ووارِدٍ وحال والثبوت مع الله ﷻ.

وعنه ﷺ أيضًا كانت قوة الشيخ عبد القادر في طريقه إلى ربِّه كقوى جميع أهل الطريق شدةً ولزومًا، وكانت طريقته التوحيد وصفًا وحكمًا وحالاً، وحقيقته الشرع ظاهرًا وباطنًا، ووصفه قلب فارغ، وكون غائب، ومشاهدة رب حاضر بسريرةٍ صافيةٍ لا تتجاذبها السلوك، وسر لا تـــنازعه الأغيار، وقلب لا يفارقه البقايا.

وكان الشيخ أبو الفتح الهروي ﷺ يقول: خدمت الشيخ عبد القادر أربعين سنة، وكان في مدتها يصلِّي الصبح بوضوء العشاء، وكان كلما أحدث جدَّد في وقته وضوء ثم صلَّى ركعتين، وكان يصلِّي العشاء ويدخل خلوته، ولا يمكِّن أحدًا يدخلها معه، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر، وقد أتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلاً فلم يتيسَّر له الاجتماع به إلى الفجر، وقال: بتُّ عنده فرأيته يصلِّي أوَّل الليل يسيرًا، ثم يذكر الله تعالى إلى أن يمضي الثلث الأول، ويقول: المحيط الرَّب الشهيد المجيب الفعَّال الخلاَّق الخالق البارئ المصوِّر، فتطاول جثته مرَّة، وتتضاءل مرَّة، وتعظم مرة، ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري مرة، ثم يصلِّي قائمًا على قدميه يتلو القرآن حتى يذهب الثلث الثاني، وكان يطيل سجوده جدًّا، ثم يجلس متوجهًا مراقبًا مشاهدًا إلى قريب طلوع الفجر، ثم يأخذ في الدعاء والابتهال والتضرُّع والتذلُّل، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب عن الأبصار.

قال: وكنت أسمع عنده: سلام عليكم، وهو يرد السلام إلى أن يخرج لصلاة الفجر.

وكان ﷺ **يقول:** أقمت في صحراء العراق وخرابه خمسًا وعشرين سنة متجرّدًا سائحًا، لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، وكانت طوائف من رجال الغيب أعلمهم الطريق إلى الله تعالى، ووافقني الخضر عليه السلام في أوّل أمري ودخولي العراق وما كنت عرفته، وشرط عليَّ ألا أخالفه وقال: اقعد ها هنا، فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنةٍ مرَّة، ويقول لي: اقعد مكانك حتى آتيك، قال: ومكثت سنة في خراب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فآكل المنبوذ ولا أشرب الماء، ومكثت فيها سنة أشرب الماء ولا آكل المنبوذ، ومكثت سنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام.

واجتمع عنده مرة الفقراء والفقهاء في مدرسته النظامية فتكلّم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلّم إذ سقطت حيَّة عظيمة في حجره من السقف، ففرَّ منها كل من كان حاضرًا عنده ولم يبقَ إلا هو، فدخلت الحيَّة تحت ثيابه ومرَّت على جسده، وخرجت من طوقه والتفَّت على عنقه، وهو مع ذلك لم يقطع كلامه، ولا غيَّر جلسته، ثم نزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوَّتت، ثم كلمها بكلامٍ لم يفهمه الحاضرون، ثم ذهبت فرجع الناس فسألوه عما قالت، فقال: قالت لي: اختبرت كثيرًا من الأولياء فلم أرَ مثل ثباتك، فقلت لها: وهل أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر الذي أتكلم فيه! قال ﷺ: ثم إنها جاءتني بعد ذلك وأنا أصلّي ففتحت فمها موضع سجودي، فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت، فالتفَّت على عنقي ثم دخلت من كمِّي وخرجت من الكم الآخر، ثم دخلت من طوقي ثم خرجت، فلما كان الغد دخلت خربة، فرأيت شخصًا عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني، فقال لي: أنا الحية التي رأيتها، ولقد اختبرت كثيرًا من الأولياء بما اختبرتك به فلم يثبت لي أحد منهم كثباتك، وكان منهم من اضطرب باطنه وثبت ظاهره، ومنهم من اضطرب ظاهرًا وباطنًا، ورأيتك لم تضطرب لا ظاهرًا ولا باطنًا، وسألني أن يتوب على يدي فتوّبته.

قال ابن الأخضر ﷺ: وكنا ندخل على الشيخ عبد القادر ﷺ في الشتاء وقوة البرد وعليه قميصٌ واحدٌ، وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروِّح عليه بمروحة كما يكون في شدة الحر، وكان يقول لأصحابه: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تفرقوا، وانتظروا ولا تيأسوا، واجتمعوا على الذِّكر ولا تفرقوا، وتطهَّروا من الذنوب ولا تلطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا.

وكان يقول: إذا أقامك الله تعالى في حالةٍ فلا تختر أعلى منها ولا أدنى.

وكان يقول: لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلواء؛ فإن النعمة واصلة إليك بالقسمة استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك ولو كرهتها ودفعتها، فسلِّم لله في الكل يفعل ما يشاء، فإن جاءتك النعمة فاشتغل بالذكر والشكر، وإن جاءتك البلوى فاشتغل بالصبر والموافقة، أو الرِّضا والتنعُّم بها، أو العدم والفناء عنها، على قدر ما تُعطى من الحالات، وتنقل عنها حتى تصل إلى الرفيق الأعلى، وتُقام في مقام من تقدَّم ومضى من الصدِّيقين والشهداء، فلا تجزع من البلوى، ولا تقف بدعائك في وجهها، وأقر بها فليس نارها أعظم من نار جهنم، ففي الخبر أن جهنم تقول للمؤمن: «**جز يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك لهبي**[1]»، وليس نور المؤمن الذي أطفأ لهب النّار إلا الذي صحبه، وتميز به عمَّن عصى، فليطف بهذا النور لهب البلوى، فإنّ البلية لم تأتِ العبد لتهلكه وإنما لتختبره.

وكان يقول: لا تشكو لأحدٍ ما نزل بك من الضُّر كائنًا من كان صديقًا أو قريبًا، ولا تتهمن ربك قط فيما فعل فيك، وأنزل بك من إرادته، بل أظهر الشكر والخير، ولا تسكن إلى أحدٍ من الخلق، ولا تستأنس به، ولا تطلع أحدًا على ما أنت فيه، فإنه لا فاعل سوى ربك، قال تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد:٨] ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام:١٧]، وإن يردك بخير فهو على كل شيءٍ قدير، فاحذر من أن تشكو الله تعالى وأنت معافى وعندك نعمة ما؛ طلبًا للزيادة وتعاينًا لما له عندك من النعمة والعافية ازدراءً بها، فربما غضب عليك وأزالها عنك، وحقق شكواك، وضاعف بلواك، وشدد عليك العقوبة، ومقتك وأسقطك من عينه، وأكثر ما ينـــزل بابن آدم من البلايا لشكواه من ربه ﷻ.

وكان يقول: لا يصلح لمجالسة الملوك إلا المتطهِّرين من رجس الزلاَّت والمخالفات، ولا تقبل أبوابه تعالى إلاَّ طيِّبًا من الدعاوى والهوسات، وأنت يا أخي غارق ليلاً ونهارًا في المعاصي والقاذورات، ولذلك ورد حمى يوم كفُارة سنة، فالأمراض والشدائد جعلها الله تعالى مطهِّرة لك؛ لتصلح لقربه ومجالسته لا غير.

وقد ورد أيضًا أشد بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ودوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى، وذلك ليكونوا أبدًا في الحضرة، ويمتنعوا من الميل إلى غير الله تعالى، ثم كلما دام البلاء بالعبد قوي قلبه وضعف.

وكان يقول: ارضَ بالدون ولا تنازع ربك في قضائه فيقصمك، ولا تغفل عنه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥٨/٢٢)، والديلمي في الفردوس (٦٥/٢).

فيبتليك، ولا تقل في دينه بهواك فيرديك، ولا تسكن إلى نفسك فتُبتلى بها، وبمن هو أشد شرًّا منها، ولا تظلم أحدًا ولو بسوء ظنِّك به، وحملك له على محامل السوء فإنه لا يجاوز ربك ظلم ظالم.

وكان يقول: إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبُّه فاعرض أعماله على الكتاب والسُّنة، فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه، وإن كانت مكروهة فاكرهه؛ لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، ولا تهجر أحدًا إلا لله، وذلك إذا رأيته مرتكبًا كبيرة أو مصرًّا على صغيرة، قلت: قد اشترط الشيخ ﷺ في جواز الهجر الرؤية، يعني العلم واليقين، فلا يجوز الهجر بمجرد الظن والتخمين، وقد هلك في هذا الباب خلقٌ كثيرٌ، ولم يموتوا حتى ابتلاهم الله تعالى بما رموا به الناس، والله أعلم.

وكان ﷺ يقول: ما سأل أحد الناس دون الله تعالى إلا لجهله بالله، وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه، وقلة صبره، وما تعفف من تعفف من تعففٍ عن ذلك إلا لوفور علمه بالله، وقوة إيمانه، وحياءه منه سبحانه وتعالى.

وكان يقول: إنما كان الحق تعالى لا يجيب عبده في كل ما سأله فيه؛ شفقة على العبد أن يغلب عليه الرجاء والغرة، فيتعرض للمكر به، ويغفل عن قرع باب الخدمة فيهلك، والمطلوب من العبد ألا يركن إلى غير ربه والسلام.

ولما حضرت وفاته استوصاه ولده الشيخ عبد الوهاب، فقال له: عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحدًا سواه، ولا ترجه، وكل الحوائج كلها إلى الله واطلبها منه، ولا تثق بأحدٍ سوى الله تعالى، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه وتعالى، التوحيد التوحيد التوحيد، وجماع الكل التوحيد.

وقال ﷺ في مرض موته: إذا صحَّ القلب مع الله ﷻ لا يخلو منه شيء، ولا يخرج منه شيء، أنا لب لا قشور، وقال للأولاد: ابعدوا من حولي؛ فقد حضر عندي غيركم، فأوسعوا لهم، وتأدَّبوا معهم، ها هنا زحمة عظيمة، فلا تضيِّقوا عليهم المكان.

قال الشيخ عفيف الدين، وسأله بعض ولده عمًّا يجده فقال: لا يسألني أحدٌ عن شيءٍ، أنا هو ذا، أتقلب في علم الله تعالى.

وأخبرني ولده عبد الرزاق وموسى ﷺ أنه كان يرفع يده ويمدها ويقول: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته، ادخلوا في الصف، هو إذًا أجنح إليكم.

وكان يقول: ارفقوا ارفقوا، ثم أتاه الحق وسكرة الموت، فكان يقول: استعنت بالحي

القيوم الذي لا يموت ولا يخشى الفوت، سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

وقال ولده موسى: ولما قال (تعزّز) لم يؤدها لسانه على الصِّحة، فما زال يكرِّرها حتى قال: (تعزز) ومدَّ بها صوته وشدّدها حتى صحَّ لسانه بها، ثم قال: الله الله، ثم خفي صوته ولسانه ملتصقٌ بسقف حلقه.

تُوفي رضي الله عنه ليلة السبت ثامن ربيع الآخر، ودُفن ببغداد رضي الله عنه وقدَّس سره.

الشيخ علي بن وهب السنجاري رضي الله عنه [1]

انتهت إليه تربية المريدين بسنجار وما يليها، وتلمذت له جماعة من الأكابر مثل: الشيخ سويد السنجاري، والشيخ أبو بكر الحاوي، والشيخ سعد الصالحيّ وغيرهم، وتُوفي رضي الله عنه عن أربعين مريد كلهم من أرباب الأحوال.

رُوي أنه لما مات اجتمع هؤلاء المريدون في روضة تجاه زاويته، فجعل كل منهم يأخذ من تلك الروضة قبضة من نباتها ويتنفس عليها، فتزهى من جميع الأزهار المختلفة الألوان من أصفر وأخضر وأزرق وأبيض وغير ذلك، حتى أقرَّ بعضهم لبعضٍ بالتمكين والتصريف.

كان رضي الله عنه يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، ثم اشتغلت بالعلم وكنت أتعبد في مسجد بظاهر البدرية، فبينما أنا نائمٌ ليلةً رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا عليّ، أُمرت أن ألبِسك هذه الطاقية، وأخرج من كُمِّه طاقية ووضعها على رأسي، ثم جاء الخضر عليه السلام بعد أيامٍ وقال: يا عليّ، اخرج إلى الناس ينتفعوا بك، فتثبت في أمري، فرأيت أبا بكر الصديق أيضًا في النوم، وقال لي كمقالة الخضر، فاستيقظت وتثبت في أمري، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثالثة، وقال لي كمقالة الصديق، فاستيقظت وعزمت على الخروج، ونمت في آخر الليل من ليلتي، فرأيت الحق جلَّ جلاله، وقال: «يا عبدي قد جعلتك من صفوتي في أرضي، وأيدتُك في جميع أحوالك بروحٍ مني، وأقمتك رحمة لخلقي، فاخرج إليهم، واحكم فيهم بما علمتك من حكمي، وأظهر لهم ما أيَّدتُك به من آياتي»، فاستيقظت وخرجت إلى الناس فأهرعوا إليَّ من كل جانب.

ومن كلامه: معرفة الله عزيزة لا تُدرك بالعقل، بل تُقتبس من الشرع، ثم تتفرَّع

---

(١) انظر في ترجمته: معجم البلدان (٣/٢٦٢)، وجامع كرامات الأولياء (٢/١٦٢)، وطبقات الشعراني (١/١١٩).

حقائقها على قدر القرب، فقومٌ عرفوه بالوحدانية فاستراحوا إلى الصمدانية، وقومٌ عرفوه بالقدرة فتحيَّروا، وقومٌ عرفوه بالعظمة فوقفوا على أقدام الدهشة، وأيقنوا أن لن يُدرك عينه، وقومٌ عرفوه بعزة الإلهية فنـــزَّهوه عن الكيفية والماهية، وقومٌ عرفوه بغنائه، واستدلوا عليه ببدائعه فشاهدوه بابتدائه وصنعه، ورأوه في إعطائه ومنعه، وقومٌ عرفوه بالتلوين فمنحهم بالثبات والتمكين، وقومٌ عرفوه بلا غيره فأراهم من الآيات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وكان يقول: من أحبه الحق وأراده أسكن في قلبه الإرادة، فالمحب مريد طالب، والشوق لقلبه غالب، والتوق إليه سالب، والمراد محبوب مطلوب مأخوذ مسلوب، وإلى الجناب مجذوب، قد ظهر عليه الشوق وغلب؛ إذ قد وجد ما طلب قد قطع الطريق وطواها، وأزال نفسه ونحلها، ومحا الأكوان من نظره فما يراها.

وكان يقول: الزهد فريضة وفضيلة وقربة، فالفرض في الحرام، والفضل في المتشابه، والقربة في الحلال، والزهد أعم من الورع؛ لأن الورع أبقى، والزهد قطع الكلّ.

وكان يقول: علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق.

وكان يقول: من سكن بسرِّه إلى غير الله تعالى نزع الله الرحمة من قلوب الخلق عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم.

تُوفي ﷺ بسنجار، وقبره هناك ظاهر يُزار، قدَّس الله تعالى سره.

***

الشيخ أحمد الرفاعي الحسيني ﷺ[1]

سكن أم عبيدة بأرض البطائح إلى أن مات بها، انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف منازلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح، وتخرَّج بصحبته جماعة كثيرة، وتلمَّذ له خلائق لا يُحصون، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره، وله كلامٌ كثيرٌ عال على لسان أهل الحقائق، وهو الذي سُئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصب له سنان أعلى شاهق في الأرض، وهبّت الرياح الثمانية ما غيَّرته.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني الكبرى (١/١٢١)، وبوارق الحقائق للشيخ الرواس، وقلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد له أيضًا، بتحقيقنا.

وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله ﷻ، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده.

وكان يقول: الأنس بالله لا يكون إلا لعبدٍ قد كملت طهارته، موصفًا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك آنسه الله به، وأورده بحر حقائق الأنس، فأخذ عن وجد طعم الخوف لما سواه.

وكان يقول: لو تكلّم الرجل في الذات والصفات كان سكوته أفضل، ولو خطا من قافٍ إلى قافٍ كان جلوسه أفضل.

وكان يقول: لما مررت وأنا صغيرٌ بالشيخ عبد الملك الخرنوبي أوصاني وقال لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: ملتفت لا يصل، ومتكسّل لا يصلح، ومن لم يعرف من نفسه بالنقصان فكل أوقاته نقصان، فجعلت أكرُّرها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، والعلة بالأطباء، والجفاء بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أردِّدها سنة، فانتفعت بموعظته.

وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله.

وكان يقول: أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه هو الذي تسكن نفسك إليه، ويستريح قلبك.

وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح القلب أخبرك عمًّا وراءك وأمامك، ونبَّهك على أمورٍ لم تكن تعلمها بشيءٍ دونه، وإذا فسد حالك بباطلات يغيب عنها الرشد وينتفي معها السعد.

وكان يقول: الصدقة أفضل من العبادات البدنية والنوافل.

وكان يقول: من شرط الفقير أن يرى كل نفسٍ من أنفاسه أعزّ من الكبريت الأحمر، فيودع كل نفسٍ أعزّ ما يصلح له، فلا يضيع له نفسٌ.

وكان يقول: السفر للفقير يمزِّق دينه ويشتت شمله.

وكان يقول: من لم ينتفع بأفعالي لم ينتفع بأقوالي.

وكان يقول: كل أخٍ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة.

وكان يقول: إذا تعلَّم أحدكم شيئًا من الخير فليعلِّمه للناس يثمر له الخير.

وكان يقول: طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء: لا نسأل، ولا نرد، ولا ندَّخر.

وكان يقول: ما من ليلةٍ إلاّ وينـــزل فيها نثار من السماء إلى الأرض، يفرق على المستيقظين.

وكان يقول: والله ما رأيت الخير إلا في الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدًا ولم يعرفني أحدٌ.

وكان يقول: ما نظر أحدٌ إلى الخلائق، ووقف مع نظرهم له في العبادات إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ؛ فإن الحق سبحانه وتعالى غيور.

وكان يقول: من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس.

وكان يقول: وعدني ربي أن أعبر ولا عليَّ شيء من لحم الدنيا.

قال يعقوب الخادم: فني لحمه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا، وكان ﷺ إذا صعد الكرسيّ لا يقوم قائمًا، وإنما يتحدّث قاعدًا، فيسمع كلامه البعيد مثل القريب، حتى إنّ أهل القرى التي حول أمّ عبيدة كانوا يجلسون على أسطحتهم يسمعون كلامه وعلوّ صوته، ويعرفون جميع ما يتحدّث به، حتى كان الأطرش والأصم إذا حضر يفتح الله أسماعهم لكلامه، وكان أحدهم يبسط حجره، فإذا فرغ السيد أحمد ضموا حجورهم إلى صدورهم، وقصُّوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم على حِلْيته.

وكان يقول: اللّهمَّ اجعلنا ممن فرشوا على بابك لفرط ذلهم نواعم الخدود، مُنَكَّسُو رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، ببركة صاحب اللواء المحمود، والحوض المورود آمين.

وسمع رجلاً يقول: إن لله خمسة آلاف اسم، فقال: إن لله سبحانه وتعالى أسماء بعدد ما خلق من الرمال والأوراق وغيرها.

وكان ﷺ لا يجازي بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح تخلُّقًا بأخلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا تجلَّى الحق تعالى على قلبه بالتعظيم يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتدارك باللطف فيصير بحمد الله شيئًا فشيئًا حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم.

وكان له شخص ينقصه وينكر عليه في نواحي أم عبيدة، فكان كلما رأى فقيرًا من جماعة السيد أحمد قال له: احمل مني هذا الكتاب إلى شيخك، فيفتحه فيجد فيه من الكلام القبيح فيقول: صدق من أعطاك هذا الكتاب، ثم يعطي الرسول دريهمات، ويقول

له: جزاك الله عني خيرًا، كنت سببًا لحصول الثواب لنا، فلمَّا طال الأمر على ذلك الرجل وعجز عن السيد أحمد أتى إليه، فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه وأخذ ميزره، وجعله في وسطه، وأمسكه إنسان وصار يقوده، حتى دخل على السيد أحمد فقال له: ما أحوجك إلى هذا؟ فقال: فعلي، فقال: ما كان إلاَّ الخير، ثم طلب منه أخذ العهد عليه فأخذه عليه، وصار من أصحابه إلى أن مات.

وأرسل إليه البستي كتابًا يخط عليه فيه، فلما قرأه قال: صدق فيما قال، جزاه الله عني خيرًا، ثم أنشد:

ولست أبالي من رماني برية إذا كـــنت عند الله غير مريب

ثم كتب إليه: من هذا اللاشيء حميد إلى سيدي إبراهيم البستي: (أمَّا قول الذي ذكرته فإن الله تعالى خلقني لما يشاء، وأسكن فِيَّ ما يشاء، وإني أريد من صداقتك أن تدعو لي، ولا تخليني من حلمك وفضلك والسلام)، فلمَّا وصل الكتاب إلى البستي هام على وجهه، وما عرفوا أين ذهب.

قال يعقوب الخادم: ولمَّا مرض السيد أحمد مرض الموت قلت: تجلَّى العروس في هذه المرة؟ فقال: نعم، فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشتريناها بالأرواح، وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته واشتريته بما بقي من عمري فباعني، وكان يمرغ وجهه الشريف وشيبته الكريمة في التراب ويبكي ويقول: العفو العفو، اللَّهُمَّ اجعلني سقف البلاء عن الخلق.

وكان مرض الشيخ بالبطن، فكان يخرج منه كل يومٍ ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهرًا، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يومًا لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي هذا اللحم يندفع ويخرج، ولكن قد ذهب اللُّحم وما بقي إلا المخ، اليوم يخرج وغدًا نعبر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيءٌ أبيضٌ مرّتين أو ثلاث، ثُمَّ تُوفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأوّل سنة سبعين وخمسمائة، وكان يومًا مشهودًا.

وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وهو الشيخ الجليل الحسيب النسيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن محيي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن محيي بن خازم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى

الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السِّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه[١]

هو من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين، وهو أحد من نُسب إلى القطبيّة العظمى، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه لأبي بكر بن هوار البطائحي في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه، وهما ثوب وطاقية، وكان أعطاهما أبو بكر لأبي محمد الشنبكي، وأعطاهما الشنبكي لتاج العارفين أبي الوفاء، وأعطاهما أبو الوفاء للشيخ علي بن الهيتي، وأعطاهما الشيخ عليّ للشيخ ابن إدريس، ثم فُقدتا، ومكث رضي الله عنه ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام بين الفقراء، وذلك لأن فتحه أتاه من طريق الوهب.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول لما دخل بغداد: كل من دخل من الأولياء بغداد فهو في ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ عليّ بن الهيتي.

وكان الشيخ عبد القادر يقول: تفتق رتق قلب الشيخ علي الهيتي وهو ابن سبع سنين، وكان رضي الله عنه يخبر عن المغيبات، وتظهر على يديه الكرامات، وأجمعت العلماء على جلالته وعلوّ منصبه.

سكن وزيران بلدة من أعمال نهر الملك، إلى أن مات بها سنة أربع وستين وخمسمائة، وقد غلب سنُّه على مائة وعشرين سنة، وبها دُفن وقبره بها ظاهر يُزار.

***

الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه[٢]

هو من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين، وصدور المقرَّبين، صاحب الأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والتصريف النافذ.

وكان يقول: أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور، أطولهم عنقًا.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٢٥)، والنبهاني (٢/١٦١، ١٦٠).

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٢٧).

وكان يتكلَّم في الشريعة والحقيقة بطفسونج على كرسي عالٍ، ويحضره المشايخ والعلماء، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة.

وكان يقول: من اشتغل بطلب الدنيا ابتُلي بالذل فيها، ومن تعامى عن نقائص نفسه طغى وبغى، ومن تزيَّن بباطلٍ فهو مغرورٌ.

وكان يقول: أنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وأرفع العلوم علم التوحيد.

وكان يقول: لا يضر مع التواضع بطالة إذا قام بالواجبات والسنن، ولا ينتج مع الكبر عمل مندوب ولا علم مطلوب.

وكان يقول: إن أقامك ثبتَّ، وإن قمت بنفسك سقطت.

سكن طفسونج بلدة بأرض العراق، وبها مات مسنًا، وقبره بها ظاهر يُزار.

* * *

الشيخ بقاء بن بطو رضي الله عنه (١)

هو من أعيان مشايخ العراق، وأكابر الصدِّيقين، صاحب الأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والكرامات الباهرة.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يثني عليه كثيرًا، ويقول: كل المشايخ أُعطوا بالكيل إلاَّ الشيخ بقاء بن بطو، فإنه أُعطى جزافًا، انتهى إليه علم الأحوال، وكشف موارد الصادرين بنهر الملك وما يليه.

وتلمَّذ له خلائق من الصلحاء والعلماء، وقُصِدَ بالزيارات والنذور.

وكان يقول: من لم يستعن بالله على نفسه فقلبه خرابٌ.

وكان يقول: من لم يقم بآداب أهل البداية كيف يستقيم له مقام أهل النهاية!.

وزاره ثلاثة من الفقهاء فصلُّوا خلفه العشاء، فلم يقرأ القرآن كما يريد الفقهاء، فساء ظنهم به وباتوا في زاويته، فأجنبوا الثلاثة، وخرجوا على نهرٍ على باب الزاوية، فجاءوا يغتسلون فيه، فجاء أسد عظيم الحلقة، وبرك على ثيابهم، وكانت ليلة شديدة البرد، فأيقنوا بالهلاك، فخرج الشيخ من الزاوية، فجاء الأسد وتمرَّغ على رجليه، فاستغفروا الله تعالى وتابوا.

سكن رضي الله عنه باب يونس قرية من قرى نهر الملك، وبها تُوفي قريبًا من سنة

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٢٦)، والنبهاني (١/٣٦٧).

ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وقبره بها ظاهرٌ يُزار.

***

الشيخ أبو سعيد القلوري رضي الله عنه (١)

هو من أكابر العارفين، والأئمة المحققين، وصاحب الأنفاس الصَّادقة، والأفعال الخارقة، والكرامات والمعارف، وكان يفتي ببلده وما حولها.

وكان يتكلَّم بقلورية على علوم الشرائع والحقائق على كرسيٍّ عالٍ، وقُصد بالزيارات من سائر الأقطار، وكان يلبس العمائم، ويتطيب، ويركب البغلة.

وكان يأتيه الخضر عليه السلام كثيرًا، ودُعي إلى طعامٍ هو وأصحابه، فمنعهم من أكل ذلك الطعام، وأكله وحده، فلما خرجوا قال لهم: أنا منعتكم من أكله؛ لأنه كان حرامًا، ثم تنفَّس فخرج من أنفه دخان عظيم كالعمود، وصعد إلى الجو حتى غاب عن أبصار الناس، ثم خرج من فمه عمود نار وصعد إلى الجو حتى غاب عن النظر، ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو الطعام الذي أكلته عنكم.

ومن كلامه: التصوُّف: التبري مما دون الحق سبحانه وتعالى، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**فإنهم عدو لي إلا رب العالمين**﴾ [الشعراء: ٧٧].

وكان يقول: التوحيد: غض الطَّرف عن الأكوان بمشاهدة مكونها سبحانه وتعالى.

سكن رضي الله عنه قلوريَّة: قرية من قرى نهر الملك، قريبة من بغداد، وبها مات قريبًا من سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقبره ظاهرٌ يُزار.

***

الشيخ جاكير رضي الله عنه (٢)

وهو من أكابر المشايخ، وأعيان العارفين المقرَّبين، وأئمة المحققين، وهو أحد أركان هذه الطريقة، وكان تاج العارفين أبو الوفا يثني عليه وينوِّه بذكره، وبعث إليه طاقية مع الشيخ عليِّ بن الهيتي وأمره أن يضعها على رأسه نيابةً عنه، ولم يكلِّفه الحضور إليه، وقال: سألت الله أن يكون جاكير من مريديَّ، فوهبه لي.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني الكبرى (١/ ١٢٧).

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/ ١٢٨)، وكرامات النبهاني (١/ ٣٧٨).

وكانت المشايخ بالعراق يقولون: انسلخ الشيخ جاكير من نفسه كما تنسلخ الحية من ثوبها.

وكان يقول: ما أخذت العهد قط على مريدي حتى رأيت اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه من أولادي.

وكانت نفقته من الغيب، وكان من الأكراد، وسكن صحراء من صحاري العراق، بالقرب من قنطرة الرصاص، على يومٍ من سامراء، واستوطنها إلى أن مات بها مسنًّا، وبها دُفن وقبره ظاهرٌ يُزار، وعمَّر الناس عنده قرية يطلبون البركة بذلك.

***

الشيخ سويد السنجاري ﷺ (١)

هو من أكابر مشايخ المشرق، وصدور العارفين، وأكابر المحققين، صاحب الكرامات والمقامات السنية، والإشارات العليَّة، وهو أحد من ملكه الله تعالى التصرف في العالم، وجمع له بين علمي الشريعة والحقيقة، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين الصَّادقين بسنجار وما يليها، وأجمع العلماء والمشايخ على تبجيله واحترامه، وقُصد بالزيارات من سائر الأقطار.

وكان يقول: أصل العقل الصَّمت، وباطنه كتمان الأسرار، وظاهره الاقتداء بالكتاب والسُّنة.

وكان يقول: من وقع في أولياء الله تعالى ابتلاه الله تعالى بانعقاد لسانه من النطق بالشهادتين عند الموت، ولقد كان شخص من أكابر علماء بلدنا يقع في حق الفقراء فحضرته الوفاة فقالوا له: قل: لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، فعلمت من أين أتى، فدخلت الحضرة وجعلت أترضَّى خواطرهم حتى رضوا عنه، فأطلق الله تعالى لسانه، وأسأل الله قبول توبته.

ورأى رجلاً يحدق إلى امرأةٍ ببصره، فنهاه فلم ينتهِ، فقال: اللَّهُمَّ بَصِّره، فعمي في الحال، فجاءه بعد سبعة أيام وتاب واستغفر، فقال الشيخ: اللَّهُمَّ رد عليه بصره إلا في معاصيك، فردَّ الله بصره في الحال، وكان إذا أراد أن ينظر بعد ذلك إلى محرمٍ حُجب عنه

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٣١).

بصره ثم يعود إليه.

وجاءه أعمى فقال: أنا ذو عيالٍ، وقد عجزت عن الكسب، فقال له الشيخ: نوَّر الله بصرك، فخرج من المسجد بصيرًا، وبعد عشرين سنة مات بصيرًا.

سكن ﷺ سنجار، واستوطنها إلى أن مات بها مسنًّا، وقبره بها ظاهرٌ يُزار.

***

الشيخ موسى الزولي ﷺ(١)

هو أحد الأئمة، أبرز الله له المغيبات، وخرق له العادات، وأوقع له الهيبة في القلوب، وانعقد عليه إجماع المشايخ، وقُصد بحل المشكلات، وكشف خبيات الموارد.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يثني عليه ويعظِّم شأنه، وقال مرّة: يا أهل بغداد ستطلع عليكم شمس ما طلعت عليكم بعد، فقيل له: ومن هو؟ قال: الشيخ موسى الزولي.

وكان ﷺ كثير المشاهدة لرسول الله ﷺ، وكانت أغلب أفعاله بتوفيقٍ منه ﷺ، وكان إذا مسَّ الحديد بيده لان حتى يصير كاللبان.

وكان يقول للصبيّ الذي عمره أربعة أشهر فأقل: اقرأ سورة كذا، فيقرؤها الصبي بلسانٍ فصيحٍ، ولا يزال يتكلّم من ذلك الوقت.

استوطن ﷺ ماردين وبها مات وقد كبر سنه، وقبره بها ظاهرٌ يُزار، ولما وضعوه في لحده نهض قائمًا يصلّي، واتسع له قبره، وأغمي على من كان قد نزل قبره.

***

الشَّيخ حياة بن قيس الحراني ﷺ(٢)

هو من أجلاء المشايخ، وعظماء العارفين، وأعيان المحققين، صاحب الكرامات والمقامات، والهمم الفخيمة، والبداية العظيمة، صاحب الفتح السني، والكشف الجليّ، حلال مشكلات القوم، وهو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق، وكان

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١٢١/١).

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١٣٢/١).

أهل خراسان يستسقون به فيُسقون.

ومن كلامه: لا يكون الرجل من المتمكنين حتى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

وكان يقول: حقيقة الوفاء إقامة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن الكائنات.

وكان يقول: من أحب أن يرى خوف الله في قلبه ويكاشف بأحوال الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنةٍ أو فريضةٍ، وما حرم من حرم عن الوصول ومشاهدة الملكوت إلا بشيئين: سوء الطعمة، وأذى الخلق.

وكان يقول: تعرَّض لرقة القلب بمجالسة أهل الذُكر، واستجلب نور القلب بدوام الجد.

وكان يقول: من علامة المريد الصادق ألا يغتر عن ذكر الله تعالى، ولا يمل من حقه، ويلزم السُنة والفريضة، فالسُنة: ترك الدنيا، والفريضة: صحبة الحق جلَّ وعلا.

وكان يقول: اجعل الزهد عبادتك، واحذر أن تجعله حرفتك.

سكن ﷺ حرّان واستوطنها إلى أن مات بها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ودُفن بظاهرها، وقبره هناك ظاهرٌ يُزار.

***

الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء ﷺ(١)

كان من أعيان مشايخ العراق في وقته، له الكرامات الخارقة، وقد انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في زمانه، وتلمَّذ له خلقٌ لا يُحصون من العلماء والصلحاء، وكان له أربعون خادمًا من أرباب الأحوال، ولمّا أخذ عليه شيخه الشنبكي العهد قال: وقع اليوم في شبكتي طائرٌ لم يقع مثله في شبكة شيخ.

وكان مشايخ البطائح يقولون: عجبنا لمن يذكر أبو الوفاء ولم يمس يده على وجهه، ويسمِّي الله تعالى، كيف لا يسقط لحم وجهه من هيبته؟!.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول: ليس على باب الحق كرديٌّ مثل أبي الوفاء.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١١٦).

وهو أول من سُمّي بـ(تاج العارفين) بالعراق ﷺ.

* * *

الشيخ عقيل المنبجي ﷺ (١)

هو شيخ شيوخ الشّام في وقته، تخرَّج بصحبته جمعٌ من الأكابر منهم: الشيخ عدي بن مسافر الأمويّ، وهو أول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام وأُخذت عنه.

وكان يُسمَّى الطّيّار؛ لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيمًا بها ببلاد الشَّرق صعد إلى منارتها ونادى بأهلها، فلما اجتمعوا طار في الهواء والناس ينظرون إليه، فجاءوا فوجدوه في مينح.

وكان ﷺ إذا نادى وحوش الفلوات جاءت لدعوته صاغرةً حتى تسد الأفق، وكان عكّازه لا يستطيع أحدٌ يحمله.

سكن مينح واستوطنها نيفًا وأربعين سنة، وبها مات، وبها قبره ظاهر يُزار ﷺ.

* * *

الشيخ رسلان الدمشقي ﷺ(٢)

هو من أكابر مشايخ الشام، وأعيان العارفين، وصدور البارعين، وصاحب الإشارات العالية، والهمم السّامية، والأنفاس الصادقة، والكرامات الخارقة، والتصريف النافذ، انتهت إليه تربية المريدين بالشّام، واحترمه العلماء والمشايخ وبجّلوه، وقصده الزائرون من كلّ فجٍّ.

وكان **يقول**: الحدة مفتاح كل شيءٍ، والغضب يقيمك مقام ذلّ الاعتذار.

وكان **يقول**: مكارم الأخلاق: العفو عن القدرة، والتواضع في الذّلة بغير منّةٍ.

وكان **يقول**: إذا قدرت على عدوّك، فاجعل العفو عنه شكرًا لقدرتك عليه.

---

(١) انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (١/٦٨٨)، وطبقات الشعراني (١/١١٧)، وكرامات النبهاني (٢/١٥٣).

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٣٣)، والكواكب الدرية للمناوي (٢/٨٥)، وكتابنا سيدي أبو مدين الغوث، أتم الله تصنيفه.

وكان يقول: الكريم من احتمل الأذى ولم يشكِ البلوى.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: حضرت سماعًا فيه الشيخ رسلان، فأنشد القوّال شيئًا، وكان الشَّيخ رسلان يشبّ في الهواء ويدور فيه دورات، ثم ينـــزل إلى الأرض يسيرًا يسيرًا، يفعل ذلك مرارًا والحاضرون يشاهدونه، فلمَّا استقرَّ على الأرض أسند ظهره إلى شجرة تين في تلك الدَّار، وقد يبست وقطعت الحمل منذ سنين، فأورقت واخضرَّت وأزهرت وأينعت، وحملت في تلك السنة.

سكن دمشق واستوطنها إلى أن مات بها مسنًّا، ودُفن بظاهرها، وقبره ظاهرٌ يُزار، ولمَّا حُمل على أعناق الرِّجال، جاءت طيورٌ خضرٌ وعكفت على نعشه ﷺ.

***

الشيخ أبو مدين شعيب المغربي ﷺ(١)

من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقرَّبين، وشهرته تغني عن تعريفه.

مات بتلمسان ودُفن بها، وقد ناهز الثمانين وقبره ثم ظاهر يُزار، وكان سبب دخوله تلمسان أنّ السُّلطان لما بلغه خبره أمر بإحضاره من بجاية؛ ليتبرَّك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وللسُّلطان الليلة نزور الإخوان، ثم نزل واستقبل القبلة وتشهَّد، وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه:٨٤]، ثم قال: الله الحيُّ وفاضت روحه.

قال الشيخ أبو الحجَّاج الأقصري: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول: لقيت أبا العباس الخضر ﷺ فسألته عن شيخنا أبي مدين فقال: إمام الصديقين في هذا الوقت، وكان ﷺ جميلاً ظريفًا متواضعًا زاهدًا ورعًا، محقِّقًا مشتملاً على كرم الأخلاق، واجتمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأدَّبوا بين يديه.

ومن كلامه: ليس للقلب إلاّ وجهة واحدة متى توجَّه إليها حُجب عن غيرها.

وكان يقول: الخالي من الأُنس والشَّوق فاقد المحبَّة.

وكان يقول: إذا ظهر الحق لم يبقَ معه غيره.

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٣٣).

وكان يقول: الفقر نورٌ ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره.

وكان يقول: الحضور مع الله جنّة، والغيبة عنه نار، والقرب منه لذّة، والبعد منه حسرة، والأنس به حياة، والاستيحاش منه موت.

وكان يقول: الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق تعالى.

وكان يقول: من نظر إلى المكونات نظرة إرادة وشهرة حُجب عن العبرة فيها والانتفاع بها.

وكان يقول: من عرف أحدًا لم يعرف الأحد، والحق تعالى ما بان عنه أحد: أي من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحد أي: من حيث الذات والصفات.

وكان يقول: من لم يصلح لمعرفته شغله برؤية أعماله، ومن سمع منه بلُغ عنه.

وكان يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتونٌ، وكل من رأيته مع الله يدَّعي حالاً لا يكون على ظاهره منه شيء فاحذروه.

وكان يقول: من قطع موصولاً بربه قُطع به، ومن أشغل مشغولاً بربه أدركه المقت.

ومكث سنة في بيته لا يخرج إلاّ للجمعة، فاجتمع الناس على باب داره، وطلبوا منه أن يتكلّم عليهم، فلمَّا ألزموه خرج فرأى عصافير على سدرةٍ في الدَّار، فلما رأوه فرُّوا فرجع، وقال: لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني، ثم رجع وجلس سنة أخرى، ثم جاءوا إليه فخرج فلم تفر منه الطيور، فتكلّم على الناس، ونزلت الطيور تضرب بأجنحتها وتصفِّق حتى مات منها طائفة، ومات رجلٌ من الحاضرين ﷺ.

* * *

الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض السَّعدي سلطان العاشقين رضي الله عنه(١)

(١) هو العارف بالله تعالى سلطان العاشقين سيدي عمر بن أبي علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ستٍّ وخمسين أو ستين وخمسمائة، نشأ تحت كنف أبيه، في عفافٍ وصيانةٍ وعبادةٍ وديانة، بل زهدٍ وقناعةٍ وورعٍ، فلمَّا شبَّ وترعرع اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديثَ عن الحافظ ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وسلوك طريق القوم، فتزهَّد وتجرَّد، وصار يأوي إلى الجبل الثاني من المقطم، والمساجد المهجورة مرة، ثم يعود إلى والده، فيقيم عنده مرة، فيشتاق للتجرد فيعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألف الوحش وألفه الوحش، فكان لا يفرُّ منه، ومع ذلك لم يُفتح عليه بشيءٍ، حتى أخبره شيخه الشيخ أبو الحسن علي البقال أنه إنما يفتح عليه في مكة شرَّفها الله، فخرج فورًا في غير أشهر الحج، ولم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها، وانقطع بوادٍ بينه وبين مكة عشر ليالٍ، ففُتح عليه فصار يذهب من ذلك الوادي إلى مكة، فيصلِّي بها الخمس ويعود إلى محله من يومه، وأنشأ غالب نظمه حالتئذٍ، وأقام على ذلك نحو خمسة عشر عامًا، ثم رجع إلى مصر، فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر، وعكف عليه الأئمة، وقُصِدَ من العام والخاصِّ، حتى أن الملك الكامل كان ينـــزل لزيارته، وسأله أن يعمل له ضريحًا عند قبره، بالقبة التي بناها على ضريح الإمام الشافعي، فأبى، وكـــان رضي الله عنه جميلاً نبيلاً حسن الهيئة والملبس، فصيح العبارة، حسن الصحبة والعشرة، وذكر أنه رأى المصطفى ﷺ في نومه، فقال: (إلى من تُنسب؟). فقال: يا رسول الله إلى بني سعد، قبيلة حليمة. فقال له ﷺ: (بل نسبك متصلٌ بي). وكان له أحوالٌ كريمةٌ وكراماتٌ عظيمةٌ، ومن أجلِّها ديوانه الذي اعترف بحسنه الموافق والمخالف، سيَّما القصيدة التائية المسماة بـــ(نظم السلوك).

روى ابن بنته عنه: أنه لما أتمَّها رأى النبيَّ- عليه الصلاة والسلام – في المنام، فقال: يا عمر، ما سمـيت قصيدتك؟ قال: سميتها: (لوائح الجنان وروائح الجنان)، فقال له ﷺ: لا، بل سمها: (نظم الـــسلوك). وقد اعتنى بشرحها جمعٌ من الأعيان: كالسراج الحنفي الهندي قاضي الحنفية بمصر، وكـــان كـــثير المحـــبة للشيخ، حتى أنه عزَّر ابن أبي حجلة؛ لتكلُّمه في الشيخ بما لا يرضي الله، والشمس البسطامي، والجلال القزويني الشافعي، غير متعقِّبين ولا مبالين بكلام المنكرين الحسَّاد.

وكـــذا شـــرحها الشيخ الفرغاني، وهو الشارح الأول لها، وأقدم المؤيدين له. حكى: أن الشيخ صـــدر الدين القونوي عرض لشيخه الشيخ محيي الدين بن العربي، فقال له: لهذه العروس بكرًا من أولادك، فـــشرحها الـــشيخ الفـــرغاني، وهو من تلامذة الشيخ القونوي، وكذلك شرحها الشيخ القاشـــاني والـــشيخ القيصري وغيرهم، وعلى القصيدة الخمرية عدة شروحٍ، أحدها لابن كمال باشـــا، وكـــذلك اليائـــية، وقد شرحها الإمام السيوطي، وقد شرح الديوان كله بعض العارفين: كالشيخ النابلسي رضي الله عنه.

=

=

قال الذهبي: كان سيِّد شعراء زمانه. وقال ابن العماد في «شذراته»: أفضل الشعراء على الإطلاق. ولم يزل الشيخ على حاله، راقيًا في سماء كماله ﷺ حتى احتضر، فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعةٌ من الأولياء، فحضره جماعةٌ: منهم البرهان الجعبري، فقال كما حكاه سبط الشيخ: رأيت الجنة لما مثلت له، بكى وتغيَّر لونه، ثم قال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

قال: فقلت له: يا سيدي هذا مقامٌ كريمٌ. فقال: يا إبراهيم رابعةٌ وهي امرأةٌ تقول: (وعزَّتك ما عبدتك رغبةً في جنتك، بل لمحبَّتك)، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعتُ قائلاً يقول له: ما تروم؟ قال: أروم وقد طال المدى منك نظرة ... البيت، فتهلل وجهه، وقضى نحبه، فقلت: إنه أُعطي مرامه اهـ.

وقد افترى على الشيخ ﷺ من يدعى بالبقاعي، الذي ظهر أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن غلبت عليه شقوته، وسبق عليه الكتاب، فصار من أهل العذاب، المنسوب إليه التفسير المشهور، المسمَّى بنظم الدرر، والحق أنه ليس له، كما هو معلوم عند أهل العلم، فألف رسالةً، وإن شئت قلت ضلالةً في تكفير الشيخ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[الصف:٨]، ولكن هيهات هيهات: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فقيَّد الله لهذا البقاعي الجاهل الشيخ العالم الكامل أبو عبد الله محمد بن جمعة الحصكفي ﷺ (توفي سنة ٨٩٥هـ) من جعله سيفًا لدينه، يذبُّ عنه سفاهة ذوي الأحلام، فألَّف هذا الشيخ الجليل الصالح كتابًا في الرد على ذاك الشقي أسْمَاه «ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي»، وهو كتابٌ حافلٌ في الرد على ذاك الغافل، و«الانتصار» للشيخ ابن الفارض منبع الفضائل، وإن شاء الله سينشر هذا الكتاب قريبًا، وكذلك أيضا الشيخ السيوطي فألف مقامةً أسماها «قمع المعارض في نصرة ابن الفارض»، وقد دافع عن الشيخ وغيره من أكابر أئمة الأولياء الكثير من العلماء، وقد وقفنا على الكثير من تلك الكتب، والتي لا يزال أكثرها مخطوطٌ، والتي لو نشرت لما كان لهذا الجهل والتجرؤ على أولياء الله وجودٌ، ولعلمنا حقيقة أن تلك العلوم والمعارف التي أظهرها القوم هي غاية هذا الدين الخاتم، وأنها مقصود الشرع الشريف، ولَعَلِمَ من أنكرها أو من لم يعرفها أنه ما عرف عن الدين وعن رسول الله ﷺ إلا اسمه، لا غير.

وإن شاء الله سنقوم بتحقيقها وإخراجها للناس، وذلك لما رأينا أن معظم كتابات اليوم عن علم التصوف الإسلامي خاليةٌ تمامًا مما استند إليه القوم من الدليل الشرعي، فصار الكلام في الفلسفات والنظريات والنقل من المستشرقين وكأن الكاتب ليس مسلمًا، ولم يقف على كتاب اسمه القرآن، ولم يؤمن بنبيٍّ خاتمٍ اسمه محمَّدٌ ﷺ، وكأنه يتكلم عن غير مسلمٍ ـ معاذ الله ـ في موضوعٍ لا يمسُّ الدين، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبينٌ، فبالله عليك يا أخي هل ترى

=

=

علوم التصوف إلا قسمين: **قسمٌ**: أمرك باتِّباع الشرع المطهَّر من عبادةٍ: كذكرٍ أو صلاةٍ على رسول الله أو قراءة قرآنٍ أو حسن معاملةٍ مع الخالق والخلق؟!

وقال في ذلك الإمام الجنيد سيِّد الطائفة قُدِّس سرُّه: علمنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة.

وفي ذلك القسم ألفوا «الإحياء»، و«قوت القلوب»، و«الرسالة القشيرية».

والقسم الآخر: وهو أسرار الدين والعقيدة العظمى في الله وفي رسوله ﷺ، وهو العلم المسمَّى بعلم الحقائق: «كالفتوحات المكيَّة»، و«الإنسان الكامل»، وتلك الكتب ما تكلَّمت إلا بأنَّها مستمدةٌ من السيد الأعظم ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم تلك العلوم وأعظم، ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، وأقاموا الدليل الشرعي على ذلك، وإن شئت فراجع «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وبالله عليك هل سمعت ولو ممن ينكر على السادات الصوفية أن واحدًا منهم كان محبًا للدنيا أو طلب من آخر ترك أمرٍ في الشريعة أو كان يجبر أحدًا على تعظيمه؟! لا، والله.

وانظر كل كتب التراجم ولو المنكرين عليهم كما ذكرت فإنك لن تجد مثل هذا، ولن تسمع إلا أنه كان زاهداً عابدًا ورعًا، لا يقيم لنفسه على أحدٍ وزنًا، فأنصف الحق من نفسك، واستبرئ لدينك.

وصار باحثينا القارئين لتلك الكتابات يتجرأون على الشريعة وعلمائها بدون أدنى تعبٍ في البحث عن الأدلة الشرعية، ولو وقف أحدهم على قوله: (إنَّ الله عِنْدَ لسانِ كلِّ قائلٍ وقلبه) لما تجرأ بالطعن على ما يجهل، ولأفتاه قلبه: إياك والإنكار على ما تجهل، فإنك لم تُحط بعلم الله، فلا تتحكم على الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١]، ولذكُره بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]. والحاصل: كما ذكره الإمام عبد الرؤوف المناوي في «الكواكب الدُّرية»: أن قد اختلف في شأن صاحب الترجمة ـ ويقصد الشيخ ابن الفارض وابن العربي والعفيف التلمساني والقونوي وابن هود وابن سبعين وتلميذه الششتري والصفار وابن المظفر رضي الله عنهم ـ من الكفر إلى القطبانية، وقد كثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية، ولا أقول كما قال بعض الأعلام: سلِّم تسلمْ، والسلام، بل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم من أنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم، ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهَّل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين

=

مولده بالقاهرة في شهر ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وتُوفي أيضًا بالقاهرة بجامع الأزهر بقاعة الخطابة في شهر جمادى الأوّل سنة اثنين وثلاثين وستمائة، ودُفن بالقرافة بسفح الجبل المقطَّب عند مجرى السَّيل، تحت المسجد المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور.

وكان ﷺ معتدل القامة، وجهه جميلٌ حسنٌ، مشرَّب بحمرة ظاهرة، وإذا تواجد وغلب عليه الحال يزداد وجهه نورًا وجمالاً، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتى يسيل تحت قدميه على الأرض، وكان عليه نور وجلالة وهيبة، وكان إذا حضر في مجلسٍ يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة، وكان يحضر مجلسه من الفقراء والفقهاء والقُرَّاء وأكابر الدولة من الأمراء، والوزراء، والقضاة، ورؤوس الناس، فيكونون معه في غاية الأدب، وإذا خاطبوه كأنهم يخاطبون ملكًا عظيمًا، وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه، يلتمسون

الشريعة، وقول بعض جهابذة الفقه والأثر: (أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم) غير معتبرٍ، وإن جلَّ قائلـه؛ كيف وهو قد ملأ كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه؟! واعتنى عليه بالجمع بين الكلامين المتناقضين، وتـنـزيل الخلاف على حالين.

وقـد وقـع لجماعةٍ من الكبار الرجوع عن الإنكار، وكان العزُّ بن جماعة ينكر، فرأى في منامه جماعـةً قـد أوقفـوا بين يدي الشيخ، وقيل له: هؤلاء منكرون. فقطع ألسنتهم؛ فانتبه مذعورًا، ورجع.

وقـال لي شـيخنا الرملي: إن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونصبت أواني في غاية الكـبر، وأغلي فيها الماء حتى تطاير منها الشرار، وجيء بجماعةٍ ضبائر ضبائر، فسلقوا فيه حتى تهرى العظم واللحم، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: الذين ينكرون على ابن العربي وابن الفارض اهـ.

مـات ﷺ سـنة اثـنين وثلاثين وستمائة، ودفن بالقرافة بمصر، ورُئيَ في النوم، فقيل له: لِمَ لا مدحت المصطفى ﷺ في ديوانك؟ فقال:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مقصِّرًا وإن بالغ المثنـي عليه وكثَّرا

إذا اللـه أثنى بالذي هو أهـله عليه فما مقدار ما يمدح الورا

وقد قال أحد العلماء بالله: إن الشيخ ابن الفارض يأتي يوم القيامة يمدح الله على رؤوس الأشهاد، ويقال له: امدحنا كما كنت تمدح في الدنيا.

ولنختم تلك الترجمة بعد ما نوّهت لك على حقيقة الإنكار على السادة الصوفية بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده، فلا يمكِّن أحدًا من ذلك بل يصافحه، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متَّسعة، ويعطي من يده عطاءً جزيلاً، ولم يكن يتسبَّب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحدٍ شيئًا.

وبعث إليه السُّلطان الكامل ألف دينار فردَّها إليه، وسأله أن يجهز له ضَريحًا عند قبر أمه في قُبَّة الإمام الشافعي ﷺ، فلم يأذن له بذلك، ثم استأذنه أن يجهِّز له مكانًا يكون له مزارًا يُعرف به، فلم ينعم له بذلك.

قال الشيخ كمال الدِّين محمد ولده: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: كنت في أول تجريدي استأذن والدي، وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل المقطَّب، وأقيم في هذه السّياحة ليلاً ونهارًا ثم أعود إلى والدي؛ لأجل بره ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذٍ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، فيجد سرورًا برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم أشتاق إلى التجريد وأستأذنه وأعود إلى السياحة، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرةٍ إلى أن سُئل والدي أن يكون قاضي القضاة فامتنع ونزل عن الحكم، واعتزل الناس وانقطع إلى الله بالجامع الأزهر إلى أن تُوفي، فعاودت إلى التجريد والسِّياحة وسلوك الطريقة، فلم يُفتح عليَّ بشيءٍ، فحضرت يومًا من السّياحة إلى المدينة، ودخلت المدرسة السوقية فوجدت رجلاً شيخًا بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوءاً غير مرتَّبٍ، غسل يديه ثم غسل رجليه ثم مسح برأسه ثم غسل وجهه، فقلت: يا شيخ إنك في هذا السِّن في دار الإسلام، وأنت تتوضَّأ وضوءاً غير مرتَّبٍ، فنظر إليَّ وقال: يا عمر أنت ما يُفتح عليك في مصر، وإنما يُفتح عليك بالحجاز في مكة، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح، فعلمت أن الرَّجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بترتيب الوضوء، فجلست بين يديه وقلت له: يا سيدي، وأين أنا ومكة ولا أجد ركبًا ولا رفقةً في غير أشهر الحج؟! فنظر إليَّ وقال: هذه مكة، فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع، وشرعت في السّياحة في أوديتها وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهارًا، وأقمت بوادٍ بينه وبين مكة عشرة أيّام للراكب المجد، وكنت آتي منه كل يومٍ وليلةٍ وأصلي في الحرم الصلوات الخمس، ومعي سبعٌ عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وإيابي، وينخ لي كما ينخى الجمل، ويقول: يا سيدي اركب، فما ركبته قط.

وتحدث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم بمكة بتجهيز مركوب يكون

عندي في البرِّية، فظهر لهم السبع عند باب الحرم، فرأوه وسمعوا قوله: يا سيدي اركب، فاستغفروا الله، وكشفوا رؤوسهم واعتذروا إليَّ.

ثم بعد خمسة عشر سنة سمعت الشيخ البقال يناديني: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة، فاحضر وفاتي، فأتيته مسرعًا فوجدته قد احتضر، فسلَّمت عليه وسلَّم عليَّ، وناولني دنانير ذهب وقال: جهِّزني بهذه، وافعل كذا وكذا، واستأجر من يحمل جنازتي إلى القرافة، واعطِ كل واحدٍ دينارًا، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها فلم تبرح بين عيني وهي بالقرافة عند مجرى السَّيل، قال: وانتظر قدوم شخص يهبط إليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليَّ، وانتظر ما يفعل الله في أمري، وتُوفي الشَّيخ البقَّال فجهزته كما أشار، وطرحته في البقعة كما أمرني، فهبط إليَّ رجلٌ من الجبل كما يهبط الطَّير المسرع لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصٍ كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق، فقال: يا عمر تقدَّم فصلِّ بنا على الشيخ، فتقدمت وصليت إمامًا، ورأيت طيورًا خضرًا وبيضًا صفوفًا بين السماء والأرض يصلُّون معنا، ورأيت طائرًا منهم عظيم الخلقة أخضر قد هبط عند رجليه وابتلعه، وارتفع إليهم، وطاروا جميعًا ولهم زجل بالتسبيح إلى أن غابوا عنَّا، وقال لي ذلك الرجل: يا عمر، أما سمعت أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم شهداء السيوف! وأمَّا شهداء المحبَّة فكلهم أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة، وهذا الرجل منهم يا عمر، وأنا كنت منهم، وإنما وقعت مني هفوة فطُردت عنهم، وأنا أصفع قفاي بالأسواق ندمًا وتأديًا على تلك الهفوة، قال: وارتفع الرجل إلى الجبل الطائر إلى أن ارتفع عنِّي.

قال الشيخ محمد: قال لي والدي: إنما حكيت لك هذا لأرغبك في سلوك طريقنا، فلا تذكره لأحدٍ في حياتي، فلم أذكره لأحدٍ حتى تُوفي، ودُفن في تلك البقعة حسب وصيَّته، وضريحه بها معروفٌ يُزار.

قال سبطه ﷺ:

جِـــزْ بالقـــرافةِ تحتَ ذيل العَارِضِ ... وقُلْ السَّلامُ عليكَ يَا ابن الفَارِضِ
أبـــرزت في نظـــمِ السُّلوكِ عَجَائبًا ... وكـــشفت عن سرٍّ مصونٍ غامضِ
وشـــربت مـــن بحـــرِ المحبَّة والولا ... فـــرُويت مـــن بحرٍ محيطٍ فائضِ

وقال غيره:

لَـــمْ يَـــبْقَ صَـــيب مزنة إلا وقد ... وُجـــبت علـــيه زيارة ابن الفارض

لا غــرو أن يُـسقى ثـراه وقبره بــاقٍ لـيومِ العرض تحت العَارض

قال ولده الشيخ كمال الدِّين محمد ﷺ: كان الشيخ في غالب أوقاته لا يزال داهشًا، شاخصًا بصره، لا يسمع من يكلِّمه ولا يراه، فتارة يكون واقفًا، وتارة يكون قاعدًا، وتارة يكون مستلقيًا على ظهره، مستحي كما يستحي الميت، ويمر عليه العشرة أيام متواصلة وأقل وأكثر وهو على هذه الحالة، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، ثم لم يستفق وينبعث من هذه الغيبة حتى [....(١)]، ويكون أول كلامه أنه يملي من القصيدة ما فتح الله تعالى عليه.

قال سبطه ﷺ: طالعت في مجموعٍ بخط شيخ رجل صالح، فرأيت من جملتها فيه القصيدة الثانية المُسمَّاة بنظم السلوك، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها: قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض قدس سره ونوَّر ضريحه: هذه القصيدة الغراء، والفريدة الزَّهراء التي لم يُنسج على منوالها، ولا سنح خاطرٌ بمثلها، وتكاد تخرج عن طوق وسع البشر ألفاظًا ومعاني، وكان سمَّاها أوَّلاً: أنفاس الجنان ونفائس الجنان، ثم سمَّاها: لوائح الجنان وروائح الجنان، ثم رأى النبي ﷺ فقال له: «سمِّها نظم السلوك(٢)» فسمَّاها بذلك.

وحكى جماعة يُوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه، أنه لم يكن نظمها على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم، بل كان يحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه الأيَّام نحو الأسبوع والعشرة أيام، فإذا أفاق أملى ما فتح الله تعالى عليه به، منها نحو الثلاثين والأربعين والخمسين بيتًا، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال، ومَن تأمَّلها حقَّ التَّأمُّل علم أنَّ لها نبأً عظيمًا، صانها الله عن غير أهلها، ثم كتب القصيدة بعد هذه الترجمة.

وحُكي أنه: لما فوَّض أمر قاضي القضاة التقي الدين في أيام الملك المنصور، وقع في حق شيخ الشيوخ شمس الدين الأيكي في مجلس حفل، وقال له: أنت تأمر الصُّوفية بالاشتغال بنظم السلوك قصيدة ابن الفارض، وهو يميل فيها إلى الحلول، وأهانه بالكلام فدعا عليه وقال: مثَّل الله بك كما مثلت فِيَّ، فعُزل عقيب ذلك من الوزارة في آخر الدولة المنصورية، ثم عُزل عن القضاء في الدولة الأشرفية، وصُودر ومُثل به، وحُبس مدة، ونُسب إلى سوء الاعتقاد، وإلى أنه وقع في كلامٍ يفسق به.

قال سبط الشيخ عمر: فلما منَّ الله تعالى عليه بالخلاص من هذه النكبة حضَرْتُ

---

(١) بياضٌ بالأصل.

(٢) ذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون (١/٢٦٥)، وهو حديث كشفي.

عنده أنا والشيخ سعد الدِّين الحارثي، وسمعته يحمد الله تعالى على حسن العافية والسَّلامة، فعرضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي، ووقوعه في حقِّه وحق شيخنا الشيخ عمر بن الفارض، وأنه نسبهما إلى الحلول، وأنهما بريئان منه، وقلت: وكيف يُتصور أن الشيخ يميل إلى الحلول في قصيدته وقد نزَّه عقيدته عنه بقوله:

وكيفَ وباسمِ الحقِّ ظلَّ تخلقي ... تكون أراجيف الضَّلال مخيفتي
وها دحية وافى الأمين نبيَّنا ... بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذْ بدا ... لمهدي الهُدى في صورة بشرية
وفي عِلْمِه عن حاضريه مزية ... بماهية المرئي من غير مرية
يرى ملكًا يوحي إليه وغيره ... يرى رجلاً يدعي إليه بصحبةِ
ولي من أتم الرؤيتين إشارة ... تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي
وفي الذِّكر ذكر اللبس ليس بمنكرٍ ... ولم أعد عن حكمي كتاب وسُنَّة

فقال: أنا أحب الناس في نظم الشيخ عمر بن الفارض، وحفظت ديوانه وأنا شابٌّ وانتفعت به، وهذه الأبيات ما كان سمعتها قط إلا في هذه الساعة، وقد زال من ذهني الآن ما كنت اعتقده من ميل الشيخ في قصيدته إلى الحلول، وأنا استغفر الله مما جرى من الكلام في حقِّه، فقلت له: وفي حق الشيخ شمس الدين الأيكي؟ فقال: نعم، وما برحت في قلقٍ من دعائه إلى أن حلَّت بي هذه المحنة، فالله تعالى يغفر لي وله، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى من الوقوع في حقِّ أهل هذا الطريق انتهى.

وقال ولده الشيخ محمد: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: حصلت مني هفوة فوجدت لها مؤاخذة في باطني بسببها، وانحصرت باطنًا وظاهرًا حتى كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائمًا على وجهي، فطلعت الجبل المقطب وقصدت مواطن سياحتي، وأنا أبكي وأستغيث وأستغفر، فلم يفرج ما بي، فنزلت إلى القرافة ومرَّغتُ وجهي في التراب بين المقابر، فلم ينفرج ما بي، فقصدت مدينة مصر ودخلت الجامع الأزهر، ووقفت في صحن الجامع خائفًا مذعورًا، وجددت البكاء والتضرُّع والاستغفار، فلم ينفرج ما بي، فقلت على حالٍ مزعجٍ، وصرخت وقلت:

مَنْ ذَا الذي مَا سَاءَ قَطْ ... ومَنْ لَهُ الحُسنى فَقَطْ

فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه: محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط.

وقال أيضًا: رأيت الشيخ نهض قائمًا ورقص زمانًا طويلاً، وتواجد وجدًا عظيمًا، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه، وخرَّ إلى الأرض، واضطرب اضطرابًا شديدًا، ولم يكن عنده غيري، ثم سكن حاله، وسجد شكرًا لله تعالى، فسألته عن سبب ذلك فقال: يا ولدي، فُتح عليَّ بمعنى بيت واحد لم يفتح بمثله، وهو:

وعَلَــى تفــنن وَاصِفيه بحسنِهِ   يفــنى الزمان وفيه ما لم يُوصف

وقال ﷺ أيضًا: قال: كان الشيخ ماشيًا في السوق بالقاهرة فمرَّ على جماعةٍ من الحرسية يضربون بالناقوس، ويغنُّون بهذين البيتين:

مَوْلاَي سهرنا نبتغي مِنْكَ وصال   مَــوْلاَي فلم تسمح فنمنا بخيال

مَــوْلاَي فلم تطرق فلا شك بأن   مــا نحن إذًا عندك مولاي ببال

فصرخ الشيخ صرخة عظيمة، ورقص رقصًا كثيرًا في وسط السوق، ورقص معه ناس كثير من المارين في الطريق، حتى صارت جولة عظيمة، وتواجدت النّاس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض، والحراس يكررون ذلك، وخلع الشيخ كل ما كان عليه ورمى بهم إليهم، أو خلع الناس معهم ثيابهم، وحُمل بين الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريانٌ مكشوف الرأس، ولم يبقَ عليه سوى لباس، وأقام في هذه السكرة أيامًا مُلقى على ظهره، مستحيٍ كالميت، فلما أفاق جاء الحرَّاس إليه ومعهم ثيابه، وقدموها بين يديه فلم يأخذها، وبذل الناس لهم فيها ثمنًا كثيرًا، فمنهم من باع، ومنهم من امتنع من بيع نصيبه وأمسكه عنده تبرُّكًا به.

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ ماشيًا في الشارع الأعظم بالقرب من مسجد ابن عثمان وكنت معه، وإذا بنائحة تنوح وتندب على ميتة في طبقةٍ من النساء، وهن يجاوبنها وهي تقول:

سِــتِّي مُتِّــي مــن حقًّــا   أي والله حقًّــــا حقًّــــا

فلما سمع الشيخ صرخ صرخة عظيمة، وخرَّ مغشيًا عليه، فلما أفاق صار يقول ويردّد مرارًا:

نَفْــسِي مُتِّــي مــن حقًّــا   أي والله حقًّــــا حقًّــــا

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ جالسًا في الجامع الأزهر على باب قاعة الخطابة بالقرب من المنبر، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين

بالجامع الأزهر وغيرهم، وكلما ذكروا حالاً من حال الدنيا مثل [.... خانه(١)] والفراش وغير ذلك، يقولون: هذا زخم العجم، فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالمؤذنين رفعوا أصواتهم بالأذان جملةً واحدةً، فقال الشيخ: وهذه زخم العرب، وصرخ صرخة عظيمة وتواجد، وصرخ كل من كان حاضرًا حتى كانت لهم في الجامع ضجَّة عظيمة.

وفي طبقات المناوي: أنّه مرَّ رجلاً يومًا ومعه بلالين: أي ميازر، فدعاه رجل: يا صاحب البلالين، فطرب الشيخ عمر قدس سره، وصاح وبكى وناح.

ومن خوارقه العجيبة وأحواله الغريبة أنه قدس سره رأى جملاً لسقا فكلف به، وهام وصار يأتيه كل يومٍ ليراه، ويسقي بأجماله شيئًا كثيرًا، وكان يشخص في بعض الأيام إلى الأسطوانة أو العمود الأسبوع فأكثر فلا يطرف بعينه، وله من أمثال هذه الواقعات كثير، وكان عشَّاقًا يعشق مطلق الجمال، بل زعم بعض الكبار أنه عشق برنية في دكان عطار.

وذكر القوصي في التوحيد أنه كان للشيخ عمر قدس سره جوار بالبهنسا يذهب إليهنَّ فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، ولكل قومٍ مشرب، ولكل جماعةٍ مطرب، وليس سماع الفسَّاق كسماع سلطان العشَّاق.

وحُكي عن الشيخ شمس الدِّين بن عمارة المالكي أنَّه كان ينكر على الشيخ عمر ﷺ، فتوجَّه لزيارة أخيه يوسف فأجهده العطش، ولم يجد ماءً إلا في قلةٍ على قبر الشيخ عمر ﷺ، فرجع عن إنكاره.

وكان الشيخ عز الدين بن جماعة ينكر عليه أيضًا، فرأى في النوم جماعة قد وقفوا بين يدي الشيخ عمر ﷺ، وقيل له: هؤلاء المنكرون عليك، فقطع ألسنتهم، فانتبه مذعورًا ورجع عن إنكاره.

ولما وصل شيخ الإسلام محمد بن إلياس قاضي القضاة إلى مصر صار ينال من الشيخ عمر ﷺ، ويتوعَّد زواره ومن ينشد كلامه يوم الجمعة عند قبره على العادة، وتطلَّب كتاب شرح المنهاج للسبكي؛ لكونه حطَّ فيه على الشَّيخ عمر ﷺ ونقصه، فابتُلي بمرضٍ فما شُفي منه حتى رجع. والحكايات في ذلك كثيرة.

* * *

---

(١) كلمة غير ظاهرة بالأصل، وهي من الألفاظ التركية.

الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الطائي ﷺ (١)

---

(١) هو من تغني معرفته عن الإشارة إليه، وإن كانت معرفته مستحيلةً على غير أبناء جنسه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، وأنشدوا:

إيَّـــاك واسم العامرية إنَّنـــي أغارُ عليها من فم المتكلِّمِ

أغارُ عليها أن يراها سوايَ بلْ أغارُ عليها أن أرها لغيرتي

فهو ممن ورثوا: (لا يعرف قدري غير ربِّي)، فكان من موروثه ﷺ مُربَّى ولغيره مُربِي، سُتِروا في الدنيا؛ تخلقًا بأخلاق سيدهم، وغدا: (أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)، خاتم الولاية المحمدية، حجَّة الله على أوليائه، العين التي يشرب بها عباد الله، الولي، الكامل، المقرَّب، السند، العالم بالله تعالى، المؤيَّد من الله ورسوله في جميع شئونه، سيدنا محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، المعروف بالشيخ ابن العربي ﷺ، ونفعنا به في الدارين، آمين، وأماتنا على محبته ومحبة جميع الصالحين، آمين.

ولد ﷺ في يوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية، الموافق الثامن والعشرين من يوليه سنة ألفٍ ومائةٍ وخمسٍ وستين ميلادية في مدينة مرسية (من أعمال ولاية اندالوزي) إحدى ولايات الأندلس (المعروفة الآن بإسبانيا)، وكان أبوه من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأةً دينيَّةً نورانيَّةً صالحةً، وما كاد لسانه ﷺ يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزًا في القراءات، ملهمًا في المعاني والإشارات، وكان ﷺ من الموقعين عند بعض ملوك المغرب، ثم إنه طرقه طارقٌ من الله، فخرج في البراري على وجهه، إلى أن نزل في قبرٍ، فمكث فيه مدةً، ثم خرج من القبر يتكلَّم بتلك العلوم التي نُقلت عنه.

وقال الشيخ المناوي في «الطبقات»، وقال بعضهم: برز الشيخ منفردًا مؤثرًا للتخلِّي والانعزال عن الناس ما أمكنه، حتى أنه كان لا يجتمع به إلا الأفراد، ثم آثر التأليف، فبرزت عنه مؤلفاتٌ لا نهاية لها، تدلُّ على سعة باعه في العلوم الظاهرة والباطنة، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاعد، التي لا يدركها ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقها اهـــ.

ولم يزل سائحًا في كل بلدٍ بحسب الإذن المحمدي، ثم يرحل منها، ويخلف ما ألَّفه من الكتب فيها، وكان آخر إقامته بالشام، وكان ﷺ متقيِّدًا بالكتاب، محمولاً بالسنَّة، ويقول:كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك.

وله ﷺ كرامات أكثر من أن تُحصى، ومن أجلِّها مؤلفاته التي لم يجد الزمان بمثلها، وعجز أرباب العقول العقيمة عن النسج على منوالها، ومنها: الإخبار به قبل زمنه على لسان الحكيم

=

=

الترمذي حين ألف كتابه ((ختم الأولياء))، فأخبر أنه لا يحلُّ تلك الأسئلة إلا رجلٌ من أهل الولاية، يكون اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي، فكان هو الشيخ الأكبر؛ لأن اسم الحكيم الترمذي محمد بن علي، ومنها: إخباره ﷺ عن السلطان سليم وعن دخوله الشام قبل زمن هذا السلطان، فوقع الأمر على ما أخبر به، وبنى عليه السلطان قبره المعروف بسبب ذلك، واختلف الناس في شأنه ﷺ: بين معتقدٍ، أو مسلِّمٍ، أو منكرٍ، ونعوذ بالله من الإنكار، ذلك فضله يؤتيه من يشاء من عباده، لم نشاركه في خلقٍ حتى نشاركه في تقسيمٍ، وإذا أردنا أن نبيِّن المنكرين من المعتقدين فلا بدَّ أن نأخذ في الاعتبار ما يلي:

أن كتب ومؤلفات الشيخ الأكبر ﷺ قد علمها واطَّلع عليها جميع علماء الإسلام من وقت الشيخ إلى يومنا هذا، ومن يقل بغير هذا فقد نسب الجهل إلى علماء الإسلام، وحاشاهم من ذلك؛ لأن كتبه وعقائده أشهر من أن يُشار إليها، وما من بلدٍ مسلمٍ أو حتى غير مسلمٍ إلا وكتب الشيخ موجودةٌ فيه، معلومةٌ عند علمائه، وإذا نظرنا إلى المتكلمين في كتب الشيخ وعقائده نجدهم كالآتي:

أولا: المسلمون للشيخ علومه وسكتوا عن التكلُّم فيه، ومنهم شيخ الإسلام النووي؛ فإنه اُستفتِي في الأمر، فكتب قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤١]، لكن الذي عندنا: أنه يحرم على كل عاقلٍ أن يسيء الظن بأحدٍ من أولياء الله ﷻ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال في ((شرح المهذب)): ثم إذا أوِّل فليؤول إلى سبعين وجهًا، وإن لم يقبل عنه إلا تأويلاً واحدًا، ما ذلك إلا تعنُّتٌ اهـ.

ليت شعري! ومن يستبرئ لدينه مثل هذا الحبر الآن، وكذلك شيخه الخوري حين اُستفتِي، فقال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية، والتسليم واجبٌ، ومن لم يذق ما ذاقه القوم ويجاهد مجاهداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم اهـ.

وتبعهم على ذلك خلقٌ كثيرون؛ سالكين طريق السلامة.

ثانيًا: المنكرون علوم الشيخ ﷺ ومقامه: وهم فريقان: الأول: من قصد الإنكار لحسدٍ، أو حظِّ نفسٍ، أو نتيجة لما فهمه بفهمه السقيم لكلام الشيخ، وهم نفرٌ معدودون: كابن تيمية، وقام بالرد عليه علماء كلاً من: الشيخ محمد المزجاجي في كتابه ((**هداية السالك في أسنى المسالك**))، والشيخ محمد المكي في كتابه ((**عين الحياة في معرفة الذات والأفعال والصفات**))، والشيخ ابراهيم الكوراني (الملقَّب بمجدد الأشاعرة) في مواضع متفرقةٍ من كتبه، وأفرد لذلك كتاب ((**مطلع الجود في تحقيق التنـــزيه في وحدة الوجود ومشرع الورود إلى مطاع الجود**))، وهو

=

=

شرحٌ على استشكالٍ في الكتاب السابق، والشيخ النابلسي في كتابه «**الرد المتين على منتقص العارف بالله سيدي محيي الدين**»، وهو من أقواها في الرد، والشيخ الشعراني في كتابه «**القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين**»، وهو يدافع عن الشيخ بنقل نصوصه، ومنهم كذلك القاري، والتفتازاني، وقام بالرد عليهما الشيخ عمر حفيد العطار الدمشقي في كتابه «**الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين**»، وتناول كلامهما مسألةً مسألةً، وقد طُبع هذا الكتاب قديمًا، ومنهم أيضًا البقاعي، ورد عليه الجلال السيوطي في رسالته «**تنبئة الغبي في تبرئة ابن العربي**»، وكذلك الشيخ محمد بن جمعة الحصكفي في كتابه «**ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي**»، وإن كان سبب التأليف هو رسالة البقاعي في الشيخ ابن الفارض ﷺ، وكذلك قد أفتى في الشيخ ابن الخياط، وردَّ عليه العلامة الفيروزآبادي في كتابه «**الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين**»، أو «**الاغتباط بمعالجة ابن الخياط**»، أما العلاء البخاري وكذلك السخاوي فلم يخرج إنكارهما عن واحدٍ ممن ذُكروا، فكلامهم مكرَّرٌ، والرد على من ذكروا ردًا عليهم.

وأما الفريق الثاني ذكره الشيخ المناوي في «**الكواكب**»، فقال: فريقٌ قصد بإنكاره تنفير الناس عن مطالعة كتبه؛ لما اشتملت عليه من المشكَلات وعويص المعضلات،فلم يقصدوا بإنكارهم حظًا نفسانيًا.

قلت: ومنهم بعض الصوفية ممن يعتقدون بولايته وقطابته، مع نهي أتباعهم عن النظر في كتبه؛ خشية أن يفهموا بالفهم السقيم أقوال الشيخ، فيظن به سوءٌ، فيهلك مع الهالكين .

واعلم أني ذكرت لك ما وقفت عليه من المؤلفات مما هو تحت يدي، وإلا فإن الردود على الاعتراضات الواردة بسبب الفهم السقيم على الشيخ ﷺ كثيرةٌ، أكثر من أن تستقصى، ومنها على سبيل المثال «**الجانب الغربي في حل مشكلات الشيخ ابن عربي**» للشيخ محمد المكي، ولا يخفى عليك أيضًا أن الرد على من ذكروا منثورٌ في كتب القوم، وفي فتاوى مشايخ الإسلام ومؤلفاتهم، هذا فضلاً عن أن بعض من ذكروا عليه اختلافًا بين أهل الإسلام كابن تيمية فإن العلماء قاموا عليه في كثير من الأمور التي خرق بها إجماع المسلمين، كمسألة (الزيارة النبوية الشريفة) وغيرها من المسائل في علم الكلام، وراجع في ذلك «**شفاء السقام**» للتقي السبكي، «**ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك للإمام أحمد**» لتقي الدين الحصني، وغيرها كثيرٌ؛ ولكن العبرة عندنا في الدفاع عن الشيخ هي بالقول لا بالقائل، حتى وإن لم يكن معتبرًا عند أهل العلم.

ثالثًا: المدافعون عن الشيخ والمحبين له، وهم كل أهل التصوف من عصر الشيخ إلى قيام الساعة، وكل من كان محبًا لهم، أو تابعًا لهم من الفقهاء وعامة المسلمين، ونتبرك بذكرهم، فنقول: منهم العز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وصلاح الدين الصفدي في تاريخ مصر،

=

=

والشيخ زروق، فقال: هو أعرف بكل فنٍ من أهله، وحيث أطلق القوم (الشيخ الأكبر) فمقصودهم هو اهـ.

والشيخ كمال الدين بن الزملكاني قال في كتابه المؤلف في النبي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاخرًا في المعارف الإلهية.

والشيخ قطب الدين الشيرازي، وقاضي القضاة الشمس البساطي المالكي، وبدر الدين بن جماعة، وقيل أن له شرحٌ على «الفصوص»، والشيخ تقي الدين السبكي، وقد ترجمه قائلاً: كان الشيخ محيي الدين آيةً من آيات الله. والشيخ سراج الدين المخزومي، ألّف في الرد عنه كتابًا حافلاً أكثر الشيخ الشعراني النقل منه في مقدمة «اليواقيت»، وشدَّد فيه الشيخ المخزومي على أن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني لم يفتِ في الشيخ بسوءٍ، وجعل يستشهد لذلك. وكان القاضي شمس الدين الخونجي الشافعي يخدمه خدمة العبيد.

والشيخ اليافعي في إرشاده، كان يقول في ذلك: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسةٍ نفخت في الجبل تريد إزالته من مكانه بنفختها.

والشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وغيرهم كثيرٌ مما لا يحصيهم العدُّ رضي الله عن جميعهم.

رابعًا: وهم ممن لم يعرف لهم إنكارٌ، ولا قولٌ بتسليمٍ ولا محبَّةٍ من علماء الإسلام، فالقول فيهم: أن جميعهم كما قدَّمنا قد علموا بمؤلفات الشيخ وعقيدته، وإلا للزمهم الجهل بأمور المسلمين، وإنهم مؤيِّدون لعقيدة الشيخ وعلومه، مقرُّون بعلوِّ منـــزلته ورفعته، وإلا لو كان الأمر كما توهمه المنكرون لأخذنا جميع علماء الإسلام بقول القائل: (الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس)، وإما أن يكون سكوتهم لخوف المؤيدين للشيخ وهذا بعيدٌ، فلم يبق إلا أن يكونوا مقرِّين، فيكون كل من لم يفتِ في الشيخ بشيءٍ محبًا له، مقرًا بعقيدته، وإنما كان المانع له عن تبيين القول ما رآه من سفسطة المنكرين، وقوة ما ردَّ به مشايخ الإسلام عليهم.

تعقيب: أُستفتِي الحافظ الذهبي، وكان من المنكرين على الشيخ بسببٍ «الفصوص» مع تقريره لجميع مؤلفاته عن قول الشيخ في «الفصوص»: أنه أُعطي الكتاب من الحضرة النبوية الشريفة، فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً اهـ.

فهل هذا يعدُّ رجوعًا عن قوله في «الفصوص»، الله أعلم !.

تنبيه: اعلم أننا لا نعتبر أحدًا من مشايخ الإسلام المذكورين حجَّةً على الشيخ الأكبر، فإن كانوا هم مشايخ للإسلام فهو شيخ الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان وما فوقه من مراتب الدين؛ إذ من شروط الوراثة المحمدية أن يكون أعلم الناس في عصره بالكتاب والسنة، وأكثر أهل عصره اتِّباعًا لهما، ومعاذ الله أن يكون واحدًا من غير الوارثين لسيدنا محمد ﷺ حجَّةً عليهم، فكل واحدٍ

=

كان من الموقعين عن بعض ملوك المغرب، ثم إنه طرقه طارق من عند الله تعالى، فخرج بالبراري على وجهه إلى أن نزل في قبرٍ فمكث فيه مدة، ثم خرج من القبر يتكلَّم بهذه العلوم التي نُقلت عنه، ولم يزل سائحًا في الأرض يقيم في كل بلدٍ بحسب الإذن، ثم يرحل منها ويخلف ما ألَّفه من الكتب فيها، وكان آخر إقامته بالشام، ومات بها سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

وكان ﷺ متقيِّدًا بالكتاب والسُنَّة، ويقول: كل من رمى ميزان الشريعة من يده فقد هلك، وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة.

وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقيه، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة الغراء وما عليه الجمهور، فيحتمل أن الحسدة دسوا عليه. كذا ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه: «**اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر**».

=

من المحمديين حجَّةٌ لأخيه، وليس غيرهم حجَّةٌ عليهم، وإنما قول هؤلاء المشايخ رضي الله عنهم حجَّةٌ علينا؛ لأننا بعقولنا المقيدة وبجهلنا لحقائق الدين لم نكن لنقبل علوم المحمديين؛ فجعلنا إقرار من هو أقرب إلينا في مرتبة العقل والفكر النظري كالواسطة التي قبلنا بها تلك العلوم؛ لقربهم من مرتبتنا العقلية، وإن كانوا هم فوقنا في تلك المرتبة؛ لوسع اطِّلاعهم على النصِّ الشرعي الظاهر.

واعلم أن هذا القول ليس قدحًا في علماء الشريعة معاذ الله، بل هو إعلامٌ على علوِّ مرتبة الوراثة المحمدية، بل إن ممن ظهروا بالعلم الظاهر كالأئمة الأربعة هم عند القوم من أهل الوراثات، وإن اختلفت مراتبهم بين وتدٍ أو صدِّيقٍ، أو غير ذلك من مراتب الولاية.

وبالجملة: فإن القول في الشيخ الأكبر نفعنا الله به في الدنيا والآخرة أعظم من أن يحمله هذا الكتاب، وليس هذا محل بسطه، وإن شاء الله سنقوم بتحقيق الكتب التي تدافع عن الشيخ والتي سبق ذكرها، ونذكر الدليل والشواهد على كل مقولةٍ أو عقيدةٍ أو فتوى.

واعلم أني ذكرت من أقوال الشيخ ما كللت به تحقق هذا الكتاب، والتي ستأتي في محلها إن شاء الله: من القول بحدوث العالم، ونفيه للحلول والاتحاد، وغير ذلك مما نُسب إليه إما محض افتراء أو فهم كلامه على غير مقصده.

ولنختم تلك الترجمة بما ذكره سيدي عبد الوهاب ﷺ: رأيت في واقعة الشيخ الأكبر قدَّس الله سرَّه ومعه سيدنا آدم عليه السلام، فقال الشيخ لسيدنا آدم عليه السلام هذا الولد يحبنا كثيرًا، وكنت في هذا الوقت مولعًا بقراءة كتب الشيخ والرد عنه والأجوبة عن مسائله، فقال لي سيدنا آدم: يا ولدي، ألم تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس: لم يبلغنا عن أحدٍ من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدًا، ولم تزل العلماء مكبِّين على كتابة مؤلفاته بحل الذّهب في حياته وبعد مماته، إلى أن أراد الله تعالى ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخيّاط، فكتب مسائل في درجٍ، وأرسلها إلى بلاد الإسلام، وقال: هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربيّ، وذكر فيها عقائد زائغة، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، فكتب العلماء على ذلك بحسب ظاهر السؤال، وشنّعوا على من يعتقد ذلك من غير تبينٍ وتثبتٍ.

والشيخ عن ذلك بمعزل قال: فلم أدرِ أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتابٍ مدسوسٍ على الشيخ، أو فهمها هو من كلام الشيخ على خلاف مراده!.

قال: والذي أقوله وأتحققه وأدين لله تعالى به أن الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريق حالاً وعلمًا، وإمام التحقيق حقيقةً ورسمًا، ومحيي علوم العارفين فعلاً واسمًا.

إذَا تغلغل فكرُ المرءِ فِي طرفٍ مِنْ مجْدِهِ غرقت فيه خوَاطره

لأنه بحرٌ لا تكدره الدّلاء، وسحابٌ لا تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخرق السبع الطباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كنيته، وغالب ظني أني ما أنصفته:

ومَا عَلَيَّ إذا مَا قلت معتقدي دعْ الجهول يظن العدلَ عدوانًا
والله والله العظيم ومن أقامه حجّة للدينِ بُرهانًا
إن الذي قلت بعض من مَنَاقِبِه ما زدت إلا لعلمي زدت نقصانًا

وأمّا كتبه فهي البحار الزّواخر التي ما وضع الواضعون مثلها، ومن خصائصها أنه ما واظب أحدٌ على مطالعتها إلا وتصدّى لحل مشكلات الدين ومعضلات مسائله، وهذا الشأن لا يوجد في غير كتبه أبدًا.

وأمّا قول بعض المنكرين أنّ كتب الشيخ لا يحل قراءتها ولا إقراؤها فكفر، وقد قدّموا إلَيَّ سؤالاً صورته: ما تقول في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن العربي كالفتوحات والنصوص، هل يحل قراءتها وإقراؤها؟ وهل هي من الكتب المقروءة أم لا؟

فأجبت: نعم.

هي من الكتب المسموعة المرويّة المقروءة، وقد قرأها عليه الحافظ البرزاني وغيره، ورأيت إجازة بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكيّة بمدينة قونية، وكتابه

طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدِّثين، فمطالعة كتب الشيخ قربة لله تعالى، ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق.

ولقد كان الشيخ محيي الدين في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقده وندين لله به، خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده، ووقعوا في عرضه بهتانًا وزورًا، وحاشا جنابه الكريم أن يخالف نبيَّه ﷺ الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الأمور. شعر:

عليّ تحت القوافي من مكامنها ... وما عليّ إذا لم تفهم البقر

وقد رأيت إجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب، ورأيت في آخرها: «وأجزت له أيضًا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا» حتى عدَّ نيفًا وأربعمائة مؤلف، منها تفسيره الكبير في خمسٍ وتسعين مجلدًا وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف:٦٥]، فاصطفاه الله تعالى لحضرته، ومنها: تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين، ومنها: كتاب الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية.

فهل يحل لأحدٍ أن يقولَ لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقًا! ما ذلك إلاَّ كفر وتعصُّب وعنادٌ انتهى.

قال الشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب «الوحيد»: حدَّثني الشيخ عبد العزيز المتوفى عن خادم الشيخ محيي الدين قال: كان الشيخ محيي الدين يمشي وإنسان يسبُّه، وهو ساكتٌ لا يرد عليه فقلت: يا سيدي ما تنظر إلى هذا؟ قال: ولمن يقول؟ قلت: يقول لك، فقال: ما يسبني أنا، فقلت: كيف ذلك؟ قال: تصوّرت له صفات ذميمة فهو يذم تلك الصفات، وما أنا موصوف بها، قلت: قد وقع لنبينا المصطفى ﷺ أن من خلقه العظيم كان يقول لأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني سبَّ قريش يسبُّون مذممًا وأنا محمد**[1]»، وكان المشركون قد سموه مذممًا؛ لعتوهم وكفرهم وحاشاه من ذلك ﷺ.

وقد كان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام يقول: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي؛ فإن لحوم الأولياء مسمومة، وهلاك أديان مبغضيهم معلومة؛ وبعضهم تنصَّر ومات على ذلك، ومن أطلق لسانه فيهم بالسلب ابتلاه الله تعالى

(١) رواه أحمد (٢/٣٤٠) بنحوه.

بموت القلب.

وممن أثنى عليه الشيخ كمال الدين الزملكاني وكان من أجلّ العلماء بالشام، وكذلك قطب الدين الحموي، وقيل له لما رجع من الشام إلى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين؟ قال: وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرًا زاخرًا لا ساحل له، قال: وأنشدني الشيخ بلفظه من جمالة أبيات:

تَـــرَكْنَا الـــبِحَار الزَّاخِرَات وَرَاءَنَا فَمِنْ أَينَ يَدرِي النَّاسُ أَينَ تَوجُّهنَا

ومِمَن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء العصر، وقال: من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم اللدنيَّة فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي.

وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه (الفصوص) ما نصّه أنه ما صنفه إلا بإذنٍ من الحضرة المحمدية فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً، مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ محيي الدين، وعلى الطائفة الصوفية هو وابن تيمية، وممن أثنى على الشيخ قطب الدين الشيرازي.

وكان يقول: إن الشيخ محيي الدين كان كاملاً مكتملاً في العلوم الشرعية والحقيقية، ولا يقدح فيه قدح من لم يفهم كلامه ممن لم يؤمن به، كما لم يقدح في كمال الأنبياء نسبتهم إلى الجنون، والسمر على لسان من لم يؤمن بهم، وكان الشيخ مؤيّد الدِّين الجندي يقول: ما سمعنا بأحدٍ من أهل الطُّريق اطَّلع على ما اطَّلع عليه الشيخ محيي الدين.

وكذلك كان يقول: الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ كمال الدِّين الكاشي، وقالا فيه، أنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات، مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشدّ الناس إنكارًا على من يخالف كلامه ظاهر الشريعة.

وممن أثنى عليه الإمام فخر الدِّين الرَّازي وقال: كان الشيخ محيي الدِّين وليًّا عظيمًا، وممن أثنى عليه الإمام اليافعي: وصرَّح بولايته العظمى كما نقل ذلك شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه للرَّوض، وكان اليافعي يجيز رواية كتب الشيخ محيي الدِّين.

ويقول أن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطَّريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها، قال: ومن عادى أولياء الله تعالى فقد عادى أنبياء الله تعالى، وإن كان لم يبلغ حدّ التكفير الموجب للخلود في النَّار.

وممن أثنى عليه الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال الأسيوطي، وترجمه بأنه مربيّ العارفين، كما أن الجنيد مربيّ المريدين.

وقال: إن الشَّيخ محيي الدين روح التنـــزلات والإمداد، وألف الوجود، وعين الشهود، وهابه المشهود الناهج منهاج النبي العربي قدَّس الله سرَّه، وأعلى في الوجود ذكره، وقد صنَّف الشيخ سراج الدِّين المخزومي كتابًا في الرد عن الشيخ محيي الدين، وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لا يفهم من كلام الفتوحات أو غيرها، وقد وقف على ما فيها نحو ألف عالم أو أكثر، وتلقوها بالقبول قال:

وقد شرح كتاب النصوص جماعة من أعلام الشافعية منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة، وشاعت كتبه في جميع الأمصار، وقرنت متنًا وشرحًا في غالب البلاد ورويناها في القراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالإسناد، وتغالى الناس في شرائها، ونسخها وتبرَّكوا بها وبمؤلِّفها لما كان عليه من الزهد، والعلم، ومحاسن الأخلاق، وكان أئمة عصره من علماء الشام، ومكة، كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه، ويعدّون نفوسهم في بحر علمه كل شيء، وهل ينكر على الشيخ محيي الدين إلا جاهل أو معاند؟.

وكان الشيخ عز الدِّين بن عبد السلام يقول: ما وقع إنكار من بعضهم على الشيخ محيي الدين إلا رفقًا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب من أحوال الفقراء خوفًا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرًا لا يوافق الشرع فيضلوا، ولو أنهم صبحوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة.

قال شيخ الإسلام المخزومي: وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها يتردّدون إليه من غير إنكار، وقد أقام بين أظهرهم نحوًا من ثلاثين سنة، يكتبون مؤلّفاته، ويتداولونها، ويعترفون له بجلالة المقدار، وأنه أستاذ المحققين من غير إنكار بينهم.

قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين: ثم إن الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام، وقد أخرج هذه العلوم بالشام، ولم ينكر عليه أحد من علمائها، وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين الخجندي الشافعي يخدم الشيخ خدمة العبيد.

وأما قاضي القضاة المالكي فهبَّت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء، وتبع طريقة الشيخ، وأطال في ذكر مناقب الشيخ، ثم قال: وبالجملة فما أنكر على الشيخ محيي الدين إلا بعض الفقهاء الفتح الذين لا حظ لهم في مشرب المحققين.

وأما جمهور العلماء والصوفية: فقد أقرّوا بأنه إمام أهل التحقيق والتوحيد، وأنه في

العلوم الظاهرة فريد، قال: ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى، وكان البلد إذ ذاك مجمع العلماء أو المحدثين، وكان الشيخ هو المشار إليه بينهم في كل علم تكلموا فيه، وكانوا كلهم يتسارعون إلى مجلسه، ويتبركون بالحضور بين يديه، ويقرؤون عليه تصانيفه قال: ومصنفاته بخزائن مكة إلى الآن أصدق شاهد على ما قلناه.

وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث وإسماعه، وصنف فيها الفتوحات المكية، كتبها على ظهر قلب جوابًا لمسائل سأله عنها تلميذه بدر الدين الحبشي، ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة، ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة، ولا لعبت الرياح بها مع كثرة أمطار مكة ورياحها، وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك.

قال: وأما إشاعة بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وعن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما أمرا بإحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور، ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة، ولما كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك، ولو أن ذلك وقع لم يخفَ؛ لأنه من الأمور العظام التي تسير بها الركبان في الآفاق، ويتعرض لذكرها أصحاب التواريخ.

قال الشيخ سراج الدين المخزومي: كان شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ محيي الدين في بداية أمرهما، ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده، وندما على تفريطهما في حقه في البداية، وسلّما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية.

فمن جملة ما ترجمه به الإمام السبكي: كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى، وأن الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه، وقال: لا أعرف إلا إياه، ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سُئل عنه: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين، فإنه لما خاض في لجج بحر المعرفة، وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في النصوص، والفتوحات، والتنـزلات الموصلية، وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الإثارة، ثم إنه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلّطوه ذلك، بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه، ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه، وذلك أن كلام الشيخ تحته رموز، وروابط، وإشارات، وضوابط، وحذف مضافات في

علمه، وعلم أمثاله معلومة، وعند غيرهم من الجهّال مجهولة، ولو أنهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها، وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات من مراده، ولم يباين اعتقادهم لاعتقاده، ولقد كذب وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتحاد، ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها، وأكثر النظر في أسرار كلامه، وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق الحقيق، ووافقت الجمَّ الغفير المعتقدين من الخلق، وحمدت الله ﷻ إذ لم أكتب في ديوان الغافلين من الجاحدين لكرامته وأحواله انتهى كلام البلقيني.

قال تلميذه شيخ الإسلام المخزومي: ولما وَردتُ القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني، وذلك في عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين، من أنه يقول بالحلول والاتحاد.

فقال الشيخ: معاذ الله وحاشاه من ذلك إنما هو من أعظم الأئمة، وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة، وله اليد العظيمة عند الله تعالى والقدم الصدق.

قال المخزومي: فقوي بذلك يقيني في الشيخ من تلك الساعة، وعلمت أنه من رؤوس أهل السنة والجماعة.

قال المخزومي: ولقد بلغنا أن الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه للمنهاج في حق الشيخ بكلمة، ثم استغفر الله بعد ذلك وضرب عليها، فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف.

قال: مع أن السبكي قد صنف كتبًا في الرد على المجسمة والرافضة، وكتب الأجوبة في الرد على ابن تيمية، ولم يصنف قط شيئًا في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه في الشام، وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره.

بل كان يقول: ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراقبهم.

وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين: وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين، ثم قال: فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي، أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على إنكارهما على الشيخ محيي الدين إلى أن ماتا فهو مخطئ، وقال: ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني أن الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الإسلام بالشام ردَّ على الشيخ موضعًا من كتاب (الفصوص) أرسل إليه كتابًا من جملته: يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الإنكار على أولياء الله تعالى، وإن كنت ولا بد رادًا فرد كلام من رد على

الشيخ وإلا فدع انتهى.

وسئل العماد بن كثير عمن يخطئ الشيخ محيي الدين قال: أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطئ، وقد أنكر قومٌ على الشيخ فوقعوا في المهالك، وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين، فقال: ما لكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته، وقال الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الغفار القوصي:

حاشاك يا محيي الدين الذي اجتمعت ... له الفضائل من علم ومن عملِ
أن تقتفي غير ما جاء الكتاب به ... أو تبتغي بدلاً عن أشرف الملل
أو أن تهدَّ أساس الشرع معتقدًا ... فيه عقيدة أهل الزَّيغ والزللِ
عمري لقد كذبوا في كل ما نسبوا ... إليك من خطأ يصميك أو خطل
إن غرهم كلمات منك ظاهرها ... يخالف الشرع في فهم له خبلِ
فذكرهم قول عبد الله حسبك أو ... أبي هريرة أو قول الإمام عليّ
أو ينشدوا شعر زين العابدين وإن ... شاءوا فقصَّة موسى أوضح السُّبلِ

أراد بعبد الله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فإنه قال في قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]، ما لو قلته لرجمتموني.

وقول أبي هريرة ﷺ رواه البخاري في أوائل صحيحه قال: «**حفظت من رسول الله ﷺ وعائين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم**[١]».

وأمَّا قول الإمام علي ﷺ فهو ما روي عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب وأخرجني إلى ناحية الجبَّانة، فلمَّا أصحر: أي خرج إلى الصحراء تنفس، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عني ما أقول، وساق الكلام إلى أن قال: إن ها هنا لعلمًا، وأشار إلى صدره لو أصبت له حَمَلَةً ما لأثر بطوله أخرجه جماعة من المحدِّثين منهم:

أبو نعيم، وابن عساكر، وهو دليل على أن علم الأسرار لا يمنع إفشاؤه لأهله وفاءً بحق الحكمة.

وذكر الأستاذ جمال الدين محمد بن أسعد الداواني في أواخر رسالة خلق الأعمال قال:

---

(١) رواه البخاري (١/٥٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٢٦).

ويكفي في تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه في جواب كميل بن زياد صاحب سرّه، وقابل جوده وبِرّه، وأراد بالكلمات المذكورة ما هي مشهورة بين الصوفية، وقد أفردها بعضهم بالشرح وهي: ما روي عن كميل بن زياد أنه سأل الإمام عليًا ﷺ: «ما الحقيقة؟ قال: ما لَكَ والحقيقة؟ قال: أو لست صاحب سرّك! قال: بلى ولكن يترشح عليك ما ينضح مني، فقال: أو مثلك يخيِّب سائلاً فقال ﷺ: كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال: زدني بيانًا، فقال: محو الموهوم مع صحو العلوم، فقال: زدني بيانًا، فقال: هتك السَّتر بغلبة السرِّ، فقال: زدني بيانًا، فقال: جذب الأحدية لصفة التوحيد، فقال: زدني بيانًا فقال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره، فقال: زدني بيانًا فقال: أطفِ السراج فقد طلع الصبح، ويروى: أطف المصباح فقد طلع الصبح[1]».

وقوله: أو ينشدوا شعر زين العابدين هو قوله:

يـــا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقـــيل لي أنـــت ممـــن يعبد الوثنا

ولاستحلَّ رجال مسلمون دمي ... يـــرون أقـــبح مـــا يؤتونه حسنا

وأما قصة موسى ﷺ فهي ما وقع له مع الخضر فيما قصَّه الله علينا في القرآن العظيم، فالحاصل أنه قد أجمع المحققون من أهل الله تعالى على جلالته في سائر العلوم كما يشهد لذلك كتبه، وما أنكر عليه إلا لدقة فهم كلامه لا غير، فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة، خوفًا من حصول شبهة في معتقده يموت عليها، ولا يهتدي لتأويلها على مراد الشيخ ﷺ وقدّس سره، وأفاض علينا من بركاته.

* * *

---

(١) شرح الشيخ القاشاني في رسالة له، بحوزتنا صورة منها، وذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون (١٠٤١/٢) بنحوه.

الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه(١)

(١) هو العالم بالله تعالى: سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبَّار الشاذلي رضي الله عنه، شيخ الطائفة العلية الشاذلية، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، العَلَمْ المشهور، وشهرته بالولاية والصلاح تغني عن تعريفه، أُلِفَ الكثير من الكتب في مناقبه، والتعريف بشيء من سيرته الزكية، ومن أجلّ تلك الكتب «**لطائف المنن**» للشيخ ابن عطاء رضي الله عنه، و«**المفاخر**» للشيخ ابن عباد أثنى عليه العلماء، وكان العز بن عبد السلام رضي الله عنه يقول في كلامه: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد بالله.

وكان العز ينكر على القوم حتى اجتمع به فصار واحدًا منهم، شَهِدَ له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية، وكان الشيخ ابن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ومن كلامه رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما حقيقة المتابعة؟ فقال: رؤية المتبوع عند كل شيءٍ، ومع كل شيءٍ، وفي كل شيءٍ، وقال: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ولا المشاهدة.

مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرضه على الكتاب السنة، وقال: لا تشم رائحة الولاية وأنت غير زاهدٍ في الدنيا وأهلها، وقال: إنه يرد عليَّ الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين، وهما الكتاب والسنة. وقال: قيل لي: يا عليُّ، ما على وجه الأرض مجلسٌ فِي الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلسٌ في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلسٌ في الحقائق أبهى من مجلسك.

وقال: للقطب خمسة عشركرامةً، فمن ادعاها أو شيء منها فليبرز: أن يُمَدَّ بمدد العصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويُكَشَف له عن حقيقة الذات وإحاطة الأسماء والصفات، ويُكَرَّم بكرامة الحكَمْ، والفصل بين الوجودين، وانفصال الأول عن الأول، وما اتصل عنه، إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكل علمٍ وبكل معلومٍ بدا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه.

وقال: حقيقة القرب الغيبة عن القرب بالقرب؛ لعظم القرب.

وقال: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية.

وقال: الصوفي من يرى وجوده كالهباء في الهواء، غير موجودٍ ولا معدومٍ حسبما هو عليه في علم الله.

=

هو عليّ بن عبد الجبار نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وشاذلة قرية بإفريقية، كان ﷺ كبير المقدار، عالي المقام، له عبارات فيها رموز فوق ابن تيمية سهمه إليه فيرده عليه، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وابن مشيش وغيرهما، وحجَّ مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصد الحج، ودُفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، وقد ترجمه الشيخ تاج الدين بن عطاء في لطائف المنن بأنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان، حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع، أبو الحسن الشاذلي جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب.

كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

وكان يقول: لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب، فقال: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبًا في المقام والرحيل.

ومن كلامه: عليك بالاستغفار، وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترف ذنبًا قط، وتقدَّس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب والذنب في وقت من الأوقات.

وكان يقول: إذا كثر عليك الخواطر والوساوس فقل: سبحان الملك الخلاَّق: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠].

وكان يقول: لا تجد الروح والمدد، ولا يصح لك مقام الرجاء حتى لا يبقى في قلبك

=

وقال: العلوم التي وقع الثناء عليها وإن جلَّت فهي ظلمةٌ في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات وغموض الصفات، فكانوا هناك بلا همٍّ، وهم الخاصة العليا، الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم، فلهم فيها نصيبٌ على قدر إرثهم من موروثهم، قال النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**»: أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام، فإن مقامات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد جلَّت أن يلمح حقائقها غيرهم.

وكلامه ﷺ في الحقائق وفي التمسك بالكتاب والسنة كثير جدًّا، راجعه في الكتب التي عرَّفت به، نفعنا الله به، آمين. وانظر في ترجمته: طبقات الأولياء لابن الملقن (٤٥٨/١)، وفي هدية العارفين (٧٩/١)، وطبقات الشعراني (٥/٢، ١٥)، والمفاخر العلية لابن عياد (بتحقيقنا).

تعلق بعلمك، ولا بجدك واجتهادك، وتيأس من الكلِّ دون الله تعالى.

وكان يقول: إذا ثقل الذِّكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكمون إرادة النفاق في قلبك.

وكان يقول: ارجع عن منازعة ربك تكن موحدًا، واعمل بأركان الشرع تكن سنيًّا، واجمع بينهما تكن محققًا.

وكان يقول: قيل لي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلس في الحقائق أبهى من مجلسك.

وكان يقول: من أحبَّ ألا يعصى الله تعالى في مملكته، فقد أحبَّ ألا تظهر مغفرته ورحمته، وألا يكون لنبيه ﷺ شفاعة.

وكان يقول: لا تشم رائحة الولاية وأنت غير زاهدٍ في الدنيا وأهلها.

وكان يقول: أسباب القبض ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك، أو شخص يؤذيك في نفسك أو عِرضك، فإن أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك فارجع إلى ربك، وإن كنت ظلمت فاصبر، واحتمل هذا دواؤك، وإن لم يطلعك الله على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار، فإنها سحابة سائرة.

وكان يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله، ما حقيقة المتابعة؟ فقال: «**موافقة المتبوع عند كل شيءٍ ومع كل شيءٍ وفي كل شيءٍ**».

وكان يقول: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعيٌّ. **وكان يقول:** إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة، والروايات الصحيحة، إما أن تفيدهم، وإما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح معهم، وإذا جالست العبَّاد والزهَّاد فاجلس معهم على بساط الزهد، وحل لهم ما استمرروه، وسهِّل عليهم ما استوعروه، وذوِّقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصدِّيقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم المكنون.

وكان يقول: إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس بالجماعة فلا تعبأنَّ به.

وكان يقول: إذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها فهو والتراب سواء.

وكان يقول: إذا استحسنت شيئًا من أحوالك الباطنة والظاهرة، وخفت زواله فقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وكان يقول: لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح.

وكان يقول: لا تؤخر طاعة وقت لوقت فتعاقب بفوتها، أو بفوت غيرها، أو مثلها جزاءً لما كفر من ذلك الوقت فإن كل وقتٍ سهمًا في العبودية يقتصُّه الحق منك بحكم الربوبية.

وأما تأخير عمر ﷺ الوتر إلى آخر الليل فتلك عادة جارية وسنة ثابتة، ألزمه الله تعالى إياها مع المحافظة عليها، وأنَّى لك بها مع الميل إلى الراحات والركون إلى الشهوات، والغفلة عن المشاهدات هيهات هيهات.

وكان يقول: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين فقال له القائل: كيف لي بذلك؟ قال: فرِّق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك، ثم كن كيف شئت، فإن الله تعالى لن يدعك بلا مددٍ، بل يمدك بمدده، ويغنيك بغناه.

وكان يقول: إن الله تعالى لا يعذِّب العبد على مد رجليه مع استصحاب التواضع للاستراحة من التعب، وإنما يعذِّبه على مد يصحبه التكبر.

وكان يقول: من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارًا لربه وتواضعًا لخلقه فهو هالكٌ. **وكان يقول:** الزم جماعة المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم رحمةً بهم لا تعززًا عليهم وتقريعًا لهم.

وكان يقول: كُلْ من طعام فسقة المؤمنين، ولا تأكل من طعام رهبان المشركين، وانظر إلى الحجر الأسود فإنه ما اسودَّ إلا من مسِّ أيدي المشركين دون المسلمين.

وكان يقول: ما ثم أعظم كرامة من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة فمن أعطيهما، وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو مفترٍ كذَّاب، أو ذو حظٍ في العلم بالصواب، كمن أكرم بشهود الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب.

وكان يقول: كل كرامة لا يصحبها الرِّضا من الله، وعن الله، والمحبَّة لله، ومن الله فصاحبها مستدركٌ مغرور، وناقص هالك مثبور.

وكان يقول: سمعت هاتفًا يقول: إذا أردت كرامتي فعليك بطاعتي، والإعراض عن معصيتي.

وكان يقول: إذا أهان الله تعالى عبدًا كشف له حظوظ نفسه، وستر عنه عيوبه، فهو

يتقلب في شهواته حتى يهلك ولا يشعر.

وكان يقول: إذا ضيَّق الله عليك في المعيشة فاعلم أنه يريد أن يواليك، فاثبت وإياك والضجر.

وكان يقول: إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة، فإن من تعدَّى حدود الله فهو ظالمٌ، والظالم لا يكون إمامًا، ومن ترك المعاصي، وصبر على ما ابتلاه الله تعالى، وأيقن بوعد الله تعالى ووعيده فهو الإمام، وإن قلَّت أتباعه.

وكان يقول: إنا لننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان، وصِرنا نستدل به تعالى على الخلق: هل في الوجود شيء سوى الملك الحق؟ فلا تراهم وإن كان لا بد لَكَ من رؤيتهم، كالهباء في الهواء إن فتَّشتهم لم تجد شيئًا.

وكان يقول: إذا امتلأ القلب بأنوار الله عُميت بصيرته عن المناقص، وألزم الغيرة في عباده.

وكان يقول: مَن ادَّعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله تعالى، أو يطمع فيما في أيدي خلق الله تعالى فهو كاذبٌ.

وكان يقول: أَبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية.

وكان يقول: أشقى الناس من اعترض على مولاه، وركس في تدبير دنياه، ونسي مبدأه ومنتهاه، والعمل لأخراه.

وكان يقول: أشقى الناس قد يئست من منفعة نفسي لنفسي، فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي! ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي؟.

وكان يقول: إذا أردت ألا يصدأ قلبك ولا يلحقك همٌّ ولا كربٌ، ولا يبقى عليك ذنبٌ فأكثر من قول: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، اللهم ثبِّت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي».

وكان يقول: إذا أردت أن تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك، ثم أمسك ما شئت يكون كما تريد.

وكان يقول: إذا أردت الصدق في القول فأكثر من قراءة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فأكثر من قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

[الإخلاص:١].

وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١].

وكان يقول: لا تُسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، وتنحل أعضاؤك فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، إما بالهمة، أو بالإرادة، أو بالحركة.

وكان يقول: إذا توجهت لشيءٍ من عمل الدنيا أو الآخرة فقل: يا قوي يا عزيز، يا عليم، يا قدير، يا سميع، يا بصير.

وكان يقول: إذا ورد عليك مريد من الدنيا والآخرة فقل: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

وكان يقول: خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس.

وهي: الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها.

وكان يقول: إذا تداين أحدكم فليتوجَّه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى، فكلما تداينه العبد على الله حقق أداؤه.

فإن عارض عارض من معلومٍ هو لك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار.

وكان يقول: خصلة واحدة تحبط الأعمال ولا ينتبه لها كثيرٌ من الناس، وهو سخط العبد على قضاء الله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وكان يقول: إذا تداين أحدكم فليقل: اللهم عليك تداينت، وعليك توكلت، وإليك أمري فوضت، رضي الله عنه.

***

الشيخ الحسيب النسيب أبو العباس السيد أحمد البدوي رضي الله عنه(١)

شهرته رضي الله عنه في جميع الأرض تُغني عن تعريفه، ونذكر جملة من أحواله تبرُّكًا به فنقول: مولده بمدينة فاس بالمغرب؛ لأن أجداده الكرام انتقلوا أيام الحجَّاج إليها حين أكثر القتل في الشرفاء.

فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا عليّ انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لنا في ذلك شأنًا، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة.

---

(١) انظر: كتاب العظة والاعتبار آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية لسيدي أحمد محمد حجاب، بتحقيقنا، والسيد البدوي لأستاذنا الدكتور جودت المهدي حفظه الله.

قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فما زِلنا ننـــزل على عربٍ، ونرحل على عربٍ، فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا مكة في أربع سنين، فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا، ومكثنا عندهم في أرغد عيشٍ، حتى تُوفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة، ودُفن بباب المعلىً، وقبره هناك ظاهرٌ يُزار.

قال الشريف حسن: فأقمت أنا وإخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنًّا، وأشيخنا قلبًا، وكان من كثرة ما يتلثم لقَّبناه بالبدوي، فأقرأته القرآن في المكتب مع ولدي الحسين، ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه، وكانوا يسمونه في مكة العطَّاب، فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله، واعتزل عن الناس فكان لا يكلِّم الناس إلا إشارةً.

قال بعض العارفين أنه حصلت له جمعيّة على الحق تبارك وتعالى فاستغرقته إلى الأبد، ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا.

ثم إنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مراتٍ قائلاً يقول له: قُم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس، وسر إلى طندتا: أي طنطا؛ فإن بها مقامك أيها الفتى، فقام من منامه وشاور أهله، وسافر إلى العراق فتلقَّاه أشياخها، منهم السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد أحمد الرفاعي بالترحيب والإكرام.

وإن السيد أحمد رأى الهاتف في منامه يقول له: يا أحمد سر إلى طندتا، فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً وأبطالاً منهم: عبد العال، وعبد المجيد، وعبد الوهاب، وعبد المحسن، وعبد الرحمن، وكان في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة، فدخل ﷺ مصر، ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعًا إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فقصد إلى سطوح غرفته، وكان طول ليله ونهاره واقفًا شاخصًا ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يومًا وأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ثم نزل من السطح، وخرج إلى ناحية المنارة فتبِعه الأطفال، وكان منهم: عبد العال، وعبد المجيد، فورمت عين السيد أحمد فطلب من عبد العال بيضة يعملها على عينه، فقال: وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك، فقال له السيد أحمد: نعم، فأعطاها له فذهب إلى أمه، فقال لها: هنا بدوي عينه توجعه قد طلب مني بيضة، وأعطاني هذه الجريدة، فقالت: ما عندي شيء.

فرجع وأخبر السيد أحمد فقال: اذهب فائتِ بواحدة من الصومعة، فرجع عبد العال فوجد الصومعة قد مُلئت بيضًا، فأخذ له واحدة منها، وخرج بها إليه، ثم إن عبد العال

تتبع السيد أحمد من ذلك اليوم، ولم تقدر أمه على تخليصه منه، وكانت تقول: يا بدوي الشؤم علينا، فكان السيد أحمد يقول: لو قالت: يا بدوي الخير كان أصدق، ثم أرسل يقول لها: إنه ولدي من يوم قرن الثور، وكانت أم عبد العال قد وضعته في معلف الثور، فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه في القماط، فشال عبد العال على قرنه، فهجَّ الثور به فلم يقدر أحدٌ على تخليصه، فمدَّ السيد أحمد يده وهو بالعراق، فخلَّصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة، واعتقدت به من ذلك اليوم، فلم يزل السيد أحمد على السطوح مدة اثني عشر سنة.

وكان عبد العال يأتي إليه بالرجل أو الطفل فيطأطئ من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملأه مددًا، ويقول لعبد العال: اذهب به إلى بلد كذا وكذا أو موضع كذا، وكانوا يُسمون أصحاب السطوح.

وكان ﷺ لم يزل ملثمًا بلثامين، فاشتهى عبد المجيد يومًا رؤية وجه السيد أحمد، فقال: يا سيدي أريد أرى وجهك، فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل، فقال: يا سيدي أرني لو مت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال.

وكان ﷺ غليظ الساقين، طويل الذراعين، كبير الوجه، أكحل العينين، طويل القامة، قمحي اللون، وكان في وجهه ثلاث نقط جدري في خده اليمين واحدة، وفي الأيسر اثنتان، أقنى الأنف، على أنفه شامتان، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة، وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكة، ولم يزل من حين كان صغيرًا باللثامين والفرزتين.

ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي ﷺ حتى حصل له حادث الوله، فترك ذلك الحال، وكان إذا لبس ثوبًا وعمامةً لا يخلعها لغسلٍ ولا غيره حتى تذوب فيبدلوها له بغيرها، والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنةٍ في المولد هي عمامة الشيخ أحمد بيده.

وأما البشت الأحمر من لباس الشيخ عبد العال.

وكان ﷺ يقول: وعزة ربي سواقي تدور على البحر المحيط.

قال الشيخ محمد الشناوي: إن شخصًا أنكر حضور مولده فسُلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بالسيد أحمد، فقال: بشرط ألاَّ تعود، فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له

السيد أحمد: ذلك واقعٌ في الطواف، ولم يمنع أحدٌ منه، ثم قال: وعزة الربوبية ما عصى أحد في مولده إلاَّ وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش في البراري، والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضًا فيعجزني الله ﷻ عن حماية من يحضره مولدي.

ووقع ابن اللبان في حق السيد أحمد فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحدٌ يدخل في أمره، فدلوه على الشيخ ياقوت العرشي، فمضى إلى السيد أحمد وكلّمه في القبر فأجابه، وقال: أنت أبو الفتيان رُدَّ على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأسماله، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في الشيخ ياقوت، وقد زوَّجه الشيخ ياقوت ابنته، ودُفن تحت رجليه بالقرافة.

وواقعة ابن دقيق العبد وامتحانه للسيد أحمد مشهورة، وهو أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العبد أرسل إلى السيد أحمد الشيخ عبد العزيز الديريني، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل، فإن أجابك عنها فهو وليٌّ لله تعالى، فمضى إليه وسأله عنها فأجابه عنها بأحسن جواب، وقال: هذه الأجوبة مسطرة في الكتاب الفلاني فوجدوها في الكتاب كما قال.

وكان الشيخ عبد العزيز إذا سُئل عن السيد أحمد قال: هو بحرٌ لا يُدرك له قرار، وإخباره ومجيئه من بلاد الفرنج، وإغاثة الناس من قطّاع الطريق، وحيلولته بينهم وبين من استنجد به كثيرة لا تحويها الدفاتر.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وقد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسيرًا على منارة الشيخ عبد العال، مقيَّدًا مغلولاً، وهو مختبط العقل فسألته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجَّهت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني هنا، فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدَّة الخطفة.

تُوفي ﵁ سنة خمس وسبعين وستمائة ﵁ وقدس روحه، وأعاد علينا من بركته آمين.

***

الشيخ إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه(١)

هو من أجِلاَّء المشايخ المكرَّمين وصدور المقرَّبين، صاحب كرامات ظاهرة، ومقامات فاخرة، وسرائر زاهرة، وبصائر باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهمَمْ عالية، ونفحات روحانيَّة، وأسرار ملكوتيَّة، ومحاضرات قدسيَّة، وله المعراج الأعلى في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطُّور الأعلى في المعالي، والقدم الراسخ في أحوال النِّهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والباع الطويل في التَّصريف النافذ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح المضاعف في معنى المشاهدات.

وهو أحد من أظهره الله ﷻ إلى الوجود، وأبرزه رحمةً للخلق، وأوقع له القبول التّام عند الخاص والعام، وصرفه في العالم، ومكَّنه في أحكام الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وصوَّمه في المهد، وكان يتكلَّم بالعجمي والسّرياني، والعبراني، والزنجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلامٌ كثيرٌ عال على لسان أهل الطريق.

ومن كلامه: من لم يكن مجتهدًا في بدايته لا يفلح له مريد، فإنه إن نام نام مريده، وإن قام قام مريده، وإن أمر النَّاس بالعبادة وهو بطَّال، أو توَّهم عن الباطل وهو يفعله، ضحكوا عليه ولم يسمعوا منه.

وكان يقول: من لم يكن متشرِّعًا متحقِّقًا نظيفًا عفيفًا فليس من أولادي، ولو كان ابني الصلبي، وكل من كان من المريدين ملازمًا الشريعة، والحقيقة، والطريقة، والديانة، والضيافة، والزهد، والورع، وقلة الطمع فهو ولدي، وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا يكمل الفقير حتى يكون محبًّا لجميع الناس، مشفقًا عليهم، ساترًا لعوراتهم، فإن ادَّعى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذبٌ.

---

(١) هو الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريق سيدي إبراهيم الدسوقي القرشي رضي الله عنه، وهو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق، وكان من صدور المقربين، وكان صاحب كرامات ظاهرة، ومقامات فاخرة، ومآثر ظاهرة، وبصائر باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهمم عالية، وهو أحد من أظهره الله عز وجل إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات وصومه في المهد رضي الله عنه، وله كلام كثير على لسان أهل الطريق. انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (٥/٢)، دائرة المعارف الإسلامية (١٦٦/٢، ١٦٧)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (١٤٣/١).

وكان يقول: لا تنكروا على فقير حاله، ولا لباسه، ولا طعامه، ولا على أي حالة كان، ولا على أي ثوبٍ يلبس، ولا ينبغي الإنكار على أحدٍ إلا إن ارتكب محظورًا صرَّحت الشريعة به، وذلك أن الإنكار يورث الوحشة، والوحشة تكون سببًا لانقطاع العبد عن ربه، فإن الناس خاص وعام، وخاص الخاص، ومبتدي ومنتهي، ومتشبِّهٍ ومتحقِّق، ويرحم الله البعض بالبعض، أو القوي ما يقدر يمشي مع الضعيف وعكسه، والفقراء غيث وهم سيف، فإذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تخالطوه إلا بالأدب.

وكان يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع، فالشريعةُ جامعةٌ لكل علمٍ مشروعٍ، والحقيقة لكل علمٍ خفيٍّ، وجميع المقامات مندرجة فيهما.

وكان يقول: يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة، فإن ذلك شغلٌ له عن مراده، بل يفحص عن آثار الصالحين في العلم، ويواظب على الذُّكر.

وكان يقول: يا أخي عليك بالعمل، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها.

«وقد كان رسول الله ﷺ يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقام حتى تفطرت قدماه[1]»، ثم تبعه أكابر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على ذلك.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا تنهَّد يشم لكبده رائحة الكبد المشوي، وأنفق ماله في سبيل الله كله.

وكان عمر رضي الله عنه شديد العمل والكد حتى رقع دلقه بالجلود، ولف رأسه بقطعة حشيش.

وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن قائمًا كل ليلةٍ على أقدامه.

وكان عليٌّ رضي الله عنه من زهاد الصحابة ومجاهديهم حتى فتح أكثر بلاد الإسلام.

هؤلاء خواص الصحابة مع قربهم من رسول الله ﷺ، هذا كان اجتهادهم وزهدهم، هذا كان جوعهم، فاعلموا يا أولادي الحقيقة والشريعة، ولا تفرطوا إن أردتم أن تكونوا يُقتدى بكم، وما سميت الحقيقة حقيقة إلا لكونها تحقق الأمور بالأعمال، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة.

---

(١) ذكره القرطبي في التفسير (١٠/٢٥٠).

وكان يقول: ما دام لسانك يذوق الحرام، فلا تطمع أن تذوق شيئًا من الحكم والمعارف.

وكان يقول: إن أحبك ربك أحبك أهل السماء والأرض، وإن أطعته أطاع لك الجن والإنس، ويجف لك البحر والماء، ويطيع لك الهواء.

وكان يقول: يا ولدي عليك بالتخلُّق بأخلاق الأولياء لتنال السعادة، وأما إذا أخذت ورقة الإجازة، وصرت كل من نازعك قلت هذه إجازتي بالمشيخة دون التخلق، فإن ذلك لا شيء إنما هو حظ نفس، لكن اقرأ الإجازة، واعلم بما فيها من الوصايا، وهناك تحصل على الفائدة، ويحصل لك الاصطفاء، وهذه طريقة مدارج الأولياء قرنًا بعد قرنٍ، وجيلاً بعد جيلٍ إلى آخر الدنيا.

وكان يقول: إذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة فقد تودّع منه في الطريق، وما اشتغل أحد بذلك وقطع به.

وأما حكايات الصالحين وصفاتهم فطالعتها للمريد جند من جنود الله تعالى، ما لم يقنع بها في الطريق.

وكان يقول: العلم كله مجموع في حرفين:

أن يعـــرف العبد ربه، ويعبده، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، وليس في هذا تعطيل للعلم، بل العمل أس العلم، وإنما قلنا ذلك من أجل قول الله تعالى: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ [المزمل: ٢٠].

ولكل فرقةٍ منهاج، وإلا فقد يجمع الله العلم والعمل في رجلٍ واحدٍ يفيد الناس كل الفوائد، فالشريعة هي الشجرة، والحقيقة هي الثمرة.

وكان يقول: يا ولدي إذا لم يحسن أحدكم أن يعامل مولاه فلا يقع في أحوال لا يدرِ بها، فإن القوم تارة يتكلمون بلسان التمزيق، وتارة بلسان التحقيق بحسب الحضرات التي يدخلونها، وأنت يا ولدي لم تذق من حالهم ولا تمزقت ولا دخلت حضرتهم، فمن أين لك أنهم على الضلال؟ أفـــتعوم البحر ولست بعوَّام؟ ثم إذا غرقت فقد مت ميتة جاهلية؛ لأنك ألقيت بنفسك للمهالك، والحق تبارك وتعالى قد حرَّم عليك ذلك، بل الواجب عليك يا ولدي أن تطلب دعاء القوم وتلتمس بركاتهم، هذا إذا لم تجد قدرة على عملهم، فإن وجدت قدرة على ذلك سعدت أبد الآبدين.

واعلم يا ولدي أن ألسن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفة في إشاراتهم وكلماتهم، منها

ما يُفهم ومنها ما لا يُفهم، وكذلك من أحوالهم منها يُعبر عنه ومنها ما لا يُعبر عنه، وكذلك في أسرارهم ما لا يصل إليه مؤوِّل ولا معبِّر ولا مطلع ولا مفسِّر؛ لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في نفوسهم، فكيف في غيرهم! فيجب عليك يا ولدي التسليم لله تعالى في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

فإني ناصحٌ لك يا ولدي، وإذا رميت من يحبه الله تعالى بالزور والبهتان، وتجرَّأت على من قربه الله تعالى مقتك فلا تفلح بعد ذلك أبدًا، ولو كنت على عبادة الثقلين.

وكان يقول: مَنْ قام في الأسحار ولزم فيها الاستغفار كُشف له عن الأنوار، وأسقي من دن الدنو ومن خمر الخمار، وأطلعت في قلبه شموس المعاني والأقمار، فيا ولدي اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين.

وكان يقول: ما قطع المريد ورده يومًا إلاَّ قُطع عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وجهد وعمل، وتنـــزُّه، وغضّ بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئًا من أفعالها رفضته، فلذلك آثروا العزلة إلا في صلاة الجماعة، وحضور مجالس العلم التي لا رياء فيها ولا جدال، ولا عجب ولا مداراة، والسلامة من هذه الأمور في زماننا هذا قلَّ أن توجد، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك، فإنك يا ولدي في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدح في الشريعة.

وحقيقة المحبَّة بدعة في الطريقة، كأنهم ما علموا قط عطاء الله تعالى، ومواهب مدد الله تعالى، وخوارق عجائبه، بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد غُلق، فمن اعتقد ذلك فإنما هو معترضٌ على الله تعالى في فعله، ونعوذ بالله من التعرض، فإنه لا بدَّ لأهل حضرته تعالى من التمييز عن المعرضين عنها؛ ليشتاق المعرضون عنها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه، فما أجهل من جهل قدر الفقراء، وما أعماه أيش يُقال في قوم كلهم طالبين الله تعالى، أينكر عليهم مسلم؟ كلا والله.

وقد قيل للجنيد: قومًا يتواجدون ويتمايلون، قال: دعهم مع الله يفرحون ولا تنكر إلا لعصيان المفرج به في الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم، ومزَّق التعب والنصب أجسادهم، وضاقوا ذرعًا فلا حرج عليهم، إذا تنفَّسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت يا أخي مذاقهم لعذرتهم في صياغتهم، وشق ثيابهم، فالله يلهمكم يا أولادي سلوك طريق

الرشاد إنه سميعٌ مجيب»[١].

وهو السيد إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن أبي طنجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن عليّ بن محمد الجوَّاد بن عليّ الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط بن عليٍّ بن أبي طالب الهاشمي القرشي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

تفقَّه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ، ثم اقتفى أثر السادة الصوفية، وجلس في مرتبة الشيوخة، وحمل الراية البيضاء، وعاش من العمر ثلاثة وأربعين سنة، ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان، حتى مات سنة تسع وسبعين وستمائة ﷺ.

الشيخ الحسيب النسيب السَّيد إسماعيل الحسيني البزرنجي

قدس الله سره[٢]

هو سيدنا وشيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، خدمه والدي سبع سنين، وظهرت بركته عليه بل علينا إلى هذا الحين، وبايعه ولقَّنه الذكر، وألبسه خرقة الخلافة، وأجازه بتربية المريدين في طريق الشيخ عبد القادر الكيلاني قدِّس سرُّه.

وكان قدِّس سرُّه هو المرشد حقيقة، والمربي طريقة المسلك الواصل ذو الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والكشف الخارق والتَّصريف النافذ، أخبر بعلو شأنه كثيرٌ من الأولياء الصالحين في أيام طفولته.

ومنهم الشيخ مصطفى الشَّامي أخوه في الطريق، والشيخ حسين الموصلي، والشيخ عبد الله الصيدريحي، وشيخه الشيخ أحمد اللخياني وغيرهم ممن لا يُحصى عددهم، وأوقع الله تعالى القبول التام عند الخاص والعام.

وكان إذا بايع المريد تسود يده الشريفة إلى مرفقه، أو إلى إبطه، أو أكثر، وبعد ساعة يزول ذلك السَّواد، ويفتح الله تعالى على مريديه ببركة أنفاسه عاجلاً، وكان قدس الله سره قد طرقه الحال في حال صغره، فلما كبر كان يذهب إلى الجبال، ويمكث الأيام الكثيرة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام.

---

(١) انظر: الكواكب للمناوي (١/٥٧٤)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص٢٨٠).

(٢) انظر: الشقائق الأترجية في منقب الأشراف البرزنجية، وهداية العارفين (١ / ١٣٦).

وحكى لي والدي قال: سمعت شيخنا قدَّس سرُّه يقول: كنت في مجاهدةٍ في أيام بدايتي أصعد إلى الجبال في شدة الشتاء وكثرة الثلج والبرد.

وكان قد سخَّر الله تعالى لي وعول الجبل فكانوا يجتمعون حولي؛ ليدفئوا جسدي بشعورهم من شدة البرد.

وكنت إذا أردت أن أصعد قلة عالية يجيء أحدهم فيقف تحت القلة، فأضع رجلي فوق ظهره، وأصعد إلى المكان الذي أريده.

ثم بعد مجاهداته قدَّس سرُّه هاجر إلى دار السلام بغداد، وأخذ الطريق من الشيخ أحمد اللخياني، وكان غوث الوقت ﷺ وقدس سره، وهو من الشيخ عبد العزيز اللخساني، وهو من الشيخ حسين البصري، وهو من الشيخ محمد صادق.

وكان أحد الأوتاد الأربعة، صاحب التصريف في ربع الأرض برًّا وبحرًا شرقًا وغربًا، وهو من الشيخ قاسم الراسخ قدمه في الولاية، تغني شهرته عن ذكر وصفه.

وهو من الشيخ عبد الفتاح الصَّالحي.

وهو من الشيخ المعمر محمد غريب الله تعالى وغريب الأحوال، وكان قد عاش أربعمائة سنة.

وهو عن الشيخ وليِّ الله الملك الودود العارف بالله الشيخ داود.

وهو من الشيخ عبد الرزاق.

وهو من والده الباز الأشهب، والغوث الأعظم الجامع بين علمي الباطن والظاهر، السيد عبد القادر الكيلاني.

وهو من أبي سعيد المخزومي.

وهو من أبي الحسن الهكاري.

وهو من أبي الفرج الطرسوسي.

وهو من أبي الفضل عبد الرحمن التميمي.

وهو من والده عبد العزيز التميمي.

وهو من أبي بكر الشبلي.

وهو من الجنيد البغدادي.

وهو من السري السقطي.

وهو من معروف الكرخي.

وهو من داود الطائي.

وهو من حبيب العجمي.

وهو من الحسن البصري.

وهو من أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، وهو من سيد المرسلين وحبيب رب العالمين محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة وألف خرج من وطنه قرَّة داغ إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين في الموصل، فلما وصل إلى قرية نينوى من أرض الموصل دخل إلى زيارة النبي يونس عليه السلام.

ومكث يعبد الله سبحانه وتعالى في حضرته أربعين يومًا، ولما كمل الأربعينية مرض فأوصى بأن يُدفن في تربة الشيخ جنيد من أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنهما.

ثم تُوفي الشيخ إسماعيل، فدُفن كما أوصى في تلك التربة مجاورًا للشيخ جُنيد بقرية اسمها رقيا على مقدار مرحلتين عن الموصل.

والآن هناك قبره ظاهرٌ يُزار، يقصده الكبار والصغار، ثم أرسل الوزير المرحوم الحاج حسين باشا الجليلي صاحب الموصل حجارة الرخام لعمل قبره الشريف، وكتب على القبر هذه الأبيات:

لَقَد ضَمَّ هَذَا اللَّحد عَالِم عَصْرِه ... فتًى بين أهلِ الحقِ كان مقدَّما

إِمَامٌ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَة قَد رَقَا ... وَبَحرٍ بِأَسْرَارِ الحَقِيقَة قَد طَمَا

تُوفي في سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ﷺ، ونفعنا ببركاته آمين.

وهو السيد الحسيب النسيب الشيخ إسماعيل ابن السيد محمد نودي، ابن السيد عليّ، ابن السيد رسول، ابن السيد سيدي، ابن السيد رسول، ابن السيد قلندر، ابن السيد سيدي، ابن السيد عيسى، ابن السيد حسين، ابن السيد بايزيد، ابن السيد عبد الكريم، ابن السيد الكبير عيسى البزرنجي الحسيني، رضي الله عنهم أجمعين آمين.

***

الباب الخامس عشر / في زيارة الصالحين الأحياء والميتين

قال الإمام النووي في الأذكار: يُستحب استحبابًا متأكدًا زيارة الصالحين والإخوان والجيران، والأصدقاء، والأقارب، وإكرامهم وبرِّهم وصلتهم.

قال: والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة، ومِنْ أحسنها ما رويناه في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**إن رجلاً زار خاله في قرية أخرى فأرسل الله تعالى على مدرجته**: أي مسلكه **ملكًا فلمَّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها؟**: أي تحققها وتراعيها، وتربيتها كما يربي الرجل ولده، **قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله تعالى قد أحبَّك كما أحببته فيه**[1]».

وفي كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله تعالى ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منــــزلاً**[2]» .

قال: ويُستحب طلب الإنسان من صاحبه الصالح أن يزوره، وأن يكثر من زيارته؛ ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل ﷺ: «**ما يمنعك أن تزور**[3]». فنــزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياًّ﴾ [مريم:٦٤] انتهى.

قال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: وبالجملة فزيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم؛ فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة، وفيه أيضًا تحريكٌ للرغبة في الاقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم وآدابهم، وهذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم، كيف ومجرَّد زيارة الإخوان في الله تعالى قربة عظيمة، فكيف زيارة الأولياء والعلماء والصلحاء والأحياء والأموات؟.

قال: وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدُّ الرحال

---

(١) رواه مسلم (١٩٨٨/٤)، وذكره القرطبي في التفسير (٣٥١/٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٥/٤)، وابن حبان (٢٢٨/٧)، وابن ماجه (٤٦٤/١).

(٣) رواه الطبري (١٠٣/١٦)، وذكره القرطبي في التفسير (١٢٨/١١).

لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «**لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**(١)».

لأن ذلك في المساجد فإنها متماثلة بعد هذه المساجد انتهى.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح قول الإمام النووي في المنهاج: ويندب زيارة القبور التي للمسلمين للرجال إجماعًا ويُكره للنساء، نعم يسن لهن زيارته ﷺ.

قال بعضهم: وكذا سائر الأنبياء والعلماء والأولياء، ثم قال: لأن القصد إظهار تعظيم نحو العلماء بإحياء مشاهدهم، وأيضًا فزوّارهم يعود عليهم منهم مدد أخروي لا ينكره إلا المحرومون.

قال: لو انمحق الميت وصار ترابًا جاز نبشه والدفن فيه، بل تُحرَّم عمارته وتسوية ترابه في مسبلة لتحجيره على الناس(٢).

قال بعضهم: إلا في صحابي ومشهور الولاية، فلا يجوز وإن انمحق، ويؤيده تصريحهما بجواز الوصيَّة لعمارة قبور الصلحاء؛ لما فيه من إحياء الزيارة والتبرك انتهى.

وقد ذكر الشيخ عبد الغني الشامي في كتابه «**كشف النور**» من إثبات الكرامات للأولياء الكرام بعد الموت، واحترام قبورهم ونفع زيارتهم، والحث عليها ما فيه كفاية لمن وفقه الله تعالى، فأحببت ذكره هنا بجملته.

قال رحمه الله تعالى: ومما يدل على ثبوت الكرامة بعد الموت من أقوال الفقهاء قولهم بكراهة الوطء على القبور.

قال في مختصر محيط السرخسي للإمام الحباري: كره أبو حنيفة ﷺ أن يوطئ على قبر، أو يجلس، أو ينام عليه، أو يبول، أو يتغوط لما فيه من الإهانة.

وفي جامع الفتاوى لقارئ الهداية: وسُئل بعض الفضلاء عن وطء القبور فقال: يُكره، قيل: هل يُكره على أنه تارك للأولى؟ فقال: لا بل يأثم؛ لأنه ﷺ قال:

«**لأن أضع قدمي على جمرٍ أحب إليَّ من وطء القبر**(٣)».

---

(١) قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج (١ /٣٦٣): قال ابن شهبة وقد يؤيده ما ذكره الشيخان في الوصايا أنه تجوز الوصية لعمارة قبور الأنبياء والصالحين لما فيه من إحياء الزيارة والتبرك فإن قضيته جواز عمارة قبور الصالحين مع جزمهما هنا بأنه إذا بلي الميت لم تجز عمارة قبره وتسوية التراب عليه في المقبرة المسبلة.

(٢) رواه مسلم (٢/٩٧٥)، وابن أبي شيبة (٢/١٥٠)، وأبو يعلى في المسند (١٠/٢٨٣).

(٣) رواه عبد الرازق في المصنف (٣/٥١١)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/١٠٩) بنحوه.

قيل: التابوت والتراب الذي فوقه بمنـزلة السقف، فقال: وإن كان له بمنـزلة السقف لكن حق الميت باقٍ، فلا يجوز أن يوطأ.

وسُئل علاء الدين الخجندي عن رجلٍ كان قبر والديه بين القبور، هل يجوز له أن يمر بين قبور المسلمين بالدعاء والتسبيح وقراءة القرآن، ويزور قبرها؟ فقال له: ذلك إن أمكنه من غير وطء القبور انتهى.

وفي فتح القدير: ويُكره الجلوس على القبر ووطئه، فحينئذٍ يصنعه الناس ممن دُفنت أقاربه، ثم دُفنت حواليهم خلق كثير من وطءِ تلك القبور إلى أن يصل إلى قبر أبيه مكروه، يُكره النوم عند القبر، وقضاء الحاجة بلا وليٍّ، وكل ما لم يُعهد من السنَّة، والمعهود فيها ليس إلا زيارتها والدعاء عندها قائمًا، كما كان يفعله ﷺ في الخروج إلى البقيع، ويقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، أسأل الله لي ولكم العافية**[(١)]» انتهى.

وحيث صحَّ هذا وثبت في كتب الفقه فنقول:

لم يُكره الوطء على القبر والجلوس عليه إلا لكرامه الموتى بعد موتهم، وهذه الكرامة ثابتة في الشرع، وهي أمرٌ خارقٌ للعادة في الخلق، فإن العادة جارية أن الإنسان يُباح أن يمشي على الأرض، وأن يجلس عليها، وأن يطأ برجله أبعاض الحيوانات كلها إلا موتى أهل الإيمان فقد خولفت العادة في حقهم، فَكره ذلك كله كراهة تحريم؛ لأنها المحمل عند الإطلاق، وإنما كان ذلك تكريمًا لهم بعد موتهم وهم من عوالم المؤمنين، فكيف الحال مع خواصهم، وهم أهل الولاية المقرَّبون إليه سبحانه وتعالى، ومن الدلائل على ثبوتها بعد الموت أيضًا حُكم الشرع بوجوب تغسيل الميت المسلم، ووجوب تكفينه ودفنه تكريمًا له، وهي كرامة أيضًا أثبتها الشرع للمؤمنين بعد الموت خارقة للعادة في حق موتى سائر بني آدم من الكافرين، وجميع الحيوانات التي جرت العادة الشرعية بعدم تغسيلها، ومن الدليل على ذلك أيضًا ما قاله صاحب النهاية في شرح الهداية الميت ينجس بالموت، وأن الغُسل واجب لإزالة نجاسة الميت بالموت، كرامة للآدمي بخلاف سائر الحيوانات.

وفي جامع الفتاوى: يُغسَّل الميت لتنجسه بالموت كسائر الحيوانات الدمويَّة، إلا أنه يطهَّر بالغسل كرامةً له، وقيل: الكرامة للمؤمن بعد موته أيضًا.

وذُكر في جامع الفتاوى أن البناء على القبر لا يُكره إذا كان الميت من المشايخ

---

(١) رواه مسلم (١/٢١٨)، والبيهقي في الكبرى (٤/٧٨).

والعلماء والسادات، وذُكر فيه أيضًا أنه ينبغي أن يكون غُسل الميت على طهارة، ويُكره أن يكون جنبًا أو حائضًا انتهى.

وهذا هو الصحيح في ثبوت الكرامة بعد الموت.

وفي عمدة الاعتقاد للإمام النسفي: وكل مؤمنٍ بعد موته مؤمن حقيقة؛ لأن المتَّصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير انتهى.

قال رحمه الله تعالى: وربما يكون مراده بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الولي، والإيمان هو الإيمان الكامل، وهو الولاية وهي باقية بعد الموت؛ لأن المتصف بها الروح والروح لا تتغير بالموت، فالكرامات التي يُكرَّم بها وليه باقية بعده؛ لعدم التغير بالموت، أو المراد مطلق المؤمن ومطلق الإيمان، فيكون المؤمن الكامل والإيمان الكامل مفهوم بالطريق الأولى بحسب ما ذكرنا لا سيَّما، وقد قال تعالى في حق أهل الجنة: ﴿**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**﴾ [الدخان:٥٦].

قال رحمه الله تعالى: ونحن نتكلم عن إشارة هذه الآية ولا نمنع عباراتها كما هو دأب الله تعالى، فنقول فيما نحن بصدده العارفون بربهم سبحانه وتعالى لهم موتتان: موتة في نفوسهم، وموتة في أبدانهم.

والمعتبر عندهم النفوس دون الأبدان؛ لأن الأبدان مساكن النفوس والعبرة بالسَّاكن لا بالدَّارة، والسر في السكان لا في الديارة، فإذا جاهدوا أنفسهم المجاهدة الشرعية باطنًا وظاهرًا، وسلكوا طريق الاستقامة ماتت نفوسهم، فتحققوا بالحق لما ذاقوا الموت، وبقيت أرواحهم مدبرة لأجسامهم فما الدنيا بغير واسطة النفوس، فكانوا ملائكة في صورة البشر؛ لأن الملائكة أرواح مجرَّدة، وهم بعد نفوسهم أرواح مجرَّدة أيضًا كما كان ينزل جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه، ويأتي إلى النبي ﷺ فعند ذلك إذا انقطعت علاقة أرواحهم من تدبير أبدانهم كانوا بمنزلة جبرائيل عليه السلام إذا عاد إلى عالم تجرده وفارق الصورة البشرية، ولا يُسمَّى هذا موتًا حقيقيًا في حقهم؛ بل يُسمَّى انتقالاً من عالمٍ إلى عالمٍ آخر، وتقلبًا في الأطوار.

ولهذا قال تعالى: ﴿**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**﴾ [الدخان:٥٦].

وهذه إشارة إلى الآية الكريمة التي لا تنحصر معانيها وعباراتها، ولا يتعدد حكمها وأسرارها وإشارتها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوهم عاقل أن الله تعالى يقطع تكريمه عن الولي، الذي كملت ولايته بموته الطبيعي، وإلحاقه بعالم المجردات حتى صار مع

الملائكة في قضاء الأزل والملكوت، كما كان يقول النبي ﷺ: «**اللهم الرفيق الأعلى**[(١)]»

هذا وقد ورد في كتب المحققين من أهل الله تعالى كثير من الحكايات، والأخبار المصفحة عن وقوع الكرامات للأولياء بعد الموت، تداولته الثقات مما لا يسعنا إنكاره، فمن ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في كتابٍ له في ذكر الموت سماه «**بشرى الكئيب بلقاء الحبيب**» قال:

خرَّج الحافظ أبو القاسم اللالكائي في السُّنَّة بسنده عن محمد بن نصر الصَّائغ، قال: كان أبي مولعًا بالصلاة على الجنائز، فقال: يا بني حضرت يومًا على جنازةٍ فلما دفنوه نزل إلى القبر نفسان، ثم خرج واحد وبقي الآخر، وجاء الناس بالتراب فقلت: يا قوم، يُدفن حي مع ميتٍ؟ فقالوا: ما ثمَّ أحد، فقلت: لعله شُبه لي، ثم رجعت فقلت: ما رأيت إلا اثنين، خرج واحد وبقي الآخر، لا أبرح حتى يكشف الله لي ما رأيت، فقرأت عشر مرات: يس وتبارك، وبكيت وقلت: ربي اكشف لي عمَّا رأيت، فإني خائفٌ على عقلي وديني، فانشقَّ القبر، فخرج منه شخصٌ فولى مدبرًا فقلت: يا هذا بمعبودك إلا ما وقفت حتى أسألك، فما التفت فقلت: الثانية، والثالثة، فالتفت وقال: أنت نصر الصَّائغ قلت: نعم، قال: ما تعرفني؟ قلت: لا، قال: نحن ملكان من ملائكة الرحمن، موكلان بأهل السُّنة، إذا وُضعوا في قبورهم نزلنا حتى نلقِّنهم الحُجَّة، وغاب عني[(٢)].

وأخرج اللالكائي في السُّنة أيضًا عن يحيى بن معين قال: قال لي حفار: أعجب ما رأيت من هذه المقابر، أني سمعت من قبرٍ والمؤذن يؤذِّن وهو يجيبه من القبر[(٣)].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن الجبير قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتًا البناني قبره ومعي حميد الطويل، فلما ساويا عليه اللِّبِن سقطت لَبِنَة، فإذا أنا به يصلي في قبره، وكان يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطبتها فما كان الله ليرد دعاءه[(٤)].

وأخرج الترمذي وحسَّنه، والحاكم، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبرٌ فإذا فيه إنسان يقرأ سورة

---

(١) رواه البخاري (٤/١٦٢٠)، ومسلم (٤/١٨٩٤)، وذكره ابن كثير في التفسير (١/٥٢٣).

(٢) ذكره السيوطي في بشرى الكئيب (ص٦٦)، (٩٢).

(٣) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (ص١١٨)، والسيوطي في بشرى الكئيب (ص٧١).

(٤) رواه في الحلية (٢/٣١٩).

الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**[(١)]».

قال أبو القاسم السعدي في كتاب «**الإفصاح**»: هذا تصديقٌ من رسول الله ﷺ بأن الميت يقرأ في بيته، فإن عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن منده عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن خزام، فسمعت قراءة من القبر، فما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له فقال: «**ذلك عبد الله، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت، ثم علَّقها وسط الجنة، فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر رُدَّت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**[(٢)]».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم أن المهلبي قال: حدَّثني الذين كانوا يمرُّون بالجسر في الأسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن[(٣)].

وأخرج ابن منده عن سلمة بن شبيب قال: سمعت أبا حمَّاد الحفَّار، وكان ثقة ورعًا قال: دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار، فما مررت بقبر إلا سمعت منه قراءة القرآن[(٤)].

وأخرج ابن منده عن عاصم السُّقطي قال: حفرنا قبرًا ببلخ، فنفذ في قبر فنظرت فإذا بشيخ في القبر متوجِّه إلى القبلة، وعليه إزارٌ أخضر، وما حوله أخضر، وفي حجره مصحف يقرأ فيه.

وأخرج ابن منده عن البيهقي النيسابوري الحفار، وكان صالحًا ورعًا قال: حفرت قبرًا فانفتح في القبر قبرًا آخر فنظرت، فإذا أنا بشاب حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، جالسًا متربعًا، وفي حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ، فنظر الشاب إليَّ وقال: أتأمن القيامة؟ قلت: لا، فقال: أعد المدرة إلى

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٦٤)، والطبراني في الكبير (١٢/١٧٤)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢٤٧).

(٢) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (ص١١٦).

(٣) رواه ابن جرير في تهذيب الآثار (٢٥٠٠)، وأبو نعيم (٢/٣٢٢)، وذكره ابن رجب في أهوال القبور (١١٤).

(٤) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (ص١١٦)، وعزاه للخلال في السنة.

موضعها.

ونقل السهيلي في دلائل النبوة عن بعض الصحابة ﷺ أنه حفر في مكان، فانفتحت طاقة فإذا شخص على سرير، وبين يديه مصحف يقرأ فيه، وأمامه روضة خضراء وذلك بأحد، وأورد ذلك أبو حيان في تفسيره.

وأخرج سعيد بن منصور عن غدية بنت أهبان بن صيفي الغفاري صاحب رسول الله ﷺ قالت: أوصاني أبي أن نكفنه في قميصٍ، قالت: فلما أصبحت من الغد من يوم دفناه إذا نحن بالقميص الذي دفناه فيه عندنا.

وأخرج ابن أبي الدنيا: أن رجلاً توفيت امرأته فرأى نساء في المنام، ولم يرى امرأته معهن فسألهن عنها، فقلن: إنكم قصَّرتم في كفنها، فهي تستحي تخرج معنا فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «**انظر هل إلى ثقة من سبيل**[1]» فأتى رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره، فقال الأنصاري: إن كان أحد يبلغ الموتى بلغته فتوفي الأنصاري فجاء بثوبين مشرودين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته ومعهن الثوبان الأصفران انتهى.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «**طبقات الأخيار**» في ترجمة الشيخ أحمد البدوي أن الشيخ عبد العزيز الديريني، كان إذا سُئل عن السيد أحمد البدوي قال: هو بحرٌ لا يُدرك له قرار، وأخباره ومجيئه بالأسرى من بلاد الإفرنج، وإغاثة الناس من قُطاع الطريق، وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحويها الدفاتر.

قال: وقد شاهدت بعيني سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيرًا على منارة سيدي عبد العال مقيَّدًا مغلولاً، وهو مختبط العقل فسألته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجَّهت إلى سيدي أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء، فوضعني فمكث يومين ورأسه ثائرة عليه من شدة الخطفة انتهى.

وهذا كله صريح أو كالصريح بثبوت الكرامات بعد الموت للأولياء، وهو أمر حق في نفسه لا يشك فيه إلاَّ كل ناقص الإيمان، منطمس البصيرة، مطرود عن باب فضل الله تعالى، متعصب على أهل الله تعالى، أوقعه الله تعالى في ورطة الإنكار على أوليائه تعالى، وقد أهانه الله تعالى وغضب عليه وألقاه إلى الشيطان، يتلاعب به ليبغض من يحبهم الله تعالى فيعرضه للاستخفاف بهم وبكراماتهم، وإهانة قبورهم واحتقارها، مع أن المعلوم عند

(١) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (٢٥٦).

من قرأ علم العقائد والتوحيد، أن الأرواح لها اتصال بالأجساد بعد الموت كاتصال شعاع الشمس بالأرض، والروح في مقرِّها، فيجب احترام قبور المؤمنين البتَّة لهذا المعنى، حتى قال الجلال الأسيوطي في كتابه (**بشرى الكئيب بلقاء الحبيب**[1]):

قال اليافعي: مذهب أهل السُّنة أن أرواح الموتى تُرد في بعض الأوقات من عليين أو من سجِّين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى خصوصًا ليلة الجمعة، ويجلسون ويتحدثون، ويتنعَّم أهل النعيم، ويُعذب أهل العذاب.

قال: وتختص الأرواح دون الأجسام بالنعيم والعذاب ما دام في عليين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى.

ومما يدل على اتصال الأرواح بالأجسام في القبور بعد الموت ما نقله في بحر الكلام الإمام النسفي من قوله في عذاب القبر: فإن قيل: كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟ فقال ﷺ: كما يوجع سنك وإن لم يكن فيه الروح.

ألا ترى أن النبي ﷺ أخبر أن السِّن يتوجَّع لما أنه متصلاً بجسده فيتوجَّع انتهى.

وهذا صحيح في أن روحانيات الموتى متصلة بأجسامهم التي في قبورهم، وإن بليت أجسامهم وصارت ترابًا، ولهذا جاء الشرع باحترام قبورهم كما ذكرناه في ما تقدم.

فكيف لا ينبغي للمؤمنين احترام قبور الصالحين، وتعظيمها وزياراتها والتبرُّك بها،وقد ثبت أن الروحانيات الكاملة الفاضلة متصلة بتلك الأجساد الطيبة الطاهرة، كما هو مقتضى الأخبار النبوية، وإن صارت ترابًا.

ولا أرى ذلك المنكر لذلك إلا جاهلاً، يعتقد أن الأرواح أعراض تزول بالموت، كما تزول الحركة عن الميت طبق ما هو مذهب الفرق الضالة، حتى أنهم يزعمون أن الأولياء إذا ماتوا صاروا ترابًا، والتحقوا بتراب الأرض، وذهبت روحانياتهم، فلا حرمة لقبورهم، ولهذا يهينونها ويحتقرونها، وينكرون على من زارها، وتبرّك بها، حتى أني سمعت بأذنيّ رجلاً يقول وأنا أسمع ذهابنا إلى زيارة الشيخ رسلان الدمشقي: كيف تزورون ترابًا ما هذا إلا قلة عقل؟ فتعجبت من ذلك غاية العجب، وقلت في نفسي: ما هذا اعتقاد من يدعي الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد ورد في الحديث: «**إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر**

(١) في (ص١٠٢).

النيران[1]».

ولا معنى لذلك إلا أن روحانيات الموتى إما تنعم في قبورهم، أو تُعذب فيها، وذلك باتصال الروحانيات بالأجساد البالية التي خرجت من الدنيا، وهي طاهرة بالإيمان والطاعات، أو قذرة بالكفر والمخالفات، فحينئذٍ قبور المؤمنين محترمة مبجَّلَة معظمة كما كانوا قبل ذلك، وهم أحياء محترمون مبجَّلون، فإن من احتقر عالمًا أو بغضه خيف عليه الكفر، كما صرَّح بذلك الفقهاء.

ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات، ورأيت أن الأحياء والأموات كلهم مخلوقات الله تعالى لا تأثير لأحدٍ منهم في شيءٍ من الأشياء البتَّة، وإنما المؤثر هو الله تعالى وحده على كل حال، والأحياء والأموات، سواء في عدم التأثير قطعًا من غير شبهة، ولكنَّ الاحترام واجب في حق الجميع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وشعائر الله التي تشعر: أي تعلم به سبحانه وتعالى كالعلماء والصلحاء أحياءً وأمواتًا ونحوهم، ومن تعظيمهم بناء القباب على قبورهم، وعمل التوابيت لهم من الخشب، حتى لا تحتقرهم العامة من الناس، وإن كان ذلك بدعة فهي بدعة حسنة، كما قال الفقهاء في تكبير العمائم، وتوسيع الثياب للعلماء إنه جائز، حتى لا تستخف بهم العامة ويحترمونهم، وإن كان ذلك بدعة لم يكن عليها السلف، حتى قال في جامع الفتاوى في البناء على القبر، وقيل: لا يُكره إذا كان الميت من المشايخ والعلماء والسادات.

وفي **تنوير الأبصار**: ولا يرفع بناء على القبر، وقيل: لا بأس به وهو المختار.

وفي **شرح الكنـــز للزيلعي**: وقيل: لا بأس بالكتابة ووضع الحجر ليكون علامة لما روي أنه ﷺ: «وضع حجرًا على قبر عثمان بن مظعون ﷺ» انتهى.

وأما وضع الستور والعمائم والثياب على قبور الصالحين والأولياء فقد كرهه الفقهاء، حتى قال في فتاوى الحجة: وتُكره الستور على القبور انتهى.

ولكن نحن الآن نقول: إن كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر الذي وضعت عليه الثياب والعمائم، ولجلب الخشوع والأدب لقلوب

---

(١) رواه الترمذي (٦٣٩/٤)، و الطبراني في الأوسط (٢٧٣/٨).

الغافلين الزائرين؛ لأن قلوبهم نافرة عن الحضور، والتأدب بين يدي أولياء الله تعالى المدفونين في تلك القبور.

كما ذكرنا من حضور روحانياتهم المباركة عند قبورهم فهو أمر جائز لا ينبغي النهي عنه، ولا ينبغي لمسلم أن ينكره كلما رآه حدث، ولم يكن في العصر الأول ما لم يطَّلع على قباحته، وإنما فعله من فعله على وجه يخالف ما هو مقصود الدين المحمدي، أرأيت أن رسول الله ﷺ يقول: «**من سنَّ سنة حسنة كان له ثوابها وثواب من عمل بها إلى يوم القيامة**[1]».

فقد سمي ما تحدثه الأمة بعده ﷺ مما هو غير مخالفٍ لمقصود شرعه سنة، مع أنه لم يكن له وجود في زمنه ﷺ، فالبدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تُسمَّى سنة، على هذا تسمية وردت على لسان الشارع ﷺ.

ومن هذا القبيل ما ذكره الفقهاء في مبحث زيارة النبي ﷺ من قولهم، وما يفعله الناس من النـــزول بالقرب من المدينة والمشي إلى أن يدخلها حسن، وكلما كان أدخل في الأدب والإجلال، كان حسن ذكره في حاشية الدرر، وبقي على هذا يقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصالحين، وهو أيضًا من باب التعظيم والإجلال للأولياء، فالمقصد حسن لاسيما إذا كان لذلك الولي، فقراء يخدمونه يحتاجون إلى إيقاد المصابيح ليلاً لقراءة قرآن، أو تسبيح، أو تهجد، وإن كره الفقهاء الصلاة عند القبور، ولكن محله في غير الموضع المعد لذلك المتباعد عن القبر.

قال في حاشية الدرر: وتُكره الصلاة في المقبرة؛ لأنه يشبه فعل اليهود، فإن كان فيها موضع أُعِد للصلاة ليس فيه قبر ولا نجاسة فلا بأس، كما في الخانية والحاوي، وإن كان القبر وراء المصلي لا يُكره انتهى.

وأما وضع اليدين على القبور، والتماس البركة من مواضع روحانيات الأولياء فهو أمرٌ لا بأس به أيضًا.

قال في جامع الفتاوى: وقيل: لا يعرف وضع اليدين على المقابر سُنَّة ولا مستحبًا، ولا يرى به بأسًا انتهى.

وأما نذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيمًا لهم، ومحبةً فيهم فجائز في الجملة، أرأيت أن الفقهاء قالوا في وقف الذمي الزيت على أسراج بيت المقدس أنه

(١) رواه مسلم (٢/٧٠٤).

صحيح؛ لكونه قربة عندنا وعندهم.

وفي كتاب أوقاف الخصَّاف من بحث وقف الذمي فإن قال: أرضي صدقة موقوفة يكون غلتها في ثمن زيت السراج في بيت المقدس، وقال: هذا جائزٌ؛ لأنه قربة عندنا وعندهم انتهى.

وبيت المقدس مسجد شريف، فالإسراج فيه من جملة تعظمه، وكذلك قبور الصالحين والأولياء والمقرَّبين.

وكذلك نذر الدراهم والدنانير للأولياء، بأن تصرف على فقرائهم المجاورين عند قبورهم أمر جائز في نفسه؛ لأن النذر جائز في نفسه؛ لأن النذر فيه مجاز عن العطية، كما قالوا في الهبة للفقراء أنها صدقة فليس له الرجوع فيها، وفي الصدقة على الأغنياء أنها هبة فيثبت له الرجوع فيها، فالعبرة لمقاصد الشرع دون الألفاظ.

فإن النذر إنما هو مخصوصٌ بالله تعالى، فإذا استعمل في غيره كمن قال لرجل: لك عليَّ عشرة دراهم إن شفى الله مريضي ونحوه، ثم قال: نذرت لفلان كذا كان وعدًا منه بذلك، وهو مجاز عن الهبة إن كان ذلك الرجل غنيًّا.

وعن الصدقة إن كان فقيرًا، ورُبَّ إنسان يقول لآخر من أهل الذمة الكافرين بالله تعالى: إن شفى الله مريضي فلك عندي مائة درهم مثلاً، ولا يأثم في قوله ذلك، ويكون ذلك صدقة؛ لأن الصدقة على فقراء أهل الذمة جائزة ما عدا الزكاة، كما قررته الفقهاء في كتبهم.

فكيف يقول عاقل بحرمة قول الإنسان لولي من الأولياء بعد الموت: إن شفى الله مريضي لك عندي مائة درهم ونحوه، مع أن القائل يعلم أن ذلك يصرف في مصالح الخادم لذلك، وللفقراء المجاورين عنده، فيجعل ذلك وعدًا وعطيةً، وإباحة من ذلك لقائل لكل من يأخذ تصحيحًا لقول المؤمنين ما أمكن، والله ولي التوفيق.

وأما احتياج بعض الناس على تحريم هذه الأمور بغير دليل قطعي فموجبه عدم الحياء من الله تعالى وعدم الخوف، وإن الحرام في النهي في مقابلة الفرض في الأمر، وكل منهما يحتاج إلى ثبوته إلى دليل قطعي، إمَّا آية من كتاب الله تعالى، أو سنة متواترة، أو إجماع معتدّ به، أو قياس يورده المجتهد لا غيره من المقلدين؛ لأنه لا عبرة بقياس المقلدين الذين لم تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، كما هو مسطر في كتب الأصول.

وأما قول بعض المغرورين: بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا، وليًّا من الأولياء ويعظموا قبره، والتمسوا البركة والمعونة منه، أن يدركهم اعتقاد أن الأولياء تؤثر في

الوجود مع الله تعالى، فيكفرون ويشركون بالله تعالى، فننهاهم عن ذلك، ونهدم قبور الأولياء، ونرفع البنيان الموضوعة عليها، ونزيل الستور عنها، ونجعل الإهانة للأولياء ظاهرًا، حتى تعلم العوام والجاهلون أن هؤلاء الأولياء لو كانوا مؤثِّرين في الوجود مع الله تعالى، لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التي نفعلها معهم، فاعلم أن هذا الصنيع كفر صريح مأخوذ من قول فرعون على ما حكاه الله تعالى لنا في كتابه القدير بقوله تعالى: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:٢٦].

وكذلك هؤلاء المغرورين لم يكمل إيمانهم بعد، بأن الله تعالى يحب أولياءه، وإنه يخلق على أيديهم في حياتهم جميع ما قُدِّر أن يريدوه، فما لم يخالف الشرع وجميع ما تريده روحانياتهم بعد موتهم بأمره تعالى الذي روحانياته منه من الأمور الخارقة للعادة، وكأنهم لا يعلمون بعد أن الإيمان حق، وأنه منحٍ عن الله تعالى، فقلوبهم مملوءة من ظنون، وشكوك، وأوهام، وتحيرات، وزيغ، وقد عَمُوا وصَمُّوا، وختم الله على قلوبهم حتى لم يقدروا على الفرق بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر:٣٣].

ولو أنهم صدقوا في خوفهم ذلك على عامة المسلمين لقرروا لهم أحكام العقائد، والتوحيد، وعلموهم البراهين، والحجج القطعية من غير منازعة ولا جدال، وحملوهم على الفهم في العقائد، والنظر في الدلائل، وشدَّدوا عليهم في ذلك غايات التشديد، فإن العامة متى تحققوا في نفوسهم أن الفاعل واحد على كل حال، ولا تأثير لشيء البتَّة، تحوَّلت خواطرهم عن اعتقاد التأثير في غيره تعالى، وعلموا أن كل شيء ما سواه تعالى بيده فِتَن وتحيرات تُسمَّى أسبابًا يضل بها من يشاء، ويهدي بها من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج:٢٠]: يعني أن الله تعالى من وراء هذه الأشياء المحسوسات، والأشياء المعقولات على معنى أنه لا يشبهها ولا تشبهه البتَّة.

وعلى فرض أن يكون غرضهم ذلك المذكور.

فكيف يجوز انتهاك حرمات الله تعالى في حق أوليائه، وأهل خاصته بهدم قبابهم، وتحقير قبورهم في عيون العامة، وهتك ستورهم الموضوعة احترامًا لهم من أجل هذا الأمر الموهوم، وهو خوف الضلال على العامة، وكيف يجوز ظن السوء في حق العامة، ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يفعلون ذلك؛ لأن ظن السوء بالمسلمين حرام محقق انتهى.

وقال رحمه الله تعالى في كتاب له أيضًا سماه (رد الجاهل إلى الصواب):

اعلم أيها المنصف في الدين، السالك سبيل المتقين بالإخلاص واليقين، أن الأسباب

التي وضعها الله تعالى في المخلوقات يظهر عندها لا بها جميع التأثيرات، أحال عليها الله تعالى في الكتاب والسنة، وحذّر منها، مع أنها لا تأثير لها أصلاً في نفع ولا ضرر، ولكن لما كان المؤثر هو الله تعالى وحده عندها لا بها، وقد أخبر الله تعالى أنه أعطى كل شيء خلقه علمنا أنه سبحانه لا يمنع شيئًا مقتضاه أصلاً، فعادته التي عودها لكل شيء جارية في كل حال، ولا تنخرق إلا معجزة لنبي، أو كرامة لولي، أو معونة لعامي، أو سحرًا، أو استدراجًا لكافر غوي، والمؤثر في الكل هو الله تعالى وحده على كل حالٍ، ولكن الله تعالى لما اعتبر الأسباب في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ في الحديث الشريف، وسلك على ذلك الصحابة والتابعون لهم بالخير في كل زمان من المجتهدين، والعلماء، والمحققين، وجميع عامة هذا الدين المحمدي وخاصتهم، فوقع الأمر بأسباب، والنهي عن أسباب، كالأمر بالإيمان والصلاة، والصوم، والحج، والزكاة وغيرها من الطاعات، والنهي عن الكفر والمعصية بأنواعها كشرب الخمر، والزّنا، والقتل ونحو ذلك، والله تعالى يخلق له مقتضاه على كل حال من الأشياء النافعة، والأشياء المضرّة، ولا تأثير لشيء أصلاً، فلهذا صحت نسبة التأثير إلى الأسباب نسبة مجازية، وإلى المؤثر الحق سبحانه وتعالى نسبة حقيقية، وهو أمرٌ حقٌّ لا شبهة فيه أصلاً، سواء كانت الأسباب الشرعية كالطاعات أسباب الخير، وكالمعاصي أسباب الشر، أو كانت الأسباب عقلية كالفكر والنظر لاستفادة العلوم والإدراكات، والمؤثر فيها هو الله تعالى وحده على كل حال.

فهو تعالى الخالق للأسباب كلها، ولجميع مسبباتها على حسب ما يريده سبحانه وتعالى، كما قال ﴿الله خالق كل شيءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:٢].

فإذا علمت هذا وتقرر عندك فاعلم أن الأسباب يجوز نسبة التأثير إليها بحسب الشريعة المحمدية بالإجماع بلا خلاف أصلاً.

وأما قول علماء الكلام بأن من اعتقد أن الأشياء مؤثرة بنفسها فهو كافرٌ، أو اعتقد بأنها مؤثرة مودعة فيها فهو مبتدعٌ، فإنما ذلك في الاعتقاد لا في نسبة ذلك إليها في الظاهر، فانظر إلى الإمام السنوسي حيث قال في بحث السبب والشرط:

والمانع أن السبب يؤثر بطرفيه، والشرط يؤثر بطرف عدمه، والمانع يؤثر بطرف وجوده، ومع هذا كله قال بعد ذلك:

وقد أطبق العقل والشرع على انفراد المولى ﷻ باختراع جميع الكائنات عمومًا، وأنه لا أثر لكل ما سواه تعالى في أثر ما جملةً وتفصيلاً.

وقد غلط قوم في تلك الأحكام العادية فجعلوها عقلية، وأسندوا وجود كل أثر منها إليها لما جرت العادة أنه يوجد معه، إما بطبعه أو بقوة أُودعت فيه، فأصبحوا قد باءوا بهوس ذميم، وبدعة شنيعة في أصول العقائد، وشرك عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وقال في موضع آخر في شرحه أيضًا: وبهذا تعرف أن لا أثر لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية كحركاتنا، وسكناتنا، وقيامنا، وقعودنا، ومشينا ونحوها، بل جميع ذلك مخلوق لمولانا ﷻ بلا واسطة، وقدرتنا أيضًا مثل ذلك عرض مخلوق لمولانا ﷻ تقارن تلك الأفعال وتتعلق بها من غير تأثير لها في شيء من ذلك أصلاً، وإنما أجرى الله تعالى العادة أن يخلق عند تلك القدرة فينا مقترنة بتلك الأفعال شرطًا في وجود التكليف، وهو المسمَّى بالكسب إلى آخر ما بسطه من الكلام في هذا المقام، فعلمنا من مجموع كلامه، ومن كلام غيره أيضًا نسبة التأثير إلى الإنسان وغيره لا ينافي اعتقاد الوحدانية في المؤثر، وهو الله تعالى.

وأنه لا التفات إلى من شنع على علوم المسلمين في نسبة التأثر إلى المشايخ الأولياء الأحياء والأموات، والالتجاء إليهم، والاحتماء بهم، وطلب الحوائج منهم، والتصريح بأنهم يؤثرون في كل ما يقدرهم الله تعالى عليه، ونداؤهم عند الحاجات، والاستغاثات بيا سيِّدي عبد القادر الكيلاني، ونحو ذلك كما هو المعتاد مثل نداء الرجل الحي إذا احتيج إليه في معونة، ولو كان كافرًا أو فاسقًا من غير نكير على ذلك من أحدٍ، ولا خوف أن يكون ذلك خطأ، فكذا هذا بل بالطريق الأولى على حد ما قاله العلماء، كما ذكرنا في عبارة الإمام السنوسي المذكور سابقًا أن السبب يؤثر، والشرط يؤثر، والمانع يؤثر، مع أن هذه أمور اعتبارية غير حسية، ومفاهيم معنوية غير جسمانية.

وكذلك روحانية الأولياء الموتى المتقدمين في الزمان الأول والمتأخرين إذا نُسب التأثير إليهم، كان ذلك صحيحًا لا خطأ، ولكن الجاهلون لا يعلمون، وقد رأينا من ذلك غاية الاحتراز، ويحذر الغير منه ولا يحترز، ولا يحذر أحدًا من نسبة التأثير إلى بقية الأسباب العادية، بل لا يخطر له شيء من ذلك عند نسبة التأثير إليها، وهو من كثرة الجهل، وكثرة البغض، والعداوة لأولياء الله تعالى، وعدم رؤيتهم أهلاً لمساواتهم الأسباب العادية.

وفي الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب[1]»: أي أعلمته أني محاربٌ له، ومن يحاربه الله تعالى فهو هالكٌ.

ومن هذا حاله إن سُئل عن الطاعات والمعاصي التي هو يفعلها هو وغيره، علم أنها كلها أفعال العباد صادرة منهم، وهي أعراض منتقلة من حركات وسكنات، ويصح عنده نسبة تأثير العباد فيها، ونسبة تأثيرها في ثواب الله تعالى، وعقابه يوم القيامة.

ومع ذلك إذا سمع العامي ينسب التأثير إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى الأموات، حَكَم بكفره ولا يخطر له الحكم بالكفر على نفسه هو في نسبة التأثير إلى العباد في أفعالهم، ونسبة التأثير إلى أفعالهم أيضًا كما ذكرنا، وغايته أن يقول:

إني إذا نسبت التأثير إلى العباد في أفعالهم، وإلى أفعالهم في الجزاء عليها يوم القيامة أعلم كيف أنسب ذلك، وأما العامي فإنه جاهل لا يعلم كيف يُنسب ذلك إلى الأولياء والأموات، فيكفر في تلك النسبة، فيُقال له: هذا سوء ظن منك في عامة المسلمين، وتجسس عليهم، واستكشاف عن عوراتهم، وهي معاصي محرَّمة عليك تكفر باستحلالها إجماعًا، بل لا فرق بين العامي وغيره في حق التكليف الشرعي.

ولعله يحكم بكفر العامي أيضًا إذا رآه ينسب التأثير إلى العباد في أفعالهم، وإلى أفعالهم أيضًا مثل ما ينسب هو كذلك، فيكون مكفرًا بما هو واردًا في الشرع، كما قدَّمنا وحسبه جهله، فإن أنكر هذا الجاهل كون روحانيات الأولياء أسبابًا بعد الموت لقضاء حوائج الناس وتدبير أمور الخاصة والعامة، يرد عليه بما هو المعلوم المعروف عند جميع المسلمين، الذين هم على طريقة أهل السنة، والجماعات المعتقدين كرامات الأولياء، والأحياء، والأموات، وعدم معاداتهم لهم مما ظهر عندهم، وانتشر بين خواصهم، وعوامهم من قضاء الحوائج، وإجابة الملهوفين، ما هو غني عن التصريح والبيان، فإن لم تحصل الكفاية بما ذكرناه في ثبوت المطلوب.

نؤيد ذلك بما نقله الشيخ ناصر الدين البيضاوي في تفسير سورة النازعات، حيث قال في النازعات: إنها صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة، فإنها تنـزع عن الأبدان غرقًا: أي نزعًا شديدًا من أغرق النازع في القوس، فتمشط إلى عالم الملكوت وتسبح فيه، فتسبق إلى حظائر فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أمرًا.

قال الشيخ جمال الدين خليفة في حاشيته على البيضاوي:

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٨٤).

قال الإمام الرازي: إن هذه الأرواح الشريفة العالية لا يبعد أن يكون منها ما يكون لقوتها وشرفها، فتظهر آثارًا وأحداثًا في هذا العالم، فهي المدبِّرات أمرًا.

وقال العلاّمة شيخي زاده في حاشيته:

فإن قيل قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فكيف أسند التدبير في الأمور ها هنا إلى غيره؟ فالجواب أنه تعالى لما خلق الأشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها كان الأمر كله لله، وصحَّ إسناد التدبير إليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور.

قال: وإنما قيد يعني البيضاوي بالنفوس الفاضلة؛ لأن النشاط إلى عالم الملكوت والسباحة فيه، والسبق إلى حظائر القدس، وتدبير النفوس القاصرة، إنما يتصور من النفوس الفاضلة، فإن النفوس البشرية الخالية عن العوائق الجسمانية المتشوقة إلى الاتصال بالعالم العلوي، بعد خروجها من ظلمة الأجساد، تذهب إليه على أسرع الوجوه في روحٍ وريحانٍ، فعبر عن ذهابها على هذه بالسباحة، ثم لا شك أن مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا.

ومحبة الاتصال بعالم القدر مختلفة، فكلما كانت أضعف كان سيرها أثقل، ولا شك أن الأرواح السابقة إليه أشرف، فلا جرم وقع القسم بها حيث قال تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات:٤]، ثم إن هذه النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر منها لشرفها وقوتها آثارًا في هذا العالم فتكون مدبرات، ألا ترى أن الإنسان قد يرى في المنام أن بعض الأموات يرشده إلى مطلوبه انتهى كلام شيخي زاده.

ويؤيد هذا ما ذكره العلاّمة ابن كمال باشا في شرح الأحاديث الأربعين التي جمعها فقال في الحديث الثالث: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تحيَّرتم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور**[1]».

اعلم أن تعلق النفس في البدن تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام، فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل وذلك العشق لا يزول إلا بعد حين، وتبقى تلك النفس عظيمة الميل إلى ذلك البدن قوية الانجذاب إليه، ولهذا نهي عن كسر عظم الميت ووطء قبره، وإذا تقرر هذا فالإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر، شديد التأثير ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٨٨).

لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة، وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت أيضًا تعلق بتلك التربة، فحينئذٍ يحصل بين النفسين ملاقاة روحانية، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى، والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في شريعة الزيارة، ولا يبعد أن يكون أسرارًا أُخر أدق، وبالقبول أحرى وأحق.

قال صاحب الأعلام بإلمام الأرواح بعد الموت محل الأجسام:

إن الأنبياء عليهم السلام مع كونهم في السماء قد ينتقلون منها إلى غيرها أحيانًا بأمر الله تعالى، فيكون لهم إلمام بقبورهم أو غيرها، ولا يلزم في ذلك استمرارهم في القبور أحياء، ولا ينبغي أن يظن انقطاع التفاتهم إلى قبورهم بالكلية، ولا ارتفاع التعلق بينها وبينهم، بدليل استحباب زيارتهم في عامة الأوقات، وما ذلك إلا بينها وبينهم علقة مستمرة غير منقطعة، فلها بهم اختصاص خاص، والله أعلم بكيفية ذلك الاختصاص، وكذلك قبور سائر المؤمنين بينها وبين أرواحهم نسبة خاصة مستمرة، فيعرفون من يزورهم، ويردون السلام على من يسلم عليهم، يدل عليه ما ذكره الحافظ عبد الحق الأشبيلي في كتاب العاقبة.

عن أبي عمرو بن عبد البر أنه ذكر من حديث ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**[1]» وهو صحيح الإسناد.

قال: وقد أخبرني الشيخ فخر الدين التبريزي أنه لما تُوفي شيخه الشيخ تاج الدين التبريزي كان يشكل عليه مسائل فيطيل الفكر فيها، ويبذل المجهود في حلها، فلا ينحل شيء منها، قال: فكنت آتي إلى قبر شيخي تاج الدين، وأتوجه إليه وأجلس عنده كما كنت أجلس في حياته بين يديه، وأتفكر في تلك المسائل فتنحل لي حينئذ، ولا تنحل في غير ذلك المكان، قال: وقد جرَّبت ذلك مرارًا.. إلى هنا كلامه.

فإذا علمت هذا كله فلا تتوقف في صحة نسبة التأثير في قضاء الحوائج، والتدبير في أحوال الخلق، إلى أرواح الأولياء، الأموات أصحاب القبور المنيرة، بأنوار الأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا، وعليك بزيارتهم وطلب الحوائج منهم، والاستشفاء ببركاتهم والاستغاثة بهم في جميع الأمور، وندائهم عند الشدائد بيا شيخ عبد القادر الكيلاني، يا شيخ أحمد الرفاعي ونحو ذلك، ولا يصدنك وسوسة نفسانية ونزعة شيطانية

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤٨٧)، وابن كثير في التفسير (٣/٤٣٩).

سمعتها من منكر جاهل، مع أنك لا تتوقف في نفسك إذا أصدرت لك حاجة أن تقصد في قضائها حاكمًا ظالمًا، أو رجلاً فاسقًا، وأنت غافلٌ في ذلك الوقت عن كون الحوائج كلها بيد الله تعالى.

وإن كنت مؤمنًا بذلك، وكذلك تقصد الاستشفاء بدوام مخصوص، تعتقد أنه يشفيك، وتنفر عن الاستشفاء بأرواح الأولياء الموتى، فكأنهم أخس شيء عندك من الدواء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى كلامه.

قال الفاضل العمري في كتابه (منهل الأولياء): واعلم أن الكرامة كما تكون للأحياء فهي ثابتة للأرواح المفارقة، فمن أنكر أن يكون للنبي، أو الوليّ كرامة بعد موته فهو ضال مضل، وتحقيق ما قلناه أن الوليّ العارف، وكذا النبي المتوفى، بل والحي أيضًا قدرة لأحد منهم على خلق شيء وإيجاده، ولا تأثير لقدرة واحد منهم في إحداث شيء أصلاً، إنما هم أسباب يخلق الله الخارق للعادة أثر أفعالهم وسؤالهم وإرادتهم.

وكل من اعتقد أن الولي بل والنبي له تأثير في شيء من ذلك بالاستقلال فهو كافرٌ بالله تعالى، وإذا كانت تلك الأمور الخارقة للعادة بمحض خلق الله تعالى يكرم بها عباده المقرَّبين، فكما جاز أن يخلقها لهم في حياتهم، جاز أن يكرمهم بها بعد وفاتهم انتهى كلامه.

فإذا علمت هذا كله فنذكر لك أسماء أهل القبور المنيرة الظاهرة، الذي تشرفت أرض بلدتنا الموصل الفاخرة بضمِّ أجسادهم الطاهرة، وتزينت بمشاهدهم الزاهرة، وطاب مسكنها بظل حمايتهم الباهرة؛ لتكثر من زيارتهم، والتشرف بخدمتهم، والتبرك بتربيتهم، والتوسل إلى الله تعالى بحرمتهم، فما خاب من توسَّل إلى الله تعالى بهم نفعنا الله تعالى في الدنيا والآخرة آمين.

***

النبي شيث عليه السلام(١)

هو ابن صفوة الله آدم أبي البشر عليه السلام لصلبه من غير واسطة وهو وصيته.

حُكي أن بعض الصلحاء رآه في المنام، فأراه الموضع الذي هو مشهور عندنا بأنه قبره، فحفر عليه فخرج له قبر قديم، فبنى عنده مشهدًا ومسجدًا، وهو قريب من السور

(١) انظر في تفسير القرطبي (١/١٨٠)، وتاريخ الطبري (١/٩٦).

جنوبي الموصل في طريق الواردين إلى دجلة.

روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو بالسريانية: شاث، وبالعبرانية: شيث.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: لما مضى من عُمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين، ولدت له حواء شيثًا، وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف من هابيل علمه الله ساعات الليل والنهار، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة، وصار وصي آدم، ووليّ عهده.

وذكر أبو الحسن أحمد البلاذري قال: لما قُتل هابيل ولدت حواء لآدم شيثًا، فقال آدم عليه السلام: هذا هبة الله، وخلف صدق من هابيل، ولما وضعته حواء أخذته الملائكة، فمكث عندهم أربعين يومًا، فعلموه ثم ردوه إليها.

وقال مقاتل: أنزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة، وإليه ينتهي أنساب بني آدم؛ لأن جميع النسل انقرض ولم يبق إلا نسله، وأنزل الله تعالى مائة كتاب، وأربع كتب أنزل منها على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة عليهم السلام أجمعين، وأنزل التوراة، والزبور، والإنجيل، والفرقان، وكان شيث أفضل أولاد آدم وأشبههم بأبيه ووليّ عهده، وهو أبو البشر كلهم، وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة يعني أنه رثّ فجدده، ولما مات آدم عليه السلام جاء إلى مكة زيدت شرفًا، فأقام يحج ويعتمر، في أيام شيث عليه السلام تُوفيت حواء بعد آدم عليهما السلام بسنة، فدفنها معه في غار الكنـــز، فلما جاء الطوفان حملهما نوح عليه السلام في السفينة، ثم ردَّهما إلى مكانهما.

قال علماء السير: أقام يعمرُ الأرض، ويقيم الحدود على المفسدين، كما كان يفعل والده، حتى تُوفي وهو ابن سبعمائة واثني عشر سنة، واختلفوا في أي مكان تُوفي فيه على أقوال: أحدهما: بالهند قاله مجاهد.

والثاني: بمكة شرَّفها الله تعالى؛ لأنه لم يفارقها بعد وفاة أبيه قاله مقاتل.

قال: وكان له يوم مات آدم عليه السلام مائتان وخمسون سنة، ودُفن بغار الكنـــز مع أبيه، وببلد بعلبك مزار يقال أنه قبره، وفي بلدتنا هذا المرقد الشريف، يُقال أنه قبره والله أعلم بحقيقة الحال، والواجب على المسلمين احترام قبور الأنبياء عليهم السلام في أي مكان كانت، وفي أي زمن ظهرت، والله لا يضيع أجر المحسنين.

وقد ذكر الشيخ محمد سليم الأردلاني في رسالته المسمَّاه (وسيلة النجاة من هول العرصات) في أسماء الأنبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين أن أحدهم اسمه النبي

شريب عليه السلام فلعله هذا النبي الكريم، فتصحف على الرائي اسمه الشريف فقال: شيث والله أعلم، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

* * *

النبي نوح عليه السلام(١)

قال الفاضل الشيخ أمين العمري في كتابه (**منهل الأولياء**): سمعت شيخنا السيد موسى الحدادي يقول:

إن بعض الصالحين كان يقول: إن قبر النبي نوح عليه السلام في محراب الجامع النوري سمعت ذلك منه رحمه الله تعالى مرارًا انتهى.

قال علماء السير: هو نوح بن لمك أول نبي بعثه الله تعالى بعد إدريس عليهما السلام.

قال مقاتل: اسمه السكن.

وقيل: ساكن.

وقيل: عبد الغفار، ونوح لقب له.

قال مجاهد: سُمِّي نوحًا لأنه ناح على قومه.

وقال مقاتل: على نفسه.

وقال ابن إسحاق: هو اسم موضع له، ونوح بالسريانية سكن.

وقال السّدي: إنما سُمِّي سكنًا لأن الأرض سكنت به، وقد ذكره الله تعالى في ثمان وعشرين موضعًا في القرآن الكريم.

قال الزبير بن بكار: ولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وستة وعشرين سنة، ولما تمَّ له خمسون سنة أرسله الله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعثه الله تعالى والكفر قد عمَّ الأرض، ولم يكن في الدنيا من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وكانوا يعبدون الأصنام وهم ذرية قابيل وغيرهم فقال: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف:٥٩].

روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يضربونه حتى يُغشى عليه، ثم يقوم فيدعوهم إلى الله تعالى، ويقول: اللهم اهدهم وإلا فصبِّرني.

---

(١) انظر في: تفسير القرطبي (١/٢٩)، و تاريخ الطبري (١/١٠١).

ولبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا كما ذكره الله تعالى في القرآن العزيز.

قال الربيع: ما دعا عليهم إلا بعد أن آيسه الله تعالى من إيمانهم، والأنبياء لا يفعلون شيئًا إلا بالوحي، واختلفوا في موضع وفاته على أقوال:

أحدها: أنه عليه السلام تُوفي بثمانين القرية التي أرسيت السفينة عليها في أزج في الجودي حكاه هارون بن المأمون.

والثاني: بالهند على جبل يُقال له: (نوذ) قاله ابن إسحاق.

والثالث: بمكة شرَّفها الله تعالى.

قال عبد الرحمن بن ساباط: قبر نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام بين زمزم والركن والمقام.

والرابع: ببابل، وببلد بعلبك، وفي قرية يُقال لها (الكرك) فيها قبر يُقال أنه قبره وغير ذلك، والله أعلم.

وقد سمعت من بعض شيوخ الموصل أن قبره الشريف في الجامع النوري.

قال الفاضل العمري في كتابه (منهل الأولياء): وكثيرًا ما أسمع العوام يقولون: إن الموصل برج أنبياء الله فيها سبعون مشهدًا من مشاهد الأنبياء عليهم السلام، ما بين معلوم ومجهول، والله أعلم بحقيقة الحال.

قال: وحدَّثني ثقة أظن فيه الصدق قال: أخبرنا بعض الذين كانوا يحفرون القبور في طاعون الموصل سنة خمسين ومائة وألف، قال: حفرت قبر مطعون فلما انتهيت إلى اللحد سقط من جانب القبر حجر، فانفرجت فيه طاقة صغيرة، وخرج منها مثل رائحة المسك، فنظرت فيها فوجدت ضوءًا ورجلاً ملقى على الأرض في سرداب، وعليه ثوب أبيض نقي له بريق ولمعان، قال: فوضعت الحجر في محلها، وقدرت في نفسي أن أفتح باب السرداب ليلاً وآخذ الثوب، ودفنَّا الرجل وعدنا، وقد عرفت السرداب، وكان قريبًا من مقبرة الشيخ عناز، فلما كان العشاء نزلت فجئت إلى السرداب ففتحته، ونزلت إلى داخله، وكان فيه سراجًا من كثرة الضوء، فلما مددت يدي إليه أخذتني صيحة عظيمة، ورمى بي إلى الطريق، وغاب شعوري، فما أحسست حتى طلع الفجر، ومرَّ بي بعض الناس فقالوا: ما شأنك؟ فقمت وفؤادي يخفق جزعًا، فجئت إلى القبر تائبًا مستغفرًا، فوجدت القدوم والزنبيل وباب السرداب مسدود كأنه لم يطرأ عليه حفرًا أصلاً، فعلمت

أنه بعض الصدِّيقين والأنبياء عليهم السلام أجمعين، والله أعلم.

* * *

النبي يونس بن متّى عليه السلام[١]

هو مدفونٌ في قرية نينوى في بطن الجبل الذي فيه القرية، معلوم مكانه قبل الإسلام، وقد بنى بعض الملوك على متن البيعة مسجدًا جامعًا، ووضع له صندوقًا وقبرًا على موازاة ذاك القبر الكريم القديم.

ولما وصل الأمير تيمورلنك إلى الموصل سنة ست وتسعين وسبعمائة، أعطى للمولى النقيب نصير الدين عبيد الله أبي المحامد عشرة آلاف كيلة شاروخية؛ لأجل عمارة النبي يونس عليه السلام.

ولما حاصرنا دارشاه الموصل سنة ست وخمسين ومائة وألف انهزم أهالي نينوى إلى الموصل، وتركوا الجامع والحضرة الشريفة بغير حافظ.

فظهر من عسكره من سوء الأدب، وعدم رعاية حق المقام النبوي، ما خذله الله تعالى لسببه ورده على عقبيه خاسرًا.

وحكى الفاضل في كتابه «منهل الأولياء» قال:

أخبرني رجلٌ من أهل العلم والصلاح قال: قدم علينا رجلٌ فاضلٌ من بلاد الهند بعد الثلاثين والمائة والألف من الهجرة تقريبًا.

وكان له كشف ظاهر، وأحوال عجيبة في علم، وصلاح، وزهد عظيم.

فقال لي ذات يوم: أحب أن ترافقني في الذهاب إلى زيارة النبي يونس عليه السلام، قال:

فوافقته وخرجنا نهارًا حتى وصلنا إلى الحضرة العليَّة، وفتح لنا الباب، فدخلنا فقال لي الشيخ المذكور واسمه السيد محمد الجهان آبادي: اجمع فكرك واجلس على ركبتيك متأدِّبًا، قال: ففعلت مثله وجعل يقرأ آيات من القرآن وأسماء، قال: فنمت فرأيت شخصًا طويلاً في الغاية مدرجًا في كفن نقي أبيض كالنائم، وعلى رأسه شخصين في أكفانهما مثله في الطول، والهيبة، فاقشعر جلدي، وأخذتني الرجفة، فإذا الشيخ يناديني: يا صالح قم فتأدب، فهاهنا يونس النبي عليه السلام، وهذان الشخصان خادماه.

وقد عملت هذه المراقبة في عدة مواضع زعموا أن فيها قبر يونس عليه السلام، فلم أرَ شيئًا

---

(١) انظر في تفسير القرطبي (٦/١٦)، وتفسير الطبري (١٧/٧٧)، وتاريخ الطبري (١/٣٧٥).

انتهى كلامه.

وقد تواتر عندنا النقل بأن قبره الشريف المحترم فيما هو الآن فيه، ووجدنا أمارات كثيرة دالة على صحة ذلك، منها نزول النور على قبته الشريفة، وقد شاهد ذلك ألوف من الناس، وهو مشهور بين أهالي نينوى كبارهم وصغارهم.

وحكوا أنهم سمعوا له أزيزًا كأزير النحل، وقد يتكرر ذلك مرات في السنة، ومنها أن القلوب تخشع، والجلود تقشعر عند مشاهدته، ويجاب الدعاء، وتكشف الحوباء بحضرته، وتشفى الأسقام، وتذهب الأحزان والآلام بزورته.

وكل من زاره وتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته قضيت سريعًا.

وكل هذا مشهور متواتر مجرَّب عندنا، نسأل الله تعالى أن ينفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

ومن فضائله العظام الجسام عليه السلام قول نبيِّنا سيد الأنام ﷺ:

«**لا تفضلوني على أخي يونس**[(١)]».

وقال ﷺ: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خير من يونس بن متى**[(٢)]».

وقال ﷺ: «**من قال أنا خيرٌ من يونس بن متى فقد كذب**[(٣)]» رواه البخاري.

قال في الإتقان: ووقع في تفسير عبد الرزاق أن متى اسم أمه، قال: ابن حجر وهو مردود بما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيح، ونسبه إلى أبيه قال: فهذا أصح، قال: ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه.

وقد قيل: أنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس انتهى.

وفي مختصر ابن الوردي لتاريخ المؤيد: أنه من بني إسرائيل من سبط بنيامين عليهم السلام، وقصته على ما ذكره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم: أن قوم يونس عليه السلام كانوا بنينوى من أرض الموصل، فأرسل الله تعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان، فدعاهم فأبوا، فقيل له: أخبرهم أن العذاب مصبِّحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذبًا فانظروا، فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان في جوف الليل خرج يونس

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/٤١٣)، والمناوي في فيض القدير (٤/٤٣٨) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٣/١٢٥٤)، وأبو داود (٤/٢١٧).

(٣) رواه البخاري (٤/١٦٨١)، وابن حبان (١٦/٣٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٣٨).

عليه السلام من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشَّاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم قدر ميل.

وقال وهب: غامت السماء غيمًا أسود هائلاً، يدخن دخانًا شديدًا فهبط حتى غشي مدينتهم، واسودَّت سطوحهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه، فقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، ولبسوا الصوف، وأظهروا الإيمان، والتوبة، وأخلصوا النيَّة، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام، فحنَّ بعضها إلى بعض، وعلت أصواتها، واختلطت أضواؤها، وأصواتهم، وعجوا، وتضرعوا لله عز وجل وقالوا: آمنَّا بما جاء به يونس، فرحمهم ربهم، فاستجاب دعاؤهم، وكشف عنهم العذاب بعدما أظلَّهم، وذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة.

فكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم يرَ شيئًا، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل، فقال يونس عليه السلام: كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتهم؟! فانطلق عاتبًا على ربه مغاضبًا لقومه، فأتى البحر فإذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرٍ، فلما دخلها وتوسط بهم، وولج وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم.

قال أهل السفينة: إن لسفينتنا لشأنًا، قال يونس عليه السلام: قد عرفت شأنها ركبها رجل آبق ذو خطيئة عظيمة، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا، فاقذفوني في البحر، قالوا: وما كنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك!، فاستهموا ثلاث مرات فادحض بسهمه.

رُوي أن الله تعالى أوحى إلى حوت عظيم حتى قصد السفينة، فلما رأوه مثل الجبل العظيم، وقد فغر فاه ينظر إلى من في السفينة كأنه يطلب شيئًا، خافوا، ولما رآه يونس عليه السلام زج نفسه في الماء فابتلعه الحوت.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نودي الحوت إنا لم نجعل يونس لك قوتًا، إنما جعلنا بطنك له حرزًا ومسجدًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ابتلعه الحوت فأهوى به إلى قرار الأرض السابعة، وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات: ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٧]، فأجاب الله تعالى له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر، وهو كالفرخ الممعَّط، فأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين، وهو الدباء قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لتحب القرع، قال: هي شجرة أخي يونس[1]».

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٥١).

فجعل يستظل تحتها، ووكل الله تعالى به، وعلة يشرب من لبنها، فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله تعالى إليه تبكي على شجرة يبست، ولا تبكي على مائة ألف، أو يزيدون، وأردت أن أهلكهم، ثم لقي يونس عليه السلام راعيًا فأخبره بحاله، فعاد الغلام فأخبر قومه بمكانه، فطلبوه فوجدوه في الوادي، فأكبوا يقبلون رجليه ويديه وحملوه إلى المدينة، ثم خرج عنهم سائحًا، وعاد فمات عندهم ودُفن بمكانه الآن في جبل نينوى.

قال الشيخ عثمان الموصلي الخطيب رحمه الله تعالى:

لأَنَّهَـــا مَوصِـــلِ الآلاَءِ والـــنِّعَمِ ... أقـــمْ بِبَلدَتـــنَا الحَــدبَاء وَاستَقِم
جَـــزِيل حـــظٍّ مِن الإِحسَان والكَرَمِ ... أَكْـــرم بِهَـــا مَوطِنًا لِلقَاطِنِينَ بِهَا
فَاحلـــل بِسَاحَتِهَا لا تخْشَى مِن نَدمِ ... يَـــا حسن بَهجَتِهَا يا طِيب نَفحَتِهَا
وَقَـــد حَـــوَت أسدًا في العَزمِ والهِمَمِ ... فَـــيَا لهـــا بَلَـــدًا مَـــا أمحلت أبدًا
أَلفَاظُـــه دُرَر لَكِـــن مِـــن الحِكَـــم ... بَـــل حلّهَـــا قَمـــر لَكِـــنَّه بشرٌ
فَـــانْهَض لِـــزَورَتِهِ يَـــا صاح واغتَنِم ... فَـــازَت بِطَلْعَـــتِهِ طَابَت بِحَضْرَتِهِ
سَـــمَّاه ذَا الـــنُّون مَـــوْلاه مِن القِدَمِ ... رُوحِـــي فَـــدَاه كَالـــنُّون حَاجبه
وَقَـــالَ مَـــا يَنفَع المَكرُوب مِنْ كَلِمِ ... نَـــادَاه في ظُلُمَـــات البَحرِ مُبْتَهِلاً
وقـــال مـــا ينفع المكروب من كلم ... ضَـــجت ملائكة الرحمن حين دعا
نَـــدرِي بِمَوضِـــع هَذَا السَّيِدِ العلمِ ... يَا رَبَّنا نَسْمَع الصَّوتَ الضَّعِيف وَلاَ
حَبَـــستُه وَسَـــأُنجِيه مِـــن الظُّلَـــم ... فَقَال ذَا صَوت عَبدِي يُونس وَلَقَد
نِعـــمَ المَـــلاذُ لِمَن يخشَى مِن النِقَمِ ... أكـــرم بِـــهِ وبِجِرجِيسِ النَّبِي هُمَا
بـــدران قَـــد طَلَعَا في الأَعصَرِ الدهمِ ... لِـــشَأنِ أن قمعَـــا غيثان إن همعا
بـــنفحة لِـــضَعيفٍ هَـــائمٍ كظِـــم ... أحـــبَّه الله جـــودوا واسمحوا كَرَمًا
والقَلـــبُ محتـــرق مَـــا زَال في ضرمِ ... الدَّمـــع مـــتدفق من فَوقِ وَجنَتِه
لكـــل هـــول مـــن الأهوال مقتحم ... فقـــير نفحـــتكم عثمان بخطبكم

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«أوحى الله تعالى إلى الحوت، خذه ولا تخدش له لحمًا، ولا تكسر له عظمًا، فأخذه ثم هوى به إلى سكنه في البحر، فلما انتهى بدا لي أسفل البحر، سمع يونس تسبيحًا فقال في نفسه: ما هذا، فأوحى الله تعالى إليه أنْ هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبَّح وهو في

بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا: يا رُبنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة».

وفي رواية: «صوتًا معروفًا في مكان مجهول» «فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد منه إليك في كل يوم وليلة عمل صالح، قال: نعم فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في السَّاحل[1]».

فذلك قوله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]: أي إذا دعونا واستغاثوا.

قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذاً دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجيب له[2]**».

تنبيه:

الأنبياء معصومون عن الكبائر مطلقًا، وعن الصغائر عمدًا، وما فعله النبي يونس عليه السلام ليس بذنب حاشاه من ذلك، بل هو خلاف الأولى؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أجمعين صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

***

النبي جرجيس عليه السلام[3]

قبره الشريف المحترم في نصف الموصل قديم، ليس كما يقول الناس أن تيمور استخرجه وبنى عليه جامعًا، ولعله كبَّره وضمَّ إليه بعض الأمكنة، أو استحدث فيه شيئًا، والله أعلم.

كان عليه السلام من أهل فلسطين من ناحية مصر.

روى ابن إسحاق عن وهب بن منبه أنه كان في الموصل ملك جبار اختلف النسخ في ضبط اسمه، وفي كتاب السبعيات لأبي نصر الهمذاني اسمه داديانة.

وكان قد ملك الشام كلها، ودان له أهلها، وكان يعبد صنمًا يقال له: أفلون.

وكان النبي جرجيس عليه السلام رجلاً صالحًا من أهل فلسطين، قد أدرك بقايا من حواري

(١) رواه الطبري في التفسير (٨١/١٧)، وذكره ابن كثير في التفسير (١٩٣/٣).

(٢) رواه الترمذي (٥٢٩/٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣٨٢/١).

عيسى عليه السلام.

وكان تاجرًا عظيم المال كثير الصدقة، وكان خائفًا من ولاة الشرك أن يفتنوه عن دينه، فخرج يريد الموصل بهدية عظيمة للملك ليكتب له بعدم ولاية أحد عليه، فدخل عليه، وقد أخرج صنمه يكلف الناس السجود له، فمن أبى عذّبه بأشدِّ العذاب.

فلما رأى النبي جرجيس عليه السلام ذلك كره حاله وبغضه، وحدَّث نفسه بجهاده، فعمد إلى ما معه ففرَّقه في مستحقيه، وأقبل على الملك فزجره، ونهاه عن عبادة الوثن، وأمره بعبادة الله سبحانه وتعالى، وأرشده إلى طريق الحق، فأقبل الملك عليه يسأله عن حاله وأمره ومَنْ هو؟ ومن أين هو؟ فأخبره بأمره وحاله، وحرَّضه على الرجوع إلى الله تعالى، وذكر أحوال الأمم الماضية، وما غشيهم من عذاب الله تعالى ونقمته، وذكر له الأنبياء الماضين، ودعاه إلى الاعتراف بنبوتهم وشرائعهم فغضب الملك، وخيَّره بين عبادة أفلون وبين العذاب، فسبَّه ولعنه وقال: افعل ما شئت، فعذَّبه الملك بأشدِّ العذاب، وأمرَّ على جسده الحديد، وصبَّ على جسمه الخل والخردل، وأحمى المسامير، وسمَّر بها رأسه حتى سال مخه، وحمى حوضًا من نحاس، وأدخله فيه وأطبق عليه، وفي كل ذلك لا يجد الألم، فلما رأى الملك ذلك سأله عن حاله، فقال: إن ربي صبَّرني على عذابك، وخففه عني، فأمر به فسجن، وخاف أن تميل إليه الناس فبطحه على وجهه، ووضع على ظهره أسطوانة من رخام، حملها اثنا عشر رجلاً، فلما جنَّ الليل أرسل الله تعالى إليه ملكًا، وذلك أول ما أيّده الله تعالى بالوحي، وأوَّل وحي جاءه فرفع عنه الصخرة، وحلَّ قيوده، وأطعمه، وسقاه، وبشَّره، فلمَّا أصبح قال: ألحق بعدوِك فجاهد في الله تعالى، فإن الله تعالى يقول لك: بالحق أبشر واصبر، فإني قد ابتليتك بعدوي هذا، يُعذبك ويقتلك مرات، وأعيد عليك روحك، فإذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك، وأوفيت أجرك، فلم يشعر الملك إلا وقد وقف على رأسه، قال: مَنْ أخرجك من السجن؟ قال: مَنْ سلطانه أعظم من سلطانك؟ فأمر به فنُشر قطعتين، ثم قطَّع أجزاءه ورمى به إلى السِّباع فلم تقربه.

فلما أدركه الليل أحياه الله تعالى، وأرسل إليه ملكًا يحرضه على الدعوى، فخرج إليهم صباحًا، فلما رأوه قالوا: ساحرٌ، فدعوا السَّحرة لمعارضته فعجزوا.

وأحيا الله تعالى له الميت فآمن به بعض السَّحرة فقتلوه بالخناجر.

وآمن به خلقٌ كثيرٌ قدر أربعة آلاف فأمر بهم فقُتلوا، واقترحوا عليه أن يعيد كراسيهم وأقداحهم إلى ما كانت عليه قبل القطع، وهي شجر خضر، فدعا الله تعالى فأزهرت وأثمرت، ثم وضعوه في صورة ثور من نحاس، وملأوه رصاصًا، وكبريتًا، وزرنيخًا،

وأوقدوا عليه فمات، فأرسل الله تعالى عليهم ريحًا وغمامًا أسود، وظلمة استمرت عليهم أيامًا، وأمر إسرافيل عليه السلام فأحياه، فخرج لهم من الصورة حيًّا سليمًا، فاقترحوا عليه إحياء الموتى، فدعا الله تعالى فأحيا لهم سبعة عشرة إنسانًا، ثم عمدوا به إلى بيت فأدخلوه، وقطعوا عنه الطعام والشراب، وفي البيت عجوز فقيرة، فخرجت تلقي له طعامًا، وكان في البيت دعامة خشب فاخضرَّت له، وأنبت الله تعالى له أنواع الفواكه فيها، فلما رأته العجوز آمنت به، وكان لها ابن مقعد أعمى أصم فشفاه الله تعالى، فأمر الملك بالبيت فهُدم، وقتل جرجيس عليه السلام وقطَّعه، وأُحرق جسمه وذروه في البحر، فأحياه الله تعالى، وخرج يمشي خلفهم، ثم آمنت به زوجة الملك، وأدخل على بيت الأصنام فركض الأرض برجله فخسف بها، وأمر الملك بزوجته، فقُتلت فدعا عليهم جرجيس عليه السلام، فلما أحسُّوا بنـزول العذاب ضربوه بالسيوف فمات ثم أمطر الله تعالى عليهم نارًا فأحرقتهم، وبقي الدخان المنتن يخرج من المدينة مدة.

وكان جملة من آمن بجرجيس عليه السلام وقتل معه أربعة وثلاثون ألفًا وامرأة الملك، وكان النبي جرجيس عليه السلام في زمن ملوك الطوائف، كذا في سير الإمام الثَّعلبي صاحب التفسير المشهور.

قال الفاضل العمري: وما ذكره الكسائي في سيرهِ من أنه لم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلاً صالحًا مراده أنه حين أُمر عليهم لم يكن نبيًّا، فلمَّا حبسوه جاءه الوحي، وأمره بالدعوى كما ذكرنا، فهو نبي ورسول أيضًا.

وقد كثرت الروايات النَّاصة على رسالته عليه السلام، ومن ذلك ما ذكره الإمام البيضاوي في كتابه المسمَّى (بنظام التواريخ).

قال: ومن الأنبياء الكبار الذين كانوا في أيام الملوك الأشفانيين جرجيس النبي عليه السلام في الجزيرة، وزكريا، ويحيى عليهما السلام في الشام، ومن الحوادث الكائنة في أيامهم واقعة أهل الكهف، وبعث عيسى في زمن سابور بن أشغان انتهى.

وقد صنَّف الشيخ عليّ الدَّباغ الموقت الحلبي رسالة لطيفة في التنصيص على رسالته المعظَّمة، وذكر في آخرها قصيدة يمدحه عليه السلام بها، فرأيت أن أذكر منها ما يقع عليه الاختيار وهي هذه:

وتحايا تنمو لدى الآناءِ صلواتٌ تهدي وطيب ثناءِ
عظيمٌ يليق بالأنبياءِ وسلامٌ من السَّلامِ له سر

منذ كانوا في الدُّرة البيضاءِ   نخب الكون صفوة الخلق طرًّا
لمراضي المولى على الابتلاء   رسلُ الحقِ أعظم الناسِ صبرًا
فأضحت منيرة الأرجاءِ   أشرقت شمسهم على ظلمةِ الدنيا
تُجلى أنوارهم للآلئ   طلعوا في ملابس القربِ والعصمةِ
فاهتدينا حقًّا بذاك الضياءِ   صور الكائنات منهم أضاءت
بالرسلِ سادة الأصفياءِ   أنْ بعض الإيمان بالله أن نؤمن
قدوةٍ للعالمين والأنبياءِ   كلهم مقتدى وطه هو آل
لتجلِّي الصِّفات والأسماءِ   شرف الله قدره واصطفاه
ونبي من قبل خلقِ الماء   فهو مجلى وأن آدم طين
على الكائنات دون خفاء   فهو سرُّ الوجود والنعمة العظمى
بخضوع لطيبة وحياء   فلك الخير أيها القلب تيمم
الكرسي والعرش فضله والسماء   وتأدب لدى ضريح علي
الشوق لتقبيل مسك ذاك الثراء   وأقرعني سلام من مضغة
بحصول الدعا ونيل الرجا   وتوسل لديه فهو كفيل
نلت خيراً بالموصل الحدباء   وإذا جئت للعراق فعرج
إذ [.....][1] السحاب بالأنداء   واسق تلك [...][1] تسح دموع
قد سقاها بعارض الأنواء   وتحرى القبور فابنِ عنين
ذاك أعنيه لا حبيب الطائي   كم حبيب الله مثواه فيها
النبي الكريم ذي الأنداء   وبها النور حف مرقد جرجيس
فسماه سيد الشهداء   بذل النفس للعدى في رضى الحق
الأعين شكري من حرقة الأحشاء   حيث يتلى حديثه تنظر
الحزن فتبدي نفس الصعداء   وتكاد القلوب يذهبها
وأبدى الآيات للبصراء   أمر الكافرين أن يعبدوا الله
لم ينله بأس من الأعداء   وإذا الله كان عونًا لعبد

---

(١) بياض في الأصل.

الأسـد رمـوه ظلمًا لأجل الغذاء　　قطعـوه ثلاثـة وإلى
مالهـا كـسرة وجـرعة مـاء　　حبسوه بالجـوع عـند عجـوز
فاكهـة الـصيف عـاجلاً والشتاء　　أنبـتت فـوقه الدعامـة مـن
حـياة لهـن بعـد فـناء　　وقـبورًا دوارسًـا طلـبوا منه
قـيامًا في زمـره الأحـياء　　فدعـى الله فـيهم فـإذا القـوم
بنعـيم يبقـى بـدون انقـضاء　　آمـنوا فـيه ثم ماتـوا ففـازوا
علـيه عـزة وإبـاء　　لم تـزدهم آياتـه غـير إنكـار
لم تفـده مـواعظ الحكمـاء　　وإذا حلـت الـشقاوة قلـبا
حديـد فمـا ادعـوى للـبلاء　　نـشروه ومـشطوه بأمـشاط
مقعـدًا بـه كـل داء　　وأتـته العجـوز تحمـل ابنًا أبكما
مـا بـه عاهـة مـن الـضراء　　فـدعا الله قـام يـسعى سـويا
فخـرت تـسعى لـذاك الـنداء　　قـال ادعُ الأصـنام نحوي فناداها
فأهـوت خـسفًا بغـير امتـراء　　وبأقدامـه لقـد ركـض الأرض
أطـيعوا لتأمـنوا مـن الـبلاء　　عـندها قالـت أسـلمت قـبل
فتـصيرون عـبرة العقـلاء　　أنـا أخشى أن يخسف الأرض فيكم
حديـد مذيـبة الأعـضاء　　أخـذوها ومـشطوها بأمـشاط
رأسـك تلقـي جـزاء ذي البلواء　　فاسـتغاثت بـه فقـال ارفعـي
خـتمًا لـشدتي وعـناء　　قـال جـرجيس فبلـيت هذا اليوم
في بـلاء تكفـيه شـر الـبلاء　　رب أدعـوك كـل مـن ذكر اسمي
نقلـت حالـه إلى الـسراء　　وأخـو الكـرب أن توسـل باسمي
فأمطرت السحب بنار نزاعة الشواء　　واشـف صـدري مـنهم
خـسروا وهـو حـاز أو في البلاء　　أحـرقتهم فعـندها قـتلوه
مهجـتي مـن كـروبها والعـناء　　سـيدي سـيدي بجـريجيس أنقذ
وأنلـني مـنازل الأتقـياء　　وتـدارك بالجمـع تفـريق قلـبي
ذوي الجـد في جهـاد العـداء　　وتقـبل مدحـي لأحـبابك الغـر
كلمـا يـرتجونه مـن عـلاء　　ربِّ أعظـم مقـامهم وأنلـهم

جامع شامل لكل عطاء | وصلاة السلام ثم سلام
خاتم الرسل صفوة الأصفياء | لحمى أشرف الأنام جميعا
يوم ترجى شفاعة الشفعاء | أحمد الشافع المشفع فينا
لحمى الأنبياء والأولياء | وأوالي الصلاة ثم سلاما
العظمى لأعداء دين ذي الكبرياء | ولجرجيس ذي المجاهدة
واصلات في بكرة ومساء | وإليهم جمعًا صنوف التحايا
من علي موقت الشهباء | وكذاك الصلاة ثم سلام

واختلف في موضع قبرهِ الشريف.

والصحيح أنه بالموصل في محله الآن؛ لأن كل مَنْ أورد قصته ﷺ ذكر أنهم لما رأوا العذاب ضربوه بالسيوف، فقتلوه، وأحرق الله المدينة، وجعل يخرج منها دخان أسود منتن، فهذا يعين كون قبره الشريف في الموصل في مكانه الآن.

فإن القول بنقل جسده الشريف المبارك لم ينقل عن أحد، وأيضًا فالقلوب تخشع، والجلود تقشعر عند مشاهدته، ويجاب الدعاء، وتكشف الحوباء بحضرته، وتشفى الأسقام، وتذهب الأحزان والآلام بزورته.

وكل من زاره وتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته قُضيت سريعًا، وكثيرًا ما تُرى الأنوار تنـزل على مرقده الشريف.

وكل هذا مشهور متواتر مجرَّب عندنا صلوات الله تعالى وسلامه على نبيِّنا وعليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

مقام الخضر ﷺ

قيل: إن في الجانب الأيمن من منبر الجامع النوري مقام الخضر ﷺ: يعني كثيرًا ما يراه الصالحون هناك والله أعلم.

وقيل: إن مقامه بين المحراب والمنبر في الجامع الموسوم بالأحمر حتى قيل: إن مَنْ صلَّى الصبح فيه أربعين صباحًا يجتمع فيه به والله أعلم.

قال وهب بن منبه: الخضر اسمه يلياء بن ملكان بن فالغ بن عابر بن سالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ﷺ.

واختلف في نبوَّته فقال الثعلبي في تفسيره: الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار، قيل

له: إنك لا تموت إلا في آخر الزمان حين يُرفع القرآن.

واختلف في حياته أيضًا، والصحيح أنه حي.

قال ابن الصلاح: الخضر حي عند جمهور العلماء، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وفي شرح مسلم عن الجمهور أنه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند السَّادة الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر.

وعن كعب الأحبار ﷺ «**أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى**[1]»، عليهم السلام أجمعين.

قال وهب: ولما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: إن لي عبدًا من عبادي الذين لم أجعل للشيطان عليهم سبيلاً، وأن مسكنه في جزيرة من جزائر البحر، فانطلق نحو البحر فإنِّي أرشدك إليه، «فسار موسى ومعه فتاه يوشع بن نون عليهما السلام حتى وصلا إلى عين الحيَّات، وأحيا الله السمكة التي كانت مع يوشع؛ لأجل غدائهم، ونسي يوشع أن يخبر موسى، فسارا طويلاً حتى طلب موسى الغداء، فذكر يوشع حياة السمكة، فأخبره بها، فارتدا على آثارهما قصصًا، فوجداه يعبد الله، فسأله موسى عليه السلام المصاحبة، وكان منه ما قصَّه الله تعالى[2]».

وأنا أسأل الله الكريم أن ينفعني ببركاته، ويفيض عليّ من نفحاته، ويمن عليَّ بملاقاته، وأنِّي لم أكن أهلاً لذلك المجد العظيم، والشرف، الجسيم ولو رؤيا منام، والله ذو الفضل العظيم.

***

مقام النبي دانيال عليه السلام

هو في مسجد قديم من بناء المتقدِّمين، والآن هو مهجور لا يُصلَّى فيه، يسمِّيه الناس باب المسهلات؛ لتسهيل الأمور المتعسِّرة فيه.

يزوره المسلمون، ويرون بركته كثيرًا، ولعله عليه السلام لما مرَّ على الموصل حينما جرى

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٣٤)، والزهر النضر في حال سيدنا الخضر عليه السلام للحافظ ابن حجر أيضًا.

(٢) رواه البخاري (٤/١٧٥٧)، وذكره ابن كثير في التفسير (٣/٩٤) بنحوه.

نهر دجلة سكن هناك أيامًا، وكانوا قبل ذلك يشربون من الآبار ومياه الأمطار، فقد ذُكر في خريدة العجائب أنَّ الذي أجراه دانيال النبي عليه السلام قال: إن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام أن أجرِ لي نهرًا لمصالح عبادي، واجعل مصبَّه في البحرِ، وقد أمرت الأرض تطيعك، فأخذ خشبة وجرُّها في الأرض فتبعه الماء، وكلَّما مرَّ بأرض يتيم، أو نحوه ناشده الله تعالى فيُحيد عنها، وهو نهرٌ مباركٌ كثيرًا، ما ينجو غريقه صلوات الله تعالى وسلامه على نبيِّنا، وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، ونفعنا ببركاتهم آمين.

* * *

شمعون الصَّفا [1]

رأس الحواريين أصحاب عيسى عليه وعليهم السلام أجمعين قيل أنه مدفونٌ في بيعة للنصارى في محلَّة من الموصل، يزوره المسلمون قليلاً لكونه في أيدي النصارى، ولم يتحقق عند المسلمين أنه شمعون الصفا، وإلا لما تركوه في أيدي النصارى، فإن الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤].

قال المفسِّرون: هو شمعون، وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام، فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين، فلمَّا قربا من المدينة رأيا حبيبًا النجار يرعى غنمًا، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المرضى، ونبرئ الأكمه والأبرص، وكان له ولدٌ مريض فمسحاه فبرأ، فآمن حبيب، وفشي الخبر فآمن على أيديهما خلقٌ كثيرٌ، وبلغ حديثهما إلى الملك، وقال لهما: ألنا إله سوى إلهُنا؟! قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك؟ قال: حتى أنظر في أمركما فحبسهما، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرًا، وعاش أصحاب الملك حتى استأنسوا به، وأوصلوه إلى الملك، فأنس به، فقال له يومًا:

سمعت أنك حبست رجلين، فهل سمعت ما يقولانه؟ قال: لا، فدعاهما، فقال شمعون: مَنْ أرسلكما، قالا: الله الذي خلق كل شيءٍ، وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر، وأخذ بندقتين، فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل

---

(١) انظر في تفسير القرطبي (٢٣٠/٣)، وتفسير الطبري (٥٩٦/٢) ، وتفسير ابن كثير (٥٦٧/١).

هذا، حتى يكون لك وله الشَّرف، قال: ليس لي عنك سر الهناء لا يبصر، ولا يسمع، ولا يضر، ولا ينفع، ثم قال: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلامٍ مات منذ سبعة أيام، فدعوا فقام وقال: إني دخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شابًا حسنًا يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون، وهذان: يونس ويحيى.

فلمَّا رأى شمعون أن قوله قد آثر فيه نصحه، وآمن به في جمع، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرائيل عليه السلام، فهلكوا جميعًا، والمدينة التي أرسلوا إليها هي مدينة إنطاكية، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباق الأمم ثلاث: حزقيل مؤمن من آل فرعون، وحبيب النجار مؤمن آل يس، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم**[١]» ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

مشهد كفِّ الإمام عليّ رضي الله عنه

يقال له في زماننا: [البهنمة]، وهو مسجد قديم من بناء المتقدِّمين خارج الموصل، قريبًا من السور من الجانب الغربي، على يمين محرابه طاقة، فيها حجر فيه أثر كف مولانا الإمام الهمام الأسد الضرغام، باب مدينة العلم، ليث بني غالب، أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه عنه وأرضاه، وكرَّم وجهه الكريم، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

مشهد النقطة رضي الله تعالى عن مشرفِهِ

هو مشهدٌ قديمٌ بناه بعض الملوك المتقدِّمين خارج بلد الموصل، مقدار ساعة عنها من الجانب الجنوبي، وسبب ذلك لما سقي الإمام الهمام، السِّبط الشهيد، أبو عبد الله الحسين رضي الله عنه كأس الشهادة العظمى بأرض كربلاء، وأرسل برأسه الكريم إلى الشام، فلمَّا وصلوا إلى أرض الموصل نزلوا بالرأس الكريم بجنب دير، فرآه راهب فسألهم عنه فعرَّفوه به، فقال: بئس القوم أنتم! لو كان للمسيح لأمكناه أحداقنا، بئس القوم أنتم، هل لكم في عشرة آلاف دينار، ويبيت الرأس عندي هذه الليلة؟ فأخذه وغسَّله وطيَّبه، ووضعه على فخذه،

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٢٣٨) بنحوه.

وقعد يبكي إلى الصبح، ثم أسلم؛ لأنه رأى نورًا ساطعًا من الرأس إلى السَّماء، ثم خرج عن الدير وما فيه، وبقي يخدم أهل البيت، فبنى هناك مشهدًا ليكون علامة لذلك المكان المشرَّف، وسمُّوه مشهد النقطة رضي الله تعالى عن مشرِّفه، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وأعقاد ومزارع موقوفة لعمارته، وله اسمٌ في الدولة العلية، ويتولى نظارته أحد السادات، ولما تُوفي المولى الظاهر النقيب شرف الدين أبو منصور محمد الحسيني جد السَّادات الحسينية في الموصل، سنة تسعة وسبعين وخمسمائة، دُفن في هذا المشهد الشريف، وكان رحمه الله تعالى نقيب النقباء، وتاج أهل العباء، صاحب المنـــزلة الرفيعة عند الخليفة الناصر لدين الله العباتي، ولي وزارة السلطان مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي سلطان الموصل، وأمه الست عفاف ابنة قاضي القضاة بهاء الدين علي بن أبي القاسم الشهرزوري قاضي الموصل.

ودُفن أيضًا في هذا المشهد الشريف ابنه أبو طاهر شهاب الدين محمد الحسيني، وغيره من السَّادات الحسينية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الإمام حمزة ﷺ[1]

هو ابن الإمام الحسن، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، هكذا تقول ساداتنا الحسينية، ومشهده الشريف خارج بلد الموصل من الجانب الغربي، وهو من بناء الملك (لُولُو) مقدار ساعتين ونصف عنها ﷺ، ونفعنا ببركاته آمين.

***

الإمام عون الدين ﷺ[2]

هو ابن الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، هذا هو المشهور بين المسلمين، وعند السَّادات الحسينية.

له مشهدٌ محترمٌ في وسط العمارة في الموصل من بناء الملك لُولُو، وقبره الشريف

---

(١) انظر: نور الأبصار (ص١٣٦).

(٢) انظر: نور الأبصار (ص١٣٦).

ترياقٌ لسائر الأمراض، رأيت رجلاً كفَّ بصره وأعيا من المعالجة، فذهب لزيارته، وتضرَّع، وبكى، وتوسَّل إلى الله تعالى به، ونام في حضرته الشريفة، فرأى رجلاً كريمًا مهيبًا يقول له: قم فقد شفاك الله تعالى، فقام وقد كشف الله عن بصره ﷺ.

ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وإلى جنب حضرته المنوَّرة مدفن الجعفري: مدفن أجداد ساداتنا الحسينية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

دُفن فيه الولي النقيب الأعظم شرف الدين محمد أبو عبد الله السيد العالم الفاضل الكامل، ملك ملوك السادات والنقباء المرتضى الأعظم، الكبير، الرفيع الذِكر والجاه عند الملوك والسلاطين، رأس جناح قومه، وسيِّد أهله، فضائله أعظم من أن تحدَّ وتوصف.

وُلِي نقابة الموصل وديار بكر كافة، تولَّى دار السيادة بالموصل، والنظر فيها بحكم قدَّس الله تعالى روحه.

تُوفي في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ودُفن في الجعفري بمشهد الإمام عون الدين ﷺ، وكذلك ابنه عز الدين إبراهيم أبو إسحاق المولى النقيب الطاهر، ملك السَّادات والأشراف، خُلاصة آل عبد مناف، المرتضى الأعظم، الجليل القدر، العظيم الذكر، ولي نقابة الموصل وديار بكر، وسار السِّيرة الحميدة رحمه الله تعالى.

تُوفي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة في صفر بالموصل، ودُفن في الجعفري بمشهد الإمام عون الدِّين ﷺ، وكذلك ابنه محيي الدين أحمد أبو العباس المولى النَّقيب الطَّاهر والعَلم الزاخر، نقيب النقباء والأشراف، تاج آل عبد مناف المرتضى الأعظم، الكبير القدر الرفيع الذكر، ولي نقابة الموصل وديار بكر كافة، وسار السيرة الحميدة رحمه الله تعالى.

تُوفي سنة أربع وستين وسبعمائة بالموصل، ودُفن بمشهد الإمام عون الدِّين ﷺ في الجعفري، عند النقيب شرف الدين، وكذلك ابنه المولى النقيب نصر الدين عبيد الله أبو المحامد، النقيب الطَّاهر نقيب النقباء، افتخار آل طه ويس، المخصوص بعناية رب العالمين.

كان رحمه الله تعالى زاهدًا عابدًا فاضلاً، صاحب المنـــزلة الرفيعة عند الملوك والسلاطين خصوصًا عند الأمير تيمورلنك، لما وصل إلى الموصل سنة ستة وتسعين وسبعمائة، وكان عزمه خراب الموصل، فشفع في أهل الموصل، المولى النقيب المذكور فشفَّعه فيهم، وأنعم عليه أنعامًا كثيرة، وقام قدامه قائمًا وأجلسه في جانبه، وأعطاه عشرة آلاف كيلة شاروخية؛ لأجل عمارة النبي يونس عليه السلام.

تُوفي سنة اثنين وثمانمائة بالموصل، ودُفن عند جدِّه النقيب شرف الدِّين في الجعفري، في مشهد الإمام عون الدين ﷺ، وكذلك ابنه المولى النقيب الطَّاهر ركنة الدين الحسن أبو محمد، المولى السيِّد العالم العامل الفاضل الكامل، ملك السادات والأشراف.

خلاصة آل عبد مناف سيِّد قومه، وأشرف آل أبي طالب في عصره، صاحب المنـــزلة الرَّفيعة عند الملوك والسَّلاطين، خصوصًا عند الملك أميرزا شاروخ بهادر، فنال منه العناية العظيمة، وكذلك حصل له المنـــزلة العظيمة عند السلطان جهان شاه، ثم عند الملك الكامل السعيد جهان كيربهادر، ثم عند السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم حسن ياك.

ولي رحمه الله تعالى نقابة الموصل وديار بكر، وسار السِّيرة الحميدة، وتوفي في سنة اثنين وثمانمائة، ودُفن عند والده المرحوم في الجعفري في جوار الإمام عون الدين ابن الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ عنه، وعن آبائه الكرام أجمعين.

وكذلك دُفن فيه العالمان الفاضلان مُلا حمد الجميلي، ومُلا موسى الحدادي رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الإمام عبد الحسن ﷺ(١)

هو ابن الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، هكذا رأيت مكتوبًا على باب مشهده المحترم بالخطِّ القديم، وله مشهدٌ قديمٌ من بناء المتقدِّمين، وعلى مرقده الشريف من الهيبة العظيمة والاحترام ما هو اللائق بذلك المقام ﷺ وعن آبائه الكرام، ونفعنا ببركاتهم أجمعين في الدنيا والآخرة آمين.

وفي جواره أيضًا قبور بعض السَّادات الحسينية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الإمام عبد الرحمن ﷺ(٢)

هو ابن الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين،

(١) انظر: نور الأبصار (ص١٣٦).

(٢) انظر: نور الأبصار (ص١٣٦).

قبره الشريف ترياق مجرَّب لسائر الأمراض، وله مشهدٌ محترمٌ قديمٌ من بناء الملك مسعود بن مودود، هكذا مكتوب على باب مشهدهِ المحترم بالخطِّ القديم. وإلى جانب حضرته المنوَّرة من الجانب الغربي قبر العالم الفاضل السيد فخر الدين الحسيني، وقبور أولاده الكرام: العالم الفاضل السيد يحيى المفتي، والسيد عابد المفتي، والسيد حامد، وأولادهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي حوش هذا المشهد المحترم قبور العلماء الثلاثة المرحومين:

السيد خليل الحافظ، والسيد حسن المفتي، والسيد قاسم، وغيرهم من السَّادات الكرام الحسينية الذي عمَّت بركة أحياءهم وأمواتهم على بلدتنا الموصل المحفية.

يرى ذلك مَنْ أحبَّهم، وينكر ذلك من أبغضهم، اللهم انفعنا ببركاتهم، وأحينا على مودتهم، واحشرنا في زمرتهم.

قال الإمام الشافعي ﷺ:

آل النَّبِــــي ذرِيعَتِـــــي وَهُـــم إلَيــهِ وَسِـيلَتِي

أَرجُـو بِهِـم أُعطِـي غَـدًا بِيَـد الـيمين صَـحِيفَتِي

نفعنا الله تعالى ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

الإمام حامد والإمام محمود رضي الله تعالى عنهما [1]

هما ابنا الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هكذا رأيت مكتوبًا على باب مشهدهما المحترم، وغيرهما في بئر وفوقه صندوق كبير، ولهما مشهدٌ قديمٌ من بناء بعض الملوك المتقدِّمين، يزورهما المسلمون كثيرًا، ويرون بركاتهما، وقد جرِّبت زيارتهما لقضاء الحوائج رضي الله عنهما، وعن آبائهما الكرام أجمعين.

***

(١) الحامد والمحمود هما ابنا الإمام سيدنا الكاظم وهو ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب مكتوب هنا ابن الحسن (خطأ) هذا يصل نسبه إلى الحسين.

أولاد الإمام الحسن رضي الله تعالى عنهم

لهم مشهدٌ قديمٌ في سوق الصَّاغة من بناء المتقدمين.

وفيه بئرٌ يُقال أن بعض أولاد الإمام الحسن ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين طلبهم عدوٌ فدخلوا في هذا المكان، وطرحوا أنفسهم في البئر الذي فيه، وبقيت قبرهم، والله أعلم.

ويتولى نظارة هذا المشهد الشريف أحد السادات الحسينية.

ولم اطَّلع على أسمائهم رضي الله عنهم.

يزورهم المسلمون كثيرًا، ويرون بركتهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الإمام يحيى ﷺ (١)

هو ابن الإمام القاسم، ابن الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هكذا مكتوب على قبره الشريفة بالخط القديم اللطيف، وهكذا مكتوب على المصحف القديم الموقوف على حضرته المنوَّرة، وأمه الكريمة بنت الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

تزوجها أبوه في كربلاء، ثم استشهد مع عمه الإمام الحسين رضي الله تعالى عنهما، ويكفي فخرًا لهذا الإمام الهمام أن له جدين كريمين الإمام الحسن والإمام الحسين، وهما سلالة الزهراء المطهَّرة البتول بضعة المصطفى الرسول ﷺ.

وقد جرب واشتهر في بلدنا بأن كل من زاره، وتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته تُقضى سريعًا، وسمعت من ثقاة أهل البيت أنه قد كُشف عن قبره الشريف المنوَّر في بعض السنين، فرأوا جسده الشريف المطهَّر طريًّا، لم يتغير رضي الله تعالى عنه وعن آبائه الكرام، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

(١) انظر: صحاح الأخبار للمخزومي (ص٥٤).

الإمام زيد ﷺ(١)

هو ابن الإمام محمد، ابن الإمام زيد، ابن الإمام زين العابدين عليّ السجاد، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. هكذا مكتوب على قبره الشريف بالخطِّ القديم اللطيف، وله مشهدٌ قديمٌ من بناء بعض الملوك المتقدمين يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبرَّكون به، ويرون بركته، ويستشفون به من أمراضهم، وقد جُرِّبت زيارته لشفاء الأمراض، وقضاء الحوائج ﷺ، وعن آبائه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

❋ ❋ ❋

الإمام عبد الله الباهر ﷺ(٢)

هو ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، هكذا ثبت في سائر كتب الأنساب.

وسُمي بالباهر لفرط جماله، وله مشهدٌ قديمٌ من بناء الملوك المتقدمين، يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون به ويرون بركته.

وقد اشتهر وجرب كثيرًا أن زيارة قبره المحترم سببٌ لكشف الكروب، وجلاء القلوب، وذهاب الأحزان، ودفع ضرر الشيطان، وشفاء الأمراض ﷺ، وعن آبائه الكرام أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

وعند باب حضرته المنوَّرة قبر الرجل الصالح السيد بكتاش الحسيني، وخارج هذا المشهد المحترم قريبًا منه من الجانب الجنوبي قبور أحد أجداد بعض ساداتنا الحسينية منهم: السيد محمد، والسيد عبد الغفار وغيرهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

❋ ❋ ❋

(١) وهو صاحب المسند، والمذهب الزيدي، وانظر: تاريخ دمشق (٢٢/١٢١).

(٢) انظر: نور الأبصار (ص١٥٧).

الإمام إبراهيم المجاب ﷺ(١)

هو ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وله مشهدٌ قديمٌ محترمٌ من بناء الملوك المتقدمين، وقد اشتهر بين المسلمين في بلدنا، وجُرِّب كثيرًا أن قبره الشريف ترياقٌ لسائر الأمراض ﷺ وعن آبائه الكرام أجمعين، ونفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

الإمام علي الهادي ﷺ(٢)

هو ابن الإمام علي الهادي، ابن الإمام محمد الجواد، ابن الإمام عليّ الرِّضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هكذا مكتوبٌ على قبره الشريف بالخط القديم اللطيف، وله مشهدٌ قديمٌ من بناء المتقدمين يزوره المسلمون، ويرون بركته، وقد اشتهر في بلدنا، وجُرِّب أيضًا أن زيارة قبره الشريف سبب لقضاء الحاجات، ودفع الملمات، وشفاء الأسقام، وذهاب الآلام ﷺ وعن آبائه الكرام ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الإمام علي الأصغر ﷺ(٣)

هو ابن الإمام محمد ابن الحنفية، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هذا هو المشهور المتواتر بين المسلمين، وله مشهدٌ قديمٌ محترمٌ من بناء الملوك المتقدِّمين، وفي داخل مشهده المحترم عند باب حضرته الشريفة قبرٌ كبيرٌ قديمٌ يُقال أنه قبر الملك (لُولُو) صاحب الموصل، والله أعلم.

وقد اشتهر وتواتر في بلدتنا أنَّ قبره الشَّريف ترياقٌ لسائر الأمراض والأسقام، ولا

---

(١) انظر: نور الأبصار للشبلنجي (ص١٦٧).

(٢) انظر: صحاح الأخبار للواسطي (ص٥٦).

(٣) انظر: صحاح الأخبار للواسطي (ص٥٦).

يزوره أحد، ويتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته إلاَّ قُضيت سريعًا ﷺ وعن آبائه الكرام ونفعنا ببركاتهم آمين.

***

السِّت شاه زنان رضي الله تعالى عنها(١)

هي أمُّ الأئمة التسعة: أي الإمام زين العابدين، وابنه الإمام محمد الباقر، وابنه الإمام جعفر الصادق، وابنه الإمام موسى الكاظم، وابنه الإمام علي الرِّضا، وابنه الإمام محمد الجواد، وابنه الإمام علي الهادي، وابنه الإمام الحسن العسكري، وابنه الإمام محمد الحجة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهي حرم الإمام حسين ﷺ لم يتزوج غيرها، وهي أم الإمام زين العابدين علي السَّجاد ﷺ هذا هو المشهور المتواتر في بلدنا.

رُوي أن الإمام عمر بن الخطاب ﷺ لما فتح الله تعالى على المسلمين القادسية في زمن خلافته، جاءوا بثلاث جوارٍ فائقات يقال أنهن من بنات كسرى، فأمر الإمام عمر ﷺ أن يُنادى عليهن في السوق.

فقال الإمام عليّ ﷺ: لا يليق بهن أن يُنادى عليهن كباقي الجوار؛ لأنهن من بنات الملوك، قال: نعم ولكن أذلهن الشرك فاشتراهن الإمام عليّ ﷺ بجملة عظيمة من المال، ووهب لابنه الحسين واحدة، ولمحمد بن أبي بكر الصديق واحدة، ولعبد الله بن عمر واحدة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فوُلد للحسين زين العابدين الإمام المشهور، وولد لمحمد القاسم فقيه مكة المشهور، وولد لعبد الله سالم فقيه المدينة المشهور رضوان الله تعالى عليهم وعلى آبائهم أجمعين.

فهؤلاء الأئمة الكرام الثلاثة الأمجاد أولاد خالة، وكانت أشراف العرب ترغب عن نكاح الجواري العجميات، حتى رأوا هؤلاء الأئمة الثلاثة الأمجاد فرغبوا فيهن.

وقبرها الشريف في الموصل، ولها مشهد قديم محترم من بناء الملوك المتقدمين يزروها المسلمون كثيرًا ويتبركون بها.

وعند زيارتها يخشع القلب وتذرف العين، ويجاب الدعاء، ويكشف الكرب، وتُشفى الأسقام، وقد جُرِّب ذلك كثيرًا رضي الله عنها وعن أولادها الكرام ونفعنا الله ببركاتهم في

(١) انظر: موسوعة آل البيت للزيني.

الدنيا والآخرة آمين.

***

الست فاطمة النبوية رضي الله تعالى عنها[١]

هي بنت الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هكذا مكتوب على باب مشهدها المحترم، وهو مشهد قديم محترم من بناء الملوك المتقدمين تاريخ عمارته سنة [....[٢]] وأربعمائة من الهجرة، هكذا رأيت مكتوبًا على باب مشهدها المحترم بالخطِ القديم، وليس في داخله قبر، فالظاهر أنه قد سكنت هناك أيامًا السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها، فتشرف ذلك المكان بسُكناها فبنوا عليه هذا المشهد المحترم؛ لئلا تندرس آثارهم رضي الله تعالى عنهم.

والآن يزوره المسلمون ويتبرَّكون به، ويرون بركته كثيرًا رضي الله تعالى عنهم وعن آبائها الكرام أجمعين.

***

الست كلثوم رضي الله تعالى عنها[٣]

هي بنت الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا هو المشهور المتواتر في بلدتنا، وعن سادتنا الحسينية، ولها مشهد قديم محترم من بناء بعض الملوك المتقدِّمين، تهدم فعمَّره بعض الناس، ولعل هذه السيِّدة الطاهرة المطهَّرة الكريمة هي أم الإمام الهمام يحيى، ابن الإمام القاسم، التي تزوج بها أبوه الإمام القاسم في أرض كربلاء، والله أعلم.

وقد جرب كثيرًا أن من زارها وتوسل إلى الله تعالى بها في قضاء حاجته قُضيت سريعًا، رضي الله تعالى عنها وعن آبائها الكرام أجمعين.

---

(١) ضريحهاالشريف بالقاهرة، بمسجدها.

(٢) بياضٌ بالأصل.

(٣) انظر: موسوعة آل البيت.

الست نفيسة رضي الله تعالى عنها [(١)]

هي بنت الإمام الحسن، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عنهم أجمعين والظاهرات هذه السيدة الكريمة من أولاد أولاد الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه؛ لأن المذكور في طبقات الأخبار: أن السيدة نفيسة رضي الله عنها مدفونة في بلد مصر وفي الموصل أمكنة متعددة يُسمّى كل واحد منها بمقام السيِّدة نفيسة، مكان قريب من السور في مسجد قديم، ومكان آخر بقرب السوق، ومكانان آخران وليس فيها قبور فالظاهر أنها أمكنة سكناها ومتعبداتها رضي الله تعالى عنها، أو متعبَّد نفيسة أخرى من أهل البيت النبوي المطهر، فكلهم مطهَّرون وكرام وكل هذه المواضع يُزار ويتبرك بها رضي الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

سلطان أُويس القرني رضي الله عنه [(٢)]

له مقام قديم في بلدنا، وفوقه مشهد محترم قديم من بناء المتقدِّمين، يزوره المسلمون كثيرًا ويرون بركته، وقد جُرِّب كثيرًا، واشتهر في بلدنا أن كل ولد يكون سيء الأخلاق، قليل المنام، كثير الأسقام، يزور هذا المقام الشريف يهدأ ويبرأ بإذن الله تعالى سريعًا، ويكفي شرفًا وفخرًا لمشرِّف هذا المكان ما ورد في الخبر عن نبينا ﷺ: «**خليلي من هذه الأمة أُويس القرني**[(٣)]».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب مِنْ خلقه الأصفياء الأخفياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخميصة بطونهم الذين إذا غابوا لم يفقدوا، وإذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المنعمات لم ينكحوا وإن طلعوا لم يُفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وما أُويس القرني؟ قال: أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/٥٨)، وفوات الوفيات (٢/٣١٠)، ووفيات الأعيان (٢/ ١٦٩)، والعبر للذهبي (١/٣٥٥).

(٢) انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/١١١)، وحلية الأولياء (٢/٧٩)،وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨٦)، ولسان الميزان (١/٤٧١).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/١٦٣).

الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رامٍ ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يبكي على نفسه ذو طمرين: أي ثوبين خلقين لا يؤبه له: أي لا يبالى به ولا يلتفت إليه متزر بإزار صوف، ورداء من صوف، مجهول في الأرض معروف في السماء لو أقسم على الله لأبّره، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة وقيل لأويس: اشفع فيشفعه الله تعالى في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا عليّ إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما [1]».

ولقد اجتمع به السيدان عمر وعليّ رضي الله تعالى عنهما في السَّنة التي مات فيها عمر ﷺ، التقيا معه باراك عرفات وهو يرعى الإبل، وعرفاه بالأوصاف، وسألوه الاستغفار لهما بعد أن سلما عليه فردَّ عليهما السلام، وقال: مَنْ أنتما؟ قال عليّ ﷺ: أمَّا أنا فعليّ بن أبي طالب، وأما هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فاستوى أُويس ﷺ قائمًا، وقال: جزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيرًا، قالا: وأنت جزاك الله تعالى عن نفسك خيرًا، فقال له عمر ﷺ: مكانك رحمك الله تعالى حتى أدخل مكة، فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، فعرفني ما أصنع بالنفقة ما أصنع بالكسوة، أما ترى عليَّ إزارًا من صوف ورداءً من صوف! متى تراني أخرقهما؟! أما ترى أن نعليَّ مخصوفتان متى تراني أُبليهما؟! أما تراني أني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟! فلمَّا سمع عمر ﷺ ذلك ضرب بدرَّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها كانت عقيمًا لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها: يعني الخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فذهب عمر ﷺ ناحية مكة، وساق أُويس إبله فوافى القوم فأعطاهم إيَّاها، وخلى الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله ﷻ.

ورأيت في كتاب (بحر الأنساب) أنه ﷺ قتل بصفين بالقرب من البيرة مع مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وقبره الشريف هناك مشهور يُزار في سنة ستة وثلاثين من الهجرة، وغسَّله أمير المؤمنين ودفنه بيده الشريفة، وله ﷺ هذا المقام في بلدنا المشهور بمقام السلطان أُويس القرني، فلعله ﷺ قد تعبَّد فيه أيامًا، والله أعلم.

والظاهر أن لقب السلطان له مأخوذ من قوله ﷺ في حقّه خير التابعين، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيد بن جبير، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

(١) ذكره القزويني في التدوين (١/٩٣)، والذهبي في السير (٤/٢٧).

تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**خير التَّابعين رجلٌ يُقال له: أُويس، يأتي عليكم في أمداد اليمن لو أقسم على الله لأبَرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**[١]».

فلمَّا قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سأله أن يستغفر له فاستغفر له الحديث بطوله.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر** قال الحسن: هو أُويس القرني رضي الله تعالى عنهما[٢]»، وفي حوش هذا المقام الشريف قبور كثير من السادات الحسينية والأكارم الأشرفية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الإمام أبو جعفر محمد ﷺ[٣]

هو ابن الإمام علي الهادي، ابن الإمام محمد الجواد، ابن الإمام عليّ الرِّضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، نقل ياقوت الحموي عن عبد الكريم بن طاوس أن قبره الشريف في بلد بالاتفاق، وهي التي تُسمَّى في زماننا أسكى موصل، قال: في معجم البلدان هي بلد، قال: وربما قيل: بلط بالطاء المهملة اسمها بالفارسية شهرآباد هي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخًا قالوا: إنما سمِّيت بلط؛ لأن الحوت ابتلعت يونس ﷺ (بنينوى) مقابل الموصل، وبلطته هناك، قال: وهذا القول أقرب من القول بأن السفينة التي ركبها يونس ﷺ كانت في البحر المالح، والله أعلم.

وفي بلد البلدة المذكورة من الشيوخ والصدِّيقين جماعة كثيرة، لكنها اندرست مشاهدهم باندراس المدينة منهم: أبو العباس أحمد بن إبراهيم، ويعرف: بالإمام البلدي، كان إمامًا فاضلاً كثير الحديث، روى عنه جماعة، وانتفع به خلق كثير من أهل العراق وغيرهم.

---

(١) رواه مسلم (١٩٦٩/٤)، والحاكم في المستدرك (٤٥٦/٣)، بنحوه.

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٦٧/٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤٥٧/٣).

(٣) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (٢٨/١).

ومنهم: أبو منصور محمد بن عليّ، ابن محمد، ابن الحسين، حفيد أبي منصور الأوّل كلهم شيوخ أفاضل رووا عن المشايخ بحلْة، وتخرَّج بهم خلق كثير لا يحصون وقبورهم مندرسة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

❋ ❋ ❋

الشيخ محمد ﷺ[1]

له مشهد قديم محترم في جامع المنصورية، يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون به، ويرون بركته كثيرًا، وهو من كبار الأولياء المتقدِّمين.

قال لي بعض المسلمين: هو ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني، هكذا مكتوب على قبره الشريف بالخط القديم اللطيف، وسيدنا ومولانا الشيخ عبد القادر الكيلاني هو ابن أبي صالح جنك دوست، ابن عبد الله، ابن يحيى الزاهد، ابن محمد، ابن داود، ابن موسى الثاني، ابن عبد الله الرِّضا، ابن موسى الجون، ابن عبد الله المحضر، ابن الحسن المثنا، ابن الإمام الحسن السِّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد جرِّبت زيارته لشفاء الأسقام وقضاء الحوائج ﷺ، وعن آبائه الكرام أجمعين، وفي هذا الجامع المذكور من الجانب الشرقي قبر الرجل الصالح الشيخ (مصطفى بن أحمد) مدفون في زاويته يُزار ويُتبرك به، رحمه الله تعالى.

❋ ❋ ❋

الشيخ عيسى ﷺ[2]

الشهير بدده، قيل أن بعض الدَّراويش سكن في مشهده الشريف أيامًا، فغلب ذلك اللقب عليه ﷺ، وهو من كبار الأولياء المتقدِّمين، له مشهد قديم محترم من بناء المتقدِّمين يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون بزيارته، ويرون بركته، وله عقار ومزارع موقوفة عليه، وله اسم في الدولة العليَّة، ويتولى نظارته أحد السادات الحسينية، والمشهور أنه ﷺ ابن سيِّدنا ومولانا الشيخ عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى (جنك دوست)، ابن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى

---

(١) انظر: صحاح الأخبار للمخزومي (ص٥٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، ونور الأبصار (ص١٨٣).

الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّا ابن الإمام الحسن السبطة، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

وقريبًا من مشهدهِ الشرِّيف قبر الرجل الصَّالح المجذوب صاحب الكرامات الكثيرة الحاج خضر رحمه الله تعالى، والآن قبره ترياق للحميات، ويزوره المسلمون كثيرًا وقريبًا من هذا المشهد الشريف بمقدار غلوة مقبرة مدفون فيها كثيرٌ من السَّادات الكرام الحسينية، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ أبو الوفاء رضي الله عنه[(١)]

هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن أبي العريضي الأكبر، ابن الإمام زيد، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السِّبط، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

هكذا رأيت في كتاب (بحر الأنساب) وهو من كبار الأولياء المتقدمين، وقبره الشريف خارج البلد قريبًا من سورها من الجانب الغربي، كان له مشهد قديم محترم هدم يوم حاصر الموصل (نادر شاه)، ولما خذله الله تعالى ببركات الأنبياء والأولياء المدفونين فيها، ورجع خائبًا خاسرًا بنى الوزير الحاج حسين باشا الجليلي عليه قبة، وجدد قبره الشريف، والآن يزوره المسلمون، ويتبرَّكون به، ويرون بركته، وقد جُربت زيارة قبره الشريف لقضاء الحوائج، وتفريج الكروب، وذهاب الهموم والغموم رضي الله عنه وعن آبائه الكرام ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ قضيب البان الموصلي رضي الله عنه[(٢)]

هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى بن عبد الله بن أبي جعفر محمد الثعلب بن عبد الله الأكبر، ابن محمد الأكبر، ابن موسى الثاني، ابن عبد الله، ابن موسى الجون، ابن عبد الله المحض، ابن حسن المثنا، ابن الإمام الحسن السِّبط، ابنْ الإمام عليّ بن أبي طالب

---

(١) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (١١٦/١).

(٢) انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (٦٩٣/١).

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأمه الكريمة أم الخير زهرة بنت أبي الرِّضا يحيى بن أبي الغنائم محمد بن سيف الدين موسى المبرقع، ابن أبي زيد الإمام محمد الجواد، ابن الإمام عليّ الرّضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، والسبط ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

كان ﷺ وأرضاه جليلاً جميلاً حسن الشكل والقد، ولذلك سموه قضيب البان وغلب عليه المشيخة، فقيل الشيخ قضيب البان، وهو ﷺ من السيادة في أشرف مكان، وكان ﷺ معتقد الملوك والخلفاء العباسية، تُوفي أبوه وهو صغيرٌ وضمه إليه السيد الشريف عبد الله بن يحيى الموصلي وأحسن تربيته، وُلد ﷺ بالموصل في شهر رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وتُوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وفي تاريخ المؤيد أنه ﷺ تُوفي سنة سبعين وخمسمائة تقريبًا، ولم يكن في آل الحسن في عصره مثله، ولا في الموصل من السادة الحسنية غير أهل هذا البيت كلهم أماجد، وقضيب البان غرة جبهة هذا البيت، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وغالب سادات الموصل من أبي الحسن عبد الله الأعرج أبي الحسين الأصغر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ويكنَّى أبوه ﷺ بأبي ربيعة، وجده بأبي الخضر، وكلهم أفاضل بحر بن بحر، تُوفي أبوه وله اثنتا عشرة سنة، وتعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين، وأحسن علم القراءة والتجويد والعربية، وشيئًا من فقه الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وأخذ الحديث والفقه عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن إدريس وغيره، وصحب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولبس منه الخرقة، وصحب الشيخ الأجل حياة بن قيس الحرّاني، والشيخ عدي بن مسافر الهكاري، وتلمذ لمشايخ عديدة كبار كلهم أقطاب، فخرقت له العادات، وظهرت على يده الكرامات، وكانت له قدم راسخة في قطع المسافات البعيدة في اللحظات اليسيرة، وكان يصلّي إمامًا بالشيخ عدي بن مسافر ثم استدعاه الشيخ عبد القادر الكيلاني، فصلّى به نحو عشرين سنة، وكان يطول له الزمان فيفعل في الوقت اليسير من أعمال البر ما لا يقدر على حمله في الشهور الكثيرة، تطوى له الحروف والكلمات، ويطول له الزمان فكان يختم القرآن في اليوم سبعين ختمة، وكان له التصريف في العالم العلوي والسفلي، وطارت مناقبه في جميع الأقطار، وكان الغالب على أحواله في بداية أمره الاستغراق والوله، ثم انتقل

إلى مرتبة القطبية والتصريف، وكان في أول أمره ربما شطح فقطع الهامة البعيدة في الزمن اليسير، ثم يعود إلى محله.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: وجهت وجهي إلى الله تعالى، واستغرقني الحال، واختطفني الشهود زمانًا حتى تداركني الله تعالى بالعناية، ورأيت الحق تبارك وتعالى في منامي فقال لي: أنت عبدي حقًا قد جعلتك من أهل صفوتي، وأيدتك بروح مني في خلقي، ارجع إلى خلقي على سنة جدك محمد عبدي ورسولي ﷺ، فلما رجعت إلى حسي رأيت النبي ﷺ وابن عمه عليًا ﷺ واقفين على رأسي، آخذًا كل منهما بيدي رضي الله تعالى عنهما، وكان الشيخ حياة بن قيس الحرَّاني ﷺ يحبه محبة عظيمة، وكان يلازم مجلسه، ويتزاوران وما كان يقع عليه بَصر أحد إلا أحبه وهابه واجتذب قلبه، وكان الناس يقصدونه من كل قطر وناحية، ويستشفون به من كل عارض، وكانت الموصل والعراق في زمنه آمنة من القرع والخطف، وحملوا إليه أعمى مقعدًا، فصرخ صرخة عظيمة انصدعت لها القلوب، فقام يمشي بصيرًا، واكتبوا على أقدامه يقبلونها، وهو ﷺ يتبسَّم.

ومن كلامه ﷺ: لكل زمان فرد يخلو بأسرار الله تعالى، ويقوم وحده بأمر الله تعالى فلا تتحرك ذرة في العالم العلوي والسفلي حتى يحيط بها علمًا، ويراها عينًا ويعطيها من الوجود فيضًا لبقاء عينها.

وقال بعض أصحابه: كنَّا نراه سنة لا يأكل ويشرب، وسنة لا يشرب ويأكل، وسنة لا يأكل ولا يشرب، وكان يتطور بأي هيئة شاء، وكنَّا نراه ينمو حتى يملأ البيت، ويصغر حتى لا يكاد يُرى، ويعلو في الجو حتى يغيب في السماء، ثم يهبط نازلاً، وسُئل عن حالة نموه فقال: هي حالة الجمال، وعن حالة اضمحلاله فقال: هي حالة الجلال، وكان يسكن بقصرٍ له في المعلا، وكان للقصر طاقات كثيرة من جوانبه الأربعة فوق أربعين طاقة، فمرَّ الخليفة العباسي على القصر، فناداه من أسفل القصر، والناس ينظرون فنظر الشيخ إليه من جميع الطاقات، فدخل الخليفة عليه، وصار يقبِّل قدميه وهو يبتسم في وجهه.

وذكر يومًا عند الشيخ رضي الدين يونس في مدرسته، فوقعوا فيه، ووافقهم يونس، فبينما هم كذلك إذ دخل السيد قضيب البان فبهتوا فقال: يا يونس هل تعلم علم الله كله؟ فقال: لا، فقال: فإن كنت أنا مِن علم الله الذي لا تعلمه فلم يدرِ يونس ما يقول، ثم خرج عنهم فتبعه أبو محمد عبد الله الماردينى، وكان في الجماعة يريد أن يطَّلع على بعض أحواله فرقبه إلى الليل، فخرج من الموصل، وقد فتح الله تعالى له الباب، وكان مغلقًا ومشى، حتى انتهى في زمانٍ يسير إلى نهرٍ عنده شجرة عليها ثياب معلَّقة فاغتسل ولبسها،

وقام يصلّي إلى الفجر، وغلب النوم على المارديني، فاستيقظ فلم يره فوقف متحيِّرًا فمرَّ به ركب فسألهم عن الموصل، فقالوا: هي على قدر ستة أشهر عنَّا، فمكث إلى الليل، فإذا بالسيِّد قضيب البان قد أقبل، وعمل عمله الليلة السَّابقة، فلمَّا أضاء الفجر تبعه المارديني، فما كان إلا يسير حتى وصل إلى الموصل، والتفت إليه فعرك أذنه، وقال: لا تعد إلى الإنكار، وإياك وإفشاء الأسرار، قال: وصلينا الصبح مع الناس، وكان قاضي الموصل مسيء الظن بالسيِّد قضيب البان في بداية أمره، وعزم أن يكلِّف السلطان إخراجه من الموصل، ولم يقل لأحد عمَّا في نفسه، فلقيه في بعض الأزقة منفردين، وتمنى لو كان معه أحد ليأمره بإمساكه، فتحول إلى هيئة كُردي، ثم انتقل إلى صورة جندي، ثم في صورة بدوي في أربع خطوات خطاها، ثم قال للقاضي: يا قاضي هذه أربع صور رأيتهن، فمن هو قضيب البان من هذه الصور حتى تقول للسلطان في إخراجه من الموصل؟ فلم يتمالك القاضي أن أكبَّ على يديه وقدميه يقبلهما، واستغفر الله تعالى من ذلك الخاطر.

ولما تُوفي الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان قد أوصى ألا يُغسِّله غير السيد قضيب البان، والشيخ شهاب الدين السهروردي فحضرا فغسَّله السيد قضيب البان، وصبَّ الماء السهروردي، ونزل في قبره السيِّد قضيب البان، وكان يُدعى هو ومريدوه إلى بيوت الناس في الليلة الواحدة، فيجيب كل داعٍ عزم عليه، وإن كانوا عشرين، ثم يدخلهم قصره ويشتغل معهم بالتوحيد، فكان كل واحدٍ منهم يراه في بيته ويقوم بخدمته وخدمة أصحابه، وهو لم يفارق زاويته، وكان يُرى في مواضع كثيرة متعددة بهيئات متخالفة في الوقت الواحد، ودعاه الخليفة إلى بيته، فأجابه وكان الخليفة إذ ذاك في الموصل، ثم دعاه الشيخ أبو العشائر الموصلي فأجابه، ثم صلَّى المغرب في رباطه، وسار بالمريدين إلى بيت أبي العشائر، وصارت لهم ليلة عظيمة إلى الفجر، ثم رجع إلى زاويته فدخل عليه حاجب الخليفة يتشكَّر إليه ليلته وحضوره عنده ومعه هدية سنية ونفقة كثيرة للفقراء الملازمين لزاويته، فتعجَّب الناس من قوته، وتمكنه في ولايته.

وكان مشايخ عصره يقولون:

إنما حال الشيخ قضيب البان من وراء العقول، ومن كلامه أن الولي الروحاني لم تزل له همة متعلقة في كل دار وعالم، وله لكل عالم وجه يرى به أهل ذلك العالم على حسب مراتبهم ومقاماتهم، وإذا صرَّفه الحق تبارك وتعالى في عالم الحس لم يزل تصريفه باقيًا على حسب ما وهبه الحق تعالى من قوة سريان روحانيته، خصوصًا في دار الدنيا؛ فإنها محل

الظهور، وإذا مات سرى سره في مقامه الذي كان يتعبد الله تعالى فيه في الدنيا، وتعلقت همته بما له من أصحاب وذرية ومريدين، ولم تزل له فيهم آية بعد انتقاله من دار الدنيا، فلمَّا نُقل ﷺ من دار الدنيا كان يشاهد أكثر أصحابه يتعبَّد الله تعالى في رباطه، ويتردد إليه في أوقات متعددة على هيئته المعروفة، ويرونه في النوم والخيال إذا قصدوه، وكانت له أخت في الموصل ضريرة حافظة للقرآن قد كبر سنها حتى جاوزت مائة سنة، وكانت مُقعدة فكان يحسن مداراتها، ولما تُوفي كانوا يرونه يتردد إليها بصورته، وكانت تسأله عن أحوال الآخرة فيجيبها، ويقضي مهمَّاتها وحوائجها حتى انتقلت إلى رحمة الله تعالى، وهذه الأحوال لم تتفق لغيره ﷺ وأرضاه.

وكان من كراماته الباهرة: أن رباطه إذا دخله جنب احترقت ثيابه من غير نار، وكان يُسمع من قبره الشريف قراءة القرآن كله خصوصًا يس في ليلة الجمعة، وكان قنديل حضرته المشرَّفة يُرى من المسافة البعيدة مشعولاً فإذا دخل الرائي مقبرته لم يرَ الذي كان يراه من البعد، وما كان يقع في ضمير أحدٍ من الداخلين عليه شيء إلا أخبره به، وكشف له عن مشكلاته، وكان يطعمهم الثمار الطرية من الأشجار اليابسة، ويظهر لهم قلب الأعيان حتى يكون الجماد حيوانًا والحيوان جماد.

وعن الشيخ أبي الفتح المقدسي قال: كنت في بداية أمري في سنجار مجاور الجامع النوري على سبيل التجريد والتوكل، وكنت أحبُّ الاجتماع بالشيخ قضيب البان إلا أني مُقعد لا أقدر على المشي ولا أستطيع الركوب لداء لَحَقني، قال: فدخل عليَّ ذات ليلة بعد صلاة المغرب رجل، فسلَّم عليَّ وجلس إلَيَّ، وأَنسني، ثم أخرج لي حلوى وأطعمني، ثم قال لي: كم تطلب من الله تعالى أن يجمعك بقضيب البان؟ فقلت: بلى يا سيدي إن لي زمانًا أتمنى على الله ذلك، فقال: أنا الفقير الذي طلبته من الله تعالى، قد أرسلني الحق تبارك وتعالى إليك، فوقعتُ على أقدامه أقبلها، ثم دعا لي، ومسحَ على بدني فعوفيت، وكاشفني بكل أحوالي وخواطري التي كانت مني ونسيتها، وعاهدني، وألبسني طاقية، وقام يُصلّي الليل كله، ويختم القرآن في ركعاته، وودعني عند الصبَّاح وانصرف عني، فأقبل عليَّ أهل البلد بالقبول، وجعلوا يتبركون بي وروَّجوني، ولم أكن أقرأ ولا أكتب ففتح الله تعالى عليَّ ببركته كل باب خير، فكنت كلما أشتاقه أراه حاضرًا إلى جانبي.

وقال الشيخ أبو المكارم:

كنت في جزيرة ابن عمر فصحبني رجلٌ صالحٌ من أهلها، ودعاني إلى منـــزله فأكرمني، وذكر لي أن عليه ديونًا كثيرة، منها كرى الدار التي يسكنها مدة طويلة قال:

فتوجعت له، وعزمت أن أذكر حاله لبعض الأمراء، قال: ونمت عنده فرأيت الشيخ قضيب البان في المنام يقول: قل للرجل أن أباه كان قد أودع في هذه الدار كذا وكذا ذهبًا وفضة، وأراني الموضع، فلما استيقظت دعوت الرجل فأخبرته، فقال: صدق كانت الدَّار لنا، وكان لأبي فيه وديعة ولا أعلم موضعها، وقد افتقرت وبعت الدار وعدت أستأجرها من المشتري قال: فحفرنا فظهر المال أكثر من عشرة آلاف مثقال، فقال: يا أبا المكارم خذ ما تريد، قال: فقلت: والله لا آخذ شيئًا، فألحَّ عليَّ وقال: خذه نذر للشيخ الذي دلنا على مكان المكال، فأخذت منه نصيبي، وأعطاني ألف دينار للشيخ قضيب البان قال: فلما عدت إلى الموصل استقبلني الشيخ باسمًا وقال: يا أبا المكارم إن الله تعالى رحم الرجل بك، وأمرني أن أعرفك بمحل ماله الذي دفنه، وغار عليك أن تذكر ذلك لأحد من أهل الدنيا ممن أضمرته بخاطرك، فألهمني أن أعرفك به منامًا قال: فخطر لي أنه كيف اطلع على ذلك مع كونه في الموصل ونحن في الجزيرة، فالتفتَ إليَّ وقال: يا أبا المكارم إن الله تعالى إذا ألبس أحدًا من خلقه خلعة ولايته، وشرّفه بقربه أطلعه على كنوز الأرض شرقًا وغربًا، وعرَّفه أمر ما كان وما يكون وما هو كائن.

قال بعضهم: ولهذا المعنى قال بعض الأولياء: لو دبّت نملة دهراء على صخرة صماء في ليلة ظلماء وراء جبل قاف، ولم يطلعني بها الحق تعالى منه بلا واسطة لتفتتت مرارتي.

ومنه من قال: لو حُجب عني طرفة عين لتفتت من ألم البين.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي:

خدمت السيِّد قضيب البان في الموصل زمانًا طويلاً، وكنا إذا جلبنا الدراهم والدنانير يقوم فيمشي وسط رباطه خطوات، فنرى الذهب والفضة تحت أقدامه، فنأخذ ما يكفينا ونترك ما لا نحتاج إليه، وكانت الجمادات والحيوانات والنباتات تُكلِّمه إذا كلَّمها، وكنَّا إذا سألناه عن مغيب رفع رأسه إلى الهواء ونظر إلى السماء، وسأل الله تعالى فنسمع الجواب بنطق فصيح ولا نرى شخصًا فيكون كما سمعنا، وكنا نسير معه على دجلة وكأنها تحت أرجلنا أرض صلبة، وربما كان يأمر الجانب الشرقي فيلتئم إلى الغربي أو بالعكس، ويخطوها خطوة واحدة ونحن معه، وكان إذا دخل السوق لم يقع بصره على أحدٍ إلا قام له وأكبَّ على يده وقدمه يقبلهما.

وكان ﷺ مهابًا جميلاً لا يصرف رائيه نظره عنه حتى يغيب هو، وكان جوَّادًا سخيًّا وهَّابًا حليمًا سهل الجانب لين العريكة، يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

وكان على جانب دجلة بعض المذنبين يقلم أظفاره فجاءته صرة فيها مائة وسبعون دينارًا فأعطاها للمزين فقال بعض الحاضرين: هي ذهب، فقال الشيخ ﷺ: كل ما نراه ذهبًا قال: فرأيت الأرض كلها قد صارت ذهبًا مضروبًا فغشي على الرجل، وحُمل إلى داره مغشيًا عليه، وكان إذا غضب لله تعالى نرى دخانًا نازلاً من السماء، وعجاجًا، واضطرابًا شديدًا في دجلة، وهواءً عاصفًا يملأ الأقطار، فلا يسكن حتى يسكن غضبه.

وعن الشيخ أبي الحسن عليّ بن الضباع قال: كنت أنا والشيخ أبو عبد الله القرشي والشيخ أبو العباس القسطلاني عنده جلوساً فقال: يا محمد يا قرشي، قال له: لبيك يا سيدي، قال: إن الله تعالى يريد أن يلبسك ثوبًا يخصك به في آخر عمرك وقد صرّفك به متى شئت لبسته، ومتى شئت خلعته، فعُمي في آخر عمره وجذم في مصر، وكانت الملوك تجالسه على السِّماط وتواكله ولا يأنفون منه، وكان يرى طورًا سليمًا بصيرًا ملثّمًا، ولونه مجذومًا أعمى، وكانت زوجته من أقارب الملك، فكان إذا دخل عليها يصير سليمًا من الآفة، بصيرًا.

وإذا خرج عنها عاوده حاله، ورآه الشيخ أبو الوفا في الحمام بصيرًا نقي الجسم، وإلى جانبه شيء معلّق، فلمّا اغتسل قام فلبسه فخرج مجذومًا أعمى، وقال: يا أبا الوفا هذا القميص الذي قال عنه الشيخ قضيب البان، اخلعه إذا شئت، والبسه إذا شئت.

وعن بعض العارفين، واسمه خليفة قال: رأيت رجلاً في الهواء جالسًا فسألته عن حاله، فقال: يا خليفة خالفت الهوى، وركبت التقوى فأسكنت في الهواء، قال: فتركته، وسرت حتى دخلت رباط الشيخ عبد القادر الكيلاني فوجدته بين يديه يسأله عن مسائل من علم الحقيقة والمعارف لم أفهم منها شيئًا، وقام الشيخ عبد القادر مكانه، فسألت الرجل فقلت: أراك هنا، فقال: وهل لله تعالى وليّ مصطفى إلا وله إلى هنا تردد ومن هنا استمداده فقلت: أراك تواضعت له، فقال: كيف لا أتواضع مع مَن ولاني على مائة رجل يسكنون الهواء، لا يراهم إلا من شاء الله تعالى؟! أتصرف فيهم قبضًا وبسطًا! ثم ذهب من حيث لا أدري فخلوت بالشيخ فسألته عنه، فقال أبو عبد الله الحسين قضيب البان الموصلي: مقدَّم الأبدال، قال: وما كنت نظرته قبل ذلك ولا أعرفه، فصرت أزوره في محله، وكنت عنده في غاية المحبّة.

ومناقبه ﷺ وأرضاه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية.

ومشهده الشريف المحترم هذا الآن خارج السور غربيَّ المدينة على مقدار يسير عن باب (سنجار)، وإلى جنب قبره المحترم قبر آخر، والظاهر أنها أخته الحافظة ﷺ وعنها

وعن آبائه الكرام، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

وعند قبره الشريف يُجاب الدعاء، وتُكشف الحوباء، وتُغفر الذنوب، وتُنوَّر القلوب، وتُشفى الأسقام، وتذهب الآلام ولا يزوره أحد ويتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته إلا استجاب الله تعالى دعاءه، وقضى حاجته سريعًا، وقد جربت ذلك كثيرًا نفعنا الله ببركاته، وأعاد علينا من إمداداته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ حسن البكري ﷺ(١)

هو من كبار المشايخ المتقدِّمين، والأولياء المكرَّمين، يرجع نسبه إلى سيدنا ومولانا أبي بكر الصديق ﷺ.

قال الفاضل العمري رحمه الله تعالى: ورأيت اسمه الكريم في نسب الصدِّيقين، وأظن أن بينه وبين الصدِّيق الأكبر نحو خمسة عشر رجلاً كلهم كرام، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وكان ﷺ من أهل الموصل وسكانها إلى أن دُفن فيها، وله مشهدٌ قديمٌ محترمٌ يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون به ويرون بركته كثيرًا، وعنده مسجد تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة.

وله كرامات كثيرة مشهورة ﷺ وعن آبائه الكرام أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين.

***

الشيخ محمد الأباريقي ﷺ

قيل: كان يملؤها للناس يوم الجمعة، وقيل: كان موكلاً بإبريق الشيخ عبد القادر الكيلاني وَمَطْهَرَتِهِ، وقيل: كان يجعل الأباريق علقة ويدخل وسطها، ويذكر الله تعالى فتذكر معه.

وكرامات الأولياء لا ينكرها إلا من طمس الله تعالى على بصيرته، وهو صدِّيقي منسوب إلى سيدنا ومولانا الصدِّيق الأكبر ﷺ، مذكور في نسب الصدِّيقين، وهو من كمل الأولياء المتقدِّمين، والمشايخ العارفين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

(١) انظر: بشائر آل الصديق للعبيدي.

له مشهد قديم محترم يزوره المسلمون كثيرًا ويتبركون به، ويرون بركته وعنده مسجد تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة.

وكراماته كثيرة شهيرة موجودة، يزوره المرضى فيبرأن بإذن الله تعالى، وكل من زاره وتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته قُضيت سريعًا، ﷺ وعن آبائه الكرام أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين يا مجيب السائلين.

الشيخ محمد الخلال ﷺ(١)

هو محمد بن حسن بن عشائر الخلال، تُوفي سنة ستة وثلاثين وستمائة، هكذا مكتوب على قبره الشريف بالخط القديم اللطيف.

وهو صدِّيقي، يرجع نسبه إلى سيِّدنا ومولانا أبي بكر الصديق ﷺ، وله ذرية صديقين يتولون نظارته، وله مشهد قديم يزوره المسلمون كثيرًا، ويرون بركته، وعنده مسجد تقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة.

وقد اشتهر في بلدنا أن زيارة قبره الشريف والاغتسال بمائه يُذهب الحميات المزمنة، وقد جُرِّب ذلك كثيرًا.

حُكي عن رجل من أهل العدالة قال: أصابتني الحمَّى أكثر من سنة، فرأيت قائلاً يقول لي: عليك بزيارة محمد الخلال، فلما أصبحت فعلت ذلك فصرفها الله تعالى عني، ولم تصبني بعدها، ﷺ وعن آبائه الكرام، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

السلطان عبد الله ﷺ (٢)

يقول الناس: هو الإمام عبد الله ابن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وليس بصحيح فإن الإمام عبد الله بن عمر مدفون في مكة شرَّفها الله تعالى بذي طوى كما تقدَّم في ترجمته، فالظاهر أن هذا الإمام هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن الإمام عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

(١) انظر: معجم المؤلفين (٣/٣٠٩).

(٢) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٣٥)، وتهذيب التهذيب (٥/٢٦٤)، وحلية الأولياء (١/٢٩٢)، وصفة الصفوة (١/٢٢٨).

كنيته: أبو عبد الرحمن، كان من أزهد أهل زمانه، وأكثرهم تخليًا للعبادة ومواظبة عليها، كان له أخ فولي المدينة المنوَّرة، فهجره أخوه عبد الله ولم يكلِّمه إلى أن مات.

[...][(١)] وكان ﷺ يلزم الجبَّانة كثيرًا، وكان لا يخلو من كتاب يكون معه ينظر فيه، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس شيء أوعظ من قبر، ولا أسلم من وحدة، ولا آنس من كتاب.

وقال محمد بن حرب المكي:

قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري الزاهد فاجتمعنا إليه، وأتاه وجوه أهل مكة، فرفع رأسه فلمَّا نظر إلى القصور المعمقة بالكعبة، نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيَّدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التنعم والتلذذ اذكروا الدود والصديد، وبلي الأجساد في التراب، وقال له رجلٌ: غطني فأخذ حصاة من الأرض فقال: مثل هذه من الفزع يدخل قلبك خير لك من كذا وكذا صلاة، قال له: زدني قال:كما تحب أن يكون لك الله غدًا فكن أنت له اليوم.

خرج ﷺ من المدينة وأتى العراق زمن الرشيد، فخاف الرشيد أن يكون في نفسه الخروج عليه، فبعث إليه رجلين من أصحابه، فدخلا عليه بثياب حسنة مع غلمان لهم، فقالا: نحن من أهل خراسان، وقد بعثنا إليك أهلها لنبايعك، ونقوم معك حتى يمكن الله تعالى لك فتقوم بالحق، وتزيل عن الناس ما هُم فيه من الظلم، فقال: ما يسرني أن لي الأرض كلها بإراقة دم مسلم، فرجعا إلى الرشيد فأخبراه بقوله فسرَّ بذلك، ﷺ وعن آبائه الكرام.

وقبره الشريف في الجانب الشرقي من دجلة على جبلٍ مطل على شاطئها وراء الزَّاب، على مقدار مرحلتين عن الموصل، وله مشهد قديم محترم يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبرَّكون به، وله الكرامات العظيمة في إبراء المصروعين، وقد اشتهر في بلدنا أن كل من توسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته قُضيت سريعًا، وله أوقاف ومزارع، ويتولى نظارته رجل من العمرتين، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

* * *

---

(١) بياض في الأصل.

الشيخ إبراهيم العمري ﷺ

هو عمري من ذرية سيدنا ومولانا الإمام عمر بن الخطاب ﷺ، مشهده الشريف خارج بلد الموصل بين (تلعفر) و(المحلبيّة) من كبار أولياء الله تعالى، يتحاماه قطّاع الطريق فلا يتعرضون لمن يكون فيه، وعنده قرية خربة قد اندثرت معالمها، وبقي منها آثار، وعنده عين جارية كان عليها أرحية ومزارع، وله عقار كبير، وله اسم في الدولة العليَّة، ويتولى نظارته رجلٌ من أهل الموصل.

ويزور قبره الشريف المسلمون كثيرًا ويتبركون به، ويرون بركته، ويحكى عنه كرامات خارقة، وتأثير عظيم في مَنْ هتك حرمته، أو تعدى على جاره، أو على نظّاره ﷺ وعن آبائه الكرام ونفعنا الله تعالى ببركاتهم آمين.

***

الشيخ قاسم العمري رحمه الله تعالى

جد العمريين في بلدنا كان واحد وقته زهدًا وعلمًا وورعًا، أحدث جامعًا كبيرًا سنة تسع وسبعين وتسعمائة في الموصل قريبًا من السور، وعيَّن له أوقافًا عظيمة.

توفي سنة ألف من الهجرة، وقبره معلوم في يمين الجامع، يزوره الناس ويتبركون به وقد جربوا منه قطع الحميَّات المزمنة، وكل بيوت العمريين المشهور نسبهم واتصالهم بعاصم ابن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما في بلد الموصل منه رحمه الله تعالى، وفي مقابلة رواق الجامع المذكور مقبرة فيها قبر العالم الفاضل العلامة مُلاَّ أمين العمري، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة وغيره من الأفاضل الكرام العمريين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرَّاز ﷺ(١)

(١) قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه، واسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم. قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء.

أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراساني ومحمد بن منصور الطوسي، روى عنه علي بن محمد الواعظ المصري وأبو محمد الجريري وعلي بن حفص الرازي ومحمد بن علي الكتاني وآخرون.

وقد صحب سريًا السقطي وذا النون المصري، قال أبو القاسم عثمان بن مردان النهاوندي: أول ما لقيت أبا سعيد الخراز سنة أثنتين وسبعين فصحبته أربعة عشر سنة.

قال السلمي: هو إمام القوم في كل فنٍ من علومهم له في مبادىء أمره عجائب وكرامات، وهو أحسن القوم كلامًا خلا الجنيد فإنه الإمام.

قال القشيري: صحب ذا النون والسري والنباجي وبشرًا الحافي.

قال ومن كلامه: كل باطنٍ يخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ.

وقال ابن الطرسوسي: أبو سعيد الخراز قمر الصوفية.

وعنه قال: أوائل الأمر التوبة، ثم ينتقل إلى مقام الخوف، ثم إلى مقام الرجاء، ثم منه إلى مقام الصالحين، ثم إلى مقام المريدين، ثم إلى مقام المطيعين، ثم منه إلى المحبين، ثم ينتقل إلى مقام المشتاقين، ثم منه إلى مقام الأولياء، ثم منه إلى مقام المقربين.

قال السلمي: أنكر أهل مصر على أبي سعيد وكفّروه بألفاظه، فإنه قال في كتاب السر: فإذا قيل لأحدهم: ما تقول؟ قال: الله، وإذا تكلم قال: الله، وإذا نظر قال: الله فلو تكلمت جوارحه، قالت: الله، وأعضاؤه مملوءة من الله. فأنكروا عليه هذه الألفاظ وأخرجوه من مصر. قال ثم رُدَّ بعدُ عزيزًا.

ويروى عن الجنيد قال: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا، فقيل لإبراهيم بن شيبان: ما كان حاله؟ قال: أقام سنين ما فاته الحق بين الخرزتين.

وعن المرتعش قال: الخلق عيال على أبي سعيد الخراز، إذا تكلم في الحقائق.

ومن كلامه: قال الكتاني: سمعت أبا سعيد يقول: من ظنَّ أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمني، ومن ظنّ أنه يصل ببذل المجهود فهو مُتعنّي. وقال أبو سعيد الخراز: إن الله تعالى عجّل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجّل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن فعيش أبدانهم عيش الجِنانِيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين، لهم لسانان لسان في الباطن، يعرفهم صنع الصانع في المصنوع، ولسان في الظاهر، يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

=

هو من كبار الأولياء المتقدِّمين، مشهده الشريف المحترم خارج بلد الموصل مقابلها من الجانب الشرقي على مقدار ميل عنها، مكتوب على قبره الشريف بالخط القديم اللطيف: هذا قبر الشيخ أحمد بن عيسى الخرَّاز نسيب عمر بن الخطاب ﷺ والظاهر أن هذه الصفة الشريفة أنه منسوب إليه ﷺ، إما بتزوجه إحدى العمريات، أو بأن تكون أمه عمريَّة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

كانت وفاته سنة تسع وسبعين ومائتين، وصحب السري السقطي، وبِشر الحافي، وذا النون المصري وغيرهم من الأئمة الأمجاد، والسَّادة الزُّهاد العبَّاد، وهو من كبارهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قيل: هو أول من تكلم في الفناء والبقاء.

ومن كلامه ﷺ: العارف يستعين بكل شيء، فإذا وصل استغنى بالله تعالى، وارتفعت همته عن الوقوف إلى ما سواه، وافتقر الناس إليه.

وكان يقول: مثل الناس في الصفات كمثل ماء واقف ظاهره صافٍ فإذا حركته ظهر ما تحته، وكذلك النفس تظهر مرتبتها عند المحن والفاقة والمخافة، ومن لم يعرف ما طوي فيه من الصفات في نفسه كيف يدعي معرفة ربه.

وكان يقول: العارفون خزائن الله تعالى أودع فيها علومًا غريبة، وإخبارات عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

وكان يقول: لولا أن الله تعالى أدخل موسى ﷺ في كنفه لأصابه مثل ما أصاب

=

وسئل أبو سعيد عن الأنس ما هو؟ فقال: استبشار القلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها في سكونها إليه وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه حتى يكون هو المشير لأنها ناعمة به، ولا تحمل جفاء غيره.

وكان أبو سعيد الخراز نائمًا فانتبه وقال: اكتبوا ما وقع لي في هذا النوم، إن الله تعالى جعل العلم دليلاً عليه ليعرف، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم، ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجري الفوائد بعد ذلك.

وقال أيضًا: مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صافٍ، فإن حركته تظهر ما تحته من الحمأة، وكذلك النفس تظهر عند المحن، والفاقة والمخافة، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه؟.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثمانين ومائتين، وقيل: بل توفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

وانظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (١/٧٨)، وكتابنا الجنيد (ص٣٢).

الجبل.

وكان يقول في قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] المستنبط: هو الذي يلاحظ الغيب أبدًا ولا يغيب عنه شيء.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] المتوسم: هو الذي يعرف الوسم، وهو العارف بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات، فيميزوا أولياء الله تعالى من أعداء الله.

وكان يقول: إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدًا من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ بذكر الله تعالى فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال بلا هو فحينئذٍ صار العبد فانيًا، فوقع في حفظه وبرئ من دعاوى نفسه.

وكان يقول: أول مقام لمن يجد علم التوحيد ويتحقق به فناء ذكر الأشياء عن قلبه، وانفراده بالله وحده.

وكان له ولد صالح فمات فأتاه بعد وفاته فقال: يا بني أوصني، فقال: لا تجعل بينك وبين الله قميصًا، فما لبس أبو سعيد قميصًا منذ ثلاثين سنة.

وكان يقول: ينبغي للصوفي أن يكون لطيف اللبسة، ملازمًا للخلق الحسن، حسن الصيانة، فلا يطلب إلا عند وجود الفاقة، وإلا فهو والكذابون سواء.

وكان يقول: أبعد الناس من الله تعالى من يدعي المعرفة والقرب، وأكثرهم إليه إشارة أمقتهم عنده.

وكان يقول: لقيته مرة شيخًا متظاهرًا بالجنون، فناديته: قف يا مجنون، فالتفت إِلَيَّ فقال: تدري مَنْ المجنون؟ قلت: لا، قال: المجنون من يخطي خطوة لا يذكر ربه فيها.

وكان يقول: لا تصف عبدًا بالشرف حتى تصير الأذكار غذاه والتراب فراشه.

وكان يقول: لا تغتر بصفاء العبودية فإن فيه نسيان الربوبية، فقيل له: فما الخلاص؟ فقال: أن تشهد صنع الربوبية في إقامة العبودية فينقطع عن نفسه، ويسكن إلى ربه فهناك يسلم من الاستدراج.

وسُئل ما سبب معاداة الفقراء بعضهم لبعض مع أنه لا رئاسة عندهم فقال: إنما قدَّر

الله تعالى ذلك عليهم غيرة منه عليهم أن يسكن بعضهم إلى بعض، ولكن إذا وقع لهم كمال السير ذهبت البغضاء؛ لأن الكامل لا يرى هناك من يرسل غضبه عليه من الخلق.

وكان يقول: أول علامات التوحيد خروج العبد عن كل شيء، ورد الأشياء جميعها إلى متوليها حتى يكون المتولي بالمتولي ناظر إلى الأشياء قائمًا بها متمكنًا فيها، ثم يخفيهم عن أنفسهم، في أنفسهم ويظهرهم لنفسه.

وقال في حق الجنيد سيِّد الطائفة، وأبي العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء: التصوف أخلاق، وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء، وكان هذا ابن عطاء، وقد صحب الجنيد، ومات سنة تسع أو إحدى عشرة وثلاثمائة، تأخر موته عن موت الشيخ أبو سعيد، وكان من كبار الصوفية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ فتح الموصلي ﷺ(١)

كان ﷺ وأرضاه إمامًا في فن التصوُّف عارفًا، وعالمًا، ورعًا، زاهدًا، من كبار أولياء الله تعالى، واصلاً إلى الله تعالى في المحل الأسنى من الولاية، وكان من أقران بشر الحافي، والسري السقطي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وكان كبير الشأن في باب الورع والمعاملات، وأسلاك المريدين، غاب عن عياله أيامًا في السياحة، ثم عاد إليهم صائمًا، فلما غربت الشمس صلَّى المغرب، ثم قال لزوجته: هلمي لنا طعامًا نفطر عليه، فقالت: لنا ثلاثة أيام ما وجدنا شيئًا.

قال: فناوليني ماء، فقالت: الجب جاف منذ يومين، قال: فأوقدي لنا سراجًا يبصر بعضنا بعضًا، قالت: وليس عندنا زيت منذ شهر فسجد لله تعالى وبكى.

فقالت زوجته: مهلاً يا فتح أتبكي حزنًا لضرورة العيش في الدنيا الزائلة، وتنسى الآخرة الباقية فرفع رأسه مبتسمًا، وقال: يا رعنا إنما بكيت فرحًا، هذه معاملة الله تعالى خلص أوليائه، وبلغ من قدر الفتح أن يعامل بمثل هذه المعاملة، ويقال أن الجن استولت على ناحية من الموصل فآذت سكانها، فسكنها الشيخ ﷺ فانصرفت راغمة ببركته.

(١) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (٦٨/١)، .

وكان يقول: صحبتُ ثلاث وثلاثين شيخًا فما منهم واحد إلا أنهاني عن النظر إلى وجه الأمردِ.

ومن كلامه ﷺ: مَنْ أدَام ذكر الله تعالى بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره عَلى هواه أورثه ذلك حبَّه إيَّاه، ومَن اشتاق إلى الله تعالى زهده فيما سواه.

وكان يقول: القلبُ إذا مُنع الذُكر مات، كما أن الإنسان إذا مُنع الطعام والشراب مات.

وسُئل المعافي بن عمران ﷺ: هل كان للفتح الموصلي كثير عمل؟ فقال: كفاك بعمله ترك الدنيا.

وكان ﷺ يبكي الدموع ثم يبكي الدم، فلما مات رُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: «أوقفني بين يديه وقال: يا فتح لِمَ هذا البكاء؟ قلت: يا ربِ على تخلفي عن واجب حقك، قال: فلم تبكي الدم؟ قال: يا رب خوفًا على دموعي ألا تصح لي، فقال: يا فتح ما أردت بذلك كله؟ قلت: يا سيدي أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع ما شئت، قال: وعزتي وجلالي لقد صعد إليَّ حافظك منذ أربعين سنة بصحيفتك، وليس فيها خطيئة واحدة، فلألبسنك لباس التكريم، ولأمتعنك بالنظر إلى وجهي الكريم».

وكراماته ﷺ عنه الآن موجودة كثيرة باهرة، فمن ذلك ما اشتهر وتواتر وجُرِّب كثيرًا في بلدنا، أن قبره الشريف ترياق للأمراض المزمنة المتعسرة العلاج، وكثيرًا ما نرى المصروعين والمجانين يزورون قبره الشريف، فيبرءون بإذن الله تعالى، وهذا مشهور مجرب في بلدنا، ولا يتوسل أحدٌ إلى الله تعالى به في قضاء حاجته إلا قُضيت سريعًا ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وفي خارج مشهده الشريف المحترم متصلاً به من الجانب الغربي قبر جدي المرحوم الرجل الصالح ملا عثمان الكردي كان رحمه الله تعالى عالمًا عارفًا عابدًا ورعًا زاهدًا، وولديه المرحومين العالم الفاضل ملا محمد العثماني، والشيخ حيدر رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وقريبًا منهم قبر الرجل الورع الصالح الحاج بكر المناوي، أما قبر المرحوم العابد الورع الزاهد، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، المشهور ورعه وصلاحه في بلدنا (مُلا سليم الأردلاني) فهو خارج مشهد سيدنا ومولانا النبي شيث ﷺ، متصلاً به من

الجانب الشرقي.

وأما قبر والدي المرحوم الشيخ عبد الجليل الكردي خليفة الشيخ العارف بالله تعالى صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، مُربي المريدين السيد إسماعيل البرزنجي، فهو خارج مشهد سيدنا ومولانا النبي يونس ﷺ، قريبًا منه من الجانب الشمالي، وقريبًا منه قبر المرحوم الشيخ نعمان البغدادي خليفة الشيخ العارف بالله تعالى السيد علي البندنجي.

وأما قبر المرحوم أستاذي العالم الفاضل (ملاوني الكركوكي) فهو خارج مشهد سيدنا ومولانا النبي جرجيس ﷺ، وقريبًا منه قبر المرحوم العالم الفاضل العلاَّمة الشيخ جرجيس الأربيلي، وقريبًا منه قبر العالم الفاضل العامل العلاَّمة الشيخ عبد الله الرتبكي، وخارج هذا المشهد المحترم من الجانب الجنوبي قبر الرجل الصالح العالم الفاضل المشهور بالولاية الشيخ حيدر بن قرة بيك، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ المعافى بن عمران رضي الله عنه[1]

هو الشيخ الولي الكبير والعارف بربه، غائص بحر الحقائق، ومستخرج درر المعارف كان عالمًا، ورعًا، زاهدًا، تقيًا، متواضعًا، ثابت القدم في علمي الشريعة والحقيقة، غوَّاص الفكر على استنباط الأسرار، وإبراز غوامض العلوم اللدنية، يقال أن إبليس كان يحمل السراج قدامه أربعين سنة من بيته إلى المسجد، والظاهر أن مراد القائل لذلك أن يكنى عن زيادة تمكنه وثباته في علم الشريعة، لا على الحقيقة على أن المعنى الحقيقي غير متعذر، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان رضي الله عنه مصاحبًا للفتح الموصلي، ومات أبو محمد المعافى بعد المائتين، ودفن في الموصل رضي الله عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١/٦٠٤).

الشيخ خير النسَّاج رضي الله عنه[1]

أصله من سامراء إلا أنه أقام ببغداد، وصحب أبا حمزة البغدادي، ولقي السري السَّقطي، وهو من أقران أبي الحسن النوري، وعمَّر طويلاً، قيل: مائة وعشرين سنة،

---

(١) هو الزاهد الكبير أبو الحسن البغدادي، كان أصله من سامراء، وأقام ببغداد. كانت له حلقة يتكلم فيها على الصوفية. صحب أبا حمزة البغدادي، والجنيد والنوري ومن في طبقته. وعمَّر طويلاً. حكى عنه أحمد بن عطاء الروذباري، ومحمد بن عبد الله الرازي. ويقال: لقي سريًا السقطي. وكان رحمه الله أسود اللون. ويقال: إنه حج فأخذه رجل بالكوفة وقال: أنت عبدي، واسمك خير، فما نازعه بل انقاد معه، فاستعمله مدة في النساجة، وكان اسمه محمد بن إسماعيل، ثم بعد زمان أطلقه، وقال: ما أنت عبدي، فيقال: ألقي عليه شبه ذاك العبد مدة. فلذلك سمي خير النساج. وكان يقول: لا أغير اسمًا سماني به رجل مسلم. عاش مائة وعشرين سنة، وله أحوال وكرامات، وكان يحضر السماع سماع المشايخ.

وكان إبراهيم الخواص تاب في مجلسه وكذلك الشبلي تاب في مجلسه.

من كلامه:

قال أبو بكر الرازي: سمعت خيرًا النساج يقول: من عرف من الدنيا قدرها، وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.

وقال: الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

وقال: شرح صدور المتقين وكشف بصائر المهتدين بنور حقائق الإيمان.

وقال: من لاحظ شكره استصغر نعمه.

وقال: من سبق بخطوة لا يدرك إذا كان صادقًا مجتهدًا.

وقال خير: الإخلاص هو الذي لا يقبل عمل عامل إلا به.

وقال خير: العمل الذي يبلغ الغايات، هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

وقال خير: لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علَّمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس لم ينجه ذلك من المسبوق عليه.

وقال خير: الخوف سوط الله في الأرض يقوم به أنفسًا، قد تعودت سوء الأدب، ومتى ما أساءت الجوارح الأدب، فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

توفي رحمه الله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وانظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (٣٩٨/١)، وحلية الأولياء (٣٠٧/١٠)، وكتابنا الجنيد (ص٤٥)، وصفة الصفوة (٢٥٥/٢).

وتاب في مجلسه الخوّاص، والشبلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وكان ﷺ أستاذ الجماعة، واسمه محمد بن إسماعيل، وكنيته أبو الحسن، وإنما سُمِّي خير النساج؛ لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة، فقال: أنت عبدي واسمك خير، وكان أسود فلم يخالفه، فاستعمله الرجل في نسج الخز.

وكان يقول له: يا خير، فيقول: لبيك، ثم قال له الرجل بعد سنين: غلطت لا أنت عبدي ولا اسمك خير، فمضى، وقال: لا أغير اسمًا سماني به رجل مسلم، ومن كلامه ﷺ: العمل الذي يبلغ العبد إلى الغايات هو رؤية العجز، والتقصير، والضعف.

وكان يقول: الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

وكان يقول: قص موسى عليه السلام يومًا على بني إسرائيل فزعق واحدٍ من القوم، فانتهره موسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه: «يا موسى بطيـــبي باحوا، وبوجديّ ماحوا، فَلِم تنكر على عبادي؟».

وكان يقول: الخوف سوط الله تعالى يقوِّم أنفسًا قد تعوَّدت سوء الأدب.

قال الشيخ أبو الحسين المالكي: سألت من حَضَر موت خير النسَّاج عن أمره، قال: لما حضرت صلاة المغرب غُشي عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله تعالى، فإنما أنت عبدٌ مأمور وإذا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك فدعى بماء فتوضأ، وصلَّى وتمدد وغمض عينيه وتشهَّد، ومات رحمه الله تعالى، فرُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: لا تسألني عن هذا ولكني استرحت من دنياكم الوخرة القذرة. قبره الشريف في بلد الموصل وله مشهد قديم محترم يزوره المسلمون كثيرًا، ويرون بركته ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

الشيخ شرف الدين أبو الفضائل

عدي بن مسافر الأموي الهكاري ﷺ[1]

الزاهد العابد الصوَّام القوَّام ﷺ وأرضاه، وأفاض علينا من بركاته.

قال الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي في كتاب (بهجة الأسرار): كان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الكيلاني ﷺ يُنوه بذكر الشيخ عدي، ويثني عليه

---

(١) انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (٦٨٧/١)، وطبقات الشعراني (١١٨/١)، والنور السافر لنصر العسقلاني (بتحقيقنا)، ومقدمة رسالة الاعتقاد له (بتحقيقنا).

كثيرًا، وشهد له بالسلطنة، وقال: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر.

وعن الشيخ أبي محمد عبد الله البطائحي قال: كان الشيخ عدي ﷺ إذا سجد سمع لمخهِ في رأسه صوت كصوت وقع الحصى في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة، وأقام أول أمره في المغارات والجبال والصحاري، مجردًا سائحًا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات، وكانت الحيَّات تألفه، والهوام والسبّاع تألفه فيها.

وهو أحد المتصدرين لتربية المريدين ببلاد الشرق، وانتهى إليه تسليكهم، وكشف مشكلات أحوالهم، وغسل تاج العارفين أبا الوفاء وهو شاب.

وعن بعض المحققين قال:

صنع الخليفة ببغداد وليمة ودعا إليها جميع مشايخ العراق، وعلمائها فحضروا كلهم إلا الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عدي بن مسافر الأموي والشيخ أحمد بن الرفاعي، فلما انصرف الناس قال الوزير للخليفة: إن الجماعة المذكورين لم يحضروا، فقال الخليفة: فكأنه لم يحضر إذاً أحد، ثم أمر حاجبه أن يأتي إلى الشيخ عبد القادر فيدعوه، وأن يطق: أي يرسل بطاقة إلى جبل الهكارية، وإلى أم عبيدة ليحضر الشيخ عدي والشيخ أحمد، فقال الشيخ عبد القادر قبل مجيء الحاجب برسالة الخليفة لخادمه أبي محمد المحلي، أن ينطلق إلى المسجد الذي يُظاهر الباب، فإنه يجد فيه الشيخ عدي ومعه اثنان فليدعهم إليه، وإلى مقبرة الشونيزي يجد فيها الشيخ أحمد ومعه اثنان فليدعهم إليه، فذهب فوجدهم كأنهم على ميعاد فدخلا باب الرباط وقت المغرب، فقام إليهم وتلقاهم، فما لبثوا غير يسير حتى جاء الحاجب فوجدهم مجتمعين، فرجع إلى الخليفة وأخبره باجتماعهم فكتب الخليفة إليهم بخطه يسألهم الحضور، وأرسل والده وحاجبه فأجابوه وذهبوا قال: فلما كنا بالشط إذا بالشيخ عليّ بن الهيتي فتلقوه، وسار معهم حتى دخلوا على الخليفة، وإذا هو قائم مشدود الوسط ومعه خادمان فقط، فتلقاهم، وقال: يا سادة، إن الملوك إذا اجتازوا برعاياهم بسطوا لهم الحرير ليطئوه، وبسط لهم ذيله، وسألهم أن يمشوا عليه ففعلوا، وانتهوا إلى سماط مهيب فجلسوا وأكلوا وخرجوا إلى زيارة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وكانت ليلة شديدة الظلمة، فجعل الشيخ عبد القادر كُلمَّا مَرَّ بحجرٍ أو خشبةٍ أشار إليه فيضيء لهم كالقمر، وليس فيهم مَن يتقدَّم عليه فلمَّا خرجوا من زيارة الإمام أحمد، قال الشيخ عبد القادر للشيخ عدي بن مسافر: أوصني، فقال: أوصيك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ثم تفرَّقوا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وقال خادم الشيخ عديّ ﷺ: كنت لا أحفظ شيئًا من القرآن، وقد عسر عليَّ جدًّا فصببت الماء على يده يومًا، فقال لي: ما حاجتك؟ فذكرت له ذلك، فضرب بيده على صدري فحفظته كله في وقتي، وقلت له ذات يوم: يا سيِّدي أرني شيئًا من المغيبات، فأعطاني منديله فقال: ضعه على وجهك، قال: ففعلت ورفعته فأبصرتُ الملائكة وما يسطرونه، وأقمت على ذلك أيامًا فتكدَّر عليَّ عيشي، فاستغثت به، فوضعه على وجهي ثم رفعه فلم أرَ شيئًا، قال: ووصف لي الشيخ عقيل المنبجي وهو شيخ الشيخ عدي، فسألته أن يريني إياه فأعطاني مرآة، وأمرني أن أنظر فيها فرأيت شخصي، ثم توارى شخصي وظهر لي شخص آخر، فقال الشيخ عدي: هذا هو الشيخ فتأدب، فأدركته إدراكًا تامًّا، ثم توارى وظهر شخصي، وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني إذا جلس للوعظ أحس الشيخ عدي ﷺ بمجلسه، فيخرج إلى الجبل ويخطْ خطًّا ويقول: من أحبَّ أن يستمع وعظ الهاشمي فليدخل الدائرة، فكل من دخلها سمع وعظه كأنه في الجماعة، وكان الشيخ عبد القادر يقول: جلس الهكاري لاستماع الموعظة.

وأصل الشيخ عدي بن مسافر الأموي من أهل بعلبك، انتقل إلى الموصل، ثم إلى جبل لالش من أعمال الموصل، وسكن هناك إلى أن مات ودُفن هناك، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقبره الشريف هناك معلوم يزار ﷺ وأرضاه، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وقد ابتلاه الله تعالى هذا الآن بقوم مرتدين، يقال لهم طائفة اليزيدية وينسبون نفوسهم إلى يزيد، يسجدون للشمس، ويحبُّون الشيطان، وقد اتخذوا زيارة الشيخ عدي ﷺ حِجًّا يجتمعون إليه من الأطراف والنواحي، ويصرفون على ذلك النفقة الكثيرة، والشيخ عدي ﷺ منهم ومن أفعالهم بريء مُبرأ ﷺ، وكان ﷺ فقيهًا عالمًا فصيحًا.

ومن كلامه: حسن الخلق معاملة كل شيء بما يؤنسه ولا يوحشه، فمع العلماء يحسن الاستماع، وإن كان مقامه فوق ما يقولون، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار، ومع أهل التوحيد بالتسليم.

وكان يقول: إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات، وتنخرق له العادات فلا تغتروا به حتى تنظروه عند الأمر والنهي.

وكان يقول: من لم يأخذ أدبه من المؤدبين أفسد من اتبعه، ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته؛ لئلا يعود عليكم شؤمها ولو بعد حين.

وكان يقول: من اكتفى بالعلم دون الاتصاف بحقيقته انقطع، ومن اكتفى بالتعبُّد دون فقه خرج، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا.

وكان ﷺ يقول في التوحيد: الباري تعالى لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جلَّ عن الأمثال والأشكال، صفاته قديمة كذاته ليس بجسم في صفاته جلَّ أن يشبَّه بمبتدعاته، أو أن يضاف إلى مخترعاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] لا سمي له في أرضه ولا في سمواته، لا عديل له في حكمه وإرادته، حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الفكر أن يحيط، وعلى العقول أن تصور إلا بما وصف به ذاته في كتابه، أو على لسان نبيِّه محمد المصطفى ﷺ.

وكان ﷺ يقول: أوَّل ما يجب على سالك طريقتنا أن يترك الدعاوى الكاذبة، ويخفي المعاني الصَّادقة.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأن المعاني الصادقة نور، وكلما تراكمت الأنوار في قلب العبد تمكَّن وقوي استعداده، وكلما أظهر معنى خرج النور أوَّلاً فأوَّلاً فلا يثبت له قدم في الطريق.

وكان ﷺ أكثر إقامته في الجزيرة السادسة من البحر المحيط، وكان ﷺ يأمر الرِّيح أن يسكن فيسكن لوقته، وشيخه الشيخ عقيل المنبجي كان شيخ شيوخ الشام في وقته، وتخرَّج بصحبته الأكابر منهم: الشيخ عديّ ﷺ، وكان يُسمَّى الطُّيار لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيمًا بها ببلاد الشرق صعد إلى منارتها ونادى بأهلها، فلما اجتمعوا طار في الهواء، والناس ينظرون إليه فجاءوا فوجدوه في منبج، واستوطن منبجًا نيفًا وأربعين سنة وبها مات وقبره هناك يزار ﷺ.

***

الشيخ محمد الملحم ﷺ

هو من كبار الأولياء المتقدمين والمشايخ العارفين، له مشهد قديم محترم من بناء المتقدمين، وعنده مسجد تقام فيه الصَّلوات الخمس بالجماعة، وله كرامات كثيرة ظاهرة

يزوره أصحاب الأمراض والحميات المزمنة فيبرءون بإذن الله تعالى، وقريبًا من مشهده الشريف قبر قديم يزار ويتبرك به، يقال أنه قبر المرأة الصالحة، فتحية أخت الشيخ فتح الموصليّ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الشيخ عامر ﷺ(١)

هو من كبار الأولياء المتقدِّمين والمشايخ العارفين، له مشهد قديم محترم من بناء المتقدِّمين يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون به ويرون بركته، وقد اشتُهِرَ وجُرِبَ كثيرًا أنَّ من زاره وتَوسَّل إلى الله به في قضاء حاجته تُقضى سريعًا، وقريبًا من باب حضرته المشرفة قبر الرجل الصالح المشهور بالخير والصلاح الحاج عطاء الله الحديثي رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ونفعنا ببركاته آمين.

* * *

الشيخ منصور ﷺ

كان مقامه الشَّريف مدثورًا فرأته امرأة في المنام يأمرها باستخراج قبره الشَّريف وتكرَّرَت الرؤيا، فحدَّثت المرأة أباها فحفر المكان، فظهر فيه قبر عليه صندوق وفيه مكتوب اسمه فوضع فوقه قبَّة، وبنى له مشهدًا ومسجدًا، وأرادوا أن يحفروا له بئرًا فرأته في المنام، فأخبرها بمحل بئره القديمة، فحفروا فظهرت لهم البئر، وبقي محلُّه الشَّريف مزارًا يقصده الكبار والصِّغار، يتبرّكون به ويرون بركاته، وقد جرّب إلى من زاره وتوسَّل إلى الله به في قضاء حاجته تقضى سريعًا ﷺ ونفعنا ببركاته آمين.

* * *

الشيخ إبراهيم الزيتوني ﷺ

قيل كان يبيع الزَّيتون في أوّل أمره، ثم تجرَّد إلى الله تعالى وظهرت له أحوال عجيبة وانتفع به خلق كثير، وهو ﷺ من كبار الأولياء العارفين، والمشايخ المتقدمين، كان له مشهد قديم محترم من بناء المتقدِّمين، فتهدم فجدده بعض أهل الخير، وله أوقاف ومزرعة

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٦٩).

تصرف على عمارته، وهو في الجانب الغربيّ من الموصل، يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبركون به ويرون بركاته، ويحكى عنه الكرامات الخارقة، ومن المشهور أن زيارة قبره الشريف سبب لقضاء الحوائج، وتفريج الكروب، وتيسير الأمور ﷺ.

* * *

الشيخ محمد الزيواني ﷺ

هو من كبار الأولياء المتقدمين، مدفون في ناحية من الموصل في وسط العمارة قريبًا من السّور، كان له مشهد قديم محترم، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبركون به، وعنده مسجد تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة.

ويحكى عنه كرامات كثيرة منها ما حكي عن بعض من كان مجاورًا له:

أن رجلاً كان سارقًا قطعت يمينه، ورجله في السَّرقة، حدثه أنه مرارًا كان يقصدهم ليلاً، يريد النـــزول إلى دارهم فيحال بينه وبينها، وأن رفيقًا له نزل ذات ليلة ففقد حس بصره، فلما خرجوا عاد إليه بصره، وكراماته ﷺ كثيرة معلومة عند مجاوريه وغيرهم، ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف بنى الوزير المرحوم سليمان باشا الجليليّ عنده جامعًا كبيرًا، تقام فيه الجمعة والصَّلوات الخمس بالجماعة، وعمل للشيخ محمد الزيواني ﷺ قبّة بابها داخل الجامع المذكور، وجعل الواقف له والدته وأخته، وأخاه الأمير الأمجد، والينا محمد باشا حفظه الله تعالى فهو باسمهم معلوم، وإليهم منسوب، وجعلوا لهم مدفنًا متَّصلا بحضرة الشيخ المذكور، وجعلوا للجامع المذكور أوقافًا عظيمة، ولهم فيه الخيرات الجسيمة فالله تعالى يثبهم على ما فعلوه، ويجزيهم بما صنعوا، فقد فازوا بهذه النعمة الوافية، وحازوا أجر هذه الصَّدقة الجارية، تقبل الله تعالى منهم صالح أعمالهم آمين.

* * *

الشيخ محمد البلقيسي ﷺ

هو من كبار الأولياء العارفين والمشايخ المتقدِّمين، له مشهدٌ قديمٌ محترمٌ، فعنده مسجدٌ تُقام فيه الصَّلوات الخمس بالجماعة، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، ويرون بركته

ويستشفون به من أمراضهم فيبرءون بإذن الله تعالى، ﷺ ونفعنا ببركاته آمين.

***

الشيخ محمد الغرابيليّ ﷺ

قيل: كان يبيع الغرابيل فنُسب إليها، وقيل: كان يحمل الماء فيها فلا يخرج منه شيءٌ. وكرامات الأولياء لا ينكرها إلاّ من طمس الله تعالى على بصيرته.

وهو من كبار المتقدِّمين والمشايخ العارفين، له كرامات كثيرةٌ ظاهرةٌ، يزوره أصحاب الأسقام المخطرة فيبرءون بإذن الله تعالى، وكل من زاره وتوسَّل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته قُضيت سريعًا.

وله مشهدٌ قديمٌ محترمٌ من بناء المتقدِّمين يزوره المسلمون كثيرًا، وعنده مسجدٌ قديمٌ تُقام فيه الصَّلوات الخمس بالجماعة، ﷺ ونفعنا ببركاته آمين.

***

الشيخ أبو نصر عبد الله بن محمد بن أحمد الدقَّاق ﷺ(١)

هكذا مكتوبٌ على قبره الشريف بالخطِّ القديم اللطيف، وله مشهدٌ قديمٌ محترمٌ من بناء المتقدمين، وعنده مسجدٌ قديمٌ تُقام فيه الصَّلوات الخمس بالجماعة، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، وهو من كُمَّل الأولياء العارفين والمشايخ المتقدمين، يدل على ذلك اعتناء المسلمين الأوَّلين ببناء هذا المشهدِ القديم، والمسجد الشريف عليه ﷺ ونفعنا ببركاته.

ولم أطلع على ذكره في الكتب، وإنَّما وجدت في الطبقات الشيخ أبا بكر أحمد بن نصر الدقَّاق الكبير، وكان من أقران الجنيد، ومن كبار مشايخ مصر.

فالظَّاهر أنَّ هذا الشيخ الكريم حفيده، وكلهم كرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

قال الكتاني رحمه الله تعالى: لما مات الدقَّاق انقطعت حُجَّة الفقراء في دخولهم مصر.

وكان ﷺ يقول: آفة المريد ثلاثة: التَّرويح، والحديث، ومعاشرة الضد.

وكان يقول: لا يصلح هذا الأمر إلاَّ لأقوامٍ كنسوا بأرواحهم المزابل على رضًا منهم واختيار.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/٧٦).

وكان يقول: عطشت مرة فاستقبلني جنديّ فسقاني شربة من ماء، فعادت قساوتها في قلبي ثلاثين سنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

الشيخ أبو العلاء ﷺ

هو من كمَّل الأولياء العارفين والمشايخ المتقدمين له مشهد قديم محترم.

وعنده مسجد تقام فيه الصَّلوات الخمس بالجماعة، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، ويرون بركته، ويستشفون به من أمراضهم فيبرءون بإذن الله تعالى، ﷺ ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الشيخ العَبَّاس المستعجل ﷺ

هو من كبار الأولياء المتقدِّمين والمشايخ العارفين، كراماته كثيرة موجودة حتى الآن، يزوره أصحاب الأسقام فيبرءون بإذن الله تعالى، وكل مكروب زاره وتوسل به إلى الله تعالى به في كشف كربه فرَّج الله تعالى كربه، وأذهب همَّه وغمَّه سريعًا، ولذلك اشتهر بالمستعجل؛ لقضاء الحوائج عند قبره الشريف سريعًا.

وله مشهد قديم محترم من بناء المتقدمين مكتوب عليه اسمه الشريف، واسم بانيه، وتاريخ بنائه، وقد انمحى أكثر ذلك لتقادم الزمان ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الشيخ عبد الله المكِّي ﷺ

هو من كبار المشايخ المتقدمين، والأولياء العارفين، له مشهدٌ قديمٌ محترم يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبرَّكون بزيارته، وقد محي اسمه الشريف، وتاريخ وفاته من باب مشهده المحترم؛ لتقادم الزمان، وفوق هذا المشهد المبارك المحترم مسجد قديم تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، وله أوقاف كثيرة واسم في الدولة العليَّة، ويتولى نظارته أحد السادات الحسينية.

وله كرامات كثيرة موجودة حتى الآن، يزوره المرضى وأصحاب الحميات المزمنة فيبرءون بإذن الله تعالى، وقد جرب ذلك كثيرًا، وكل من زاره وتوسل إلى الله تعالى في قضاء حاجته قضيت سريعًا.

وعنده قبور قديمة تُزار والظاهر أنهم من أهل بيته رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

الشيخ صالح بن الصالحين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

هو من أولياء الله تعالى المتقدمين، قبره الشريف المحترم في بئر وعلى ذلك البئر المشرفة مشهد قديم، ومسجد قديم من بناء المتقدمين يزوره المسلمون، ويرون بركته ويستشفون بمائه، وقد جُرِّب شرب مائه المبارك لقطع الحميات، ولقد جربت مرارًا ما شربت من هذا الماء المبارك إلا شفيت من علتي، وما استغثت إلى الله سبحانه وتعالى في كشف كربي وذهاب همي وغمي إلا كشف كربي، وأذهب همِّي وغمِّي، وما توسلت على الله تعالى به في قضاء حاجة إلا قُضيت سريعًا ﷺ وأرضاه، ونفعنا ببركاته آمين.

وقريبًا من مشهده الشريف قبر الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى، وقد اشتهر عندنا وجرب كثيرًا أن من ابتلي بالوساوس الشيطانية، والعلل السودانية وزاره، يبرأ بإذن الله تعالى.

وأيضًا قريبًا من مشهده الشريف المحترم مقام قديم محترم مشهور بمقام عليّ ﷺ، يزوره المسلمون، ويتبرَّكون به، والظاهر أن بعض أكابر المتقدِّمين من أئمة أهل البيت النبوي المطهر قد سكن وتعبَّد فيه أيامًا، فبني عليه هذا المشهد الشريف؛ لئلا تندرس آثارهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ حمص ﷺ

هو من كبار أولياء الله تعالى، له مشهد قديم خارج الموصل من الجانب الغربي على مقدار مرحلتين عنها، وعنده مسجد قديم يزوره المسلمون، ويتبركون به، وعنده قرية خربة قد بقي منها آثاره، وله اسم في الدولة العلية، ويتولى نظارته رجل من أهل الموصل، وله أوقاف يصرف منها لعمارته ﷺ، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ محمد الحداد ﷺ(١)

هو من كبار الأولياء العارفين والمشايخ المتقدمين، قبره الشريف في قرية تُسمَّى باسمه الشريف الدميرجي، معناه باللغة التركية: الحداد، وهي قرية من الموصل على مقدار أربعة ساعات من الجانب الغربي.

وله مشهد محترم يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبرَّكون به، ويرون بركته.

وله إشارات وكرامات، ويحكى عنه الكرامات الخارقة ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ محمد ﷺ

مشهورٌ بالغزالي، قبره الشريف في قرية قريبة من قرية الشيخ محمد الحداد، كان دارسًا فأتى مجذوب، وقال للناس: احفروا في هذا المكان، ففيه قبر وليٍّ من أولياء الله تعالى، فلم يفعلوا، فذهب وأتى بقَدوم، وحفر في ذلك المكان، فظهر قبر قديم فأظهروه، وبنوا حوله جدارًا، وجعلوا قبره الشريف ظاهرًا يُزار يقصده الكبار والصغار، والآن يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، ويرون بركته.

ويحكى عنه كرامات كثيرة ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ محمد الغزلاني ﷺ

هو من كبار الأولياء المتقدمين، والمشايخ العارفين، لم أقف على ترجمته ﷺ لكن يدل على ذلك اعتناء المسلمين الأولين ببناء هذا المشهد القديم على قبره الشريف وهو خارج الموصل على مقدار ميل عنها، قريبًا من مشهد النقطة في سفح جبل مطل على البسيط المجاور لغنائها وبساتينها، وعنده مسجد في باطن ذلك الجبل، والمكان المدفون فيه الشيخ ﷺ منحوت من الحجر، والقبر في وسطه كذلك منحوت من الحجر، وإلى جانبه حجرة صغيرة منحوتة من صخرة واحدة، وبينهما وبين مرقده الشريف مسافة طريق نافذ

(١) انظر في ترجمته: تاريخ بغداد (١٤/ ٢١٠)، والحلية (١٠/ ٣٣٩).

إلى الجبل منحوت أيضًا من الصخر، يقال أن الشيخ محمد ﷺ كان يتعبَّد فيها.

وأما تسميته بالغزلاني: فنسبته إلى الغزلان؛ لأنه ﷺ كان في حال تجرده وانقطاعه تجتمع إليه الوحوش والغزلان، وتأنس به ولا تنفرد منه.

والآن يزوره المسلمون، ويتبرَّكون به ﷺ، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ العنَّاز ﷺ

هو من كبار الأولياء المتقدِّمين، له ذكر كثير في الكتب، وكانت وفاته قبل الخمسينات.

وله كراماتٌ كثيرةٌ مشهورةٌ مشهودةٌ إلى الآن، يزروه المسلمون كثيرًا ويتبركون به ويرون بركته، ويقصده أصحاب الحاجات والأمراض والعاهات والنكبات، فتقضى حوائجهم بإذن الله تعالى، وتشفى أمراضهم بإذن الله تعالى، وتفرَّج كروبهم بإذن الله تعالى، وقد جرب الناس منه سرعة التأثير فيمن يحلف عنده كاذبًا حتى تحامى الناس عن الحلف عنده.

حلف رجل على شيء كاذبًا، فلم يخرج من حضرته إلا وقد حدث في ظهره ألم يحسُّ به كأنه قد انقصم ظهره، وآخر فاقعد، وآخر فتورم، وآخر فلم يبصر، فلذلك تحاشوا عن الحلف عنده.

ومقبرته فيها جماعة كثيرة من الرجال الفضلاء رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

الشيخ أبو الفتح رضا الدين يونس رحمه الله تعالى

هو العالم العلاَّمة القطب اللوذعي، الزاهد، العابد، والد الأئمة، وحبر الأمة.

تفقه بمدينة السلام (بغداد) على الشيخ أبي منصور الزرار، وانتقل إلى الموصل، ودرس بالمدرسة الزينية، والبقشية، والعلائية، وأقبل عليه السلطان (.....[1]) ابن سبكتكين، وأوقف عليه أوقافًا جليته، وفوض إليه جميع الأوقاف بالموصل.

وكان في غاية الورع والزهد.

---

(١) بياض بالأصل.

تُوفي بالموصل سنة سبعين وخمسمائة، ودُفن بمقبرة الشيخ عنّاز ﷺ قريبًا من حضرته الشريفة.

وقبره الآن ظاهر يُزار يسمونه العوام الشيخ يوسف رحمة الله تعالى عليه.

ومنهم: أبو عمران كمال الدين موسى بن رضا الدين يونس رحمه الله تعالى: هو الشيخ الإمام العلامة البحر، الحبر، الهمام، والقدوة، الفهامة، أعجوبة الزمان، نادرة العصر والأوان، كان تشدُّ الرِّحال إليه.

ذكر القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه أنه كان يشتغل في أربعة وعشرين فنًا من العلوم حتى كان يشتغل عليه أهل التوراة في توراتهم، وأهل الإنجيل في إنجيلهم، وكان أبو عمرو بن صلاح مفتي الشام يشتغل عليه، والناس يشتغلون عليه في تصانيفه حتى مدحه بعض الفضلاء بقوله شعر:

على كل المنازل والرّسوم تجر الوصل الأذيال فخرًا
لهيم أو لذي داءٍ سقيم بدجلة والفرات هما شفاء

وذكر في (عجائب البلدان): أن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس من عجائب الموصل، وأنه ورد إلى مدينة حلب في زمن الملك الكامل، ابن الملك العادل، ابن أيوب مسائل من جملتها شكل قوس، ونشابته منه، فعجز علماء الشام عن حلِّها، فأُرسلت إلى الشيخ كمال الدين موسى بالموصل فحلّها أحسن حل، وأرسلها لهم فعجبوا من ذكائه وفطنته، واعترفوا بفضله وفضيلته.

وكان الناس يأتونه من جميع الأقطار فيستفيدون من فوائده الغزار، حتى قيل أن الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عزم على التوجه إليه، فأدركته الوفاة في طريقه.

تُوفي الشيخ كمال الدين موسى بن يونس بالموصل سنة ثمان وستمائة، ودُفن بمقبرة الشيخ عناز ﷺ قريبًا من والده الشيخ يونس رحمة الله تعالى عليهما.

وفي هذه المقبرة الشريفة كثير من الأولياء العارفين، والمشايخ المتقدمين قد اندرست قبورهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عبد الله بن موسى بن محمد بن كمال الدين موسى بن رضا الدين يونس، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

هو الإمام العلاَّمة المعزز، والد النجباء، وملاذ الغرباء، وقاضي قضاة الموصل، وأربل وديار بكر كافة.

كان عالمًا، عاملاً، حليمًا، وقورًا، مهيبًا، جليلاً، جميلاً، حسن السَّمت، وافر الصمت، انتهت إليه رئاسة أرباب الطيالسة والعمائم، واتفقت على غزارة فضله الباب الأعاظم، عاش سعيدًا ومات حميدًا سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ودفن بظاهر باب الميدان بالموصل.

وهو الذي يقال له في زماننا بباب الأوجش، وقد كان دارسًا، ثم في سنة مائتين وألف حفر بعض الناس في أرض له فظهر قبره مكتوب عليه اسمه.

وقيل أنه رأى في منامه رجلاً يرشده إلى محل القبر المذكور، ويأمره بإخراجه وعلَّمه هذه الصلوات: «اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد ما حرَّك النسيم نباتًا وأنثى وولد، وكل ذي روح في البر والبحر بَعُدَ أو دنا، وعلى آله وأصحابه ساداتنا».

ولم نسمع قبل هذه الواقعة هذه الصلوات، والآن قبره ظاهرٌ يُزار ويُتبرَّك به، وفي هذه التربة مدفون ولديه الكريمين:

الشيخ نصير الدين عليّ: كان خطيبًا بالجامع القديم بالموصل، حسن الخط، جيد العبارة، جميل الأخلاق، ولي قضاء [....[1]]، ومات بها وحُمل إلى الموصل، ودُفن بباب الميدان عند والده سنة خمسة عشر وثمانمائة.

والشيخ ركن الدين الحسن: ولي القضاء بحلة دبيس مزيد، فأقام بها أتم قيام ثم انفصل عنها، وعاد إلى وطنه بالموصل، فتُوفي بها ودُفن بتربة والده بباب الميدان، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وقريبًا من هذه التربة مقبرة فيها قبر الرجل الصالح الشيخ يوسف رحمة الله تعالى عليه، كان رجلاً صالحًا، ورعًا، عابدًا، مشهودًا له بالكرامات رحمة الله تعالى عليه، وفيها قبر ولده المرحوم الرجل الصالح الشيخ عثمان الخطيب الموصلي رحمه الله تعالى، كان عالمًا بليغًا في النظم والنثر، صاحب فضائل جمة، وأخلاق حميدة، وله تآليف كثيرة مفيدة،

---

(١) بياضٌ بالأصل.

وكرامات عديدة.

مات رحمة الله تعالى عليه سنة ست وأربعين ومائة وألف، وقبره هناك ظاهر يزار رحمة الله تعالى عليه ونفعنا ببركاته آمين.

***

الشيخ الدندان ﷺ

له مقام خارج الموصل في بستان هي وسط البساتين، وقبره هناك ظاهر يُزار.

يُقال أنه كان من الأولياء الكبار، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وله مقام في مسجد داخل الموصل، فالظاهر أنه كان يسكنه ويتعبَّد فيه.

ويحكى عنه كرامات كثيرة ﷺ ونفعنا ببركاته آمين.

***

الشيخ عمر المُولّي ﷺ

مشهده الشريف خارج السور في طريق الواردين من دجلة، قريب المدينة كان عالمًا عاملاً، زاهدًا، وكان الملك الصالح نور الدين يعتقد فيه اعتقادًا عظيمًا، ويصغي لوعظه، ويمتثل أوامره، وكان يُكاتبه من حلب، ويستشيره في أموره العظام ومهماته الجسام، وكل الملوك الأتابكية، ورؤساء دولتهم يعتقدون فيه، ويصيخون بأسماعهم إلى قوارع وعظه، وزواجر ملامه وتعنفه، ويصبرون على ما يسمعون منه، وجميع أهل الموصل كانوا يحبونه ويعظمونه.

كان من الزهد والعلم والورع على جانبٍ عظيم، وكان السلطان نور الدين ينفذ في كل سنة في شهر رمضان يطلب منه شيئًا يفطر عليه، فكان ينفذ إليه أكياسًا مملوءة من خبز الكعك والرقاق وغير ذلك، فكان يفطر عليه، ولما صارت الموصل لنور الدين أمر شحنته عليها كمشتكين ألا يعمل شيئًا إلا بالشرع، إذا أمره القاضي به، وألا يعمل القاضي والنواب كلهم شيء إلا بأمر الشيخ عمر، ولذلك اشتهر بالمولّي، فكان لا يعمل بالسياسة، وبطلت الشحنكية، فجاءه به أكابر الدولة وقالوا لك مشتكين: قد كثر الدُّعار وأرباب الفساد، ولا يزجرهم عن شعرهم إلا القتل والصلب، فلو كتبت إلى السلطان وقلت له في ذلك، فقال لهم: أنا لا أكتب إليه في هذا المعنى، ولا أجسر على ذلك، فقولا

للشيخ عمر الموللي يكتب له ما ذكرتموه، فحضروا عنده وذكروا له ذلك فكتب إليه يقول: إن الدعار وقُطَّاع الطريق قد كثروا، ونحتاج إلى نوع سياسة فمثل هذا لا يكون إلا بنوع قتل وضرب وصلب، وإذا أخذ مال إنسان في البرية فمن أين يوجد له شهود على الغضب، فلما وصل كتابه إلى نور الدين قلبه وكتب على ظهره: إن الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم، وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم، وأن مصلحتهم تحصل فيما شرَّعه الله تعالى لهم على وجه الكمال، ولو علم أن على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعه، فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى لعباده.

فجمع الشيخ عمر الموللي أهل الموصل، وأقرأهم كتاب نور الدين، وقال: انظروا في كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد.

مات الشيخ عمر الموللي في أيام دولة الأتابكية، وشهد دفنه غالب الأكابر والأعيان، وله مشهد وعنده مسجد، وقبره ظاهر يُزار، ويُتبرك به ﷺ، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ محمد الراداني ﷺ

له مشهد قديم في قرية بأعشيقة، ذكره ياقوت في معجمه، وهو أحد الزُّهاد وأرباب الأحوال والمكاشفات من أهل العصور السابقة، وكانت في أيامه بأعشيقة مدينة صغيرة لها أسواق وخانات، وجوامع، وفيها دار إمارة، والآن هي قرية صغيرة جدًا وقد عفت آثار عمائرها.

والشيخ المذكور يزوره المسلمون ويتبرَّكون به ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ حسن الشامي ﷺ وأرضاه

هو من كبار الأولياء العارفين، له مشهد قديم في قرية من قرى الموصل تسمى باسمه، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، وله إشارات وكرامات واضحة، وقريبًا من مشهده الشريف غيطة فيها أشجار كثيرة لا يجرؤ أحدٌ من أهل القرية ولا من غيرهم أن يقطع

منها، وقد جرَّبوا أن من قطع منها شيئًا أُصيب بمحنةٍ عظيمةٍ، ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ ظاهر ﷺ[1]

هو من كبار أولياء الله تعالى، له مشهدٌ قديمٌ محترمٌ يزوره المسلمون كثيرًا، ويتبرَّكون به، ويرون بركته، وله عقار موقوف على مشهده، ويتولى نظارته بعض السادات، ويُقال أنه من أهل البيت ﷺ وعنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ الفضل ﷺ[2]

هو من كبار الأولياء، له مشهدٌ قديمٌ في قرية من قرى الموصل تُسمَّى باسمه، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به، ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

السبعة الحدَّادون رضي الله تعالى عنهم

لهم قبور قديمة متصلة بعضها ببعضٍ قريبًا من باب سنجار خارج السور، يزورهم المسلمون كثيرًا ويرون بركتهم، وقد جرب كثيرًا أن من زارهم وتوسَّل إلى الله تعالى بهم في قضاء حاجته قُضيت سريعًا، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

وقريبًا من قبورهم الشريفة قبر كبير قديم، يُقال أنه من الصالحين المتقدمين رحمة الله عليهم أجمعين.

وقريبًا من قبورهم أيضًا قبة فيها قبر قديم يُقال له الشيخ سويد من الصالحين المتقدمين، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

***

(١) ويقال الإمام طاهر، ولعله من أهل البيت النبوي والله أعلم.

(٢) ويقال الإمام الفضل فالظاهر أنه أيضاً من أهل البيت النبوي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الشيخ مسعود ﷺ

هو من الأولياء المتقدمين، له مشهد قديم، وعنده مسجد تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، وله إشارات وكرامات، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبركون به، ويرون بركته، ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

الست ملكة رضي الله تعالى عنها

لها قبرٌ قديمٌ بقرب سيدنا ومولانا النبي جرجيس عليه السلام، يزوره المسلمون ويرون بركته، والمشهور بين المسلمين أنها المرأة العجوز التي حُبس في بيتها النبي جرجيس عليه السلام وآمنت به، أو امرأة الملك التي آمنت به أيضًا، والله أعلم.

رضي الله تعالى عنها، ونفعنا ببركاتها آمين.

* * *

الشيخ السفيل رحمه الله تعالى

هو من الصالحين المتقدمين، له مشهدٌ قريبٌ من مشهد الإمام الباهر، يزوره المسلمون ويتبرُكون به، والظاهر أنه كان كثير التواضع، ولذلك اشتهر بالسفيل رحمه الله تعالى.

* * *

الشيخ محمد البيطار رحمه الله تعالى[١]

هو من أصحاب المراقد المنيرة، والمشاهد المستنيرة، كان في أولِ أمره يصنع البيطرة ثم كوشف فتجرَّد لله تعالى، وترك الدنيا وانقطع انقطاعًا كليًّا، وظهرت له كرامات وخوارق، وزاره الأكابر والأصاغر يلتمسون بركته، وقبره الشريف في جامع الحاج عبدال، وفي جواره قبر رجل من أهل الصلاح يُقال له: الشيخ عبد الكريم الموصلي، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

* * *

(١) انظر: معجم المؤلفين (٣/٥٥) .

الشيخ علاء الدين ﷺ

هو من كبار أولياء الله تعالى، له مشهدٌ قديمٌ محترمٌ من بناء المتقدمين، يزوره المسلمون كثيرًا ويتبرَّكون به ويرون بركته، وعنده مسجد قديم تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

الشيخ موفق الدين الكواشي رحمه الله تعالى(١)

هو أحمد بن يوسف الكواشي صاحب التفسير، كان عالمًا زاهدًا فاضلاً، ذا ديانة زائدة وعفة وصيانة، وتفسيره مبارك ميمون، سهل المأخذ، في بيان وإيضاح، من غير تطويل ممل، وإيجاز مخل.

مات رحمه الله تعالى في الموصل سنة ثمانين وستمائة، وكان قبره معلومًا يُزار، ثم عفى رسمه لطول مرور الزمان، فهو الآن غير معلوم المكان رحمه الله تعالى.

***

الشيخ أبو عبد الله الشهير بشعلة رحمه الله تعالى(٢)

هو محمد بن أحمد شيخ القراء، العابد، الزاهد، العارف بالله تعالى، مات صغيرًا عن نيف وثلاثين سنة، لكنه جمع علمًا كثيرًا، وضبط، وأتقن، وألَّف، وكان له الذكاء المفرط، والحفظ الزائد، والفطنة المتوقدة، ولهذا قيل له شعلة.

دُفن بالموصل كانت وفاته في سنة سبع وخمسين وستمائة سنة وفاة الملك لُولُو، أو قبله بسنة، والآن قبره غير معلوم رحمه الله تعالى.

***

الشيخ الرُّومي رحمه الله تعالى

هو من الصالحين له قبر في داخل القلعة يُزار ويتبرك به، ويحكى عنه إشارات وكرامات رحمة الله تعالى عليه، وفي دار الحكم قبر آخر يُزار ويتبرك به، ويحكى عنه

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٨/٥)، والشذرات (٣٦٥/٥).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣١٠)، والمنهج الأحمد (ص٣٨٤).

إشارات وكرامات.

وهو من الصالحين المتقدِّمين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ومقابل باب الحكم مقبرة، ذكر الفاضل العمري في كتابه (منهل الأولياء) عن السيد محمد الهندي أن فيها رجلاً من كبار الأولياء من العصر السالف، ولم يسمِّه، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين.

قال: وهذا السيد المذكور له يد طولى في كشف أحوال الموتى، سأله بعض الناس أن يخبره بحال ولد عزيز له مات قبل قدومه إلى الموصل، فراقب يسيرًا، ثم وحد الله تعالى، وقال: يا نور الدين رأيت ولدك عبد الله وحليته كذا وكذا، وفي شفته جرح فسألته عنه فقال: سقطت من السور في أيام الصغر فانشقت شفتي، وكان كما قال، قال: ورأيت إلى جانبه جارية سمراء حلوة الشكل، مغللة بشعرها، فسألته عنها فقال: هي زينب بنت خالتي يؤذيها أهلها بسبب التأسف والنواح، وعليَّ صلوات فقل لوالدي يقضيها، وهي كذا وكذا، فشهق الرجل وأغمي عليه، ثم أفاق.

وكرامات هذا السيِّد مشهورة عندنا، وكان مجيئه إلى الموصل بعد العشرين والمائة والألف، وكان قد نزل في جامع الشيخ قاسم العمري المنسوب هذا الآن إلى العمريين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

مقام أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاَّج رضي الله عنه[1]

هو مسجد قديم من مساجد الموصل تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، مشهور بين المسلمين بأن فيه مقام الحسين بن منصور الحلاَّج، فالظاهر أنه قد سكن وتعبَّد فيه أيامًا، والله أعلم.

وُلد رضي الله عنه في بعض قرى فارس، ونشأ في واسط، وصحب الجنيد والنوري، وعمرو بن عثمان المكي.

وفي مختصر ابن الوردي قال: قدم الحلاج من خراسان إلى العراق ثم إلى مكة، وأقام سنة في الحجر لا يستظل بسقف، يصوم الدهر، ويفطر على ماء وثلاث عضات من قرص، ثم قدم بغداد متزهدًا متصوفًا، يخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس،

(١) انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/٩٢).

ويمد يده في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم أحدية يسمِّيها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، وبما في ضمائرهم، فاعتقد قوم فيه الحلول، وحاشاه من ذلك.

واختلف قوم فيه كالاختلاف في المسيح عليه السلام فقيل: هو ولي الله، وقيل: هو ساحرٌ، والتمس حامد بن العباس الوزير من الخليفة المقتدر تسليمه إليه، فكان يخرجه في مجلسه ويستنطقه، فلا يظهر منه ما يخالف الشريعة، وحامد مجد في أمر ليقتله حسدًا وبغيًا وعدوانًا لأولياء الله تعالى، ثم أنه رأى له كتابًا حكي فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتًا نظيفًا من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضر الحج طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيمًا، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت ويكسوهم، ويعطي كل واحدٍ سبعة دراهم، فيكون كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاّج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، ولم يعلم الحلاج ما دسّوه عليه، فقال القاضي له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فطلب الوزير خط القاضي بقوله حلال الدم، فدافعه القاضي فلم يندفع، وألزمه فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس من العلماء، فقال الحلاّج: ما يحل لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي، وأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر، فأذن له بقتله، فضرب ألف سوط، ثم قُطعت يده ثم رجله، ثم قُتل، وأُحرق، ونُصب رأسه ببغداد.

قال الفاضل العمري: ولعمري إنها مظلمة مُظلمة، وقضية ظالمة، ارتكبها الوزير لهوى نفسه، وأظهر أنها حماية للشريعة المؤيدة.

وفي شرح الجوهرة للقاني: فمن تكلم في أئمة الدين، وهداة المسلمين من الرؤساء المجتهدين، لا يلتفت إليه ولا يعول في شيء عليه، ومقت الله والسقوط من عينيه منجذب إليه، كما أنه لا التفات لمن رمى الجنيد وأصحابه من جملة الصوفية بالزندقة عند الخليفة جعفر المقتدر، حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد، فإنه تستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب شيخه أبي ثور، وبسط لهم النطع، فتقدم من آخرهم أبو الحسن النوري، فقال له الجلاد: لِمَ تقدمت؟ فقال: لأوثر أصحابي بحياة ساعة، فبهت السياف، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردّهم إلى القاضي، فسأل النوري عن مسائل فقهية فأجابه، ثم قال: وبعد فإن لله تعالى عبادًا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله... إلى آخر كلامه، فبكى القاضي وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زناديق فما على وجه الأرض مسلم،

فخلى سبيلهم، ثم قتل من الصوفية الحسين الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة بما لم يتأمله مَنْ أمر بقتله انتهى.

ومن كلامه: حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا.

وكان يقول: أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، ومن حيث الحق حقيقة.

وكان يقول: إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحي إليه بخواطره، وحرس سره أن يسبح فيه غير خواطر الحق، وعلامة العارف أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة.

وسُئل عن المريد فقال: هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى، فلا يعرج حتى يصل.

وسُئل عن التصوف وهو مصلوبٌ فقال: أهونه ما ترى.

وكان يقول: من لاحظ الأعمال حُجب عن المعمول من حيث رؤية الأعمال.

وكان يقول: لا يجوز لمن يرى غير الله أن يقول: إني أعرف الله الأحد الذي ظهرت منه الآحاد.

وكان يقول: من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذي نطق بكل مكنون.

وكان يقول: ما انفصلت عنه ولا اتصلت به.

وكان يقول: المتوكل المحق لا يأكل، وفي البلد من هو أحق منه بذلك الأكل.

وسُئل عن الصوفي فقال: هو الوحداني الذات لا يقبله أحد، وهو المشير عن الله وإلى الله.

وسُئل عن موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال: بدا لموسى من الحق باب، فلم يبقَ لموسى أثر، ثم فنى موسى عن موسى، ولم يكن لموسى خبر من موسى، ثم كلُم موسى، فكان المكلم هو المتكلم بحصول موسى في حال الجمع وفنائه عنه، ومتى كان موسى يطيق حمل الخطاب أو يأباه ولكن بالله قام وبه سمع.

ولما كانت الليلة التي وُعد بالقتل في نهارها قال له خادمه: أوصني يا سيدي، قال له: عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك، فلمّا كان الغد وخرج للقتل قال: حسب الواحد إفراد الواحد له، ثم خرج يتبختر في قيده وهو يقول:

حبيبٌ ليس منسوبًا ... إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب ... كفعل الضيف بالضيفِ

دعَا بالنِّطع والسَّيف فلمَّا دارت الكاسات

ثم قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:١٨]، ثم لم ينطق بعد ذلك بشيء حتى فعل به ما فعل ﷺ ونفعنا ببركاته آمين.

وفي مشكاة الأنوار للإمام الغزالي فصل طويل في حاله يعتذر فيه عمَّا صدر عنه مثل قوله: «أنا الحق وما في الجبة إلا الله»، وحملها على محامل حسنة، وقال: هذا من شدة الوجد مثل قول القائل: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا».

وقال السيد الجليل الشيخ عبد القادر الجيلاني: عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ولو كنت في زمنه لأخذت بيده رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم وأمدنا بإمداداتهم وأفاض علينا من نفحاتهم آمين.

***

مقام الشيخ شمس الدين الموصلي ﷺ

له مقامٌ قديمٌ في مسجدٍ قديمٍ تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، يُزار ويُتبرَّك به، وليس فيه قبره، وإنما يُنقلُ عنه أنه يرى في المنام يخبرهم بمحلِّه، وله كراماتٌ كثيرةٌ شهيرةٌ وإشاراتٌ واضحةٌ.

حكى لي بعض المسلمين قال: لحقني بعض أصحاب الشرطة ليأخذ مني المكس، فدخلت إلى مقامه الشريف فدخل ورآني، وجعل ينظر في جوانب المسجد والمقام، وأنا أراه ولم أتكلم وهو لم يرَني، ثم خرج وخلَّصني الله تعالى من شرِّه ببركات الشيخ شمس الدين ﷺ ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

***

مقام قرة علي رحمه الله تعالى

هو في مسجدٍ قديمٍ من بناء المتقدمين، تاريخ عمارته سنة ثمانين وخمسمائة مقام، يُقال له مقام قرة علي يقصده أصحاب الأمراض، يستشفون بمائه.

وهو مسجدٌ مباركٌ لم يسكن فيه أحدٌ إلاَّ وفتح الله تعالى عليه خيرَي الدنيا والآخرة.

وفي سنة أربعة وتسعين ومائة وألف جعله المرحوم يونس أفندي جامعًا كبيرًا تُقام فيه الجمعة والصلوات الخمس بالجماعة.

وظهر فيه قبرٌ قديمٌ كبيرٌ مكتوبٌ عليه: هذا قبر العبد الفقير.. إلى رحمة الله تعالى جمال الدين أبو الهيجاء.

تُوفي سنة اثنين وستين وستمائة، والآن هو ظاهرٌ يُزار، ويقصده أصحاب الأسقام يزورونه ويتبرَّكون به فيبرءون بإذن الله تعالى.

ولما تُوفي المرحوم صاحب الخيرات يونس أفندي دُفن فيه، وسابقًا دُفن فيه أيضًا والده المرحوم ملا حسن، كان رجلاً ورعًا صالحًا منقطعًا إلى الله تعالى، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

***

مقام الشيخ عثمان رحمه الله تعالى

هو مسجدٌ قديمٌ تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، فيه مقام رجلٍ من الصالحين يُقال له الشيخ عثمان، يُزار ويُتبرَّك به.

وينقل أهل محلَّته عنه كرامات كثيرة رحمه الله تعالى.

***

مسجد الصابرين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

هو مسجدٌ قديمٌ تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، يُقال له مسجد الصابرين. فالظاهر أنه قد سكنه جماعة من أهل الزهد، والصبر، والإخلاص، والتوكُّل.

وكثيرًا ما نسمع أن الاغتسال بمائه قطع الحمى المزمنة، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وقد تمَّ ما أردته، وكمل القصد الذي رمته وقصدتُه بحمد الله الوهَّاب الفتَّاح العليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه أُولي المجد الصميم، والفضل العظيم.

[خاتمة]

وأنا أستغفر الله تعالى مما يعلمه مني من التعدي، وأسأله جلَّ جلاله مع ذلك ألا يؤاخذني بما انطوى عليه ضميري من أنواع القبائح والمعائب التي مني ولا أعلمها أو أعملها، ولا تسمح نفسي بالمنتقى منها والتنـــزُّه عنها؛ اغترارًا مني بحلمه، وأن ينفعني ببركات كل ولي على وجه الأرض أو في بطنها، وأن يمدَّني من مددهم جميعًا، وأن يحشرني معهم، ولا يخالف بي عن طريقتهم، وأرغب إليه جلَّ وعلا أن يمن عليَّ بتوبةٍ تمحو عني كل حوبة، وأن يغفر لي ولوالدي، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، إنه أكرم الأكرمين، ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وقد وقع الفراغ من تأليفه وكتابته بعون الله تعالى، وحسن توفيقه يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة ومائتين وألف مِن هجرة مَنْ له العزة والشرف ﷺ، بيد جامعه المستغرق في بحار الذنوب والعصيان، المعتمد على رحمة ربه الرحيم الرحمن، المتشبث المتمسك بذيل نبيه محمد سيد ولد عدنان يوسف بن ملا عبد الجليل الكردي غفر الله تعالى له ولوالديه، ولمن ترحَّم عليهما وعليه، اللهم تقبل مني ولا تحبط عملي، واغفر لي زللي، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، اللهم اجعله خالصًا لوجهك الكريم.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١، ١٨٢]

* * *

فهرس المحتويات